

تراث
عمان
MARE
ARABICVM
Ormus
Obraimi
Pale
Delfshaven
Lareque
Olim
Quiximi
Quare
Andrani
Cori
Tomie
Nahan
Iguir
Naban
Holac
Calva
Bocca lima
Daalna
C. Mozandon
Doba
Basora Fretum
C. de Iasques
Iasques
Tamqueboca
Xarma
Corfacao
Calata
Soar
Ias de Soar
Mascate
Cariate
Beron
Tabla
Gode
Iulfar
Cantap
Canta
Ommagada
Sochor
Mig
ORMVS.
C. de Rasalgat
Teuhi
Calayata
Hor
Marimata
Carat
Apola
Cuova
Spalheiro
BESCHARIN.
MAFFA.
Maffa
Martinos mons
Enseado d. S. Paulo
O. Palheyros
I. de Mazira
Mirbat
Desme
Magiarabit
Enseado dos Baixos
Syry
ALIBINALI.
Alibinali
Deserta Vasta.
C. d. Materea
As duas Pontas
I. Triste
Matrequa
Nayn
Acor
Asta
VBELHAMAN.
Brun
Gubelhaman
Punta de Curia muria
C. dos Pontos
Ias de Curia muria
Xeseque
Pacher
Morubate
RTACH.
Dolfar
Ogob

إن القليل جداً فقط من البلدان على ظهر المعمورة تستطيع أن تقدّم تنوّع المشاهد وثروة الحياة البرية التي تشكل التراث الطبيعي لعُمان. وتوفر الرقعة الوعرة الشاسعة لصحراء الربع الخالي ورملة الوهيبة الفريدة والمنطقة الساحلية شبه الصحراوية حيث يجلب ضباب الرياح الموسمية رطوبة تهب الحياة لمجموعة كبيرة من الحياة النباتية والحيوانية، خلفية للجروف الشامخة المكسوة بغابات كثيفة من الأشجار النادرة وحيث الوديان التي تفيض بمياه الأمطار الموسمية حيث تشكل شلالات لها مناظر درامية. وفي عُمان يستطيع المرء أن يرى أبقار المارية العربية تعود الى الحياة البرية وتتكاثر في المناطق الصحراوية حيث يحميها سكان المنطقة البدو بكل فخر واعتزاز. كما تعتبر عمان موطناً للآلاف من الغزلان البرية والوعول العربية وحيوان الطهر العربي وبعض النمور العربية التي لم تنقرض، وهي أيضاً موطن لمجموعة كبيرة من الكائنات المعرضة للإنقراض ببطء.

وأينما يتجه المرء بعينيه يجد ما يثير الدهشة، فهناك على سبيل المثال منطقة مسندم التي لا تعرفها الاّ القلة القليلة على الرغم من انهاتشمل بعض أجمل مشاهد الجروف الساحلية في العالم. ان الممرات البحرية التي تكتنفها الجروف تشكل ملاجيء أمينة للصيادين المحليين وتوفر غذاءً غنياً لجراد البحر "أم الربيان" اللوبستر ولقطعان الأسماك ومجموعة من الحياة البحرية الأخرى.

إن مشهد قطعان السردين التي تطاردها أسماك التونة المتقافزة أوالدلافين، والتي يصطادها العمانيون الذين يسحبون شباكهم حولها بالقرب من البر قبل أن يضعوا صيدهم في الشاحنات الصغيرة هو من المشاهد المألوفة التي يراها كل من يقود سيارته على الطرق الجديدة النظيفة التي تحتضنها الجروف. وبالاضافة الى ذلك يوجد ما لا يقل عن ١٤ نوعاً من الحيتان والدلافين التي تظهر بالقرب من الشاطيء. وبعض الجزر العمانية هي أماكن ذات أهمية عالمية حيث تعشعش فيها السلاحف، إذ تقوم أكثر من ٣٠٠٠٠ سلحفاة من السلاحف البحرية الكبيرة ضخمة الرأس بوضع بيضها في جزيرة مصيرة وحدها، ولا نغفل بالطبع عن ذكر أنواع السلاحف الأخرى مثل السلاحف الخضراء وسلاحف البحر التي تعشعش هناك بأعداد كبيرة.

إن مجلدات بأكملها لا تكفي للحديث عن التاريخ الطبيعي لعمان، ومع ذلك فقد تناول المؤلف في هذا المجلد المصوّر الجميل بعض الموضوعات المثيرة الأخرى وتناول بالوصف الماضي العريق للبلاد وكشف النقاب عن أهمية عمان للحضارة القديمة في بلاد ما بين النهرين، وأوضح التطورات المبتكرة والحساسة من الناحية البيئية للبلاد. لقد تنقل المؤلف بكثرة في أنحاء البلاد خلال قيامه بالأبحاث اللازمة لهذا الكتاب المثير عن تراث عُمان الرائع.

تراث عمان

تراث عمان

بيتر ڤاين

دار ايميل
للنشر

الخرائط المطبوعة في هذا الكتاب ليس لها أي صفة رسمية فيما يتعلق بالحدود الدولية.

الصور المنشورة في هذا الكتاب هي من تصوير المؤلف ما لم يتم نسبها إلى شخص آخر.

المساهمون الآخرون في انتاج هذا الكتاب:
النص:
جيجي كروكر جونس.

الصور الاضافية:
متحف الصناعات التعدينية الألماني، بوتشوم. تصوير جي فيسجربر.
بعثة الآثار الألمانية إلى سلطنة عمان. تصوير بول يول.
وزارة الاعلام، سلطنة عمان.
وزارة النفط والمعادن.
شركة تنمية نفط عمان ش. م. م.
مكتبة شيستر بيتي، دبلن.
هان وجينز إريكسين.
رانولف فينس.
إيف جيلي.
شيرلي كاي.
رودني سالم.
أندرو سبالتون.
جي. تومسون.
كريستيان ڤيوجارد.

الترجمة وصف الحروف والاخراج الفني:
شركة الغرافيك العربي، لندن. هاتف: ٠١٧١ ٧٣٩ ٨٠٠٠

رقم الطلب الدولي ISBN 1 898162 40 1

دار إيميل للنشر المحدودة
٢٠ باركلي ستريت
باركلي سكوير
لندن، دبليو ١ إكس ٥ أي ئي

هاتف: ٠١٧١ ٤٩١ ١٧٩٩
فاكس: ٠١٧١ ٤٩٣ ٥٥٢٤

المحتويات

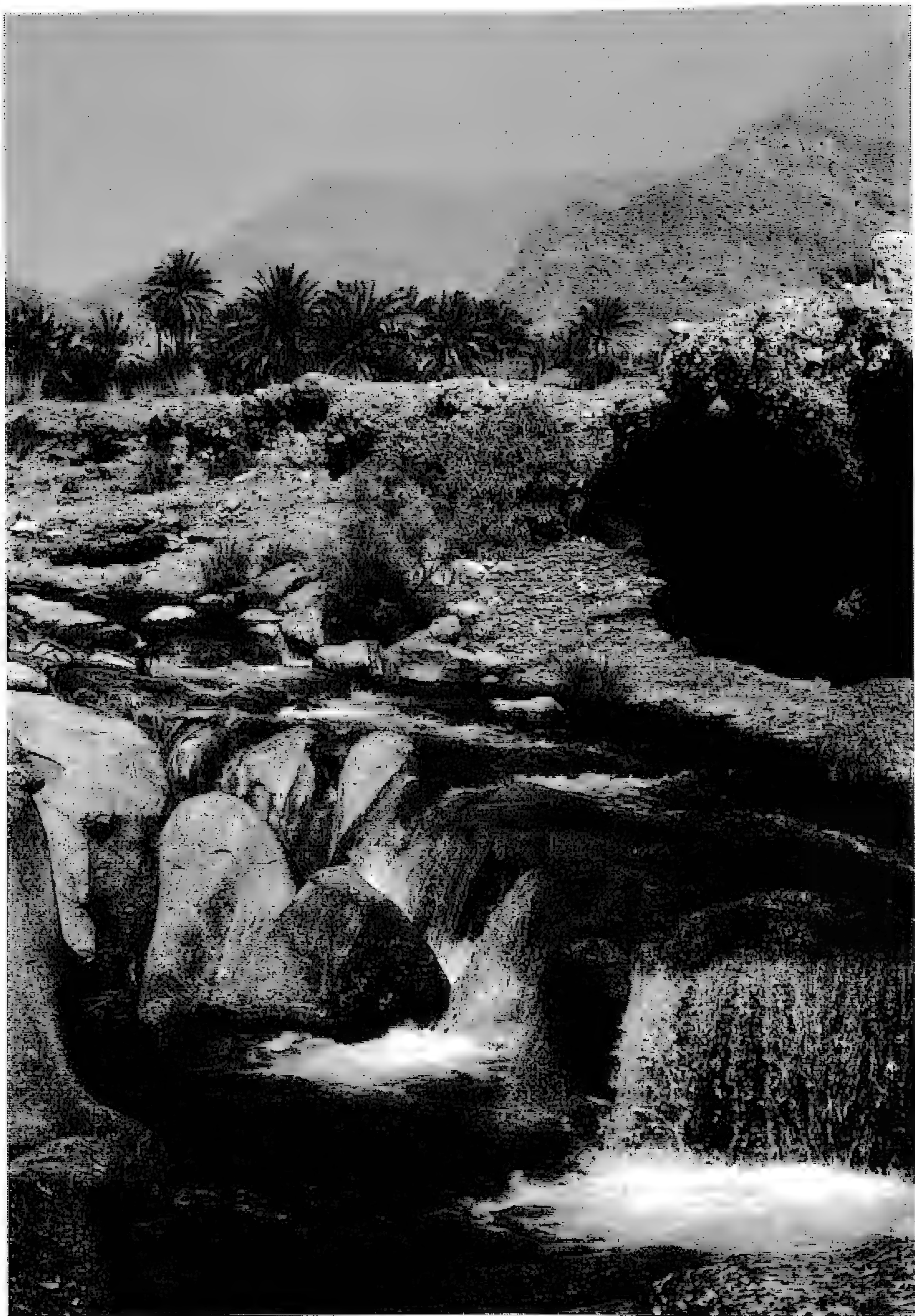
تـراث عمـان

التاريخ القديم

مقابر في شكل خلية
النحل موجودة في
وادي العين.



شركة تنمية نفط عمان



المستوطنون الأوائل

فريق الصيد

لقد دفعت بهم العاصفة إلى الشاطىء بحثا عن الطعام. وأحياناً تجلب مثل هذه العواصف الفأل الحسن، فتلقي بالأسماك الطازجة إلى الشاطىء ربما كقربان مقدم من الأرواح. لكن هذه العاصفة، على وجه الخصوص، كانت شيئاً مختلفاً فقد كان رذاذ الماء المالح يرتطم بالشاطىء معبرا عن غضب البحر الشديد. ومع ذلك فقد كان من الممكن مواصلة جمع القواقع من الخليج الصغير الذي تحف به أشجار القرم والذي يتوارى خلف اللسان البحري. ولذلك فقد ترك الرجال النساء والأطفال الصغار خلفهم وحضروا ليبحثوا عن اللحم الطازج. لم يسبق للرجال استكشاف هذه المنطقة من قبل على الاطلاق، فقد يتنقلون على طول الساحل وأحيانا ما يمكثون في نفس المكان لعدة طلعات قمرية (أيام) لكنهم يغادرونه في النهاية سعياً وراء البحث عن أراضٍ جديدة. وكان أباؤهم وأجدادهم يفعلون نفس الشيء، وهم أنفسهم في أيام الطفولة قاموا بأعمال الصيد المشابهة ليكتسبوا من الأجيال التي سبقتهم المهارات المختلفة مثل مهارات التقفي والتتبع وليتعلموا كيفية توقع الخطر واحترام رشاقة ودهاء القط المنقط وتذوق حلاوة الانتصار عند ايقاع الحيوان ذي القرن الأبيض في الفخ.

لقد قادتهم هذه الطرقات إلى مكان غريب، أقاموا فيه لمدة يومين يقتفون آثار قطيع كبير من الحيوانات ذوات القرون البيضاء. واستطاعوا في بعض الأحيان رؤية هذه الحيوانات من على مسافة بعيدة حيث كان لون جلودها الأبيض الناصع يعكس أشعة الشمس وكانت أجسامها تبدو وكأنها تسبح في السماء مع ومضات السراب المنبعثة في الأفق الناتجة عن دفء النهار. ولم يبد لهم ما يدل على أن هناك في هذه المنطقة نقص في الحيوانات البرية الصالحة للصيد لأنهم نادرا ما شاهدوا مثل هذا العدد الكبير من الحيوانات. وكان قطيع من الغزلان الرشيقة يرقص أمام عيونهم وتتطاير مع اقترابها طيور كبيرة تتسابق راكضة على الأرض أولا قبل أن تحلق في الجو. وكان أكبر هذه الطيور حجماً لا يستطيع الطيران لكنه كان أسرع في الركض من الحيوان ذي القرن الأبيض. وكان لهذه الطيور بيض كبير صالح للأكل ولاستخدام قشوره في صنع الأكواب المستعملة في الشرب. وهكذا لم يكن هناك نقص في الطعام هنا، مع ذلك فلم يكن اصطياد هذه الحيوانات أمراً سهلاً. لكنهم لحسن الحظ تمكنوا من العثور على حل لهذه المشكلة.

فالسهل المتدرج الارتفاع الذي كانوا يسيرون عبره انخفض فجأة ليشكل وادياً صغيراً ضيقاً شديد الانحدار. وهو شيء لا عهد لفريق الصيد به ولم ير مثله من قبل مطلقا. وكان من الصعب عليهم ايقاع الحيوانات الضخمة في الفخ عندما كانت تسرح وتمرح راكضة بحرية في السهل العشبي الفسيح أما الآن فقد أصبحت لديهم مصيدة طبيعية في نفس جودة مصائد الوديان الجبلية الضيقة التي كانوا يصيدون فيها منذ ثلاث ليال قمرية مضت. وتطرقت إلى أسماعهم حتى حين كانوا واقفين يتأملون الجروف ويتطلعون إلى الأرض الواسعة للصدع الكبير، قعقعة الأحجار ووقع الضربات المنتظمة لحوافر الحيوانات ذات القرون المقوسة أثناء ارتقاء قطيع منها للصخور الواقعة أسفلهم، وظهورهم عند القمة وهم يركضون على طول الحافة يقودهم ذكر ذو قرن كبير وخلفه زوج من العجول. لقد سبق لهم رؤية مثل هذه الحيوانات من قبل مرة أو مرتين أثناء رحلات الصيد التي قاموا بها، لكنهم لم يتوقعوا أن يجدوها هنا. كان الفأل يبشر بالخير وطلب منهم زعيمهم أن

في الصفحة المواجهة:
شلال طبيعي في منطقة الحجر الشرقي الجبلية.



أدناه:
رمح من العصر الحجري وراس حربة من أيام المستوطنين الأوائل لعمان.



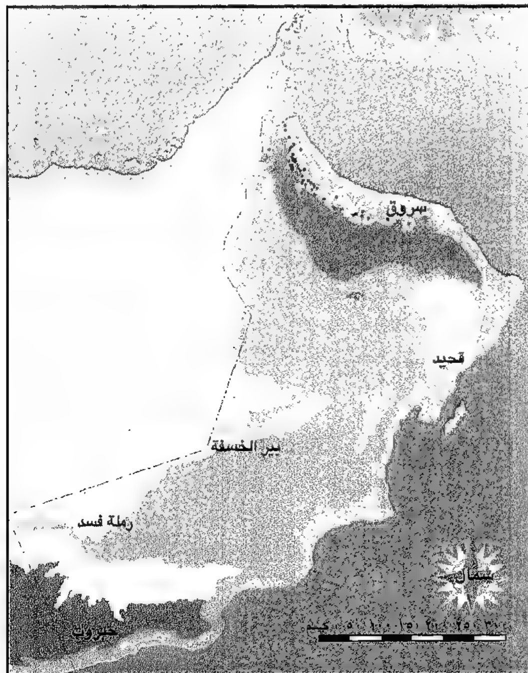
الحقف في آدم هي منطقة برية مقفرة ونائية لم تشهد أي تغير يذكر منذ قيام الانسان بالصيد فيها لأول مرة. ولا يزال الوعل (تيس الجبل) موجوداً فيها، حيث يعيش على مقربة من قمة المنحدرات الصخرية شديدة الانحدار.

يجلسوا ثم قام برسم بعض الرسومات على الرمل شارحاً لهم خطته.

اختبأ الرماة في اليومين التاليين في الوديان الصغيرة الضيقة، وقام زملاؤهم في هذه الأثناء بملاحقة الطرائد ودفعها في اتجاههم. لقد كانت مصائدهم مصممة لتعوق حركة الطريدة لفترة من الوقت تكفي لتمكين الصيادين من الانقضاض عليها وقنصها. ولم تكن المهمة يسيرة، لكنهم أيضا لم يكونوا بحاجة إلى قتل عدد كبير من الحيوانات لاطعام أعضاء المجموعة بأكملها. ومع حلول الأمسية الثانية كانوا قد نجحوا في صيد ثلاثة حيوانات أحدها من نوع الحيوان ذي القرن الأبيض والاثنين الآخرين من ذوات القرن المقوس الصغير والتي تعيش في الكهوف. وقاموا بسلخ جلود الحيوانات وشواء لحمها فوق نار مكشوفة. ثم حملوا الجلود وما تبقى من اللحم وعادوا بهما إلى عائلاتهم لتشاركهم هذه الوليمة. لقد كانت الحياة جيدة حقاً.

وعند عودتهم كانت العاصفة قد وهنت وكانت نساؤهم قد جمعن كومة كبيرة من المحار اللذيذ من بين أشجار القرم. وانشغلت امرأتان بعمل خطافات لصيد السمك من الأصداف القديمة وكانتا تكشطان الرقائق باستخدام حجارة صوانية مدببة. أشعلوا النار بالقرب من الشاطىء ودار في تلك الأمسية حديث طويل عن أعمال البطولة التي قام بها الرجال وعن الأشياء التي شاهدوها. وعندما انتهى الرجال من سرد حكاياتهم حان دور النساء للحديث. فروت احدى أكبر الفتيات سناً ما لاحظته في اليوم السابق عندما كانت تصطاد السمك عند طرف اللسان. وقالت ان رجلين مرا بها في قارب غريب الشكل،وانهما لم يكونا من أبناء القبيلة التي تنتسب إليها المجموعة. كما أن الفتاة لم تر في حياتها ـ كما قالت ـ قارباً مشابهاً للقارب الذي كانا على متنه. ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يستمع فيها الرجال إلى مثل هذه الروايات عن أمثال هؤلاء الأشخاص. ففي طلعة القمر الأخيرة التقت مجموعة من أفراد القبيلة ببعض الصيادين الذين يمتطون مثل هذه القوارب عند رسوهم في خليج صغير. وقد أعجب أفراد المجموعة بخطافات صيد السمك التي كان يستعملها هؤلاء الأغراب وبملابسهم المنسوجة الغريبة وبأواني الماء والقوارب المصنوعة من بعض حزم القصب والتي تصلح للابحار في البحار. ومن خلال محاولات أفراد المجموعة الاتصال بهؤلاء الغرباء عن طريق الاشارات كان يبدو أنهم قدموا من أماكن بعيدة وجذفوا بمجاذيفهم لفترة طويلة استغرقت عدة طلعات قمرية.

ولو كان بمقدور هؤلاء الغرباء أن يتحدثوا بنفس لغة أفراد المجموعة لشرحوا لهم أنهم قادمون من احدى المناطق القريبة من مدن أور وإريدو والابيض جنوب بلاد ما بين النهرين (بلاد وادي الرافدين) عند رأس الخليج، وأنه لم يكن في نيتهم التوغل في الابحار جنوباً إلى هذا



توزيع مواقع وجود رؤوس السهام النصلية. (طبقا لبوتس، ١٩٩٠)





هان وجينز إريكسين

غزال جبلي محرم صيده الآن، تم تصويره في جعلوني، لكنه في الماضي كان يشكل مصدراً أساسياً للحوم لسكان الصحراء في عمان.

الحد غير أن التيارات القوية عند المقطوعات الصخرية الشاهقة جرفتهم حول قُنة (رعن) الجبل للمضيق وأنهم وجدوا أنفسهم يواصلون الرحلة لشدة اعجابهم بما رأوه من جهة ولخشيتهم من العودة من الطريق الذي قدموا منه ذاته. ولم يكن هؤلاء الأغراب أول من قام بهذه الرحلة، ومن المؤكد أنهم لن يكونوا آخر من يقوم بها، فالبحر بالنسبة للسومريين الذين يستوطنون بلاد ما بين النهرين القديمة، هو في المقام الأول مصدر هام للحصول على الغذاء. ومع تغلغل الصيادين في عرض البحر استطاعوا تحسين زوارقهم وجعلها صالحة للابحار في البحار وتمكنوا كذلك من اتقان مهارات الابحار. وبعد مضي فترة من الزمن أصبح من الواضح أن هذه السفن البحرية أتاحت توفير وسيلة قيمة لنقل الناس والبضائع على حد السواء. واكتشف الصيادون الذين أبحروا جنوباً لصيد الأسماك بعض الكنوز الأخرى مثل التمر واللؤلؤ والمواد العطرية مثل اللبان والبخور. كما اكتشفوا أخيرا مادة النحاس الخام الثمينة واللازمة لصناعة الأدوات البارعة في سومر.

عصر ما قبل الفخار: العصر الحجري في عمان

إن رحلة الصيد التي تم وصف وقائعها آنفا هي بالطبع مجرد تصورات وتوقعات بالنظر لعدم وجود أية أوصاف مكتوبة عن أساليب الحياة التي كان يمارسها المستوطنون الأوائل في عمان. ومع ذلك فإن هذه القصة مبنية على تقييم دقيق للتحف الفنية والآثار التي عثر عليها علماء الآثار العاملون في منطقة عمان. وتعتبر الأدوات الحجرية من أقدم الأدوات التي صنعها الانسان والتي نجت من الفناء عبر آلاف السنين لتعطي احساساً مثيراً بمعايشة الماضي. وقد تم اكتشاف كميات كبيرة من رؤوس الرماح الحجرية والمكاشط والفؤوس وغير ذلك من الأدوات التي تركها الصيادون الذين جابوا المنطقة المعروفة باسم عمان بحثا عن الطرائد. وعلى عكس الاكتشافات اللاحقة التي يمكن تحديد عمرها بالتحليل الكربوني، فإن الطريقة الوحيدة التي يمكن بها تقدير عمر هذه الأدوات الحجرية ــ إذا لم تكن مرتبطة بصورة مؤكدة بالآثار التي تعود إلى عصر محدد ــ هي مقارنتها بالأدوات الأخرى المماثلة التي تم تحديد عمرها بصورة موثوق بها.

إن المناطق (التي تفتقر إلى الفخار) الموجودة في شرق وجنوب الجزيرة العربية والتي تم العثور فيها على أدوات حجرية، هي مناطق ذات أعداد كبيرة نسبياً، لكن هناك جدلاً كبيراً حول ما إذا كان أي من هذه المواقع يرجع إلى العصر الحجري الحديث أو إلى طوره الأول القديم فقط بالتحديد. وفي المناقشات التي جرت أخيرا

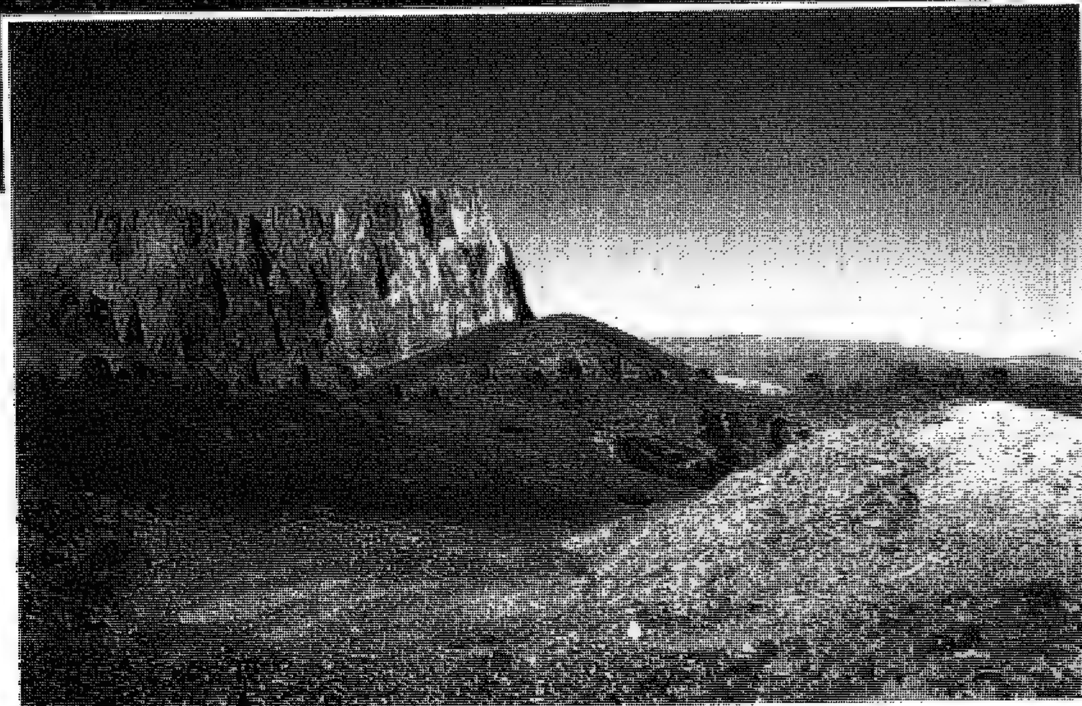
بقرتان من نوع المارية (المها) العربية (ضرب من البقر الوحشي) تتجول بحرية في جدة الحراسيس. لقد كانت مصدرا هاماً للطعام للمستوطنين الأوائل الذين كانوا يصطادونها باستخدام مصائد صحراوية مصممة بذكاء وباستعمال السهام والأقواس.

حول هذه المسألة تمت الاشارة إلى أن المواقع التي كان يعتقد في الماضي بأنها ترجع إلى العصر الحجري القديم تبلغ من العمر في الواقع ٩٥٠٠ سنة أو أنها ترجع إلى العصر الحجري الحديث. وقد فندت الدراسات التي قامت بها بعثة الآثار الفرنسية والتي تعمل في أماكن أخرى من المنطقة الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية بصورة قاطعة التفسيرات التي تقول بالعمر المبكر للآثار التي تم اكتشافها هناك. وأوضحت هذه الدراسات أن المكاشط التي كان يعتقد بأنها ترجع إلى العصر الحجري الأوسط كانت في الواقع ترجع إلى الألف الخامس أو ربما إلى الألف الرابع قبل الميلاد. وقد كتب «دي. تي. بوتس» في تعليقه على هذا العمل، الوارد في بحثه الممتاز المكون من جزئين والمعنون «الخليج في العصور القديمة» يقول: "لقد حذف «جاي. تيكسر» و«م. إل. إنيزان» بالفعل عبارة العصر الحجري القديم من قائمة المفردات المستعملة في علم الآثار القديمة للخليج ورفضا أن ينسبا الاكتشافات الآثارية المذكورة أعلاه والتي أتت من الكويت ومن شرق المملكة العربية السعودية والبحرين وعمان إلى العصر الحجري القديم". (ومع ذلك فإنه يؤكد وجود بعض المواقع في غرب الجزيرة العربية ترجع إلى العصر الحجري القديم).

إن الأدوات الحجرية الأولى التي جاء ذكرها آنفا يوجد لها مثيل في عمان، وهي ترجع إلى حوالي الأعوام ٧٦٠٠– ٥٠٠٠ ق.م. وبذلك فهي تعطينا أقدم دليل قوي على وجود الانسان في عمان. إن الشكل النموذجي المنبثق عن الصناعة الحجرية لذلك العصر، هو رأس الحربة الناحل بنصله المصقول بأناقة، والذي يكون أحياناً مزوداً بمقبض. وقد تم اكتشاف مواقع يمكن ارجاعها إلى هذه الفترة من العصر الحجري الحديث في عدة أماكن مختلفة في عمان تشمل رملة فسد الواقعة في شمال ظفار وبير خصف وحبروت في جنوب ظفار وفي رملة الوهيبة وفي سرور بالقرب من مسقط. إن أحد المظاهر التي تلفت النظر حول مواقع حجارة الصوان التي ترجع إلى أوائل العصر الحجري لمنطقة جنوب الجزيرة العربية هو أنها موزعة بصورة شديدة التناثر، وربما يعكس هذا الأمر حقيقة أن المناخ في جنوب الجزيرة العربية خلال هذه الفترة كان أدفأ نسبيا وأكثر جفافاً، وأن أعداد الطرائد كثيرة التناسل في خلال الألف الخامس وأوائل الألف الرابع ق. م. لم تكن بهذه الوفرة تقريباً في هذا العصر الأسبق. •

وعلى الرغم من أن عدد الصيادين الذين كانوا يعتمدون على رؤوس السهام ذات النصل الحاد كان يبدو صغيرا، إلا أن هذا لا يعني أن الصيادين كانوا النوع الوحيد من الناس الذين عاشوا في عمان في ذلك الوقت. وبينما لا يمكن اعتبار المناطق الداخلية التي تعاني من الجفاف مثالية لتجمعات الصيادين المعروفة في ذلك الزمان فإن الحياة بالقرب من المناطق الساحلية كانت شيئاً آخر مختلفاً تماماً. وقد أشار اليونانيون في وقت لاحق بكثير إلى «أكلة السمك» الذين عاشوا بالقرب من سواحل الجزيرة العربية. لقد رسخ أسلاف صيادي السمك العرب هؤلاء وجودهم في الجزيرة العربية خلال الحقبة التاريخية من حوالي أعوام ٧٦٠٠–٥٠٠٠ ق. م. وكما سنرى في القسم الذي يتناول عصر أواخر

هانز وجينز إريكسين



منظر مثير للمقابر التي بنيت على هيئة خلية النحل والموجودة في وادي العين.



هان وجيتز إريكسن

الألف الـرابع والألـف الثالـث ق. م. فإن مجتمع الصيـد كان يفضـل الصيـد مـن بعـض الألسنة (الأخـوار) المعروفـة علـى امتـداد سـاحـل عمـان، والتـي يمكـن لـلأفـراد أن يـراقبـوامنهـا مجمـوعـات الأسماك فيمـا هم يـؤدون في الوقـت ذاته مهـامهم اليـومية بـالعنـايـة بـأدوات الصيـد الخاصة بهم. وكان الصيادون في حوالي عام ٦٠٠٠ ق. م. وما بعـدها يستخدمون موقع رأس الحمراء الـواقع غـربي مسقـط بالقـرب من المـوقع الحالي لفندق انتركونتيننتال. وكانت المنطقة تبدو مختلفة إلـى حد مـا في العصـور القـديمة حيث كـان الجـدول (الخليج) الـواقع أسفل اللسان مكسـوّاً بغابة كثيفـة مـن أشجار القرم، وكان يعتبر موقعا أسـاسيا لجمع الرخويات التي كـانت تشكـل جزءاً هـامـا مـن نظام التغـذية لأفراد المجتمع. ومـن بين سلسلة المواقـع التي تم حفـرها في منطقة رأس الحمراء يوجد موقـع واحد، هو الموقع RH10، يقدم أدلـة مبكرة علـى تواجد مجتمعـات الصيد هـذه في عمان. وقـد تم تطبيق الاختبار الكـربوني ١٤ علـى بعض قطع الفحـم والمحار وعلـى التربـة التي أحـرقتها نيـران القـدم لتحـديد عمـرها. كما كـانت المقـابر تحتـوي على مخلفـات انسانيـة متفحمـة. وكان أقـدم إطـار زمني تـم تحديده باستخدام اختبار الكـربون ١٤ هو الاطار الزمني ٥٩٧٥-٥٤٧٥ ق. م.، وفـي نفس الـوقت تـم اكتشـاف مجموعة أخـرى من المواد ترجـع إلى الفترة ما بيـن عامي ٥٨٠٠ و٥٣٩٠ ق. م. مما يؤكـد أن هذا الموقع يـرجع إلى الألف السادس ق. م.

وقـد أكـدت الـدراسـات التـي أجـريـت علـى الأدوات الحجرية التي تم العثور عليهـا في شرق وجنوب الجزيرة العربيـة والتي تـرجع إلـى الألف الـخامس قبل الميلاد، انتشار تقاليـد مشابهـة فـي تقنيات التصنيـع الخاصـة بمنطقـة واسعة تمتـد من المنطقـة الشرقيـة في المملكـة العربيـة السعودية إلى ظفـار في جنوب عمان. كمـا أكدت عمليات تحديد العمر باختبـارات التحليل بالكربون المشع أن المـوقع الكـائن في منطقـة رأس الحمراء كـان مأهـولاً طول فترة الألف الخامس ق. م.

وبالاضافة إلى مخلفات وجبات الطعام التي تم العـثور عليها، فـإن الأدلة الأخرى على تـواجد الانسان تتوفـر من خـلال اكتشـاف وجـود ثقـالات شبـاك الصيد وخطـافـات صيـد السمك المصنـوعة مـن أصداف اللـؤلؤ والعظـام. ويؤكـد اكتشاف الـذرة الرفيعـة في إحـدى الطبقات التـي ترجـع إلى عـام ٤٨٠٠ ق.م. الاستعمال المبكـر في عمـان لنبات أصبح فيما بعد محصولا زراعياً كبيرا تنتشر زراعته في جنوب آسيا وأفريقيا. ومع ذلك، لا يزال هناك شك حول ما إذا كـان هذا الذره الـرفيعة مستورداً أو أن زراعتـه تمت محلياً. كما أن اكتشـاف وجود أحد الفؤوس المصنـوعة من الحجر الأخضـر المصقول والـذي قد يكـون أحد الأدوات التي كان يتم استخدامها فـي بناء القوارب الخشبية، فضلاً عن وجود كمية كبيرة من خطـافات صيد السمك المصنوعة مـن الأصداف، هـو دليـل آخر علـى اعتمـاد هؤلاء النـاس بصورة أساسية على البحر والأعمال البحرية.

وفي كتابه «*الخليج العربي فـي العصور القديمة*» لفت «بوتس» الانتباه إلى كتابات البـارون «آر. سي. كيون دي هـوجروورد». فقـد كان البـارون يكتـب عام ١٨٨٦ عـن الأوضاع البحرية في الخليـج وفي المحيط الهندي، وأوحى «بوتـس» أن الأمور في العصور القـديمة لم تكـن مختلفة بدرجة كبيرة، وعلق على ذلك بقوله:

فـي مطلع حـديثه عـن سكان السـاحل العمـانـي أطلـق البـارون عليهـم اسـم «بدو البحـر الحقيقيين»... كـان مجتمعهـم مختلطـاً يضم العـرب والفرس والبلـوشيين والسوقطريين والأمهرين وكذلك بعض أهل حضرموت. وكان هـؤلاء الناس يتنقلون حسب المـوسم حيث كانوا يمضـون مـا لا يقـل عـن ثلاثـة أشهـر كـل سنـة فـي بلوشستـان لتقـديد وتمليح الأسمـاك التي اصطـادوها قبل أن يعودوا إلـى عمان لبيع جزء منها.

كان غروب الشمس في جعلوني مشهدا مثيرا تماماً كالذي يبدو في هذه الصورة. إنه مكان ساحر صانته الطبيعة بحنان. وهو مكان يعود فيه الانسان إلى الماضي ويكتسب الأمل في المستقبل.

آواخر الألف الرابع والألف الثالث ق. م.

مستوطنات الصيد

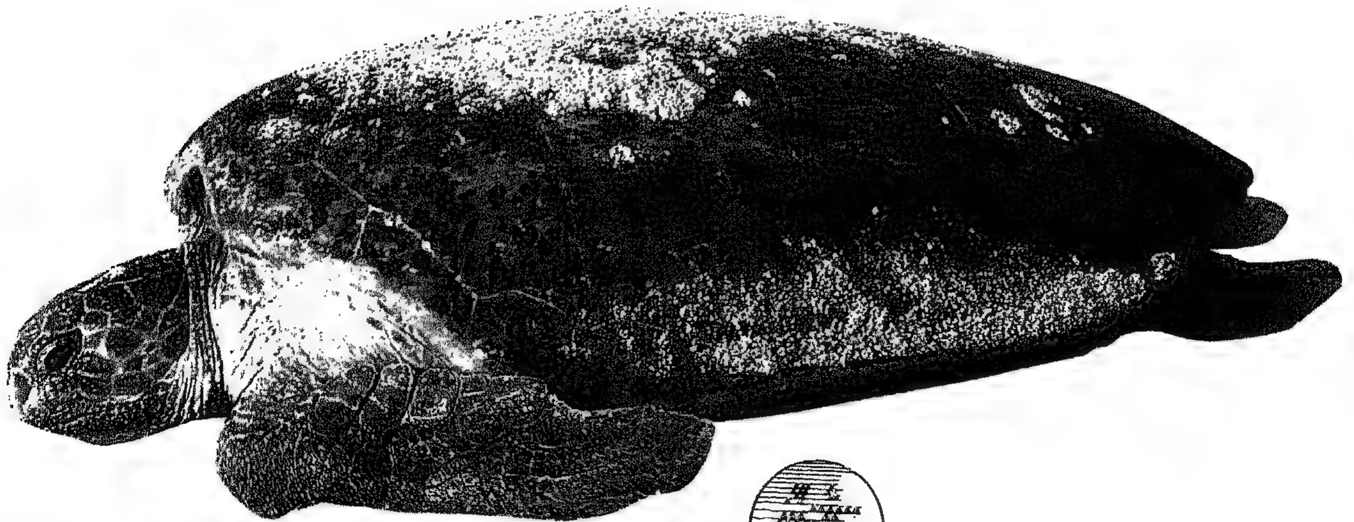
كـان الصيادون فـي الألف الـرابـع ق. م. يعيشـون فـي مستوطنـات صغيرة مـؤقتة منتشرة علـى طول سـاحل الباطنة. وكانت إحدى قواعـدهم الرئيسية تقع عنـد رأس الحمراء حيـث تم العثور علـى أدلة تشيـر إلى تواجـدهم هناك فـي ذلك العصـر، وذلك مـن خلال عمليـة تحديـد التاريخ بتطبيق اختبار التحليل الكـربوني على الآثار التي تم العثور عليها هناك.

ويشير فتـات المواد الغـذائية إلـى أن طعام أفـراد مجتمـع الصيـد كان يتكـون مـن الـرخويـات والسمـك والسـلاحف ولحـم الدلافيـن أو الحيتـان ولحم الطـرائد البرية مثـل الغزلان، وإلى أنهم كانوا يطهـون جميع هذه الأغذية فوق نيران الأخشاب والحطـب. ومن الثابت أيضاً مـن خـلال آثـار الآبـار (الحفـر) قليلـة العمـق ودوائر الحجارة أن سكان هـذا الموقع قد أقامـوا بعـض الأكواخ بالقرب مـن الشاطىء، وأنهم كانـوا يدفنون موتـاهم في المقـابر. وتضمنـت الاكتشافـات المتعلقة بهـذا الموقـع بعض الأواني المصقولة ذات اللون الأسود والتي تعتبـر نموذجـا لصناعة الفخـار القديمـة المعروفة فـي شمال شـبه الجـزيرة العمانية. وتعتبـر المقبرة الموجـودة في رأس الحمراء هـي المقبرة الـوحيدة التـي تم اكتشـافها حتى الآن في شبه الجزيرة العربيـة بأكملها والتي ترجع إلى الألف الرابع ق. م.

ومن المثيـر ملاحظة أن دفن جثـث الموتى كـان يتم فـي وضعين مختلفين،إما على جـانبهم الأيمن في اتجاه الشمال الغربـي (وهو اتجاه غروب الشمـس في أواخـر الصيـف وأوائل الخريـف) أو على جـانبهـم الأيسر فـي اتجاه الجنوب الشرقي (وهـو اتجاه شروق الشمـس في فصل الشتـاء). وقد تـم تفسير ذلـك بأنـه دليل علـى أن استيطان موقع رأس الحمراء ربمـا كان يتم على أسـاس مـوسمي. ومـن السمات الهـامة الأخـرى لهذه المقابـر العربيـة القديمة أنـه كان يتم فـي الغالب وضـع بعـض الأطعمة في المقبـرة ربما كنوع من القرابيـن، وذلك بعـد

سلحفاة خضراء تعود إلى البحر في رأس الجنيز في رحلة كانت تتم هنا منذ عدة آلاف من السنين.

هان وجينز إريكسين





كانت منحدرات رأس الجنيز تشكل أحد المعالم البارزة سواء للسلاحف أو الصيادين القدماء على حد سواء.

تغطية جثة المتوفى بالتـراب والحجارة. وكانت السـلاحف والأسماك مـن الأطعمة الشـائعة في هـذه المقابـر وإن كان بعضها الأخر يتضمن الرخويـات أو بقايا لحم الغزال أو بقر المـاريـة أو الشـدييـات البحريـة. ويبـدو أن تـرس (ظهـر) السلاحف الخضراء كان له مغـزى خاص إذ كان يتم وضعه في المقابر بـاستمرار. أما بالنسبة للموتـى أنفسهم فلم يتم العثـور معهم علـى أية أسلحـة أو أشياء ثمينـة من الآثـار الخاصة بالمقـابر، وذلك باستثناء بعض العقـود المصنوعة مـن الصـدف أو العظـم أو حجر الاستيتيت والتي كـان يتم وضعها فـي المقابـر في بعض الأحيـان. وتوحـي حقيقة أن مجموعـات العقود المـوضوعـة في المقـابر كـانت تتبـاين وتتراوح بين كميـات صغيرة جداً وأخرى كبيـرة (تم العثور على ١٥٢ عقدا فـي مقبرة واحدة) بأن المجتمع الـذي كانوا يعيشون فيه كان مجتمعاً طبقياً في الاحتمال الأغلب.

طرق الصيد

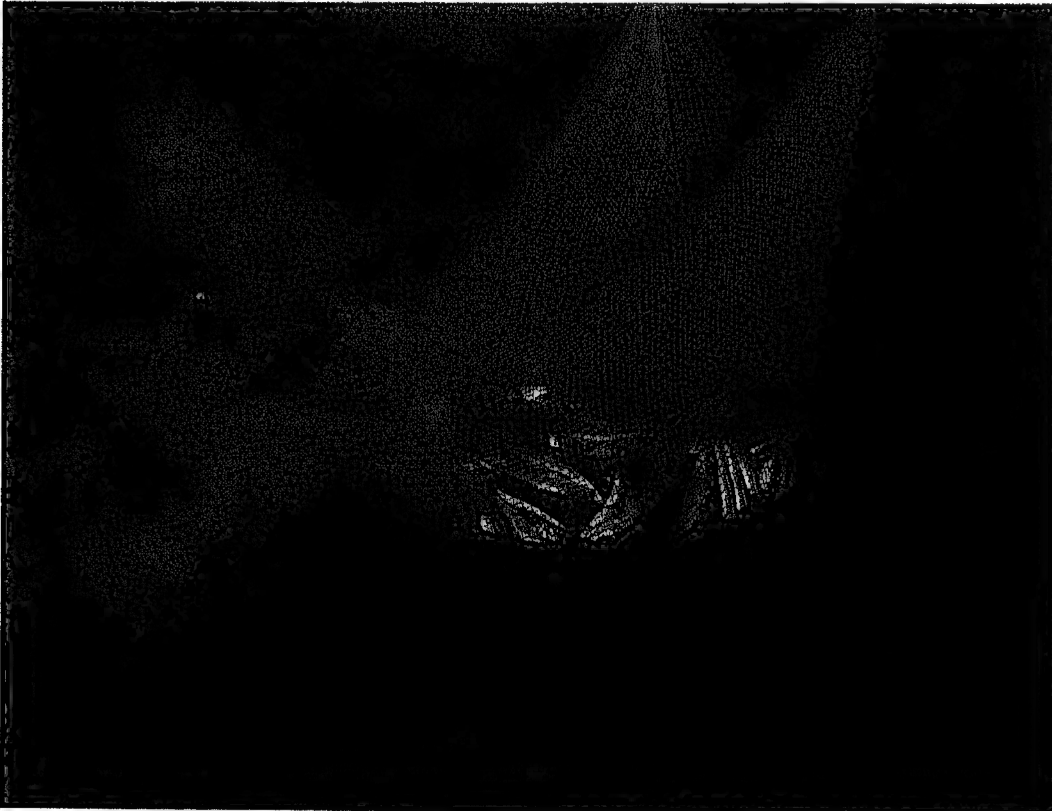
استخـدم الصيـادون أسـاليب مختلفـة في الصيد بمـا في ذلك المصـائد وخطافـات الصيد المصنـوعة مـن العظام وشباك الصيـد. وقد تـم العثور فـي موقـع المستوطنـة القـديمة المـوجودة فـي رأس الحمـراء وفي العـديد مـن المواقع الأثرية الأخرى على طـول الساحل العماني، على ثقالات لشبـاك الصيد مصنـوعة مـن الحجارة. ولتخيـل احدى الصور المدهشة لطرق الصيـد القديمة التي دامت حتـى الماضـي القريـب فليس هناك أفضـل من قـراءة وصـف «إتـش. جاي. كارتـر» المنشور فـي عام ١٨٥١. فقد كتب فـي معرض تعليقه على ملاحظاتـه التي جمعها عـن رأس الجيـب فـي مسنـدم حيـث كـان الصيـادون يخرجون للصيد مستخدمين وسائل عون منفوخة وقابلة للطفو مصنـوعة مـن جلود الحيـوانات كـانوا يسمـونها



الصيادون يجهزون شباكهم في منطقة تلاطم الأمواج.

«القربـة» (وهي تشبـه إلى حد كبيـر الاطارات الـداخلية لعجلة الشاحنة) يقول:

بمجرد أن يشاهد هؤلاء الذين يراقبون السمك مـن أماكنهم المرتفعـة اقتراب مجمـوعة مـن الأسماك مثـل السرديـن، فإنهـم يتجمعون ويمسكـون بجلودهـم وبشبـاك الصيد ويسرعون إلى حافة الماء. وهنا يتم نقع الجلود ونفخها ثم ربط السـاقين الأمـامية والخلفيـة معاً بقطعـة من الحبـل. وعندئذ يصبحون مستعدين لتأديـة مهمتهم ويتقدمون إلى الحلبة ويضعون الجلـدة (القربة) في اتجـاه الجزء السفلي من البطـن ويطرحـون شبكـة الصيد على الكتـف الأيسر ويخوضـون في الماء حتى أعنـاقهم ثم يجلسون على الحبل المستند على الجزء الخلفي من أفخـاذهم ومن ثم يجدّفون بأيـديهم متجهين صوب مكـان تواجد السمك. وعلـى هذه الشاكلـة شاهدت حـوالي عشريـن صيادا يخوضـون في المـاء دفعة واحـدة ويقـذفون بشبـاكهـم ثـم يجمعونهـا ويعودون بهـا إلى الشاطـىء ليفرغـوا محتوياتهـا هناك، لعـدم توفــر أي وسيلة أخرى لتأميـن السمك في مـوقـع الصيد. ولاعطاء فكـرة مقتضبة عن درجة الفقـر التي كان يعيشها هؤلاء الناس أذكر أن شباكهـم كانت مصنوعة من القطن المجدول في هيئة حبال خشن، وأن الثقالات المثبتة في محيطها كانت تتألف من قطع مثقوبة من الحجارة يبلغ حجمهـا نصـف حجـم قبضـة اليـد بـدلا مـن أن تكـون مصنوعة من قطع صغيرة من الرصاص.



غنيمة من سمك السردين المتوفر بكثرة عند سواحل عمان بصورة خاصة.

إس. كاي

منجم أصيل للنحاس.

التعديـن

بينما كـان الصيـادون يعيشـون عنـد السـاحـل، كـان المزارعون مـن أهل الـريف يقطنون في المنـاطق الـداخلية ويقومون بتربية الماشية والماعز وقطعان الأغنام.

وقـد بسطت إحـدى المستـوطنـات الرئيسيـة في بـات بـالجبـال العمانيـة هيمنتهـا على أحـد الطـرق البريـة الرئيسيـة لتصدير النحاس. بفضـل موقعها القريـب من العـروق الغنية بـالنحاس الـذي تستخرجـه مجموعـات متزايدة من الناس.

وقد تطلب القيام بهذا العمل تنظيـم وإرساء أسس بنية اجتماعية جديدة.

فكانت هناك بادئ ذي بدء مهمـة حفر مداخل المناجم للوصول إلى خام المعدن. ثم تـأتي مشكلـة حماية المناجم وكل ما يتعلق بملكيتها وإدارتها. وبعـد ذلـك تـأتي مسـألة نقل المعدن الخام إلى مواقع الصهر وإشعـال نيران أفران صهـر النحاس. وأخيـرا كان ينبغـي تشكيل النحـاس وتحويلـه إلى منتجـات أو صبـه في قوالـب لتحـويلـه إلى سبائك بأحجام قياسية يمكن بيعها.



مناجم ومصادر النحاس الرئيسية في شمال عمان (طبقا لبوتس، ١٩٩٠).

وقد جاء التأثير الرئيسي لإقـامة هذه البنية الاجتماعيـة الجديدة من دولـة سومـر - المشتري الرئيسي للنحاس - والتـي كانـت مصدراً لاستيراد العـديد مـن السلع وكـان النحاس الثمين يصل إليها في نهاية المطاف.

من النوع البدائي ذي الغرفة الواحدة وذي الدائرتين الحجريتين المتحدتي المحور والمشكلتين على هيئة قبة لحماية غرفة الدفن. وكانت جميع هذه المقابر يعرفها علماء الآثار باسم مقابر حفيت.

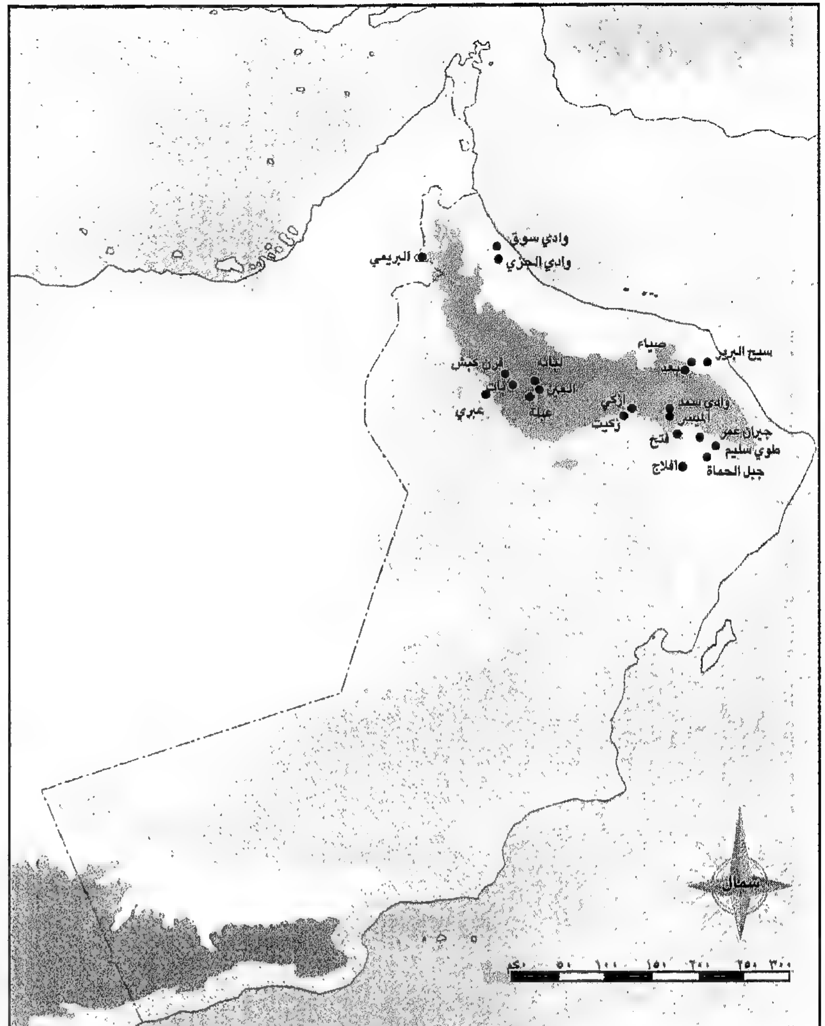
وقد تم خلال نفس الفترة بناء مقابر أخرى في شكل خلايا النحل، تتكون من غرفة دفن واحدة وتضم جدارين أو ثلاثة جدران حاجزة بينها أحجار في حجم اليد مبنية من الحجر الجيري البني مع بلاطة منخفضة يبلغ عرضها نصف متر تقريبا مقامة حول القاعدة (فريفلت، ١٩٧٦). وبالرغم من أن الارتفاع الكلي للمقابر المقامة في هيئة خلايا النحل قد يبلغ ٨ أو ٩ أمتار، فإن الغرف الداخلية كانت صغيرة نسبيا وكان قطرها يتراوح بين متر ومترين ونصف.

المستوطنات ومهارات الزراعة

تعتبر انشاءات المدافن أهم الأدلة المميزة على وجود الانسان في عمان خلال فترة أواخر الألف الرابع وأوائل الألف الثالث ق. م.، وربما يرجع ذلك إلى حقيقة أنها كانت موجودة فوق أرض منخفضة وصلت إليها المياه، وقد ظهر فيها غرين كثيف غطاها بالرمال.

ولذلك تحظى المستوطنات التي تم التنقيب عنها والتي ترجع إلى هذا العصر بأهمية خاصة. وإحدى هذه المستوطنات هي تلك التي ترجع إلى الألف الثالث ق. م. والموجودة في هيلي في أبو ظبي. وقد ساعد العلماء الذين يعملون هناك في الاجابة على بعض التساؤلات حول كيف كان الناس يعيشون في هذه المنطقة خلال تلك الفترة. ويشير تحليل المواد النباتية التي تم العثور عليها في هذا الموقع إلى أنه كان يتم استعمال عدة محاصيل مختلفة مثل الحنطة النشوية وقمح الخبز والشعير ذي السنبلة المزدوجة والشعير ذي السنبلة السداسية الذرة الرفيعة. وإلى جانب محاصيل الحبوب، كان المستوطنون يزرعون الشمام والتمر، كما كانوا يحصدون بعض النباتات البرية مثل الشوفان البري وبذور العناب. وباتت التمور تشكل بديلاً غذائياً متزايد الأهمية وذلك في أعقاب زراعة أشجار النخيل. وقد أدى ذلك إلى الابتعاد عن الاعتماد السابق على السمك واللحم مما أدى إلى حدوث تدهور ملحوظ في الأحوال الصحية لأسنان الانسان.

وبينما كانت تتم الاشارة إلى نبات الذرة الرفيعة



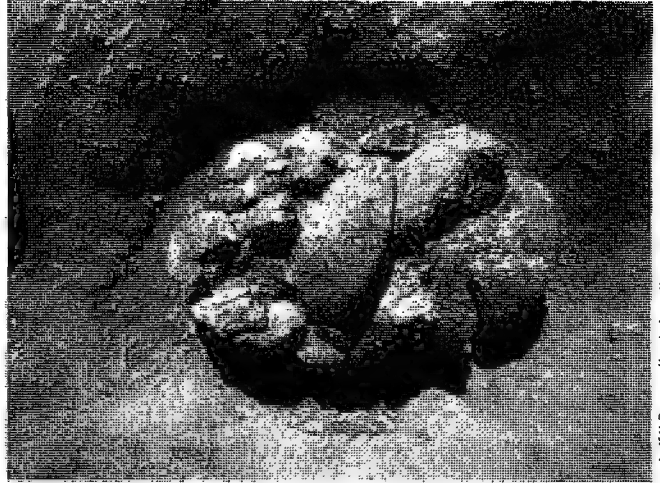
مواقع مقابر حفيت والمقابر التي في هيئة خلايا النحل والواقعة في شمال عمان (٣٥٠٠-٢٥٠٠ ق.م) (طبقا للوتس، ١٩٩٠).

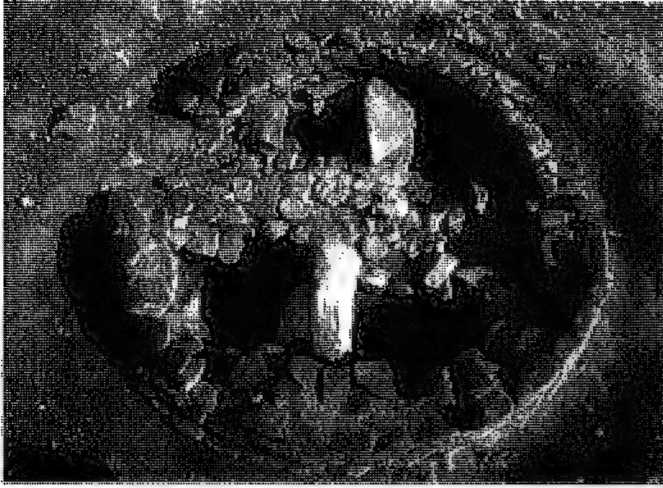
اجراءات الدفن

تختلط المراسم القديمة بالطقوس الجديدة وخاصة في حالة الوفاة. وقد تم اقامة مقابر كبيرة تتخذ هيئة خلايا النحل باستخدام بلاطات مصنوعة من الحجر الجيري البني المتشكل محلياً. وفي البداية كان يتم اقامة هذه المقابر مجهزة بجدران سميكة ومزودة بغرفة بيضاوية صغيرة غير متناسقة.

ولكن تم فيما بعد تعديل التصميمات لتتضمن مقابر كبيرة ذات جدران سميكة مكسوة بالحجارة الجيرية البيضاء وتضم غرفاً ذات نظام متطور. وبالاضافة إلى رفاق المتوفى كان يتم وضع بعض الأكواب والكؤوس والأواني المملوءة بالماء والطعام داخل المقبرة ليتغذى عليها المتوفى في الحياة الأخرى.

وقد تم العثور في عدة مواقع في عمان بما في ذلك مواقع أم النار ووادي سوق ووادي الجزي وابرا وبات وصيع ووادي سمد وطوي سليم وجبل حفيت على مقابر أثرية


جي فيسجرير، متحف الصناعات التعدينية الالماني


جي فيسجرير، متحف الصناعات التعدينية الالماني

بـالارتباط بـالاكتشـافات التـي تمـت فـي مستوطنـات الصياديـن في منطقة رأس الحمـراء بالقرب مـن مسقط والتـي كـانت مـأهـولـة منـذ ألـف سنة أو أكثـر، فـإن الاستكشافات التي تمت في هيلي، كانت أول دليل واضح على أن نبـات الذرة الـرفيعة كان يـزرع محلياً ولـم يكن مستورداً. وتعليقا على ذلك وغيره من الملاحظات توصل «بوتـس» إلى أنـه «يبدو الآن أن الجـزيرة العـربية ربمـا كانـت الجسر الذي انتقلت عبره هذه الأصناف مـن قارة إلى أخرى خاصـة وأنه قد تم العثور عليها هنـا قبل ألف سنة مـن تواجـدها في شبـه الجزيـرة الهنديـة (المجلد الأول، بوتس، ١٩٩٠).

المستوطنات والمقابر في بات

تـم العثـور علـى مـا لا يقل عـن ٦٠ مقبـرة مـن مقابـر حفيت التي ترجع إلى عصر جمـدة نصر في حوالي سنة ٣٠٠٠ ق. م. وقد تـم استخراج بعـض الأواني الفخـارية المميزة والمعـروفة باسم جمـدة نصر من العديـد مـن المقابر في بـات مما يؤكد أن أصحاب هذه المقـابر كانوا يعيشون في حوالي سنة ٣٢٠٠-٢٧٠٠ ق. م.

وبالاضـافة إلى هذه المقـابر المثيرة للاعجـاب، أقام أهل بات أبراجـاً ضخمـة في شكـل انشاءات ذات جدران حلقية غـائرة وأرضيات مـرفوعـة توفـر قاعـدة مرفـوعة تستخدم في أعمـال المراقبـة وفي توفيـر الحمايـة لآبار الماء العـذب. غير أن قريـة بات اليوم أصبحـت صـورة باهتة لما كانت عليه فـي الماضي .. كمستوطنـة أساسية للزراعـة والرعـي وباتت لا تقدم أي دليـل يذكـر علـى كـونها كـانت خليـة للنشاط والحيوية منـذ أكثـر مـن ٥٠٠٠ سنة. وبالاضـافة إلى الآنيات الثنـائية المخـروط ذات اللون الأخضـر أو الكريمـي الجميـل والتـي كانـت توضـع فـي المقابر، والعلب التـي كانت في هيئـة بيضـة

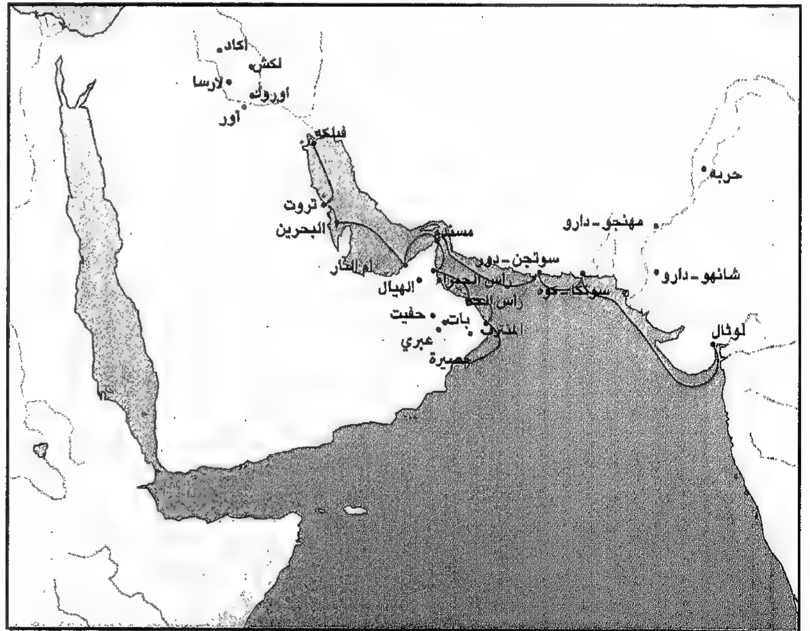
أعلاه: منظر لمقبرة أثرية تم التنقيب عنها في أم النار تبين الأروقة المقامة تحت سطح الأرض.

أعلاه جهة اليمين: مخزون من سبائك النحاس أثناء استخراجها من أحد المواقع الصناعية في قرية المسرة التي اشتهرت بصناعة صهر النحاس.


إس. كاي

جهة اليمين: إحدى المقابر التي تم التنقيب عنها في بات.

إس. كاي

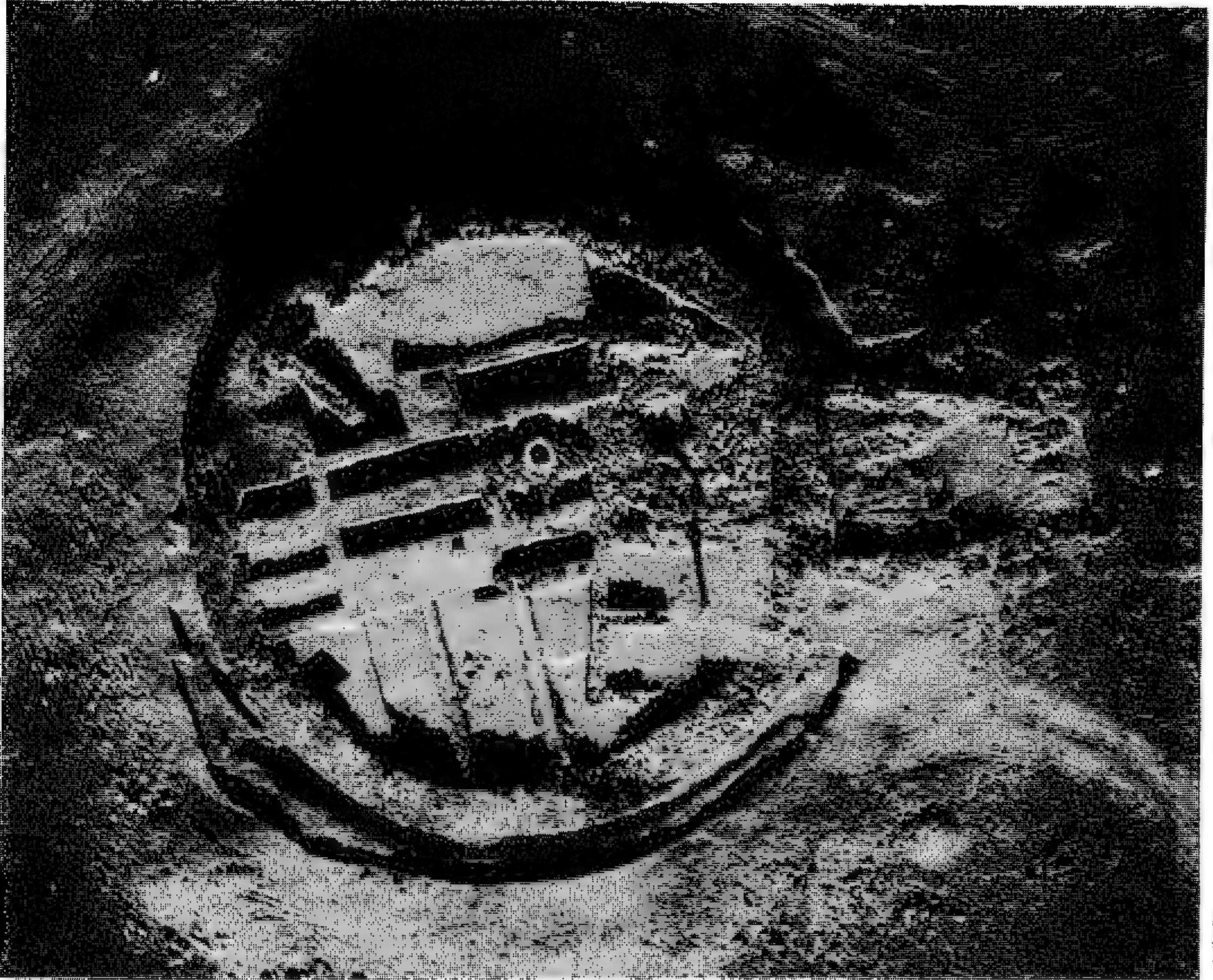


طرق التجارة القديمة في الألف الثالث وأوائل الألف الثاني ق. م.

صغيرة والجرات ذات الأعناق المثقوبة والمشكلة على دولاب الفخار، كان يتم تشكيل النحاس لاستخدامه في تصنيع بعض الأدوات المختلفة مثل الأوتاد والأبر والبرشامات التي كان يتم بيعها مع السلع الأخرى المرسلة إلى أم النار (بالقرب من أبو ظبي) ومنها إلى موانىء بلاد ما بين النهرين عن طريق دلمون (ربما البحرين وشرقي المملكة العربية السعودية).

التجارة والنفوذ الأجنبي

لم تتأثر عمان لآلاف السنين بما كان يحدث في بقية أنحاء العالم، ولم يهتم صائدو السمك والصيادون القدماء الذين جابوا المنطقة من مسندم إلى ظفار وفي المناطق الداخلية عبر السهول الغنية بالطرائد وبين الجبال التي تسكنها النمور اهتماما يذكر بالحضارات العظيمة التي كانت تظهر في مصر وفي الشرق الأدنى وفي بلاد ما بين النهرين وفي آسيا. أن عدم وجود أي تسجيلات مكتوبة عن أي معاملات بين مجان وبلاد ما بين النهرين في خلال أواخر عصر الوركاء وعصر جمدة نصر وأوائل عصر الأسر الحاكمة تشير أيضاً إلى عدم وجود تواصل مع شمال الخليج في ذلك العصر. ومع ذلك، كان العالم الشمالي متطوراً تطوراً كبيرا، فقد كانت مدينة أريحا تبلغ من العمر ٤٠٠٠ سنة وكان جنوب مصر وشمالها في صراع من أجل الاتحاد تحت راية أول ملوك الفراعنة.



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

القلعة البرجية «المسرة ٢٥» التي ترجع إلى عصر أم النار. كان المستوطنون يستطيعون الالتجاء إليها عندما يتعرضون لأي هجوم.

وكان يقع بين مصر وبلاد ما بين النهرين هلال خصيب واسع يوفر الغذاء اللازم للتطور الانساني منذ آلاف السنين. وبمجرد أن توطدت أواصر الاتصال بين شمال الخليج وجنوبه لم يستطع سكان الجزء الجنوبي المأهول من الجزيرة العربية والمعروف الآن باسم عمان مواصلة تجاهلهم للأحداث التي تقع في المراكز الثقافية والاقتصادية العظيمة في العالم.

ولم تكن عملية التبادل بين هذين العالمين تتم في اتجاه واحد فقط، فقد تم منذ ٦٠٠٠ سنة توثيق الاتصالات المنتظمة بين عمان والدول المجاورة وخاصة بلوشستان وايران وتركستان ومع بلاد ما بين النهرين بصورة مباشرة عن طريق دلمون. وعندما تزايد اهتمام سومر بنحاس عمان وصلت العلاقات التي تربط عمان بشمال الخليج العربي إلى مستوى جيد. وعلى الرغم من ثراء بلاد ما بين النهرين فقد كان لديها نقص في العديد من المواد الخام، ولم يكن لديها أي قدر يذكر من حجارة البناء أو الخشب أو العطور أو أي من المعادن الأخرى.كان يتم تعويض معظم هذا النقص عن طريق التجارة مع عمان، غير أن تجارة النحاس كان لها مغزى خاص. وأصدق دليل على مدى ضخامة حجم تجارة النحاس يظهر من خلال أكوام النحاس الموجودة في أصيل والتي يقدر بأنها تضم ما لا يقل عن ١٠٠٠٠٠ طن من الحفريات الأثرية. ولا ترجع كل هذه الحفريات إلى أوائل العصر موضوع الدراسة لأن صناعة تعدين النحاس، بمجرد أن توطدت، حتى دامت لأكثر من ألف عام قبل أن تبدأ في التدهور.

عصر أم النار من حوالي عام ٢٥٠٠ إلى عام ٢٠٠٠ ق. م.

المستوطنات ومواقع المقابر

تزايد نشاط التجارة بين مجان وبلاد ما بين النهرين بصورة مفاجئة في هذا العصر وخاصة نشاط تجارة تصدير النحاس إلى منطقة شمال الخليج العربي.

وكان يتم نقل معظم هذا المعدن الثمين المستخرج من جبال عمان، على ظهر الجمال التي أمكن استئناسها مؤخرا، إلى شواطئ الخليج حيث توفر جزيرة أم النار موقعا مناسبا لرسو القوارب وتحميلها.

وتعرف الثورة الثقافية التي تفجرت في أعقاب توثيق روابط العلاقات التجارية المربحة باسم عصر أم النار.

وبالاضافة إلى آثار موقع المستوطنة المأهولة وآثار المقابر الأثرية التي تم العثور عليها في أم النار ذاتها فإن الآثار الأخرى التي ترجع إلى هذا العصر تتضمن المقابر الموجودة في وادي الجزي والمواقع الموجودة في وادي بهلا ووادي فار ووادي حلفين ووادي عندام ووادي سمد ووادي إثل ووادي ابرا ووادي بات أي في معظم الوديان الموجودة في المنطقة الشرقية. كما أن اكتشاف قطعة من الفخار بنقوش حربانية (من وادي الاندس) قد ترجع إلى عصر أم النار عند ساحل عش السلاحف الشهير في رأس الجنيز الواقع على مسافة ١١ كيلومترا جنوبي رأس الحد هو دليل آخر على انتشار الثقافة في عمان.



موقع من عصر أم النار (طبقا لبوتس، ١٩٩٠).

الملك سرجون والامبراطورية الأكدية

من الطبيعي أن يجذب ازدهار التجارة بين مجان وبلاد ما بين النهرين اهتمام المجموعات المهتمة بالسلطة بما في ذلك الحكام المحليون وكهنة المعابد والقوات الأجنبية ولا ننسى بالطبع المقاولين المحليين وغيرهم من الذين يزاولون العمل في مجال التجارة ذاته. وقد اتحدت المدن المتنافسة واقطاعيات بلاد ما بين النهرين نتيجة للفتوحات التي قام بها سرجون الأكدي مؤسس الامبراطورية الأكدية والتي كانت السبب في سرعة حركة التطور لخلقها عهداً من الاستقرار والهدوء النسبي في المنطقة.

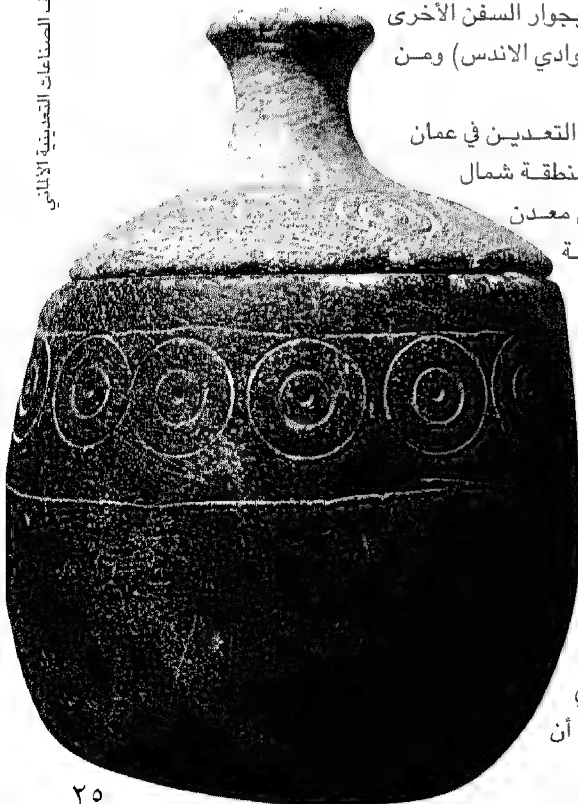
لقد ولد سرجون في حوالي عام ٢٤٠٠ ق. م. واشتهر بتأسيس ما يعرف بأنه أول امبراطورية في العالم. ولم يكن من أبناء طبقة النبلاء أوالأثرياء، فقد ارتقى من خادم متواضع يعمل كحامل لكأس ملك كيش أو قيس (ملك دولة مدينة سومر).

وقد نسب إليه فضل الاطاحة بمجموعة الملوك المتطاحنة وتوحيد المنطقة بأكملها تحت رايته. وأصبحت لغته الأم ـ وهي اللغة الأكدية ـــ هي اللغة الرسمية وحلت محل اللغة السومرية. وفي خلال أوائل عصر الاسرة الحاكمة الأولى كانت السفن القادمة من مجان ترسو في موانيء بلاد ما بين النهرين بجوار السفن الأخرى القادمة من ملوخا (منطقة وادي الاندس) ومن دلمون القريبة.

وقد أدى ازدهار صناعة التعدين في عمان مقروناً بتزايد اكتشافه في منطقة شمال الخليج إلى تحول النحاس من معدن ثمين إلى مجرد سلعة عادية تستخدم في الأغراض الصناعية. وبالرغم من عدم اعتماد بلاد ما بين النهرين اعتمادا كليـــاً على مجان في الحصول على احتياجاتها (حيث كان يمكن شراء النحاس من الأناضول أيضا) فقد كان النحاس القادم من مجان مفضلا لديها نظرا لاعتدال أسعاره.

وقد انتشر النفوذ الأكدي ووصل إلى عمان حيث بلغنا أن

أدناه: جرة من الحجارة بغطاء تم العثور عليها في مستوطنة المسرة. كانت معظم هذه الجرات عبارة عن قرابين توضع في المدافن.



جي. فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

الأكدي ووصل إلى عمان حيث بلغنا أن الناس هناك كانوا يقدمـون فروض الاحتـرام وربما فـروض الطاعـة أيضاً لشركائهم الشماليين فـي التجارة. ويمكن اكتشاف مدى العـلاقة التجـاريـة بين البلـديـن مـن خلال النصـوص المسماريـة المنقوشـة على اللـوحات الحجـرية التـي تم اكتشافهـا في بلاد مـا بين النهـرين. والتي كـان منقوش على احداها العبارة التالية:

لقـد ازدهرت بـلاد مجـان ودلمون أمـام نـاظري أنـا «إنكـي»، وقـوارب دلمـون راسيـة وقـوارب مجـان محملة عـن آخرهـا وقوارب ماجـلان التابعـة لملوخـا تنقل الفضـة والذهـب وتجلب الرجـال إلى نيبـور مـن أجل إنليل.

ويتضـح مـن هذا النص وغيره مـن النصوص التي تـرجع إلى هذا العصر أن القوارب القادمة من مجان كانت تجلب إلـى أهل بـلاد ما بيـن النهريـن مـا هو أكثـر من مجـرد منتجات محليـة فقد كـانت تجلب إليهم أيضـا المنتجات المختلفة من ملـوخا ذات الحضارة الشرقية بمـا في ذلك الـذهـب والفضـة والعاج والأحجـار النفيسـة والخشـب النادر والعطور وربما أيضا الأيدي العاملة.

كما تـؤكد هذه النصوص أن مجـان كانت تقـع جنوب دلمون وكانت توجد فيها جبـال عالية يتم منها استخراج الحجارة السوداء التي تعتبر جيـدة للاستعمال في صنع التماثيل. وربما كانت هذه الحجارة هي حجارة الديوريت أو الجابرو.

وقد أدى انـدلاع العصيان فـي بلاد مـا بين النهـرين نتيجـة لارتقـاء «نـرام ـ سين» لعـرش الامبـراطـوريـة السومرية ـ الأكدية إلى حدوث تذمـر في الدول الموردة للسلع بما فيها مجان.

ويقال أن «نـرام ـ سيـن» قد أرسـل جيشاً لقمـع هذه الاضطرابات وأن جيشه حقق قسطاً من النجاح واستطاع اخضاع الملـك «منيوم» ملـك مجان وعـاد محملاً بغنـائم الحرب التـي ضمت مجموعة مـن الأواني المصنوعـة من المرمر والتي قام باكتشافها علماء الآثار.

ومع ذلك فمـن المؤكد أن هذا الخضوع كـان خضوعاً مخففاً لأنـه تم بعد ذلـك تكريـم الملك منيوم ملـك مجان باطلاق اسمه على احدى مدن سومر.

ولم تبـق جميع الغنائم التـي عادت بها حملـة «نرام ـ سيـن» والتـي تم اكتشـافهـا فـي جنوب العـراق ضمـن المجموعات الحـالية، فقد فقدت احدى الأوانـي المنقوشة المصنوعة من المرمر عنـدما تعرض القارب (البرج) الذي كان يحملهـا أثناء ابحـاره في نهـر دجلة فـي عام ١٨٥٥ لهجوم عـدواني مـن قبل رجـال القبائل ممـا تسبب فـي غرقـه. ولحسن الحظ فقد نقـل أحد الأفراد نـص النقوش التي كان يحملها والتي يقول نصها:

«نرام ـ سين»، ملـك أركان العالـم الأربعة. إنـاء (من) غنائم مجان.

اضطرابات الكوتيين في بلاد ما بين النهرين

سقطت مـدينتا اور ولكش اللتان شكلتـا مؤخرا جـزءاً من الامبراطورية الأكدية في أيـدي الغزاة الأجانب، الكوتيين، الذين كانوا يسيطرون على المنطقـة بأكملها. وكان كوديا حاكـم لكش (حوالـي عام ٢١٤٤-٢١٢٤ ق. م.) مغـرما بتمجيد فترة حكمه باقامـة التماثيل والأجسام الاسطوانية المزخرفة والتي يحمل العديـد منها بعض النقوشات. وقد بـذل أقصى جهـده ليجلب إلـى البلاد أرقـى مواد البنـاء للاستخـدام في اقـامة الانشاءات المختلفـة بما فـي ذلك معبد إلآهه نينجيرسو.

فلتجلـب بـلاد مجـان لكم النحـاس الممتـاز وحجـارة الديوريت والحجارة النونية وحجارة شومان.

كما يشيـر أحد النصـوص الأخرى إلـى دفـع مـا قيمتـه ٢٤١ قطعة قماش إلى أحد التجار المحليين المتجهين إلى مجان. وبينمـا توضـح الدراسـات أن الصخور السـوداء المستعملة فـي اقامة التمـاثيل في بـلاد ما بين النهـرين كانت مـن صخـور الجابرو الأولفينية مما يـرجح إحتمال جلب هـذه الصخور من عمـان، فإن تماثيـل كوديا كـانت مصنوعة في الواقع من صخـور الديوريت التي لا تتشكل في شبـه جزيرة عمـان في كتل بـأحجام كبيرة (بـوتس، المجلـد الأول، ١٩٩٠) وذلك بـالرغـم من وجـودها فـي جنوب إيـران. وهذا يوحي بـأن المنطقة المعروفة بـاسم مجان كانت تضـم جزءاً من جنوب ايران إلى جـانب عمان وانها ربما كـانت مصطلحا مرنـا إلى حد ما يستخـدم في وصف الأراضي المحيطة بمدخل الخليج.

وقد تميـز العصر الذي سيطر فيـه الكوتيون بمـوقف عدائي تجـاه شركاء التجارة التقليـديين مثل مجـان. وقد ذكرت النقـوش التي تـرجع إلـى فترة حكـم الملك كـوديا

مرتين أنه فرض الطاعة على مجان وملوخا ودلمون. وفي النهاية تمكنت القوات المحلية من طرد الغزاة الكوتيين من جنوب بابل. وأدت الحروب المحلية التي نتجت عن هذا التغير والتي نشبت بين الكوتيين واوتو-هنجال، والحروب المنفصلة بين «اوتو - هنجال» و«اور - نامو» إلى توقف حركة التجارة في الخليج بصفة مؤقتة مما نجم عنه قيام حالة من «الكساد» في مجان.

اور - نامو ونشاط التجارة مع مجان

وسرعان ما قام «اور - نامو» (٢١١٢-٢٠٩٥ ق. م.) الذي انتصر في هذه الحروب باعادة انعاش تجارة النحاس المربحة مع عمان. وتسجل احدى نقوش الاهداء التي ترجع إلى بداية هذه المرحلة من عصر أسرة «اور» الثالثة هذا الانجاز في العبارة التالية:

من أجل نانا المولود الأول لأنليل، سيده، فإن اور - نامو الرجل العظيم ملك اور وملك سومر وملك الأكد، الرجل الذي أقام معبد نانا قد أعاد الأوضاع إلى سابق عهدها. وقد شاهد على الشواطىء وفي مكان التسجيل تجار البحر يعودون سالمين إلى الوطن وقد أعادوا قوارب مجان إليه (أي إلى نانا).

وبالمثل يتضمن دستور اور - نامو العبارة التالية:

باسم نانا العظيم، ملك المدينة (مدينة اور) فإنه يعيد زورق مجان الخاص بنانا إلى مكان التسجيل (؟).

وفي هذا الوقت كانت التجارة تتم عن طريق ابحار المشترين من الشمال إلى أم النار لعقد الصفقات نيابة عن تجار النحاس العمانيين، وفي مقابل النحاس كان تجار مجان يحصلون على الصوف والملابس والفضة والمشغولات الجلدية وزيت الطهي إلى جانب بعض السلع الأخرى مثل البصل والحجارة الممتازة.

وكان «لو - إنليلا» وكيل معبد نانا في أثناء حكم الملك « إيبي - سين » آخر ملوك اسرة اور الثالثة (٢٠٢٦-٢٠٠٦ ق. م.) من بين أبرز تجار البحر المغامرين هؤلاء فقد استلم سلعاً تجارية (١,٧ طناً من الصوف تقريباً أي حوالي ٦٠ طالن و٣٠٠ كيلو جراماً من النباتات الصالحة للأكل أو منتجاتها و٦٠٠ كيو جراماً من الأسماك الصغيرة المتوفرة بالمستودعات و٧٠ ثوباً و١٥١٥ لتراً من زيت السمسم الممتاز من «لوجال - جاب» و١٨٠ جلدة حيوان من «اور - سلبا») من معبد نانا ومن رجال الأعمال المحليين ليشتري بها النحاس من مجان. وتم وضع لوحة منقوشة موثقة من قبل رسول اسمه «ليبوربلي» في حاوية البضائع وتحميل جميع البضائع على متن السفينة المتجهة إلى مجان. كما تم تسجيل النحاس القادم من مجان، ربما مقابل السلع المذكورة آنفا، على لوحة أخرى منقوش عليها أن «لو - إنليلا» قد استلم ١٥٤ كيلو جراما من النحاس (٥ طالن و٨ مينا) وكذلك بعض العاج والأحجار شبه النفيسة والمُغرة الحمراء.

كما سجل نفس النص أن «لو - إينليلا» قد قدم للمعبد ١٠ لترات من البصل و٢٠ لترا من العقاقير المختلفة.

إن العلاقة الجيدة التي كانت تربط «اور - نامو» وعمان تؤكدها عدة نصوص تشير إلى تقديم المؤن إلى بنائي السفن في مجان وتوفير القار (البتيومين) اللازم لسد حزوز السفن التابعة لمجان.

وتضمنت السلع المرسلة من اور إلى مجان الشعير والمنسوجات. وهناك أدلة تشير إلى أن التجارة بين شمال الخليج وجنوبه كانت تتبع نمطاً موسمياً حيث كانت السفن تبحر إلى الجنوب في فصل الربيع أي في حوالي شهر مارس أو أوائل شهر ابريل تساعدها الرياح المواتية.

وبالرغم من نجاح بعض التجار مثل « لو - إينليلا» فقد كانت التجارة من الأعمال الخطرة والغالية نسبيا. فبانقضاء الوقت الذي يستغرقه التاجر في الابحار عبر الخليج والعودة في عكس اتجاه الرياح السائدة تكون جميع أشكال الاضطرابات السياسية أو الصراعات بين المدن المتنافسة أو الكوارث الطبيعية قد وقعت في اور وغيرها من المدن. كما أن مياه الخليج قد لا ترحم فتلطمه بأمواجها العاتية العالية. وكانت سلاسل الصخور البحرية القريبة من دلمون غادرة عندما تقترب منها السفن ليلا أو في الظروف الجوية السيئة. أضف إلى كل ذلك أخطار أعمال السرقة التي تقوم بها في أعالي البحار السفن المنافسة أو خطر الوقوع فريسة للمرض نتيجة لسوء التغذية على متن القوارب والسفن.

بزوغ دلمون

لكن هذه الفترة من وجهة نظر مجان كانت على أية حال فترة ممتازة نسبيا لأنها كانت تتمتع بحرية الوصول



خام النحاس من أصيل

المباشـر إلى أسـواق بيع سلعهـا. وكان يتـم نقل بعـض النحـاس على متـن السفـن عن طـريـق دلمون، غيـر أن معظمه كان يتم نقله إلى بلاد ما بين النهرين مباشرة مما يتيـح تفادي الـوسطـاء. ولسوء الحـظ، مـن وجهة نظـر مجان، فإن الاضطرابات التي نتجـت عن المعارك الرامية إلى عـزل «إيبي ـــ سين» قد تـركت فراغـا اداريا مـؤقتاً سرعـان ما ملأته دلمـون. ووجد تجار النحـاس في اور خلال السنوات الأخيـرة أنه من الأفضل لهم اقـامة محطة تجاريـة هناك. وحـانت الآن فـرصتهم للتعـاون مع أهـل دلمون من أجل السيطرة على التجارة حتى يمر كل شيء عبـر أيديهم فـي البحريـن. وعلى الـرغـم من استمـرار استخراج النحـاس في عمان فقد كـان يتم جره بـالجمال والحمير عبر الجبـال والصحراء إلى السـاحـل ونقله على متن السفن المحلية إلى الأماكن المختلفة مثل البحرين.

ومنذ الآن تـوقف تجـار اور عن تسجيـل مشتريـات النحاس من مجـان وبدلا من ذلك أصبحـوا يشيرون إلى الشراء من دلمون التي بدأت تبـزغ كقوة تجارية رئيسية فـي الخليج. وعلـى مـر السنين التـاليـة وطدت دلمـون مكانتها وحققـت ثروة كبيرة من خلال سيطرتهـا الفعالة على حركة التجارة بين شمال الخليج وجنوبه.

أمة بحرية

بالرغـم من الصعوبات التي واجهتهـا التجارة المباشـرة بين مجـان وبلاد ما بيـن النهرين فقـد كانت مجـان على علاقـة وثيقة مـع الدول الـواقعة فـي الشرق والجنـوب الشرقـي بما في ذلـك الدول المعـروفة الآن بـاسـم ايران وباكستان والهند.

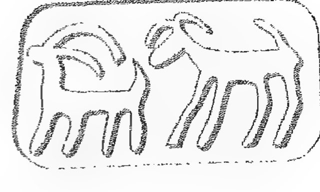
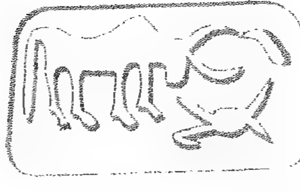
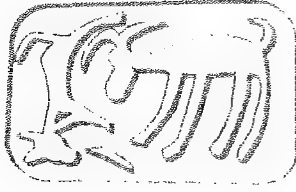
وغالبـا ما تحتوي المقابـر التي اقيمت في تلـك الفترة في عمـان على سلع مستـوردة من هذه البـلاد. وبصورة خاصة كانت العلب الصغيرة المستطيلة الشكل والتي يتم وضعها مع جثة الميت تشبه إلـى حد كبير العلب التي تم العثور عليها في بلوشستان.

وفي كتاب «عمـان ـ أمة بحرية» يعلق المـؤلف «وليام فـاسي» علـى التـزايـد الكبير فـي النشـاطـات الثقافيـة المتداخلة ونفوذها في عمان بقوله:

وهكـذا يعيـش بحارة وتجـار مجـان فـي جو ثقـافـي وتكنـولوجـي مـن الدرجـة الأولـى. وأصبحت بعـض العبارات مثـل سفن الابحار لمسافـات طويلة والكتـابة والأعمال المصرفية والمساهميـن ترد جميعاً في عملية تغيير العالم، وهي من المعالم التي تميز فترة طور فيها الانسان حضارة مدنية لأول مرة.

نهاية الألف الثالث ق. م.

بينـما نرى أن بدايـة الألف الثـالث ق. م. قد حلت وعمان أو مجان كما كانت تعرف فـي ذلك الحين وهي في وضـع غير متنـاسق وفيهـا تنظيمات اجتمـاعية محـدودة، فإن الأمور تغيـرت بشكل مذهـل في نهـاية هذه الألـف. فقـد كانـت البلاد في حالـة استقـرار واطمئنـان رائعتـين. وكـان شعبهـا يتكون مـن أفـراد طـوال القـامـة نسبيـا يعيشـون فـي قرى تضـم بيـوتـاً مشيّدة مـن الحجـارة والبارستـي تنتشر علـى إمتداد مـوارد المياه السـاحلية.

وكـانـت تتم زراعـة الـذره الـرفيعة والقمـح والشعيـر وأشجار النخيـل، وكانت الجمـال المستأنسـة وماشيـة أبقار الـدربانـي والأغنام والمـاعز تضفـي يسراً علـى حياتهـم. وكان يتم صيـد الطرائد المختلفة مثـل الغزلان وأبقـار الماريـة (المهـا العربيـة) والطيـور، بينما كـان الصيادون يعملون في المناطق المائية البرية ويستغلون الأعداد الكبيرة من السلاحف التـي كانت (ولا تزال) تأتي إلى شواطىء عمان لتضع بيضها. كما كان يتم استخراج النحاس وتصـديره فـي مقابل الحصـول على مجمـوعة متنوعة من السلع القيمة. وتضمنت المباني العامة أماكن مغلقة ضخمـة ذات جدران من الحجارة وأبـراج محصنة للمراقبة مثـل آثار أبراج بات التي تعتبر خيـر نموذج لها. ولا تزال جدران هذه الأبراج منتصبـة بارزة فوق مستوى الأرض وتوحي أبعادها الكلية بأنهـا كانت تستطيع توفير الحماية لأعداد كبيرة من الناس والحيوانات.

الأختام التي ترجع إلى عصر أم النار

تم حتى الآن اكتشـاف ثلاثة أختام فقط في شبـه جزيرة عمـان ترجـع إلى عصـر أم النـار. وقد تـم العثور علـى الأختام الثـلاثة فـي موقـع ميسر بـوادي سمد. والختـم الأول عبارة عن قطعة بيضاوية من الرصاص مثقوبة في منتصفها ومنقـوش على وجهها شكـل عصاة. أمـا الختم الثاني فعبارة عن ختم مـوشوري مثلث الشكل ذي ثلاثة أوجـه، مصنوع مـن الحجارة الـرماديـة اللون ويحمـل بعض النقـوش. فكان الـوجه الأول يحمـل رسما يعـوزه الاتقـان لكلب ولمـا يبدو حيـواناً أشبـه بخروف، بينمـا يحمل الوجه الثاني رسماً لبقـرة درباني وعقرب، في حين يحمل الـوجه الثالـث رسما لـوعل (تيس) الجبـل ولحمل بري آخـر. وكانت هـذه الأختام الموشـورية شائعـة في بعض أجزاء «العالم النامـي» آنذاك رغم عدم وجود نماذج شبيهة لهـا في عمان. وكـانت معـروفة ابتداء مـن أواخر الألف الثالث ق. م. فـي كريت وسوريا ومصر وكـذلك في آسيا الوسطى.

وقد تـم العثور علـى ختم مـوشوري آخـر في مـوقع مقابـر حجار في البحـرين، ويبدو أنـه يرجع إلـى عصر ثقافة وادى الاندس.

أما الختم الثالث فهو على هيئة كمثرى ويبدو أن وجهه يحمـل رسـم عصـاة لشخص يمـد يده وهـو ما يمكـن أن يكون، في الواقع، رمزاً لأحـد الحروف الإندسية. ويوحي عدد الأختام المحـدود الذي تم العثور عليـه، وعدم وجود أي أدلة مختومـة بأن هذه الأختام بـأنها كانت عبـارة عن قطع زخرفيـة أو رموز للمكانة الاجتمـاعية وليست أدوات تجارية بالمعنى المعروف.

أواني المدافن في أم النار

تطـورت فنون صنـاعة الفخـار، وتـم انتاج أوانٍ جميلـة، بعضها مزخرف، باستخـدام دولاب الخزاف. كما تم نحت بعض الأواني الأخرى من الحجارة الطرية والمرمر. وكان يتم زخـرفة الأوانـي النموذجية المصنـوعة مـن الحجارة الطرية (الكلوريت) بأشكـال هندسية مختلفة مثل الدوائر التي تحمل بعـض النقاط. وقد تم اكتشاف عـدد كبير من هذه الأواني في مـواقع المقابر في أم النار فـي عمان. كما تـم العثور عليهـا في مـوقـع المستوطنـة المحفورة فـي ميسر حيـث تم تأكيـد أنه كان يتـم انتاجها هنـاك أيضا، كأوانـي للمدافن على أكثـر الاحتمالات. كما تـم اكتشاف الأواني المصنـوعة في عمـان من الكلـوريت في المقـابر التـي ترجـع إلى هـذا العصر والمـوجودة فـي البحريـن وتروت وفيلكه في الكويت.

وبنهـاية الألـف الثالـث ق. م. كان النـاس في عمـان يغزلون ملابسهم ويصنعون المجـوهرات ويتزينون بها ويركبون الحمير، واستطاعوا أيضـا توسيع قدراتهم على السفر براً عن طريق استئناس الجمال.

النحـ



جهة اليمين: نسخة نحاسية من منجم نحاس قديم في اصيل تشكل شعار شركة التعدين العمانية.

اقصى جهة اليمين: آثار منجم نحاس قديم في أصيل (حوالي عام ٣٠٠٠ ق. م).

تتوفر أدلة كثيرة تشير إلى أنه كان يتم استخراج النحاس قديما في عمان. كما أن أعمال التعدين الحالية هي دليل آخر على توفر الثروات المعدنية في البلاد، فبعد مضي ٥٠٠٠ سنة تقريباً على بدء أعمال التعدين واستخراج المعادن في المنطقة المعروفة في ذلك الحين باسم مجان، بدأت شركة التعدين العمانية في استخراج النحاس على نطاق تجاري في نفس المنطقة التي كانت توجد بها المناجم الأثرية في وادي الجزي. وبحلول عام ١٩٨٦ كانت الشركة تصدر ٩٥٠٠ طن من كاثود النحاس الممتاز إلى الزبائن من الدول الجديدة وإلى بعض الشركاء التجاريين القدماء من دول الخليج. ومع ذلك، وباستثناء المراجع الخاصة بالنحاس المستخرج من مجان والنصوص المنقوشة على اللوحات الأثرية فإنه يجب أن نعود إلى القرن العاشر بعد الميلاد لنعثر على أي تعليق مكتوب مؤكد عن النواحي التاريخية لاستخراج النحاس في عمان.

وقد تمت الاشارة إلى هذه الصناعة لأول مرة من قبل الكاتب العماني ابن جعفر الذي كتب في جامع عن عدة نصوص تتعلق بأعمال التعدين. وقد تم وضع نسخة من هذه النصوص ترجع إلى القرن الثاني عشر بعد الميلاد ضمن مجلد «كتاب المصنف» لعبد الله الكندي تحكي عن منجم يملكه سكان إزكي وتذكر أن منجم النحاس في وادي الجزي والذي يملكه سكان صحار كان يتم تأجيره مقابل ١٠٪ من أرباح المنجم. كما كتب المؤلف العربي «المسعودي» (في حوالي ٩٤٣م) عن النحاس القائم من عمان. وكان «كريستين نيبور» آخر من بقي على قيد الحياة من بعثة فريدريك الدانماركية العربية هو أول كاتب علمي غربي يتحدث عن عمان. وتم اعلامه بنشاط استخراج النحاس في ذلك الوقت (١٧٦٥) في الخوبار التي لا تبعد كثيرا عن قريات. كما سجل المؤرخ العماني حميد بن محمد بن رزيق والذي توفي في عام ١٨٧٣ في كتابه «الصحافة القحطانية» أنه قد تم بالفعل بذل بعض المحاولات لانعاش صناعة النحاس في عمان في تلك الفترة. كما كتب الضابط والمؤلف البريطاني «جاي. آر. ويلستيد» في كتابه «رحلات في الجزيرة العربية» والذي نشر في عام ١٨٣٨ يقول:

«كانت الجزيرة العربية خالية من المعادن النفيسة بصورة قاطعة، لكننا في هذه المقاطعة صادفنا الفضة التي ترتبط في المعتاد بالرصاص. كما تم العثور على النحاس، ففي قرية صغيرة على الطريق من سمد إلى نزوى كان يوجد منجم يعمل به العرب في الوقت الحالي لكن المناجم الأخرى كانت مهملة بالكامل.

وبالاضافة إلى ذلك فإن التقارير المكتوبة في القرن التاسع عشر عن استخراج النحاس في عمان قد ضمت تلك التي كتبها «اتش. جاي. كارتر» الذي عثر على مناجم

مخزون من كتل النحاس المستخرج من العجير بالقرب من بهلا.

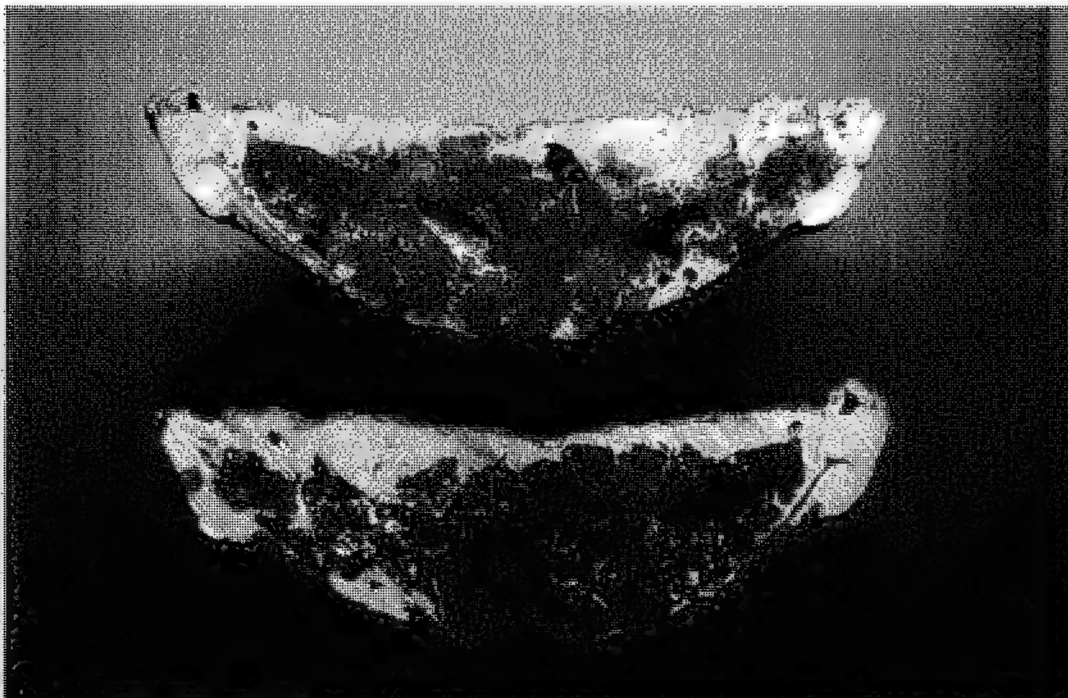


ـاس

للتعدين السطحي ومواقع للصهر السطحي ومواقع للصهر في جزيرة مصيرة، وتقارير «بلجراف» الذي يقال بأن الملاحظات المنسوبة إليه والتي تدعي بأنه كان يتم تصدير النحاس من مطرح في عام ١٨٦٣ هي ملاحظات مضللة وربما يجب عدم الاعتماد عليها، وتقارير «أيه. جيرماين» وهو مهندس للهيدروغرافيا فرنسي الأصل كتب في عام ١٨٦٨ أنه كانت توجد مناجم قديمة للنحاس في المناطق الداخلية من عمان وأن النحاس كان سلعة شائعة في وسط عمان، وتقارير الكولونيل «إس. بي. ميلز» الذي زار نزوى في عام ١٨٨٥ وعلق قائلا إنه بالرغم من أن حرفة صناعة النحاس لا تزال نشطة فإن المواد الخام كان يتم استيرادها في الواقع من بومباي. وبحلول أوائل القرن العشرين كان من الواضح أنه بالرغم من عدم استخراج النحاس في عمان فقد كان هناك نشاط كبير لاستخراج النحاس في الماضي. وقد حدى الاهتمام بالتقارير المختلفة عن مناجم النحاس القديمة في عمان إلى قيام الجمعية البريطانية للعلوم باجراء بحث خاص في عام ١٩٢٤ بهدف «اعداد تقرير عن المصادر المحتملة للنحاس الذي كان يستعمله السومريون». وفي نفس الوقت تم اجراء مسح جيولوجي لعمان برعاية «وليام نوكس دي أركاي» الذي أسس شركة النفط الانجليزية الايرانية. وقد أوقف مؤقتا أحد أعضاء فريق الجيولوجيين وهو المهندس الجيولوجي «جي. إس. ليز» أعمال البحث عن النفط التي كان يقوم بها ليتولى تحري مناجم النحاس القديمة وجمع بعض عينات



إس. كاي



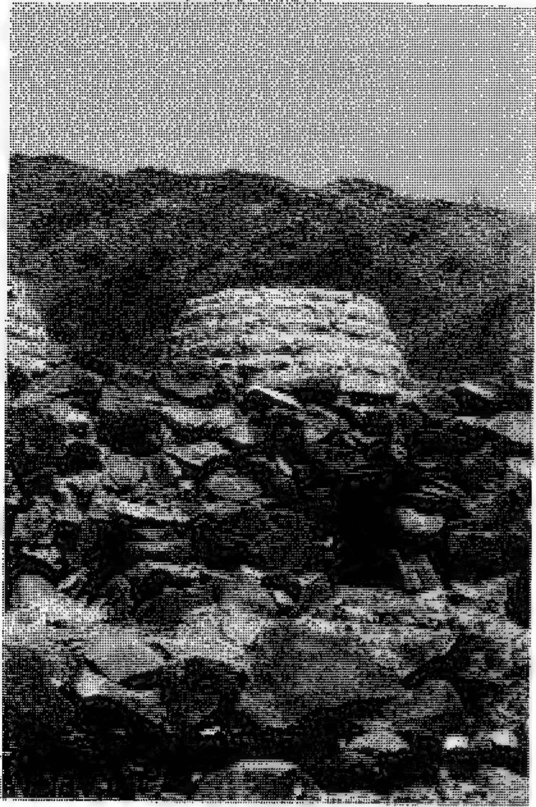
كتلة مخلفات من مخزون العجيبي. يتألف اللب من بقايا متخلفة من المعدن مغطاة بطبقة من النحاس

جي. إل. سيسبيرير، متحف الصناعات التعدينية الألماني

المعدن الخام والخبث من احدى المناطق الداخلية بالقرب من صحار.

وقد أثمرت الدراسات التي قام بها فريق الجمعية البريطانية وكذلك نتائج تحليل عينات المعادن عن اعلان أن «المكان الذي حصل منه السومريون على النحاس هو عمان» وذلك في المؤتمر الدولي السابع عشر للمستشرقين الذي انعقد في اكسفورد في ٢٩ أغسطس ١٩٢٨. وقد استند أساس الخلاصة على تحليل محتوى النيكل في المعدن الخام المستخرج في عمان وفي الآثار النحاسية المرتبطة ببلاد ما بين النهرين. ومع ذلك فقد تم منذ ذلك الحين ايضاح وجود مستويات مماثلة من النيكل مرتبطة بالنحاس في عدد من المواقع في أنحاء العالم. وكان أساس الاستنتاج خاطئاً لكن الاستنتاج نفسه لم يكن باطلاً بالضرورة.

وقد تم الآن اكتشاف وجود حوالي ٥٠ موقعاً للتراكم الطبيعي للنحاس في عمان. وبالاضافة إلى ذلك تم توثيق ما يزيد عن ١٥٠ موقعاً للصهر تتراوح في الحجم بين أكوام صغيرة ربما تحتوي على طن واحد من الخبث وأكوام ضخمة يقدر محتواها من الخبث بحوالي ١٥٠٠٠٠ طن. وقد كشفت الدراسات التي اجريت على العديد من مواقع الصهر والتعدين هذه أن بعضها كان يتم العمل فيه في الألف الثالث ق. م. وقد غل الموقع المعروف باسم ميسر والواقع في وادي سمد عدداً كبيراً من حجارة السندان والسحق. وقد أتاحت لنا النتائج المستخلصة من هذه الدراسات وكذلك الاستقصاءات التي اجريت لمواقع المناجم الأثرية والتي قام بها فريق فرنسي في منتصف السبعينات من هذا القرن الحصول على صورة واضحة نسبياً عن كيفية مباشرة استخراج النحاس في عمان في عصر أم النار. ومن الواضح أنه كان يتم استخدام أفران صغيرة في صهر خام المعدن المحتوي على النحاس والمستخرج محلياً، وكانت الأفران ذاتها تتميز بسعة داخلية تتراوح بين ١٠ و١٥ لترا فقط مما يوحي بأن هذه العمليات كانت متواضعة.



أعلاه: فرن تم تجديده لصهر النحاس في جنوب وادي الجزي.

وليس هناك شك في أن السكان المحليين كانوا يستخدمون المنتجات النهائية لهذه الصناعة في شكل أوتاد وأزاميل وسكاكين وخطافات لصيد السمك وأبر مصنوعة من النحاس. فقد تم في المسرة على سبيل المثال اكتشاف فرن للصهر مع بعض خرزات النحاس والأزاميل والحلقات والأبر والفؤوس في مواقع الحفر في مستوطنة أم النار. كما تم اكتشاف وجود بعض الكتل النحاسية التي في شكل كعكة في أحد المنازل في ميسر. كما تشير التقديرات إلى أنه قد تم انتاج ما بين ألفين وأربعة آلاف طن من النحاس في عمان في عصر أم النار.

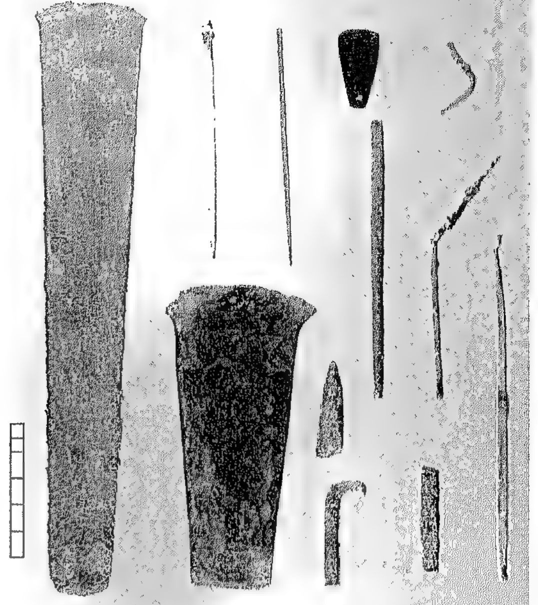
وبعد تأكيد عملية انتاج النحاس في عمان خلال الألف الثالث ق. م. وتصنيع الأدوات النحاسية في البلاد

أدناه: بقايا متخلفة من معدن النحاس بعد صهره.

أدناه جهة اليمين: مقبرة ترجع إلى نهاية عصر وادي سوق اكتشفها بعض الأطفال في الواسط. كانت تستخدم كمقبرة للفقراء.







مجموعة من اكتشافات النحاس في المسرة من عصر أم النار.

في ذلك الحين يصبح السؤال الأخير هو ما هي الأدلة المتوفرة لدينا والتي تشير إلى أن هذه المنتجات كانت تجد طريقها إلى بلاد ما بين النهرين ؟. إن هذه الأدلة، كما سبق أن أشرنا، موجودة أساساً في شكل نصوص مترجمة من اللوحات المسمارية التي تم العثور عليها ضمن آثار المنازل الأكدية القديمة والسومرية الجديدة. ولم يأت ذكر مجان في هذه اللوحات حتى عصر سرجون.

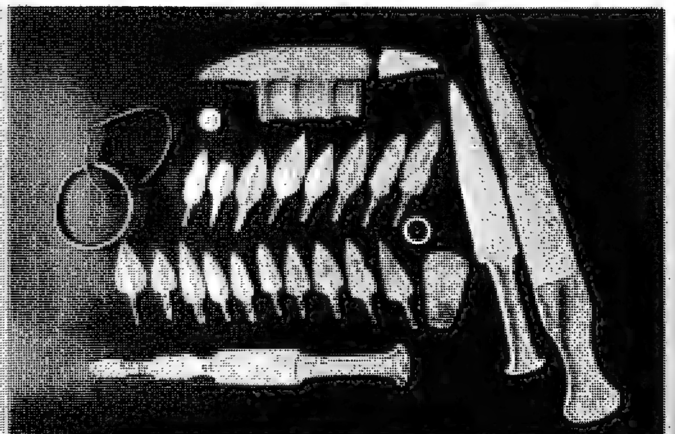
وفي «النقوش القياسية» لمانيستوسو نسمع كيف أن مانيستوسو أبحرجنوباً بعد أن جمع جيشاً ينتسب مقاتلوه إلى ٣٢ مدينة. وتنص النقوش على أنهم قد قبضوا على قوات الأعداء في أماكن متفرقة بعيدة بعد مناجم المعادن وأنهم استخرجوا حجراً أسود أخذوه معهم إلى أكد لاستخدامه في نحت تمثال له. وقد تم بعد ذلك اهداء التمثال للآله إنليل. إن ارتباط الحجارة السوداء، التي كانت موضع تقدير السومريين والأكديين، بمجان مذكور أيضاً في رواية هجوم «نرام ـ سين» على مجان.

وقد ذكر العديد من المؤلفين أن الحجارة المشار إليها هي حجارة الديوريت، غير أن التحاليل التي اجريت على تمثالين من عصر مانيستوسو محفوظين في متحف اللوفر في باريس قد كشفت أنهما مصنوعان من حجارة الجابرو الأولڤيني وهو نوع من الحجارة شائع في عمان بصورة كبيرة.

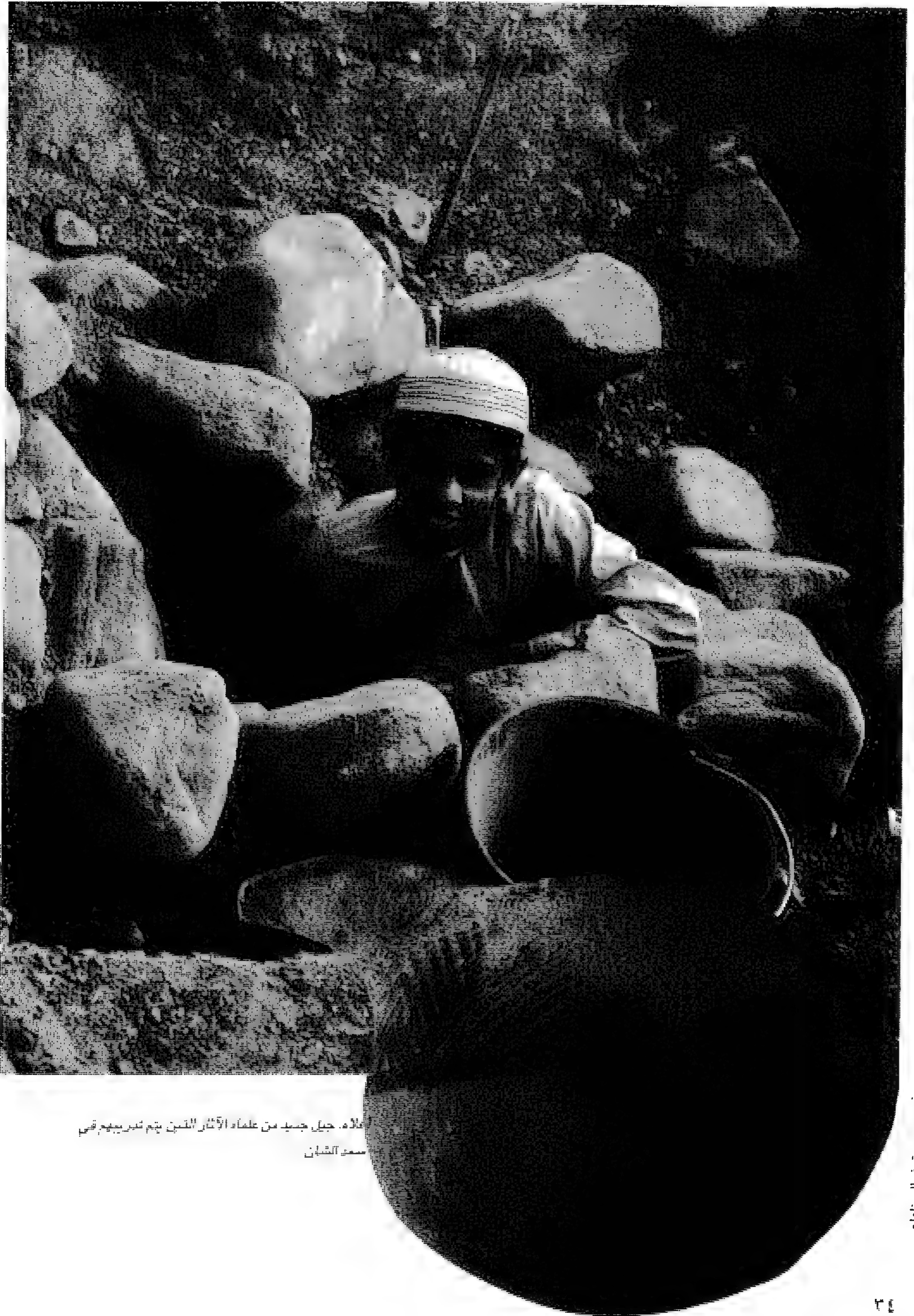
كما تم في لوحتين مسماريتين من نفس العصر تسجيل أنه كان يتم جلب النحاس إلى القصر من مجان، وأنه تم نقل النحاس القادم من مجان من أحد المنازل. ومن الواضح أيضاً أنه كان يتم استيراد النحاس في أشكال مختلفة وليس في هيئة كتل خام فحسب. فقد نصت احدى اللوحات المسمارية من عدب أن أحد تماثيل «زا ـ هوم» المصنوعة من البرونز قد أتت من مجان. كما يطلعنا أحد النصوص على أن بحارة مجان قد أبحروا حتى بلاد ما بين النهرين وذلك من خلال الاشارة إلى رسو سفنهم عند رصيف أكد ومن خلال أحد النصوص التي تسجل تقديم الجعة كهدية إلى رسول من مجان في خلال عصرالأكديين القديم.

أدناه جهة اليسار: بعض السيوف والخناجر ورؤس الرماح النحاسية العديدة التي تم العثور عليها في مقبرة الواسط.

أدناه: مقبرة أحد المقاتلين التي ترجع إلى نهاية عصر وادي سوق والتي تم اكتشافها في عام ١٩٨٥. تضم المقبرة مجموعة كبيرة من الأسلحة.







بول يول، بعثة الآثار الألمانية إلى سلطنة عمان

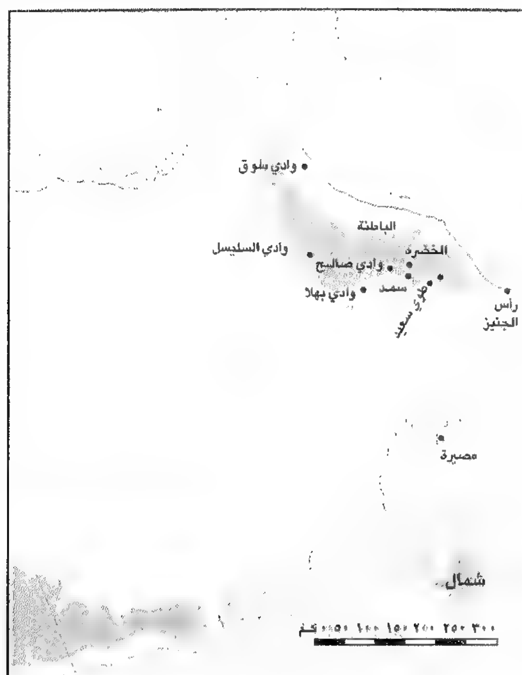
جي فيسجربر، متحف الصناعات

علاء. جيل جديد من علماء الآثار الذين يتم تدريبهم في
سعد الشبان

عصر وادي سوق
من عام ٢٠٠٠ إلى عام ١٣٠٠ ق. م.

اختفاء التراث الثقافي لأم النار

لم تكن سجلات الآثار القديمة المتعلقة بهذه الفترة متوفرة بكثرة كما أوحت بذلك العديد من الروايات القديمة عن تاريخ عمان القديم. وكان من المعتقد أنه قد حدثت ثغرة كبيرة في التسلسل الآثاري في أعقاب أوائل الألف الثاني ق. م. مباشرة في إشارة إلى اختفاء التراث الثقافي لأم النار بصورة يصعب تفسيرها. وقد أوضحت دراسات الآثار التي تمت مؤخراً حدوث التغير فعلاً، لكنها أكدت انه كان تغيرا تدريجياً على عكس الاعتقادات السائدة في السابق. وفي الواقع يمكن نسب بعض الآثار التي تم اكتشافها في وادي سوق إلى فترة منتصف الألف الثاني ق. م. وربما ما بعدها وبذلك يمكن سد الثغرة الواقعة بين الفترة من ١٨٠٠ ق. م. وبداية عصر الحديد في عمان. ويعلق «بوتس» على ذلك بقوله «وهكذا بات من الواضح أنه لا توجد ثغرة في التاريخ الاستيطاني لشبه جزيرة عمان أثناء الألف الثاني ق. م. وأن ما كان يعرف في المنطقة باسم عصر الظلام لم يكن سوى نتيجة لجهلنا (بوتس، المجلد الأول، ١٩٩٠). ويشير العلماء الآن إلى الفترة من سنة ٢٠٠٠ ق. م. إلى ١٣٠٠ ق. م. بأنها الفترة التي تضم عصر وادى سوق والتي تنقسم إلى مرحلة مبكرة (من ٢٠٠٠ ق. م. إلى ١٦٠٠ ق. م.) ومرحلة متأخرة (من ١٦٠٠ ق. م. إلى ١٣٠٠ ق. م.).



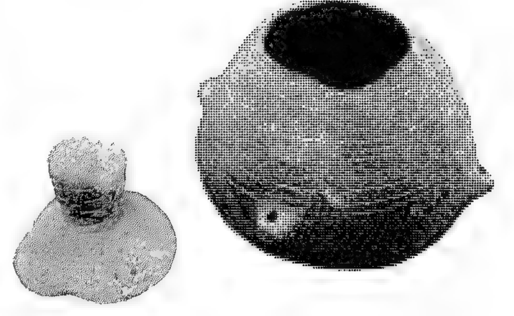
المواقع الرئيسية لفترة عصر وادي سوق (طبقا لبوتس، ١٩٩٠).



خلفية ختم من الحجارة الطرية المصقولة تم العثور عليه في مقبرة سمد الشان.

التجارة مع دلمون

واكب بزوغ الألف الثاني ق. م. ازدهار دلمون كمحور لتجارة الخليج. وكان مكسب دلمون خسارة لمجان. فمع ازدهار الحضارة القديمة في البحرين خبت أم النار وتدهورت المستوطنات التي نمت خلال الألف سنة الأخيرة بين جبال عمان. وكان تجار وبائعو النحاس في عمان قد جمعوا ثرواتهم أساساً من خلال التجارة المباشرة مع مدن سومر. ومع تحول التجارة ليصبح مرورها الآن عن طريق البحرين قلت امكانية تحكمهم فيما يجنوه من المنافع والمكاسب. وحدثت عملية إعادة تنظيم أصبحت البحرين بموجبها أهم الشركاء التجاريين لعمان وتركزت التبادلات الثقافية بين هذين البلدين بدرجة أكبر مما كانت عليه بين عمان وسومر في السابق. وكانت تلك الأوضاع جديدة بالنسبة لعمان والبحرين لأنه لم يكن هناك في الماضي القريب اتصال مباشر يذكر بينهما، وكان كل منهما يتنافس على التجارة مع دول الشمال الغنية.ولم تكن براعة عمان في



كــل منهمــا يتنافــس علــى التجــارة مــع دول الشمــال الغنية.ولم تكن بـراعة عمان في الملاحة البحـرية وبنـاء الزوارق مـوضع خـلاف قط كـذلك هـو الحال بـالنسبة لوفـرة مـواردها الطبيعية، لكنها لـم تكن تستطيع تـوفير المزايـا التي تقـدمها دلمـون سواء مـن ناحيـة الموقـع الجغرافي أو مـدى ملاءمة موانئها للسفن التـي تبحر في الخليج جنوبـاً وشمالاً.

الأواني الخاصة بالمدافن

بالاضــافة إلى الأدلة المكتـوبة عن التغيرات التـي وقعت، فقد أكـدت الآثار التي تم العثـور عليها في المقابـر التـي اقيمـت في هـذه الفتـرة والمـوجودة فـي وادي ســوق ووادي السليسل على سبيل المثال أن الـروابط الرئيسية لعمان كانت مـع البحرين وليس مع بلاد مـا بين النهرين. إن وادي ســوق هو أحـد روافد وادي الجـزي الذي يمتـد مـن واحـة البريمي إلـى السـاحل بالقرب مـن صحـار، بينمـا تقـع المقابـر الموجـودة في وادي السليسـل على مسافة أربعة كيلومترات تقريبا شمـالي ابرا. وكانت مقابر وادي السليسـل تضم مـدافن (حفـر)مبطنـة بـالحجـارة ومقـامـة تحت سطح الأرض ومغطـاة بأكوام مــن التراب ومحصـورة بـواسطـة جـدران دائرية تحيـط بها. وكـانت الأوانـي الفخاريـة والأواني المصنـوعـة من الاستيتيت والتي تم العثور عليها في هذه المقابر تماثـل الأنواع التي تم العثــور عليها في المقـابر المـوجـودة فـي البحـرين. وعلى عكس الأواني الفخارية الحمـراء أو البرتقالية اللون والمزخرفـــة باللـون الأسـود والتـي ترجــع إلى آواخـر الألـف الثالـث ق. م. كانـت الأوانـي الفخاريـة التـي تـم العثور عليهـا في هـذه المقـابر والتـي ترمز إلــى عصر وادي سوق أقل إحمــاءاً مـن تلك الأواني التي تـرجـع إلـى عصر أم النار وكانت أقل جودة منهابصورة عامة. وكانت هـذه الأواني بصورة عامة ذات لون أصفر بني أو أسمـر ضـارب إلـى الصفرة أو ذات لـون برتقـالي إلـى حد مـا. ومــع ذلـك فقـد شـهـد هــذا العصـر ادخــال إحـدى التحسينـات على تقنية صناعة الفخار، اتخذت شكل عمل شريحـة في قاعدة الانـاء باستخدام حبل مشـدود وهـي طريقة لـم يستخدمها صناع الأواني فـي عصر أم النـار. وبالاضافة إلى ذلك ظهرت بعض الأشكال الجديـدة مثـل الأواني المفتـوحة والـدائرية والأوانــي الخفيضـة إلـــى حـد ما والمزودة بفتحة للصب تشبه أعناق الأباريق.

ولا تكشف الأوانـي المصنوعة من الاستيتيـت والـتي تـرجــع إلـى أوائل عصـر وادي ســوق عــن وجـود أي اختلافات واضحة تميزها عن تلـك التي ترجع إلى الألـف الثالث ق. م. مثلهـا مثل الأواني الخزفية التي تـرجـع إلـى عصـر وادي سوق. ولا يـزال نمط الـدائرة المنقطة هــو النمط المفضل في ذلك الوقت وكـان يتم زخرفة الأوانــي عادة بـزخارف بسيطـة كهذه حـول الحافـة. أما الأوانـي التـي تمت صنـاعتها في مرحلـة لاحقة فكانت مـن نـوع



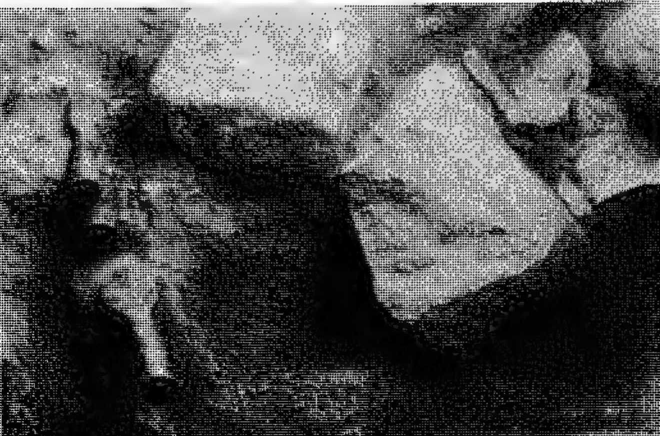
جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

مجموعة من بعض الأوعية المصنوعة من الحجارة والتي تم العثور عليها في المقابر المشتركة التي اكتشفها بعض الأطفال في الواسط.

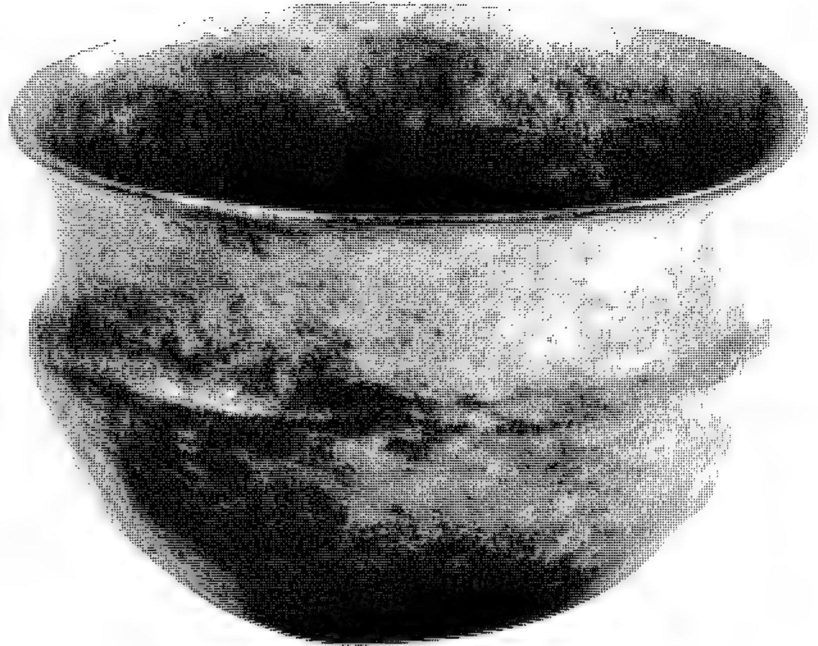
أدناه: رؤوس رماح نموذجية من عصر وادي سوق مثل تلك التي لا تزال موجودة عند مدخل المقبرة.

أدناه جهة اليمين: وعاء من الاستيتيت محفوظ في المتحف الوطني العماني.





جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني



جي. فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

إناء من الفضة باطار ضيق تم العثور عليها في مقبرة أمرأة ثرية في سمد الشان.

أوانـي التعليـق ذات الجسـم الدائري ومـزودة بـأربعـة عروات لـلامساك مثقـوبة رأسيا وعلـى أبعاد متسـاوية حول وسط الجسم ومزودة بغطاء (بوتس، المجلد الأول، ١٩٩٠). وأخذت التعديلات التي تـم ادخالها شكل الأناء المخروطـي ذي الغطاء المـزود بـأربعـة مسـاكـات أنفية رأسية،، وشكل انـاء مسطح ذي فتحات الصب الجـانبية وكليهما مـن الأواني النمـوذجية التـي تمثل عصـر وادي سوق، وقد تـم العثور على أعداد كبيرة منها فـي المقابر التي ترجع إلى فترة عصر وادي سوق.

وباستثـاء الأواني الفخاريـة والأواني المصنوعـة من الحجارة الطـرية فقـد تم العثور علـى بضعة نمـاذج من التحف البـرونزيـة في حفـريات الآثـار الخاصـة بفترة عصر وادي سـوق. وكانـت الأسلحة المفضلـة في هـذا العصر هي الرماح والسهـام ذات الرؤوس المصنوعة من النحاس أو البرونز والخناجـر ذات النصل المصنوع من البرونز والرماح ذات الرأس البرونزي المجوف.

الأدلة المدونة

تم تسجيل فتـرة أوائل الألف الثاني ق. م. علـى اللوحات التي تم اكتشـافها في بلاد مـا بين النهرين. وتـوجد أدلة وافرة على نقـل السلـع المنتجة في مجان مـن دلمون إلى اور وعلى قيام تجـار اور بزيارات منتظمة إلـى البحرين خلال الفتـرة من عام ١٩٣٢ ق. م إلـى عام ١٨٦٦ ق. م. أي خـلال عصـور ملـوك لارسـا الثـلاثـة الأوائل وهـم «جنجونـوم» «عبيسار» و«سومو ـــ إيلوم». وكما ذكـرنا آنفا، لم يعــد تجار اور يقطعون كل الطريـق إلى أم النار أو إلى جبـال عمان لعقد الصفقـات بل أصبحـوا يكتفون بالقيام بـزيارات متكررة إلى موانيء السفـن في دلمون. كما أشارت النصوص المكتوبة فـي أثناء فترة حكم «ريم ـــ سيـن» (١٨٢٢ ق. م. إلى ١٧٦٣ ق. م.) إلـى كميـات النحاس الضخمـة التي لايزال يتـم استيرادها والتـي تم استيـراد معظمها عـن طريـق أحد التجـار واسمه «إيـا ـ ناصير» ويعمـل كوكيل للسلطات المحليـة والمستثمرين الأهليين. غير أن ازدهـار تجارة النحـاس كانت تقترب من نهايتهـا. ففي عـام ٢٠٠٣ ق. ب. وفي أبـان نهايـة فترة حكم «ريـم ـــ سيـن» فـي اور سقطـت اور فـي أيـدي العيلاميين القـادمين من مرتفعات فارس وعـانى التراث الثقافي لسومر بأكمله من التدهور السريع حتى أن اللغة نفسها تعرضت للضياع.

غزوات من الشمال

أدى الضعف النـاتج عـن هذه الاضطـرابات إلـى انفتاح أبواب القـلاقل الخطيرة فـي أنحاء منطقة الخليـج. وكان العامل الرئيسي لذلك هـو حملات الغزو الطويلة القادمة من الشمال والغـرب والتي كانت تضم أعـداداً كبيرة من الهنود الأوروبين الذين كان العـديد منهم يمتطي الخيول وكانـوا مسلحين بفؤوس القتال. لقـد كانت مستـوطنات الخليج، والتـي عاشت فـي سلام نسبي وازدهـار لفترة طويلـة، غير مستعـدة ببساطة لمثل هذا الغـزو. وأخيرا وصل الغـزاة إلى عمان حيث كـان لعدوانهم تأثيـر كبير ساهم في تدهور دلمون ومدن الجنوب الواقعة عند رأس الخليج مثـل اور والتي ازدهرت جميعـاً نتيجة لنشـاطها في استخراج النحاس في عمـان ونشاط التجارة المرتبط بها.

آواخر عصر وادي سوق

لم تمـر فترة طـويلة حتى سقـط اسم مجـان تمامـاً من سجلات بـلاد ما بين النهريـن. وبمعزل عن الصعـوبات الاجتماعيـة والاقتصاديـة التي أثقلت كـاهل عمـان، فقد لعبت العوامـل الطبيعة دورها في احداث التـدهور العام. فقـد تسببـت فترات القحـط الطـويلـة في فشـل زراعـة المحاصيل وفناء الحيوانات والطيـور البرية وفي معاناة الناس. كما تسببت العواصف الرملية الشديدة في تدمير



عاصفة رملية في شهر نوفمبر تذكرنا بقسوة الظروف الجوية في أواخر عصر وادي سوق.

جميـع نواحـي الحياة اليـومية وسـد المنازل بـالرمـال الضـارة وأقـامة كثبـان الـرمـال. واستمر أهـل مجـان يعتمـدون بـدرجـة كبيـرة على مهـاراتهـم فـي الصيـد والابحار. وبـالرغم من تـدهور روابط التجارة كثيـرا فقد واصلوا المحـافظة علـى علاقـاتهم بجيـرانهم فـي أنحاء الخليـج والمحيط الهنـدي.غير أن اهتمـامهـم الرئيسـي بـالتجارة انحصـر في الضـروريـات اللازمـة لمزاولـة النشاطات التجارية مثل السلع الزراعية. ويقال أن العديد من البحارة العمانيين قد هـاجروا إلى الشمال عبر البحر الأحمر إلى بلاد المشرق حيث عـرفت سلالاتهم فيما بعد بالفينيقيين.

المستوطنات

تم التنقيب في موقـع مستوطنـة ترجع إلـى عصر وادي سـوق فـي رأس الجنيـز الواقعـة جنــوب رأس الحـد مباشـرة وهو مـن المواقع المعـروفة اليـوم للعديـد مـن زوار عمان كمـوقع هـام يضم شاطـىء عش السـلاحف الخضـراء. وتضمنـت الآثـار المكتشفـة والتـي تبـعد بضعـة أمتار عـن رأس الشـاطـىء بنـاءاً مــن الطـوب الطينـي يـزيـد طـوله عــن ٣٠ متـراً، وكـان يستخـدم كمستـودع لبلاطـات القار.ويـوحي العثـور على كسـرة أثريـة لآنية فخاريـة منقوشة بنقوش حـربانية بـأن هذا الموقـع كان أحد المواقـع الرئيسية لنزول تجـار حربـا عند وصولهـم إلى عمان في خلال أوائل الألـف الثاني ق. م. كمـا تم اكتشـاف مجمع بنـايـات مقامـة من الطـوب الطيني في طوي سعيـد بالقرب من إبرا يرجـع إلى نفس الفترة. ولم يزدهر النشاط التجـاري جدياً مرة أخرى في المحيط الهنـدي وعمان حتى حلـول النصف الثانـي من الألـف الأول ق. م. عنـدمـا هيـأ ملـوك الأمبـراطـوريـة الأخمينيـة الفرص الظـروف للنمـو الاقتصـادي وقدمـت الامبراطورية اليـونانية والامبراطورية الرومـانية شركاء تجاريين أثرياء للغاية.

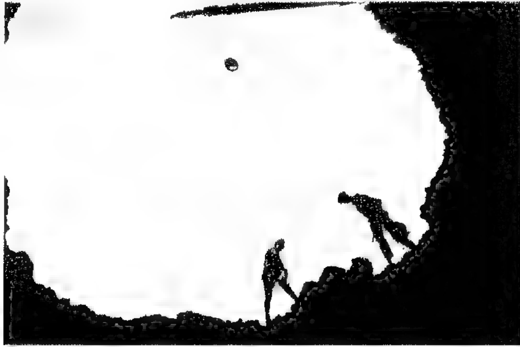
أقامت السلاحف أعشاشاً لها على شواطىء عمان منذ آلاف السنين. وعندما تصبح الظروف أكثر صعوبة في المناطق الداخلية كان الناس يعتمدون على البحر في الحصول على امدادات كافية من الطعام.



عصر الحديد أو عصر لزق من عام ١٣٠٠ إلى عام ٣٠٠ ق.م.

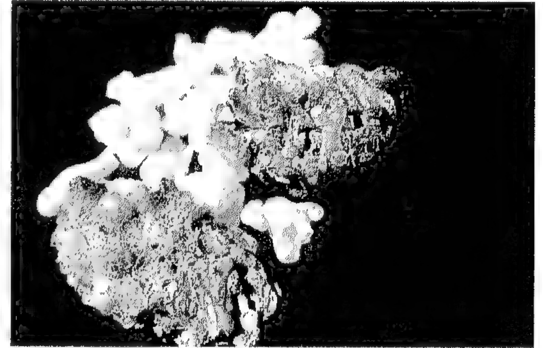
البرونز: المعدن المفضل

بالرغم من وصف هذه الحقبة بأنها عصر الحديد، فقد ظل البرونز طوال هذا العصر في عمان المعدن المفضل. كذلك فإن الحديد «لم يثبت عمليا تواجده في هذه المنطقة قبل عصر سليوسيد» (بوتس، ١٩٩٠). والاسم البديل لعصر الحديد وهو «لزق» مشتق من اسم موقع حصين في جنوب وادي سمد. لكن هناك بعض الصعوبات الملازمة المرتبطة باستخدام هذا الاسم.



رانولف فينس

الحفريات في شصر والتي يعتقد البعض بأنه الموقع القديم لمدينة اوبار.



سي فيتجيرالد، بإذن من وزارة الاعلام

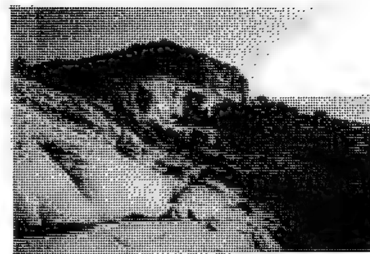
اوبار: جزيرة «أطلنتس» الرمال

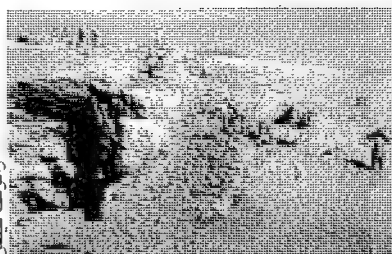
في أعقاب فترة طويلة من الانعزال النسبي والكساد أصبحت عمان تشهد الآن فترة من النمو السريع، وسجلت المصادر التوراتية كيف أن قوافل الجمال كانت في العصور المبكرة في عام ٢٠٠٠ ق. م. تحمل السلع من أحد طرفي الجزيرة العربية إلى طرفها الآخر أي من المصادر الجنوبية للبخور واللبان والمر والسلع الأخرى المتوفرة في عمان إلى بلاد الحضارة المزدهرة في مصر القديمة. وكانت هذه الرحلات تحتاج إلى تنظيمات هامة للانسان والحيوان وتعتمد على امدادات كافية من الماء العذب. وكانت قوافل الجمال تقطع الرحلة على مراحل، تبدأ من أحد المراكز الهامة للتزود بالماء والمؤن إلى المركز الذي يليه وهكذا.

وتعتبر مدينة اوبار المحصنة والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم باسم مدينة إرم المدينة ذات الأبراج العديدة التي لم يشيّد مثلها في أنحاء المعمورة. وقد روى «سير رانولف فينس» في كتابه الذي يحمل نفس الاسم والذي تم نشره في عام ١٩٩٢ قصة البحث عن «جزيرة «أطلنتس الرمال» هذه. وفي هذا الكتاب ساوى المؤلف مدينة اوبار بمدينة شصر الحالية الواقعة على مشارف الربع الخالي حيث كشفت الحفريات عن آثار هامة لمستوطنة مسورة ومحصنة بالاضافة إلى العديد من المستوطنات المحيطة بها. كما أوضحت الدراسات التي قاموا بها كيف أن انهيار الكهف المقام تحت سطح الأرض قد تسبب في دمار المدينة حيث سقطت معظمها في فجوة هائلة. ولا تزال الدراسات التي يتم اجراؤها على هذا الموقع في مراحلها الأولية نسبيا وهي تتواصل تحت اشراف لجنة وطنية يرأسها وزير الاعلام بمساعدة من الدكتور خوريس زارينس وغيره من علماء الآثار. ويتضح من خلال موقعها أنها كانت مركزاً رئيسياً على طريق مسار قوافل الجمال حيث كانت القوافل المتجهة إلى الشمال تتوقف فيها للتزود بامدادات الماء العذب قبل أن تواصل رحلتها عبر الرمال إلى ليوا أو إلى تقاطع المسارات الأخرى عبر اليمن وشمالاً عبر مأرب ومكة المكرمة على طول تهامة على البحر الأحمر.

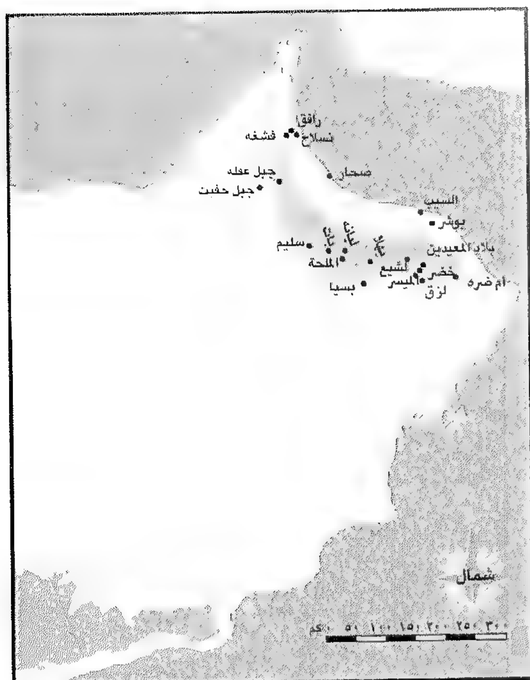
كان البخور واللبان هو السبب الأهم في تواجد المراكز التجارية العمانية مثل ذلك الموجود في خور روري.

إن وجود الأواني الفخارية اليونانية والرومانية في مدينة شصر وهي الموقع الحالي لمدينة اوبار هو دليل على مدى أهميتها الكبيرة كهمزة وصل على طرق التجارة الداخلية الهامة. وبالأخذ في الاعتبار موقعها الاستراتيجي والحاجة إلى ضرورة حماية آبار الماء العذب الموجودة بها فليس من المدهش أن تقام فيها تحصينات قوية في شكل حيز مسيج خماسي الزوايا والاضلاع تبلغ مساحته التقريبية ٥٤ متراً ×٥٧ متراً، مزود بأبراج دائرية ومربعة ليستعملها الحراس في مراقبة الأراضي المحيطة بها. وقد تم استخدام هذه المنطقة لعدة قرون، وكشفت اختبارات التأريخ بالتحليل بالكربون المشع أن احد أماكن التخزين كان مستعملاً في عام ٣٥٠ ق. م. مما يوحي بمعرفة بطليموس بوجودها وأنه ضمها إلى خريطته في ذلك الحين. ومن المثير للدهشة أن خريطة بطليموس قد سجلت في نفس المنطقة التي تحتلها شصر اليوم وجود الأوباريتيين فيها، الذين هم ربما أهل اوبار.





رالوف تيبس



المواقع الرئيسية لعصر الحديد(طبقا لبوتس، ١٩٩٠).

أعلاه جهة اليمين: الحفريات في شصر.

أعلاه في أقصى اليمين: رأس الجنيز.

جهة اليمين: مشهد لدرج السلم المؤدي إلى القلعة الكائنة فوق الهضبة في لزق والتي ترجع إلى عصر لزق.

الاستيطان

توجد في عمان مواقع عديدة ترجع إلى عصر الحديد تحفل بها سجلات الآثار. وتم اكتشاف العديد من هذه المواقع أثناء تنفيذ مشاريع البناء. ففي عام ١٩٧٩ على سبيل المثال، تم اكتشاف ٥٥٠ إناء من البرونز والاستيتيت والفخار أثناء اجراء أعمال الحفر بالبولدوزر في قرية حيل السلم بالقرب من ابرا. وكانت هذه المجموعة هي مخزون أحد لصوص المقابر



جي فيستربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

وكان معظمها يعود إلى عصر الحديد. وقد سبق لنا بالفعل ذكر موقع بات في مستهل تناول عصر أم النار. ولقد تمخضت الاكتشافات في الطبقات العليا في هذا الموقع عن اكتشاف بعض رؤوس الرماح المصنوعة من البرونز والأواني المصنوعة من الاسيتيتيت وكسر أثرية من الأواني الفخارية ترجع إلى عصر الحديد. وهناك رقعة قطرها ١٠٠ متر مربع تقع عند حافة وادي بهلا على مسافة كيلومترين شمالي غرب بيساح تحتوي على ما يتراوح بين ثمانية وعشرة أمتار من المخلفات المتراكمة منذ فترة الاستيطان الطويلة في عصر الحديد. كما توجد بعض المواقع في منطقة وادي سمائل. وتم أيضا العثور على آثار قرية صغيرة في المنحدر الغربي لوادي سمد على مسافة قصيرة شمال قرية ميسر الحديثة سماها علماء الآثار «ميسر ٤٢». ويبدو أنها اقيمت في نفس فترة اقامة نظام قنوات الأفلاج القريبة والتي ظلت مستعملة منذ انشائها. وكانت احدى المقابر القريبة والتي ترجع إلى عصر الحديد وتضم ما لا يقل عن ٧٠ قبرا قد تعرضت للسرقة منذ فترة طويلة ومع ذلك فإنها كانت لا تزال تضم آثاراً كافية أتاحت للعلماء تحديد تاريخها.

ويستحق الموقع الموجود في لزق اشارة خاصة، فهناك هضبة شديدة الانحدار ارتفاعها ٦٥ مترا تقع على مسافة قصيرة شرقي المستوطنة الحديثة. ويقع على قمة الهضبة بناء محصن مقام من كتل ضخمة من الحجارة، يتم دخوله عن طريق سلم من الحجارة يتكون من ٧٩ درجة متصلة ببعضها بالملاط الطيني ومدعمة عند كلا الجانبين بجدار منخفض ارتفاعه نصف متر تقريباً. ويوجد في أعلى بئر السلم برجان يمكن للحراس من خلالهما الدفاع عن المستوطنة وهم داخل جدرانها الحصينة.

وفي الباطنة يوجد عدد من المواقع الهامة التي ترجع إلى عصر الحديد، فهناك أسفل القلعة الاسلامية في صحار آثار كثيرة ترجع إلى العصور المبكرة التي تمتد حتى عصر الحديد. كما توجد مواقع أخرى قريبة يمكن نسبها إلى الألف الأول ق. م. وكذلك مجمع للمقابر يضم ما لا يقل عن ٢٠٠ مقبرة متداخلة في وادي بشر في المنطقة الداخلية وجد فيها مؤخرا عدد كبير من الأواني النموذجية المصنوعة من الاستيتيت والفخار والتي ترجع إلى عصر الحديد.

مجان . كاد

عمان المعروفة باسم كاد

بحلول عام ١٠٠ ق. م. لم يعد اسم مجان يشير إلى عمان، وفي تغير محير لأسماء الأماكن، ربما يمكن تفسيره من خلال تنقلات الناس وتبادل الأدوار بين هذه الأماكن، أصبحت ملوخا ومجان تشيران الآن إلى مصر.

ومن المحتمل أن يكون المهاجرون من مجان قد قدموا لمصر الفرعونية مفتاح استعمال ثرواتها الطبيعية. ومن غير المتصور أن العمانيين الذين سافروا إلى مصر مع اللبان والبخور لم يتقاسموا معها أيضاً خبراتهم المكتسبة في مجال تجارة المعادن. غير أن عمان، التي كانت تعرف في ذلك الوقت باسم كاد، قد بدأت تشهد أوقاتاً أفضل. فبحلول عام ٧٠٠ ق. م. تحول أفراد الجماعات الهندية الأوروبية الفظة التي غزت ملوخا إلى أفراد أكثر انضباطاً وحضارة وصاروا يهتمون بإعادة اقامة الروابط التجارية واعادة بناء الحضارات التي دمروها. وهكذا تمت اعادة الروابط التجارية مع عمان. وقد بلغنا أن ملك كاد قد سافر من مقر حكومته في ازكي لزيارة بلاط الامبراطورية الأشورية في نينوى وذلك في حوالي عام ٦٤٠ ق. م.

أنا باد، ملك بلاد كاد المقيم في مدينة ازكي التي لم يطأ أي ملك في تاريخها حدود بلاد الأشوريين: بأمر أشور ونين ــ ليل سافر رسولهما للمحبة والسلام محملا باحترامهما وثنائهما في رحلة استغرقت ستة أشهر ليأتي ويمثل أمامي. (نقوش موجودة على احدى اللوحات التي تم العثور عليها في نينوى ، ترجع إلى حوالي عام ٦٤٠ ق. م).

نظام جديد للري

شهد الألف الأول ق. م. ادخال تحسينات جديدة في عمان صحبها زيادة كبيرة في تعداد السكان. ومن الواضح أن شيئا هاما قد حدث وأدى إلى زيادة طاقات البلاد في توفير الغذاء لسكانها. وهذا الشيء الهام هو ابتكار جديد شهدته عمان في حوالي عام ١٠٠٠ ق. م. وكان هذا الابتكار هو سر نقل الماء إلى الصحراء عبر شبكة دقيقة من القنوات المقامة تحت سطح الأرض وفوقه تعرف باسم الأفلاج. وطبقا للأساطير كان الملك سليمان مؤسس بلاد فارس هو المسؤول عن هذا النموذج القديم لنقل التكنولوجيا. وتروي القصة أنه حاد عن مساره أثناء طيرانه فوق المملكة، وحملته الرياح العاصفة عبر الخليج وهبط في سلوت. وعندما شاهد أن المنطقة ينقصها الماء أمر الناس ببناء الأفلاج. وبالرغم من هذه الترجمة المنمقة فمن المحتمل أن تكون هناك بعض الحقيقة في هذه الرواية نظراً لأن أقدم الأفلاج في عمان موجودة بالفعل في هذه المنطقة وأن أهلها هم من الخبراء المشهورين في مجال اقامة الأفلاج. وهذه الأفلاج هي عبارة عن نظام لتوزيع الماء بسيط بشكل جميل لكنه غاية في الكفاءة، وليس هناك شك في أن اقامة هذه الأفلاج قد غير عمان تغييراً جذرياً.

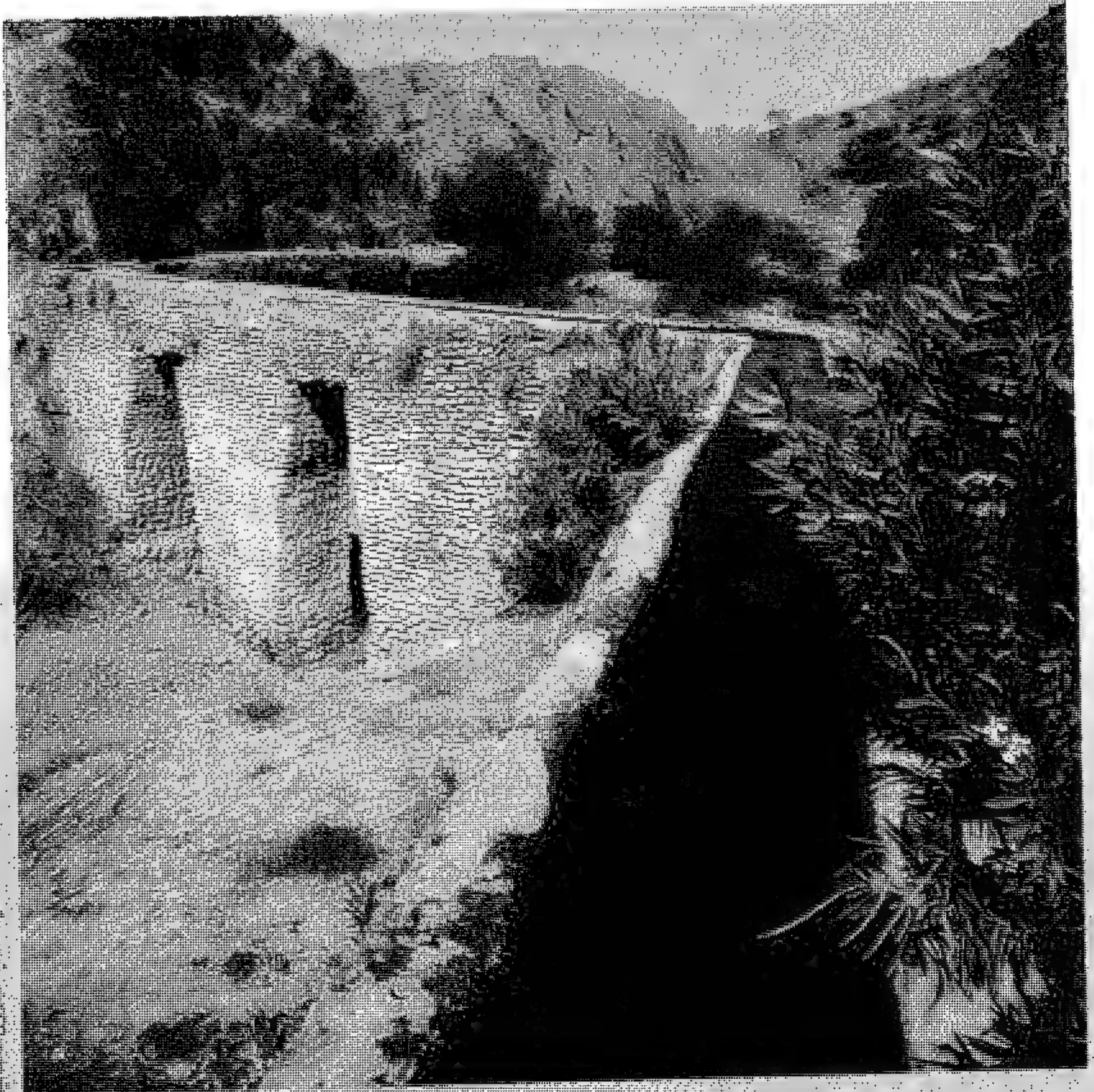

إس. كاي

فلج قديم.

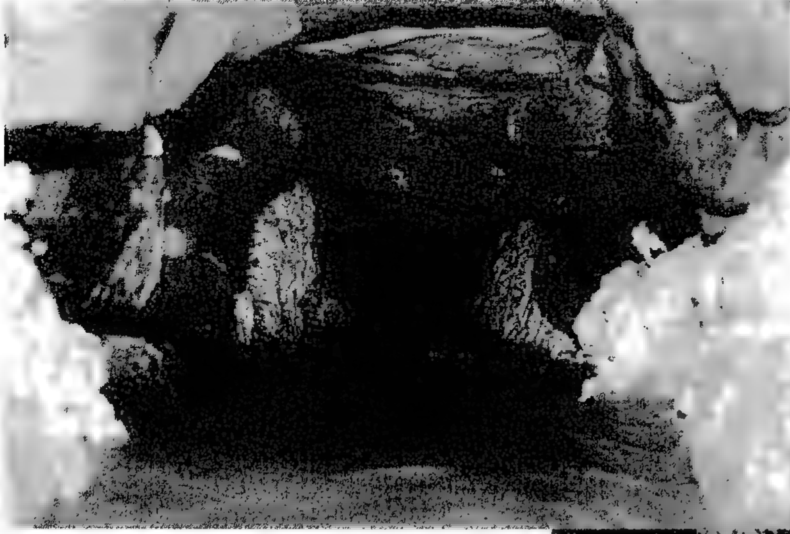
الأفــــلاج

الماء هـو عماد الـزراعة والثروة فـي عمان، لأنـه لا يمكن زراعـة الأراضـي فـي عمـان دون الاعتمـاد علـى الـري بـاستثناء بضعـة أمـاكن محـدودة. وينتشـر في بعـض الأماكـن وخاصة في البـاطنة استعمال أنظمة الـري التي تستخـدم ميـاه الآبـار المحفـورة فـي طبقـات الأرض الحاويـة للماء. ومـع ذلك يعتبر النظـام المعروف بـاسم الأفلاج المصدر الـرئيسي لمياه الري اليـوم ومنذ ٢٠٠٠ سنـة على الأقـل فـي معظم أنحـاء عمـان وخـاصة فـي المناطـق الداخلية من البـلاد. وتتيح هذه القنـوات سواء المقامة تحـت سطح الأرض أو فوقه توفيـر نماذج ممتازة تدل على المهارات الهندسية العمانية الرائدة.

وقد اقيمت العـديد من قنوات الأفـلاج هذه منذ ٢٠٠٠ أو ٢٥٠٠٠ سنـة، وتم بنـاء نظام الأفـلاج الضخـم الـذي يحيط بصحار والذي توقـف استعماله اليوم منذ ١٠٠٠ سنة مضـت، كما قـام الحكام اليعـاربة العظـام ببناء أو تجديـد بعض أنظمة الأفـلاج الأخرى. إنها جميعـا أنظمة عريقـة في القـدم. ومن الجديـر بالـذكر أن كلمـة الفلج العربية هي كلمة مشتقة من كلمة سامية عريقة في القدم تتعلق بالتقسيم والتوزيع. وتعتبـر الأفـلاج شريان الحياة في القرية ولـذلك يتم توزيع مياههـا على أفراد المجتمع عـن طريـق بـوابات تتحكـم فـي اغـلاق وفتح القنـوات الفرعيـة. كما يتم تقـاسمها عن طـريق التقسيم الـزمني المبنـي على أسـاس تحركـات الشمـس والنجوم. ويتـم تخصيص حصة من امدادات الميـاه السنوية للاستخدام



فلج قديم



بعثة الآثار الإيطالية إلى سلطنة عمان

ربما تكون قنوات الفلج قد وصلت الى عمان في بداية الألف الأول ق. م.. ويقع أقدم هذه الأفلاج التي أمكن تحديد عمرها في ميسر وتم بناؤها في أواخر عصر لزق / رميلة.



إس. كاي

فتح قناة الفلج.

في صيانة الأفلاج. وتعرف هذه الحصة باسم «القاعدة» وكان يتم بيعها بالمزاد العلني أو استخدامها في زراعة المحاصيل المخصصة للبيع. ويتيح ريع بيع هذه المحاصيل تعيين أحد المسؤولين «بيدار» لصيانة الشبكة المشتركة عن طريق تنظيف القنوات المقامة تحت سطح الأرض وصيانة واصلاح الانشاءات الطوبية والصخور والبطانات والممرات الرأسية وكذلك مداخل الأفلاج والقنوات المفتوحة المتجهة نحو البساتين. ويوجد نوعان من الافلاج في عمان هما الأفلاج السطحية والأفلاج المقامة تحت سطح الأرض والمعروفة باسم قنوات الأفلاج. وتسحب الأفلاج المقامة تحت سطح الأرض الماء من الطبقات الحصوية العليا لقاع الوادي وتحملها عبر قناة متدرجة برقة إلى الأراضي الصالحة للزراعة والتي تبعد في الغالب عدة كيلومترات . كما يتم استخدام القنوات السطحية إلى جانب المجاري السفلية لقناة الفلج. إن سحب الماء هو أمر غاية في السهولة، لكن عملية نقله تحتاج في الغالب إلى اقامة قناة خاصة من الحجارة والملاط على طول الجدران الصخرية للوادي أو منحوته فيها. كما يلزم أن تعبر هذه الأفلاج العوائق المختلفة مثل الحيود الصخرية وذلك عن طريق شق الأنفاق. أما الوديان الجانبية ذات التدفق الرقيق للماء فيتم عبورها عن طريق اقامة مجاري مائية قنطرية، في حين يتم عبور الوديان ذات التدفقات القوية عن طريق اقامة مشعبات (سيفونات) معكوسة. ويتم اقامة المشعبات المعكوسة عندما يكون تدفق الماء في قاع الوادي قوياً بدرجة قد تؤدي إلى جرف المجاري المائية. ويتدفق الماء عبر أنبوب رأسي إلى أسفل الوادي في قناة من الحجارة والملاط ذات تبطين جيد. وإذا كان قاع النظام لا يسرب عندها يمتلىء الأنبوب ويتدفق الماء عبر الجانب الآخر للوادي في نفس مستوى القناة المفتوحة الموجودة على الجانب الآخر ومن ثم يمكن توجيه الماء إلى الحقول.وتقوم القناة المقامة تحت سطح الأرض والمعروفة باسم قناة الفلج بسحب المياه الباطنية سواء مياه الينابيع الموجودة تحت سطح الأرض أو المياه الموجودة في المناطق التي يكون فيها منسوب الماء في الطبقات الحصوية القريبة من الجبال أعلى من مستوى سطح الأرض في السهول. ويتم في البداية تحديد أماكن توفر امدادات المياه الباطنية عن طريق فحص النباتات النامية أو الكشف عن وجود برك مائية أو أي شيء آخر قد يوحي بوجود نبع أو كميات وفيرة من الماء في باطن الأرض. ويتم التأكد من

البئر الأم
بئر وصول
مغلق
بئر وصول
مفتوح
مجرى مائي
فوق الوادي
قناة
مفتوحة
قناة تحت
الأرض
مشعب (سيفون)
مقلوب
قلعة
وقرية
بستان
نخيل
حقول
مزروعة

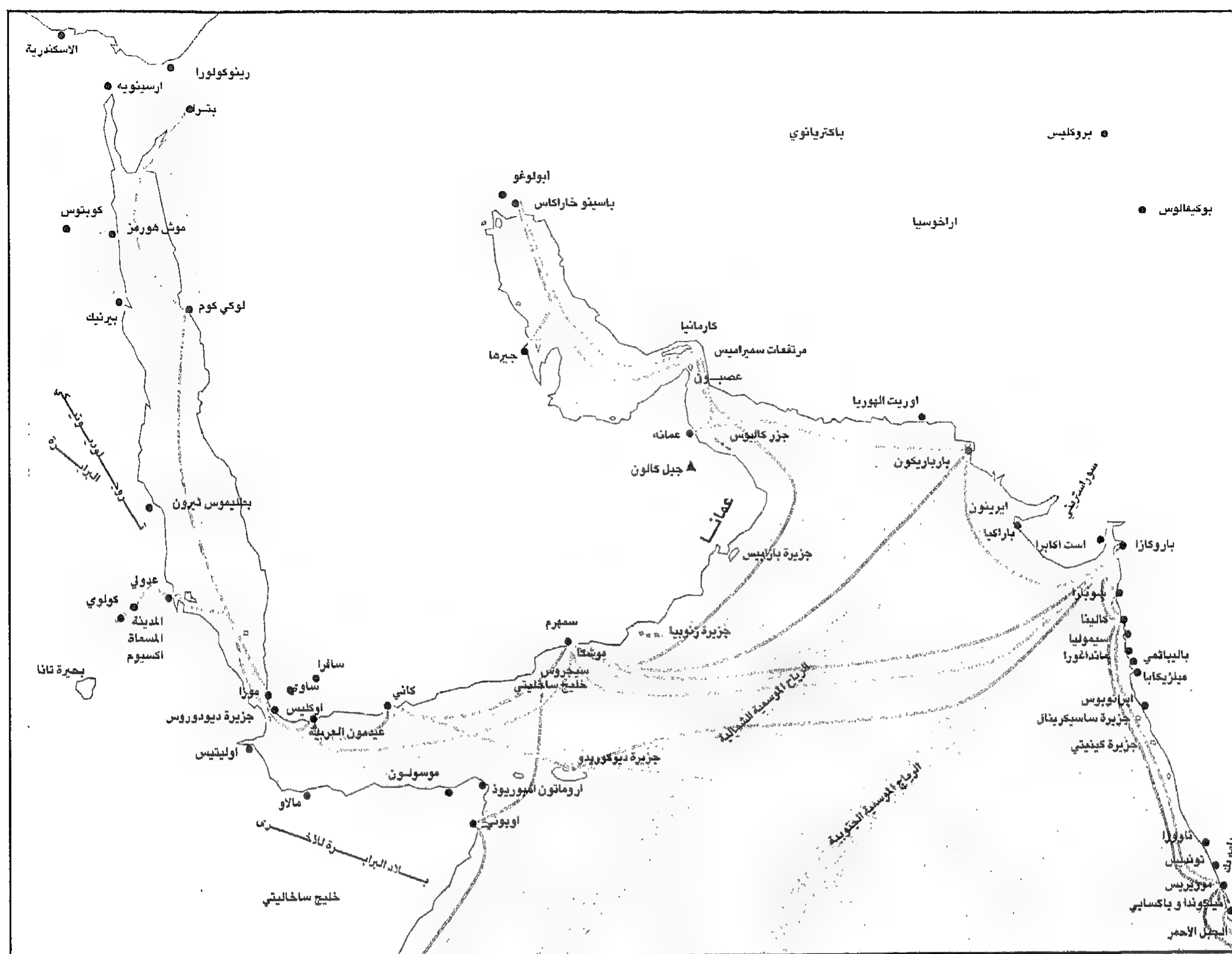


قناة فلج حديثة تستخدم في أعمال الري في عمان.

في الصفحة المواجهة: رسومات هندسية تبين كيف تحمل شبكة الأفلاج الماء من منبعها إلى حيث تستعمل. وتوضح الصورة العليا مشعب (سيفون) معكوس يستخدم في حمل الماء عبر قاع الفلج، أما الصورة السفلية فتصور مقطعاً عرضيا عاما للشبكة باكملها.

حجم الماء الباطني عن طريق حفر بئر أو سلسلة آبار تجريبية وقياس مقدار التدفق عن طريق النزح. وإذا كانت نتيجة هذه الفحوص مرضية يبدأ العمل في اقامة الفلج بالابتداء من مصبه الذي يبعد في الغالب عدة كيلومترات عن البئر الأم للماء ثم يتم حفر قناة مائلة برقة مع اقامة مجاري رأسية على فواصل منتظمة لتوفير الهواء النقي اللازم لعمال حفر القناة والسماح بنقل الأنقاض. وعندما تمر القناة عبر تربة رخوة أو رملية يتم تبطينها بالحجارة أو الفخار. وتأتي أصعب لحظة في هذا العمل عندما تقترب القناة من المنطقة الحاوية للماء أو المحيطة بالبئر الأم.

فإذا تم اختراق الطبقات الحاوية للماء فجأة فقد يتسبب اندفاع الماء المفاجيء في اغراق العامل الذي يقوم بالحفر وتدمير ما قام به من أعمال. أن الأعمال المرتبطة بالانشاءات قد تكون ضخمة حتى وإن كان قطر القناة لا يتجاوز نصف متر فقط لأنه يلزم إزالة حوالي ثلاثة إلى أربعة آلاف طن من الحجارة عن كل كيلومتر يتم حفره. وقد يبلغ طول أطول قناة تسعة كيلومترات بينما يصل عمق البئر الأم في المتوسط إلى ٢٠ متراً. ويلزم أن يتم اصلاح القنوات بصفة منتظمة وتطهيرها باستمرار من الطمي... وحتى هذا العمل قد يشكل مهمة عسيرة.



خريطة المنطقة العربية كما يعرفها اليونانيون والرومان.

الاهتمام اليوناني بعمان

بعد أن فتـح الحاكـم الأخميني الفـارسي «كـامبيسـس» (٥٥٠-٥٢١ ق. م.) مصر تـوثقـت الروابـط بين جنـوب الجزيرة العربية ومنطقة البحر المتوسط الكلاسيكية. وقد تحمـس داريـــوس الأول (٥٢١-٤٨٤ ق. م.) خليفــة «كامبيس» لاعادة العلاقـات التجاريـة البحرية القـديمة التـي كانـت تربـط الجزيرة العـربية ومنـاطق المحيـط الهنـدي الأخرى بـدول الشمـال. وفـي مسعـــاه لتحقيـق هـذا الهدف قـام بتـوكيـل البحـار اليـونـانـي «سيـلاكس الكـريندي» بـدراسة احتمالات اقـامة طـرق بحـرية بيــن الهند ومصر. وأكـدت رحلته النـاجحة مـن وادي الاندس عـبر فـارس وعمان وساحل حضرموت ثم البـحر الأحمر إن هـذا الطــريـق البحـري يـوفر بـديلاً صالحاً للرحلات البحرية الطويلة، غير أن هذا المسـار لـم يسهـم اسهـاماً كبيراً في احياء طريـق الخليـج القـديـم.

ومـع ذلك ففي عـام ٣٢٦ ق. م. أي بعد حوالي ٢٠٠ سنة عـاد أسطـول الاسكنــدر الأكبر (الاسكنـدر المقـدوني) المكـون من ١٥٠٠ سفينـة مـن الهـند بقـيادة قـائده اليوناني «نيرتشوس» الذي ذكـر في سجـل السفينـة أنـه مـر عــلى رأس الجزيرة العـربية، وربـمـا كـان يعـنـي بـذلك مسندم، التي يتم منـها تصـدير القرفة والمنتجات الأخرى إلى الأشوريين. كما ذكـر في سجـل السفينة أيضا ميناء Teredon الـواقـع عند رأس الخليـج ووصفــه بأنـه «ســوق التجارة البحريـة للبخور واللبـان وجميع المنتجات العطـرية الأخـرى للجزيـرة العربيـة». وبعـد مضي بضـع سنــوات وقبـل مصرعــه بقليـل أرســل الاسكنــدر الأكبر بعثـة استكشـافيـة جديـدة عبر الخليج. وبينما وصـل الأميــرال «أرشيـاس» إلــى البحــريــن قـامـت السفينـة التي يقودهـا «هيرون السولي» باكتشاف ساحـل مسندم.

اللبــان

تم اعداد المعلومات الخاصة باللبان والمدرجة في هذا الفصل من الكتاب من مرجع «نباتات ظفار» تأليف الكاتبين أنتوني ميلر وميراندا موريس.

جاء ذكر الذهب واللبان والمـر في الكتاب المقدس كهدايا مقدمة إلـى عيسى المسيح وهو طفل في بيـت لحم. ومن المحتمل أن يكون المنتوجان الأخيران من صادرات ظفار في عمان. وربما كان اللبان من بين قرابين الهدايا الثلاث الشهيـرة هـذه هـو أكثـرهـا جـذبـاً لـلانتبـاه نتيجـة لاستخداماتـه المتعددة الكثيرة ولأن اللبان العمـاني كان يعتبر أفضل أنواع اللبان في العالم.

وتنمـو أشجـار اللبـان العمانيـة المعروفـة باسـم بوزفيليا سـاكرا Boswellia sacra بارتفـاعات تصـل إلى خمسة أمتـار تقريبـاً. وهذا النـوع من الأشجـار وكذلـك أشجـار المر همـا من فصيلـة الأشجار البخـورية التـي يتميز أعضـاؤها بـوجود مجاري راتينجيـة في لحـائها. وباستثناء أنواع أشجار اللبان التـي تنمو في عمان يوجد أنواع أخرى فـي شمال شرق أفريقيا والهنـد. وفي عمان توجد هذه الأشجار في أمـاكن محصورة نسبيا بعيداً عن منطقة الأمطـار الموسمية مباشـرة، لكن ضمن المنـاطق التي تتعـرض لريـاح باردة تتسبـب في انخفـاض درجة حرارة الهواء فـي شهور فصل الصيف. وبالاضـافة إلى ذلك توجـد هذه الأشجار بالقـرب من الساحل فـي نطاق منطقة سقوط الأمطـار الموسمية، غير ان مـن المعتقد أنه قد تم زراعة العديد منها هناك.

ويقال أن جمـع صمغ اللبـان في العصـور اليونـانية كانت تقوم به مجموعة من العبيـد الذين كانوا يعانون من سوء التغذية والـذين لقى العديد منهم حتفـه نتيجة لسوء التغذية والمـرض. وبمجرد الانتهاء من جمـع الصمغ يتم نقلـه إلى مينـاء سمهـرم الذي كـان يعتبـر ميناء اللبـان الرئيسـي حيث يتم شحنه فـي السفن بإذن صريـح من الملك. لقد كـان اللبان سلعة ثمينة لها نفس قيمـة الذهب في أسواق الأمبراطورية الرومانية.

وإلى جانب حرق بخور اللبان كقـربان للآلهة كانت له أهميـة كبيرة مـن النـاحيـة الطبية، وكـان يستخـدم كبخـور لمكافحـة الأمراض والقضـاء على الـروائح الكريهة. وقـد أوصى مؤلف كتاب «مـوت المصريين القدماء» (الـذين كانوا يعتقدون بأن اللبـان هو حلاوة الآلهة التي تتسـاقط على الأرض) باستعمـال البخور فـي عديـد مـن الطقوس الجنـائزيـة وفي الطهـارات الشعـائرية. وقـد استخـدم اللبان بعـد اشعـاله فـي أحواض من الصلصال واطفاء لهبه بحليب الأبقار في دفـع الشر والخصـوم الحاقـديـن والضغينة. ومـن الناحيـة الطبية كـان للبان مكانـة كبيرة لـدى الأطباء اليونـانيين والـرومان الـذين استخـدموه فـي علاج جميـع الأمـراض المتصورة. كمـا ظهـرت الأدويـة المحتويـة على اللبـان في كتاب «الطب السريـاني» ضمـن نصـوص الأطبـاء المسلميـن فـي العصـور الوسطى وفي المخطوطـات الطبية الهندية والصينية (ميلر وموريس، ١٩٨٨).



شجرة لبان تبين سائل (نزّ راتينج) اللبان.

ويدعي المـؤلف اليوناني «ثيوفـراستوس» أن قطرات اللبان النقي كانت أفضل جـودة من الصمغ المقشوط من لحـاء الشجر أو المـؤخـوذ مـن فوق الأرض. ويقـال أن الصمغ الذي يتم جمعه في فصل الخريف أفضل من ذلك

الذي يتم جمعـه في فصل الربيع. وقد علـق «بليني» على موسمـي الجمع هـذين. ومن المثير أن الاسمين اللـذين أعطاهما للمـوسمين وهما كلمة «كارفياثـوم» للتعبير عن فصل الخريف وكلمة «داثياثوم» للتعبير عن فصل الربيع يتشابهان فـي النطق جدا مع الكلمتين اللتين تـرمزان إلى موسمي الجمع في اللهجة الجبالية في ظفار. وكان اللبان مرتبطاً بصورة ثـابتة بالاحتفـالات التي كـانت تتـم في العالم اليوناني والعالم الـروماني. ففي أوج الامبراطورية الرومانية عنـدما كان الترف هو القاعـدة وليس الاستثناء ذكر «بلوتـارك» أنه تم صب تمثال لثور مـن اللبان والمر والمنتجـات النـادرة الأخرى كـوجبـة لضيـوف أحـد المضيفين النباتيين الذي كان يحتفـل بالفوز الذي حققه في أحـد سباقـات الخيل. وفـي أثناء جنـازة «سولا» تـم اقامة تمثال بـالحجم الكامل للطاغية المتـوفي باستخدام خليط من اللبان والقرفة والتـوابل المختلفة الأخرى. وفي فترة مبكـرة وأثناء مـرحلة صعـود الحضارة اليـونانيـة عنـدما كـان الاسكندر الأكبـر لا يزال طفـلاً صغيرا أنّبـه معلمه لاهداره اللبـان. وتقول الرواية ان معلـم الاسكندر قال له إن عليـه الاقتصاد في هذا السلـوك المترف إلى أن يصبح هـو نفسه سيد بلاد اللبـان. وبعد مضي عقـد من الزمن وفي أعقاب نجاح الاسكنـدر الأكبر في غزو «غزة» وبداية حملاتـه الجنوبية تذكر عتاب معلمـه وأرسل إليه شحنة كبيـرة تتألـف من ٥٠٠ طـالن مـن اللبان و١٠٠ طالن مـن المر. وقد كانـت هناك اعتقادات عديـدة غريبة حول اللبان بمـا في ذلك تصنيفه إلى لبـان «ذكر» ولبان «انثى» (نتـاية) مـع القول بـأن اللبان الـذكر كـان أعلى منزلة. إن السهولة التي يمكـن بها عجن الصمغ وتشكيله قد شجعت التجار على تشكيلـه في أشكال تجذب اهتمام المشترين. وقد ذكر «بليني» أن فتات اللبان المتخلف من القطع الكبيرة بعد تشكيلها كان يسمى «مانع».

تتوفر أشجار اللبان بكثرة في بعض مناطق ظفار.



سائل (نز راتينج) اللبان من شق في لحاء شجرة اللبان.

ويجمع أهل ظفار اللبان اليوم بنفس الطريقة التي كانت متبعة منذ ٢٠٠٠ سنة. وقد ذكر المؤلف «ثيوفراستوس» أن الأشجار التي شاهدها الزوار اليونانيون كانت تحمل علامات الفؤوس التي كان يسيل منها اللبان قبل أن يتم جمعه بمكاشط من الحديد أو تركه يتساقط فوق حصيرة من أوراق أشجار النخيل التي يتم فرشها فوق الأرض. وقد أدهشه معرفة أن هذه السلعة الثمينة لم يكن يتم حراستها ليلاً ونهاراً بل كان يتم تركها في أكوام فوق الأرض. وطبقا لتعليقات «بليني» فإن بعض المراقبين قد ذكروا أن حقوق جمع اللبان كانت مقصورة على ٣٠٠ أسرة فقط. بينما ذكر البعض الآخر أن ملكية أشجار اللبان كانت ملكية مشتركة وأن حقوق جمع اللبان كان يوزعها الحاكم المحلي على أساس سنوي. وانحصرت احدى العادات المرتبطة بقطع أو جمع اللبان في أنه إذا لمس أحد القائمين بقطع اللبان في الآونة الأخيرة امرأة حضرت جنازة مؤخرا فيتم منعه مؤقتاً من جمع اللبان.

وقد ارتبطت العديد من الأساطير باللبان، فكان قدماء المصريين يعتقدون بأن «بلاد بونت»وهو مصطلح غير محدد يشير إلى منطقة جنوب الجزيرة العربية يوجد فيها طائر ذو رائحة حلوة ومثيرة يحمل اللبان بين مخالبه. كما أن طائر الفونيكس كان أحد الطيور الاسطورية الأخرى التي كانت تبني عش موتها من غصون اللبان ومنتجات ثمينة أخرى. وكان يعتقد بأن طائرالفونيكس يعيش في عمان وبعض مناطق جنوب الجزيرة العربية الأخرى حيث كان يلتهم «دموع» وزهور أشجار اللبان وندى الجنة. ويقال أنه كان يقوم برحلة طيران طويلة إلى هليوبولس مرة كل ٥٠٠ سنة ليدفن أباه المتوفى في كفن مشبع بالمر. ويقال أن هذه المعتقدات الغريبة حول اللبان في مصر كانت نتيجة لأن التجار العمانيين الذين كانوا يغزلون الخيوط لعملائهم المصريين، كانوا يبذلون أقصى ما في وسعهم لأبقاء سر الأصل الطبيعي للبان طي الكتمان. وليس هناك شك كبير في أن أهل ظفار أنفسهم كانت لديهم أساطيرهم الخاصة ومعتقداتهم حول اللبان. ومن المدهش أن الكلمة العبرية التي ترمز إلى طائر الفونيكس وهي كلمة «حول» تشبه اسم الآله «حول» القديم في جنوب الجزيرة العربية. إن هذا الترابط قد يفسر لماذا كان قدماء المصريين يعتقدون بأن اللبان هو هدية الآلهة.

وتسجل احدى الأساطير الرومانية كيف أن أحد الآباء قرر أن يقتل إبنته حرقاً، حنقاً منه على علاقتها الغرامية بآله الشمس، لكن حبيبها إله الشمس أنقذها بأن حولها



إلـى غصن لبـان ينمو علـى إحدى الأشجار.

ومع ذلك فقـد كان اللبان أكثـر مــن مجرد مـوضـوع للـروايات والأسـاطير، فقـد كانـت له استخدامـات عملية عـديدة وكـان يتم استخـدام جميع أجـزاء أشجار اللبـان بما فـي ذلـك الصمغ واللحاء والخشب والأوراق والزهور. وكـان يتـم طحـن اللبـان ليصبح مسحوقاً دقيقاً يقدم فـي هيئـة بـودرة التلـك العطرية أو كمـادة مضافـة تعطـي رائحة النبيـذ الحلـوة. ويبـدو أن تنـاوله بجـرعات مفرطـة يدفـع متعاطيـه إلى الجنـون وأحيانـا إلـى الهلاك. وقـد ألهمـت الاهتياجـات الشرسـة التي تظهر على متعـاطي النبيذ المعد مـن اللبان البعض للقيام باعطاء اللبـان والنبيـذ إلى فيلة القتـال قبل اصطحابهـا إلى ساحة المعركة. كما تم استخـدام اللبـان كمخـدر لتهدئة المذنبين قبل تنفيذ حكم الاعدام فيهم. كما كان اللبان أحد العناصر المستخدمة باستمرار في الطب الشعبـي لعلاج مجمـوعة كبيـرة من الأمـراض، كما كـان الامبراطور الـروماني «نيرون» يستخدمه فـي اخفاء آثار ليالي السهر الطويلة المتعددة!.

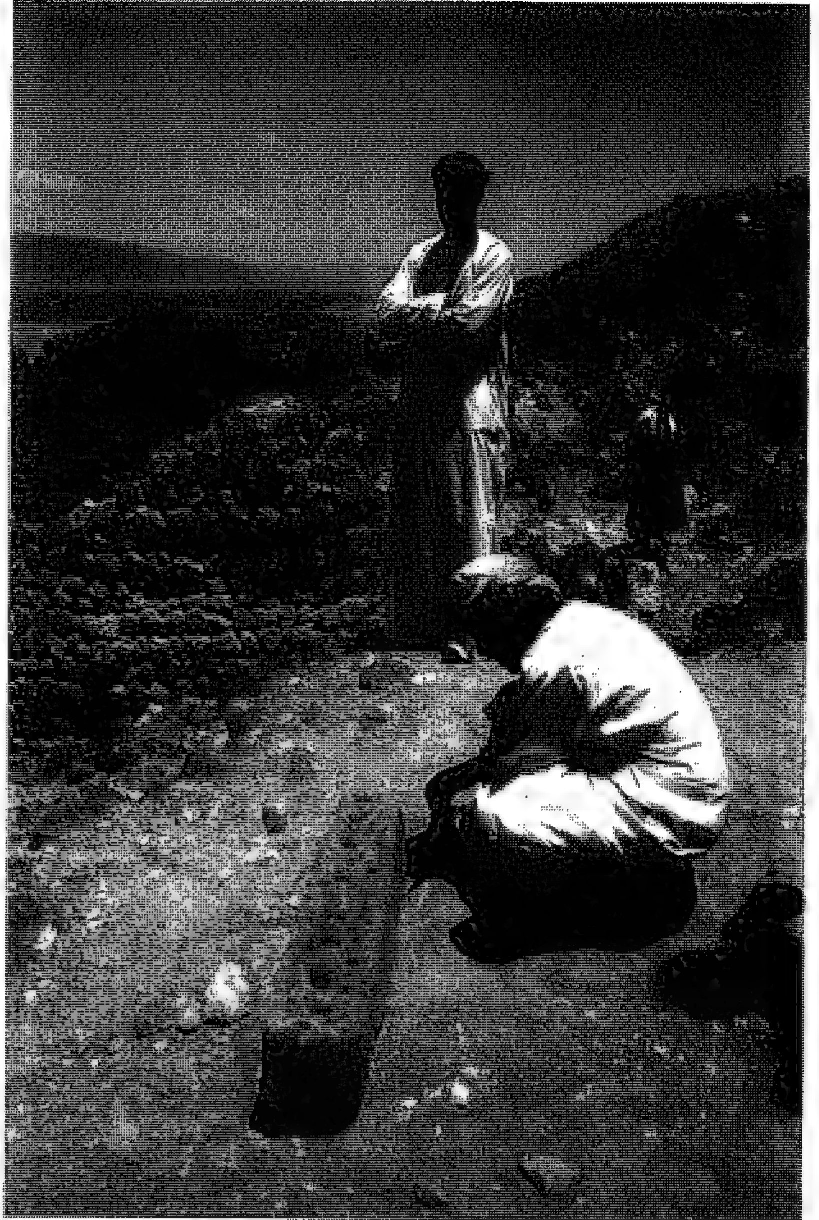
سمهرم ـ موشكا

لم يكن الاهتمام اليـوناني بتجارة اللبان أمراً مـدهشا، فقد كانـوا يقدرونـه بنفس مرتبـة تقديـرهم للذهـب تقريبـا (انظر المـربع). وقد تركـزت تجارة اللبان العمانيـة حول مينـاء سمهرم (والـذي كـان يعرف أيضـاً بـاسم سمهـر وسمارم وسمهـورم) الذي يمكن مشـاهدة آثـاره اليـوم عنـد خور روري علـى مسافة قصيـرة شمـال صلالـة. وكانـت المـدينة تحتـل موقعـاً رائعاً فـوق شبه جزيـرة عاليـة ناتئة عن البحـر وتبرز في داخل الميناء الطبيعي، لذلك فليس مـن الصعوبة تصور لماذا أقيمت المـدينة في هذا الموقع أو لمـاذا تدهورت في النهاية. ومـن خلال آثار المباني الحجرية يظهر مشهـد واضح للميناء والـذي مـن المؤكد أن السفـن كانت ترسو فيـه يوماً ما، وكـذلك صف من حواجـز الأمواج قائـم عـند مدخـل الخليـج ويوحـي بـأن الحاجـز الـرملي قـد تسبب فـي غلـق المينـاء فـي النهايـة. وفي القـرن الـرابـع ب. م. دمرت قـوات الفتـح الفـارسية مـدينة سمهـرم ونهبت المنـازل التي هجرهـا أهلهـا. ونعلـم من خـلال عدة نقـوش محفوظـة بوضـوح علـى قطــع حجرية كبيرة مقطـوعة موجودة عنـد مدخـل المدينـة وفـي شـوارعها الضيقـة أن المـدينـة أقـامهـا «ليازياليت الأول» ملك بلاد اللبان في القرن الأول ق. م.

وقد قـام فريق علماء الآثـار الأمريكيين تحـت اشراف «ويندل فليبس» بالتنقيب عن جزء مـن آثار المدينة الرائعة خـلال الفترة من عام ١٩٥٢ إلـى عام ١٩٦٢. وقد كشـف هذا التنقيب عن وجـود جـدران ضخمـة يزيـد ارتفاعـهـا عن ٤ أقـدام وعن وجـود آثار معبـد في منـاطق عديـدة. وتتضمن المكتشفات التي تم العثـور عليها تمثـالاً صغيراً من الهند مصنـوع من البرونز وتحفاً من الفخـار من روما

خور روري كما يظهر من موقع آثار سمهرم التي كانت يوماً ما ميناءاً هاماً يتم منه تصدير اللبان.





إس. كاي

التنقيب عن آثار سمهرم.

كانت موقع تحميل محصن لنقل لبان عمان بحلول أواخر القرن الأول ق. م. علـى الأقل. وكان اليـونانيون يعـرفون هذه المـدينة بـاسم مـوشكا. ومـن المؤكـد أنه كـان لدى الرومان في عام ٢٤ ق. م. طمـوحات للسيطرة على تجارة اللبـان. وقـد حـاولت قـوات الجيـش بقيـادة الجنـرال «أليوس جالـوس» الوصول إلى جنوب الجـزيرة العربيـة براً عن طـريق الساحل الشرقي للبحـر الأحمـر. وبرغـم من قـوتهم العسكريـة فقد هـزمهم المرض. كـان اللبان الظفـاري يتراكـم فـي سمهرم ويتـم شحنـه مـن ميناء المدينة إلى «عيدمون» العربية (بالقرب من عدن) قبل أن يتـم نقلـه في النهاية عبـر البحر الأحمـر إلى مصـر وما بعدهـا. وطبقا «لبليني» فإن تجـارة اللبان هذه قـد جعلت أهل جنوب الجـزيرة العربية مـن أغنى النـاس في العـالم أجمع.

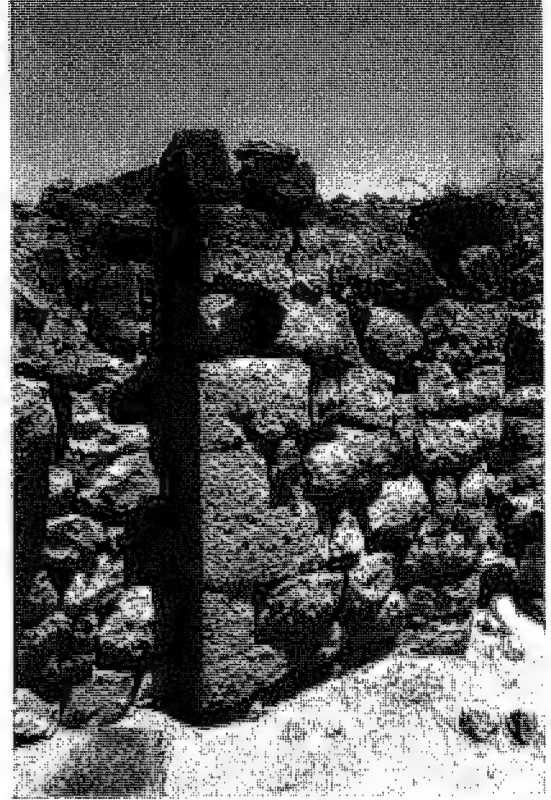
بعد سيجـروس مباشـرة يغور خليـج عمان عميقـاً في السـاحـل، وخلف هذا السـاحل تقـع جبـال .. عاليـة .. ذات منحـدر صخري .. وخلـف ذلـك يوجد ميـناء تمت اقامته لاستقبال لبان مدينة «سوسوليتك». والمرفأ هو ميناء يسمى مـوشكا وتتوقف به السفن القـادمة من كانـا بانتظـام والسفـن العـائدة إلـى داماباجـازا (جنوب الهند) إذا كان الموسم هنـاك هـو نهايـة فصل الشتاء .. ويقـوم التجار مـع موظفـي الملك بمقايضـة الملابـس والقمح وزيت السمسـم بـاللبان الموجـود في أكـوام منتشـرة في أنحاء مدينـة «سوسوليتـك» .. في أماكـن مفتـوحة لا يحـرسها أحـد وكأن المكـان تحت حمـايـة الآلهـة .. ولا يمكن تحميـل اللبـان علـى متـن السفيـنـة لا في السر ولا فـي العلن دون إذن من الملك .. وإذا تـم تحميل ذرة واحـدة منـه بـدون هذا الإذن فـإن السفينــة لا تغـادر الميناء (ترجمة من كتـاب بريبلوس الدليـل الملاحي للبحر الأرتيري).

وهناك ترجمة بديلة للترجمة المذكورة آنفا، تقول:
هناك مكلّاً (مكان قرب الشاطىء تستطيع السفن الرسو فيه) مخصصـة لتحميل بخـور موشكـا التي يتـم إليها ارسال السفـن بانتظـام مـن كل مكان.. وتــأتي السفـن من دايمـرك (جنوب الهند) ومن بـريجاز (عند مـدخل خليج الانـدس) لتجوب المنطقة وتمضي فصـل الشتاء هناك نتيجـة لتأخر الموسم، وتحصل مـن المـوظفين الملكيين مقابل الكتـان والحبـوب والزيت على شحنـة

وصـوراً بـارزة لهيئـة رجال وثيـران وقـارورة (أمفـورة) يـونانيـة. ومـن الـواضح أن هـذا المـوقـع كان مـوطنـاً لمستوطنة كبيـرة قبل أن يأمر الملـك «ليازياليت» بنّـائيه باقامة مدينة هناك بزمن طويل.

إن عسـدام تـال أم، ابـن كـالمـوم، خـادم إليـاد وملـك حضرموت وسكان مدينة صبـوا قد تحمل طبقـا للخطة المسـؤولية عـن مدينـة سمهرم وعـن تسويـة الأرض وتدفق الماء إليها من مـرحلة الأرض العذراء إلى أن يتم تنظيمها وانشـاؤها واقامتهـا بناء علـى مبـادرة وأوامر سيده «عبيت سلحيم» ابن «دالمـا علي» قائد الجيش في حضرموت فـي بلد سكلان. (أحد النصـوص المنقوشة على آثار سمهرم عند خور روري).

كما نعلـم من خـلال بعـض النقوش أن هـذه المدينـة



من هـذا البخور الموجود في أكوام لا يحرسها أحـد في أنحاء خليج «ساكالايتـس» لأن هنـاك قـوة إلٰهية تحرس المكـان .. ومـن المستحيـل سـواء فـي السـر أو العلـن تحميل السفينـة بدون إذن ملكـي. وإذا أخذ أي شخـص حفنـة ولـو صغيـرة منه لا يمكـن للسفينـة أن تبحـر. (ترجمـة من كتـاب بريبلـوس الدليـل المـلاحي للبحـر الارتيري).

موانىء هامة

كان العلماء يفتـرضون حتى وقت قـريب أن «سيجروس» الواردة في النـص القديم (المكتوب مـا بين عام ٤٠ ب. م. وعام ٧٠ ب. م. تقريبا) يقابل رأس فـرتاك. ومـع ذلك، فقد تم القـول بأن رأس سجير هي التـي تقع في أقصـى غرب خليج صلالة.

وربما كـانت القلعـة التي يطـوقها المنحـدر الصخري الشاهـق والتي كان يتـم تخزيـن اللبان فيها هـي القلعة الساحلية ذات غـرف التخزين والسياج الجـداري المتهدم جـزئيا والمـوجودة عنـد ريسوت. ويتمتـع هـذا الموقـع بمشهـد رائـع للميناء المحصـن المعـروف الآن بـاسم ميناء ريسوت.

وبالاضافة إلى موشكـا وسمهرم الموجودة عنـد خور روري وريسوت كان هناك بعض الموانىء الهامة الأخرى على ساحل عمان. وأحد هذه المـوانىء كان يـوما من أكبر الموانىء فـي العالم النامـي. وكان هذا الميـناء الـذي يقع في صحـار يعرف فـي ذلك الحيـن باسـم عمانـة وكـان يشتهر بوجود بنـاة الزوارق الذين برعوا فـي بناء القوارب التي تـم خياطتهـا وبالتمـر الذي يتـم جمعه مـن أشجار النخيـل التي تنمو في المناطق الداخلية من الميناء. كمـا كـان هنـاك أيضاً ميناء في شبـه جزيرة مسنـدم يعـرف بـإسـم عسيلة. وقـد ذكـر المـؤلـف الرومانـي بلينـي (٢٣-٧٩ ب. م.) أيضاً «باتراسيـف» (ربما رأس الخيمة) و«دابيميجوريس ريجيو» (ربما دبي) كمدينتين في شـبه الجزيرة العمانية.

ولقد لقي وصف بليني اهتمامـا كبيراً لأنه وصف بيـن أشياء أخـرى كيف كـان يتم بنـاء القوارب عـن طـريـق خياطـة مجموعة من الألـواح الخشبية معاً (وهـو اسلـوب دام حتـى العصور الأخيـرة وانتشـر إلـى حد كبيـر فـي المحيط الهـاديء الهندي، مـن جنوب الجـزيرة العربيـة حتى جزر المحيـط الهاديء) وعلق أيضاً علـى كيف كان البحارة يستغلـون الريـاح الموسمية الشمـالية الشـرقية للابحـار إلى الهند. وكـانت الرحلـة التي تتم علـى امتداد السـواحل العربيـة تتسـم بـالخطورة وتستلـزم وجـود مجموعـة من رمـاة السهام على متـن سفن البضـائع لرد «القراصنة» الذين انتشـروا كالطاعون في المياه الساحلية.

المدخل إلى سمهرم.



سمهرم وخور روري.

وربما كان لهذه الهجمات ما يبررها من وجهة نظر الناس المحليين نتيجة لحقيقة أن القوات الأجنبية هي التي سيطرت على التجارة المربحة التي كانت ولفترة طويلة مصدر ثروتهم الرئيسية. وفي هذه الحالة فإن ما يعتبره البعض قرصنة يعتبره البعض الأخر احتجاجا مشروعا. وعلى أية حال، إذا ما قارنا الأوضاع في مستهل الألف سنة بالأوضاع في نهايتها نجد من الواضح أن تجارة اللبان والمر وغيرهما من المنتجات المحلية قد جلبت ثروة عظمية إلى عمان وسمحت لها بأن تنمو في مواكبة شركائها في عالم البحر المتوسط الكلاسيكي وفي امبراطورية السيليسيين الايرانية.

ويعلق «وليام فيسي» في كتابه «عمان: أمة بحرية» على الأحداث التي وقعت في نهاية الألف سنة بقوله:

في حوالي عام ١٠٠ ق. م. حدث تطوران هامان اجتمعا معاً ليجعلا جنوب الجزيرة العربية مركزاً تجاريا أقل أهمية. الأول هو أن ملك مصر الهليني (بتولمي السابع) بدأ يشجع تجارة على الابحار بين مصر والهند مباشرة، والثاني أنه أثناء هذه الارساليات أو بعدها مباشرة اكتشف رجل أسمه «هيبالوس» طريقا جديدا لم يتم استعماله من قبل قط للابحار إلى الهند. فقد أدرك كيف يبحر مباشرة عبر المحيط الهندي مستغلا الرياح الموسمية الجنوبية الغربية.

وأدى هذان التطوران إلى سحب حركة التجارة من الهند إلى مصر بعيدا عن موانئ عمان مما تسبب في حدوث تدهور محلي وربما أدى إلى أعمال «القرصنة» التي علق عليها بليني. وبحلول عام ٥٠ ب. م. أصبحت طرق الابحار المباشر مع الهند راسخة لدرجة أن أسعار المنتجات العطرية في مدن الامبراطورية الرومانية تدهورت تدهوراً كبيرا وبلغت جزءا ضئيلا من قيمتها في السابق نتيجة لفرط المعروض منها.

السماء في المساء في سمهرم.



...ي فيرجسال، بإذن من وزارة الاعلام



مقبرة من نوع مقابر سمد في سمد الشان. كان يتم وضع جثة الذكر على جانبه الأيمن ورأسه في اتجاه الجنوب الشرقي، مع وضع جرار التخزين الكبيرة عند قدميه.

بول يول، بعثة الآثار الألمانية إلى سلطنة عمان

عصر سمد
من عام ٣٠٠ ق. م. إلى عام ٩٠٠ م

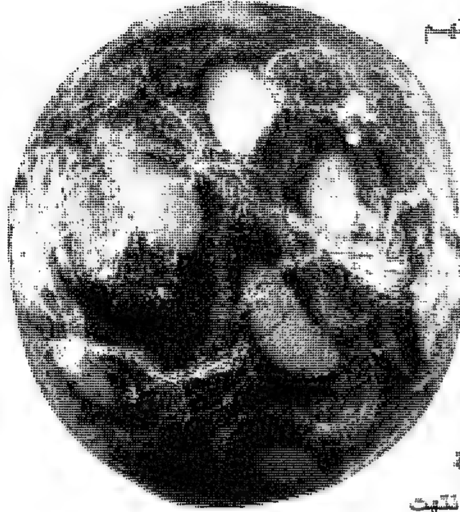
أواخر عصر الحديد

أوضحت دراسات الآثار في عمان أن عصر سمد كان يقع بين عصر الحديد وأوائل عصر الاسلام، وامتد من عام ٣٠٠ ق. م. إلى حوالي عام ٩٠٠ م. وتتوفر لدينا أدلة كثيرة في شكل تحف أثرية عديدة تم جمعها من القبور التي ترجع إلى هذا العصر وذلك بالاضافة إلى الآثار الانشائية والنقوش الهامة. وكان يتم دفن الرجال مع أسلحتهم ومجموعة من السلع الأخرى. وتميل قبور الرجال في هذه الفترة إلى أن تكون غنية بالسلع بدرجة أكبر من قبور الأناث، ولذلك فمن الواضح أن المرأة كانت تحتل مكانة اجتماعية أقل من مكانة الرجل. ومع ذلك كانت المرأة ترتدي المجوهرات مثل العقود المصنوعة من الخرز والأساور المصنوعة من الفضة. ويتضح أيضاً من هذه الاستكشافات أن الوفاة كانت مناسبة للتبهرج في الحداد ولأقامة قبور ضخمة تعكس مكانة المتوفى الاجتماعية.وعلى العكس من ذلك كانت شعائر الدفن الاسلامية مختلفة تماما حيث أن القرآن الكريم يحث المسلمين على تفادي الافراط في الحداد العام وفي اقامة المقابر المبهرجة.

هجرة الأزد

كانت عمان ولآلاف السنين توفر مكانا جذابا للاقامة، فقد أدى النجاح في استئناس الجمال إلى فتح المناطق الداخلية للجزيرة العربية وزيادة سبل الاتصال بين القبائل بصورة كبيرة. كما أدى أيضاً إلى ازدهار اللغة والثقافة الموحدة التي نعرفها اليوم باسم اللغة والثقافة العربية. وكان العرب يعيشون في عمان بالفعل قبل زحف أفراد قبيلة الأزد بقيادة مالك بن فهم في خلال القرن الثاني الميلادي (أو قبل ذلك بكثير طبقاً لبعض المصادر الأخرى وفي أثناء حكم داريوس الثالث (٣٣٦-٣٣١ ق. م.).

وبينما استوطن بعض أفراد الأزد في مدينة الشحر على ساحل حضرموت، فقد جعل مالك وأتباعه الأوفياء من قلهات قاعدة لهم في عمان. وبدأ مالك، ادراكا منه لتواجد قوات الفرس في صحار شمالا، محاولة التفاوض معهم لعقد اتفاقية سلام. ويقول التاريخ العماني عن هذه الفترة المسجلة في كتاب «كشف الغمة» أن ما بدأ في البداية كشعور ودي ودبلوماسي قد اختفى سريعاً نتيجة لانعدام الثقة المتبادلة الذي نجم عنه اندلاع المعارك الحربية. فقد انطلق الفرس من حاميتهم في صحار بقوة قتال كبيرة يتراوح تعدادها بين حوالي ٣٠٠٠٠ و٤٠٠٠٠ رجل بمعداتهم وبفيلة القتال. وتقابل هذا الجيش مع جيش مالك في سهل سلوت بالقرب من نزوى حيث ألحق بهم جيش مالك الهزيمة بالرغم من قوتهم. كما انتهت محاولة أخرى تدعمها التعزيزات المرسلة من صحار بهزيمة الفرس. وهكذا طرد الأزد المنتصرون، المستعمرين الفرس من صحار ومن قواعدهم الأخرى على امتداد سواحل عمان وفتحوا الطريق أمام أفراد قبيلة الأزد الآخرين لدخول عمان. وبحلول حملة الغزو الفارسية التالية لعمان والتي قام بها الساسانيون كان الأزد هم القوة المسيطرة في البلاد.

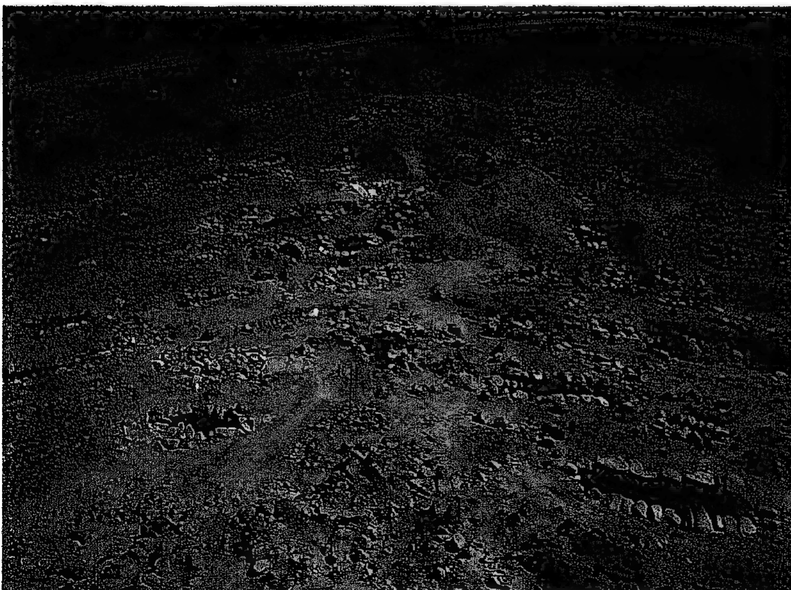


جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

احتوت العديد من مقابر سمد الشان على خرز زجاجي جميل مثل ذلك الخرز المتفتت والذي ربما تم استيراده من جنوب الهند.

السيطرة على الطرق البحرية

نشط الرومان على وجه الخصوص في البحر الأحمر والمحيط الهندي وكانوا يرسلون تجارهم إلى أماكن



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

استغرق حفر المقبرة «سمد ٢١» ثلاثة مواسم وتضمنت أكثر من ١٠٠ قبر ترجع إلى الفترة من عصر وادي سوق إلى عصر سمد.

بعيـدة بعد سيلان والكنج وشبه جزيرة المـلايو وحتى إلـى حـدود الصين. وفـي نفـس الـوقت كـان البحـارة العمانيـون يميلو ن إلـى الحفاظ على طـرقهم التقليد ية وكانـوا يبحرون إلى ميناء بـاريجاز وغيره من المـوانيء الهنديـة. كما زاولـوا التجـارة مع أفـريقيـا حيث كانـوا يجمعـون القـرفة التـي كـان ينقلهـا بـالمراكـب التجـار القادمـون من أمـاكن بعيدة مثـل جنوب الصيـن وجاوه ويحملونها إلى الميناء القديم فـي عدن بالقرب من مدخل البحر الأحمر.

ومـع ازدهار حـركـة التجارة المبـاشـرة بين مصـر والهند منـافسة بـذلك جنـوب الجزيـرة العربيـة، واصل بحارة السـاحل منـاوشاتهـم مع السفـن الأجنبية التـي تبحـر بالقـرب من شـواطئهـم. وأرسل تـرخان، مفعمـاً بخيبـة الأمل نتيجة للخسـائر التـي تتعرض لهـا السفـن التجاريـة، حملة في عام ١١٦ م للاستيـلاء والسيطـرة على طـرق الملاحة البحريـة، غير أن جنوده لـم يصلـوا إلى عمـان على الاطلاق. وبعـد مضي مئتي سنـة، وكان بحارة جنوب الجـزيرة ما زالـوا يعتزمــون أخـذ حصة لهــم فـي التجـارة المـربحـة، قــام شـابـور الثـانـي (٣١٠-٣٣٠م) بغـارة ناجحـة علـى سـاحل الجـزيـرة العربية. ويذكـر كتاب «بريبلوس الدليل المـلاحي للبحر الارتيري» الـذي كتب فـي الفترة بيـن عامـي ٤٠ و٧٠م على أكثـر الاحتمالات، وصفاً أكثـر دقة لجنوب الجـزيرة العربية يقول فيه:

خلف ميناء مـوشكا ولمسافة ١٥٠٠ فـرسخ وحتى أزك تمتد سلسلـة جبال علـى طـول السـاحل فـي نهايتهـا صـف يتـألف من سبعة جـزر تسمى زنوبيـا، وبعـدها يوجـد إقليم بربري لـم يعد جزءاً مـن نفـس المملكـة لكنـه يتبع الآن بـلاد فارس. وأثنـــاء الابحـار عــلى امتداد السـاحل فـي أعماق البحـر على مسـافة ٢٠٠٠ فرســخ من جـــزر زنجبــار تلتقـي بجـزيـرة تدعـى ســرابيـا تقع علـى مسـافـة ١٢٠ فـرسخـاً مــن البـر الرئيســي، ويبلـغ عرضهـــا ٢٠٠ فـرسخـاً تقريبـا وطولهـا ٦٠٠ فرسخـاً ويقطنها مستوطنون مـن «أكلة السمك». يستعملون اللغة العربية ويـرتدون أحزمة من أوراق أشجار النخيـل. وتقوم الجزيـرة بانتـاج كميات كبيـرة مـن عظم ظهـر السلاحـف ذي الجودة الفـائقة ويتم ارسـال القوارب الصغيرة وسفن البضـائع إليهـا بانتظام من كانا.

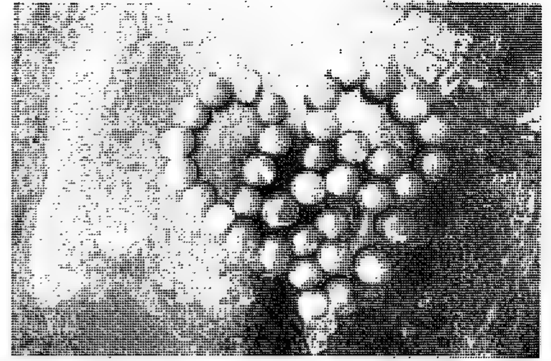
وأثناء الابحار على امتداد السـاحل نحو الشمال في اتجاه بحر فارس توجد عـدة جزر تعرف باسم Calaei على مسـافـة ٢٠٠٠ فـرسخاً تقريبـا وتمتد علــى طول السـاحـل وتقطنها جماعـة غـادرة تفتقد إلــى التحضر. وعنـد الطـرف الجنوبـي لجـزر Calaei هـذه توجـد سلسلة جبليـة تسمى Calon وبعدها ولكـن ليس بعيداً عن مدخل خليج فارس تتم أعمال الغوص بنشـاط كبير لصيد محار اللـؤلؤ. وعلى مسار المضيق تـوجد جبال عظيمة تسمى عصبـون يقف على يمينها شـامخاً جبل آخر شاهـق ودائري يسمى سميراميس، وبينهمـا ممر عبر المضيـق عرضه ٦٠٠ فرسخـاً. وبعد ذلك يـوجد خليج فـارس، هذا البحر العظيـم الشاسع الـذي يصل لمسافات بعيدة في الداخل. وعند الطرف الجنوبي لهذا الخليج تـوجد المدينة التـي خصصها القانـون كسوق وتسمـى «أبـولـوجـوس» بـالقـرب مـن «شـاراكـس سباسيني» ونهر الفرات.

وأثناء الابحـار عبر مدخـل الخليج بعد رحلـة ستة أيام توجـد مدينة سوق فـارسية أخرى تسمى عمـانة. ويتـم بانتظـام ارسال سفـن كبيـرة من بـايجاز إلـى



تحفة فنية من صنع صائغ الفضة تتضمن قرطاً واحداً كانت ترتديه امرأة عجوز يرجع إلى عصر سمد (١٠٠ ق. م - ٦٢٩ م).

جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني



سلسلة تضم ٣٦ خرزة من العقيق الأحمر فـي حجم الكرز تم العثور عليها في قبر امرأة عجوز. ربما كان ذلك هو أحد النماذج المبكرة للمسبحة، لكن هذه المسبحات كانت تضم عادة ٣٩ خرزة وليس ٣٦.

مـدينتـي السوق هـاتيـن محملـة بالنحـاس وخشـب الصندل وخشب الساج وكتـل الخشب الأسود والعاج. كما يتم جلب اللبان من كانا إلـى عمانة ونقله من عمانة إلى قـوارب الجزيرة العـربية التـي كان يتم خيـاطتها حسب النمط السائد في هذا المكـان والتي تعرف باسم مدراطـة. ومن مـدينتي الســوق هـاتيـن يتم تصديــر العديد مـن أنواع اللؤلؤ الـذي يتسم بنوعية أقـل جودة من لـؤلؤ الهند، والصبغـة الارجوانيـة (وهـي صبغـة مستخرجــة من الــرخويـات) والملابـس المصنوعـة حسب الموضــة السائدة في هذا المكـان والنبيذ وكمية كبيرة من التمر والذهب بالاضـافة إلى أعداد كبيرة من الرقيق (العبيد).

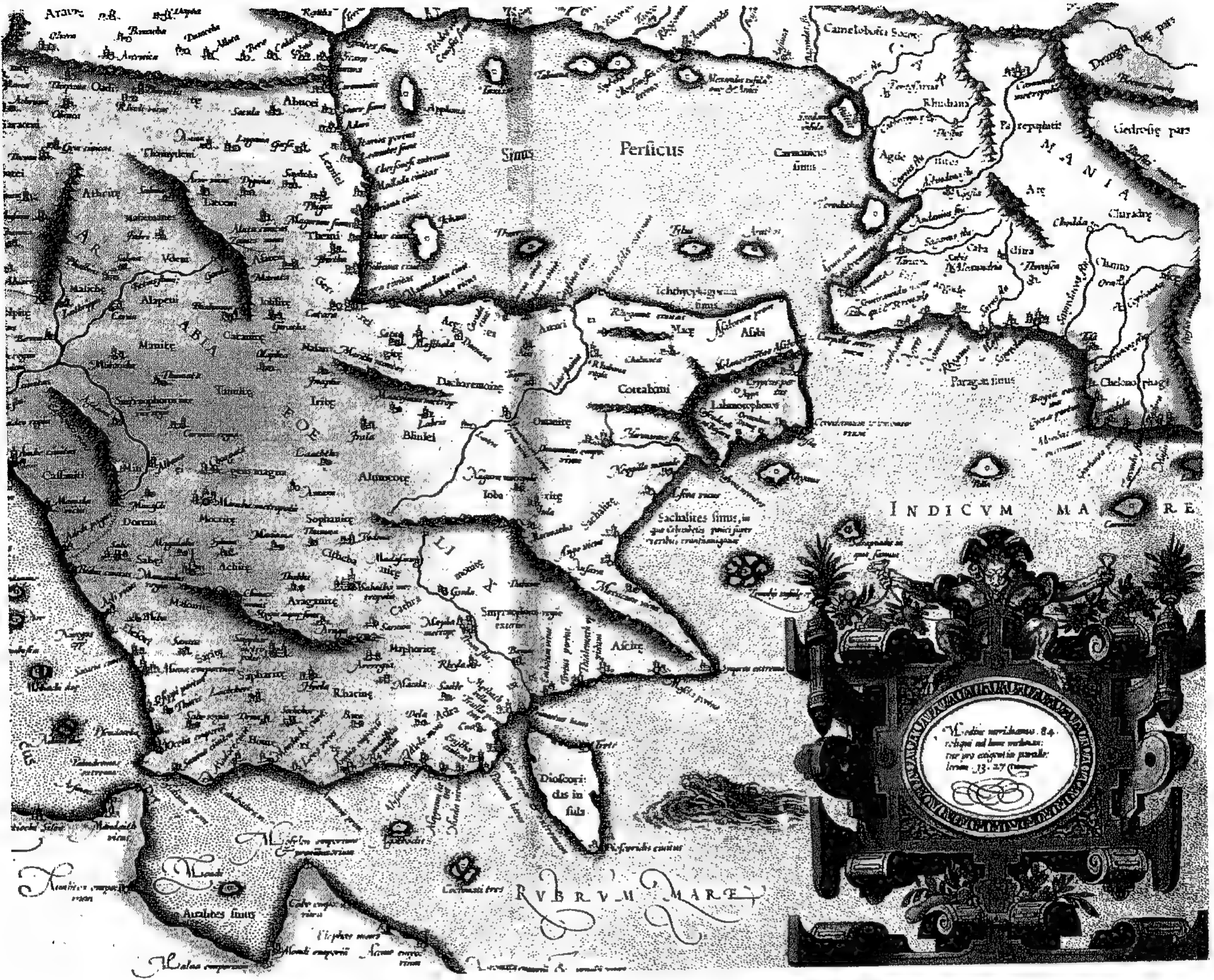
إن مـن السهل علينـا أن نستـوعـب هذه المعلـومـات المـدونة فـي كتاب الـدليـل الملاحـي للبحـر الارتيـري بدرجـة أكبر من استيعابنـا لتسجيل بليني. ويبـدأ النص المقتطف من كتـاب بريبلوس بالقول بـأن السفن تبحـر من ميناء موشكـا القديم المعـروف في الســابق بـاسم سمهرم والـواقع عنـد خور روري شمال مـدينة صـلالة الحـديثـة في ظفـار. وعقـب مغـادرة ميناء اللبـان هــذا مباشـرة، تلتف هذه السفن حـول رأس مربط وتتجـه إلى الشمال الشـرقي عبـر خليج الحـلانية حيـث تمر بجـزر الحلانيـات المسماة هنا جـزر زنجبار والتي كـان يشـار إليها فـي السابـق باسـم جزر كوريـا موريـا. ثم يـذكر بريبلـوس أن الموانــيء الساحلية المـوجودة شمــال هذه الجــزر كانـت تسيطـر عليهـا قوات الفـرس. ومصطلـح الفرس فـي السابق يعنـي ايران. وبعـد ذلك يذكـر النص جزيـرة سرابيس وهي ربمـا جزيرة مصيرة التـي لا تزال تـأتـي إليهـا كل عـام حتـى الآن ٣٠٠٠٠ سلحفـاة مـن السلاحـف ذات الرأس الكبيـر لتضع بيضهـا وذلك إلـى جانب عدد أقل من الســلاحف الخضراء وسـلاحف البحر. ومن المـؤكد أن أجـود دروع (ظهـور) الســلاحف الـذي يشير إليه كتاب بريبلوس تـأتـي من سلاحف البحر. وفي جهة الشمال من هنا، يذكر النص، أن أحد المعالم الهامـة التالية على الطـريق هي مجموعة الجزر العـديدة الممتدة على طـول السـاحل. ومن المؤكـد أن هذه الجـــزر التـي

أدناه جهة اليسار: طبق تم تجديده من النحاس من المجموعة التي عثر عليها في ابرا/سليم. وكانت هذه هي أكبر مجموعة معروفة من الشرق الأدنى القديم بأكمله وتتألف من ٦٠٠ قطعة تقريباً.

أدناه: طبق لصورة أسد يبحث عن طريدته، تم العثور عليه في أحدى المقابر في سمائل. لقد تم التوصل إلى أنه يرجع إلى عام ٢٠٠-٤٠٠م وذلك اعتماداً على طرازه وتركيبته.







مكتبة شيستر بيتي، دبلن

كانت تعرف في ذلك الحين باسم كاليه هي الجزر المعروفة اليوم باسم مجموعة جزر الديمانيات بالاضافة إلى جزيرة «جون» ومجموعة جزر السوادي، وعند الاتجاه شمالاً، يأخذنا النص إلى عصبون ومن المؤكد أنها تقع في شبه جزيرة مسندم حيث تقع المدينة الرئيسية خصب.

والمصدر الكلاسيكي التالي الذي يمكننا الاعتداد به للحصول على معلومات عن عمان هو المؤلف «بطليموس كلوديوس» الذي كتب كتاب «الجغرافيا» في الفترة ما بين عامي ١٤٧ و١٨٠م. وقد تم جمع الخريطة التي تحمل إسمه بعد ذلك بفترة طويلة اعتماداً على ملاحظاته، ولذلك فإن هناك مجالاً أكبر لاختلاف التفسيرات فيما يتعلق بمواقع المدن المختلفة أوالمعالم الهامة الأخرى. وعند الانتقال هذه المرة في اتجاه الشمال بعد الالتفاف حول عصبون (رأس مسندم) يذكر بطليموس ميناء «كريبتوس ليمين» الذي يمكن ربطه اليوم بمدينة مسقط، ثم تأتي بعد ذلك «كورودامون والتي يقال بأنها هي رأس الحد. وبعد ذلك وبالقرب من خور جرماح وعند الانتقال جنوباً مع الساحل يذكر جزيرة «أوراجانا/سرابديس» والتي من الواضح أنها جزيرة مصيرة. إن ملاحظات بطليموس عن عمان يصعب تفسيرها إلى حد ما. وربما كانت رفانا أو رابانا أو روانا باسيليون هي نزوى أو الرستاق وباستثناء ذلك فالبقية غير واضحة.

كما تمت الاشارة إلى عمان خلال عصر أسرة «كاراسانيني» فقد كتب «إيزودروس الشراكسي» الذي من المؤكد أنه عاصر أيام المسيح عليه السلام عن ملك اسمه «جيوسوس» الذي كان «ملك العمانيين في بلاد البخور». ويؤكد بليني هجرة أفراد قبيلة الأزد الذين استوطنوا معظم الجزيرة العربية في اتجاه الشمال تاركين جنوب الجزيرة العربية حيث كتب يقول «كانت البلد حتى شركس يقطنها العمانيون». وهناك مرجع مجهول لا يستعمل كثيرا ويرجع إلى أوائل القرن الثامن ب. م. وهو مرجع

خريطة بطليموس التي تبين الجزيرة العربية والتي تم طبعها في عام ١٥٨٤ والتي تشير إلى أسماء الأماكن المعروفة لليونانيين.

«جغرافيا الكون أو جغرافيا العالم» الذي يعتمد على المصادر الرومانية بما في ذلك أعمال «كاستوريوس» والذي ذكر «ساميماترايد كاستيرليم أماريوم» والتي تم تفسيرها على أنها تعني حصن عمان أو تحصينات العمانيين والتي يقال أنها تشير إلى مينائي مطرح ومسقط.

الساسانيون

اعتمدت الامبراطورية الساسانية، التي كانت تنافس الامبراطورية البيزنطية وتأسست في المناطق التي تعرف اليوم باسم العراق وايران وانتشر نفوذها إلى أبعد من حدود هذين البلدين، على ثقافة أسرة حاكمة ترجع جذورها إلى جنوب فارس. وقد اعتنق الساسانيون الديانة الزرادشتية التي تقوم على نظرية الخير والشر. ويصف «ألبرت حوراني» في كتابه «تاريخ العرب» فلسفة ديانة زرادشت هكذا «كان العالم ساحة لمعركة بين الخير والشر تحت رعاية الآله العظيم، والخير هو الذي سينتصر لكن عفة النساء والرجال وطهارة مذهبهم ستعجّل من تحقيق الفوز».

وقد حارب «أردشير» أول الملوك الساسانيين والذي قام بحملة شرق الجزيرة العربية في حوالي عام ٢٢٥ م في عمان أيضاً. وجاء في أحد المراجع العربية التي ترجع إلى حوالي عام ١٠٠٠ ب. م. أن «أردشير» قد توجه مع جنوده وعساكره ... وحاربوا معركة دامية قتل فيها العديد من الطرفين. كما قتل أيضاً Sanatruk ملك البحرين وعمر بن الوكيد الحميري ملك عمان. ويدعي الجغرافي ياقوت بأن أردشير ابن بابك قد ثبت أقدام الأزد كبحارة في مدينة الشحر في عمان قبل ظهور الاسلام هناك بحوالي ٦٠٠ سنة». وقد ذكر «بوتس» في مجلديه الممتازين المعنونين «الخليج العربي في العصور القديمة» أن حملة أردشير ربما كانت اشارة «العودة إلى عمان» والتي صاحبت سقوط فارس في أيدي بني ساسان كما جاء في كتاب «كشف الغمة».

ومع ذلك يبدو أنه بنهاية القرن الثالث الميلادي كان نفوذ الفرس في عمان قد قضي عليه.

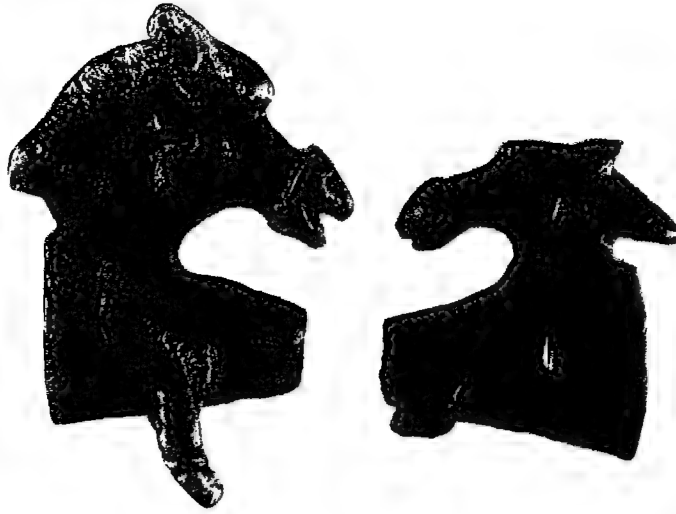
وفي عام ٥٣١م أصبح خسرو أنوشيروان ملكاً للامبراطورية الساسانية. وبعد توليه مقاليد الحكم بفترة قصيرة اعترف بالمنذر ملكاً على منطقة كبيرة من جنوب الجزيرة العربية بما في ذلك عمان. وأرسل في عام ٥٧٥م جيشاً إلى عمان قوامه ٨٠٠ رجل على متن ثمان سفن رست ست منها على ساحل حضرموت.

ويسجل كتاب «كشف الغمة» أن «ملوك الفرس قد اعتادوا على ارسال كل من يتعرض لغضبهم أو يخشون منه إلى جيشهم في عمان. واستمر هذا الحال إلى أن أرسل الله الاسلام». وذكرت أحدى المصادر الأخرى توقيع معاهدة بين خسرو أنوشيروان والأزد العمانيين. وقد اعترفت هذه المعاهدة بوجود منطقة تخضع للسيطرة الفارسية على امتداد ساحل الباطنة. وتم في الاسم العربي لقلعة الرستاق (قلعة كسرى) ويعني (قلعة خسرو). وقد تم وضع هيكل للسيطرة العسكرية يتضمن تعيين حكام محليين (مرازبة) يقع مقرهم في القلاع الموجودة في المستوطنات الكبيرة، وهيكل للقيادة العسكرية (أساورة)يسيطر على المناطق المختلفة، وأخيرا إدارة محلية في القرى باسم (حناقرة) ، تم وصفهم بأنهم «فئة رأسمالية مستعمرة للأراضي». وهكذا تمت اقامة نظام طبقي في ثلاثة مستويات يدعم قاعدة السلطة الساسانية. وكان الأزد يتزعمهم رئيس أخذ لقب الجلندى من بني معولة. وقد قام بالسيطرة على مناطق عمان التي لا تخضع بصورة مباشرة لسيطرة الساسانيين مثل دبي ومستوطنة واحة توام (في البريمي) وكان يجبي الضرائب من السكان ويكون مسؤولاً أمام المرزبان الساساني الموجود في الرستاق.

ويعلق كتاب «كشف الغمة» على العلاقة بين قوات الاحتلال الفارسية والدويلات العمانية ويقول: «ساد السلام بينهم وبين الجلندى في عمان واحتفظ الفرس بقوة قوامها ٤٠٠٠ مقاتل في عمان وبمندوب لدى ملوك الأزد. وأقام الفرس عند ساحل البحر، بينما حكم الأزد سهول وتلال المناطق الداخلية وضواحي عمان، وكان توجيه الشؤون في أيديهم تماماً». ومع ذلك نعلم من عدة مصادر أن سلطة الجلندى لم تستمر دون معارضة أو تحدي، فقبل وصول الاسلام مباشرة على سبيل المثال تم الايحاء بأن نفوذ «لقيط ابن مالك ذو التاج» كان يعادل نفوذ الجلندى وكان له اتباع كثيرون.

المسيحيون الأوائل في عمان

يبدو أن المسيحية قد وصلت إلى عمان خلال القرن الرابع م، ويقال أنه كانت هناك كنيسة نسطورية في صحار وذلك على الرغم من عدم تأكيد هذا ويشك بعض



جي فيسجربر، متحف الصناعات التعدينية الألماني

تم العثور على هذين الحصانين المنحوتين في المقابر الموجودة في سمائل وفي سمد الشان حيث كان يستوطن أفراد قبلية الأزد كما هو معتقد.

الكتاب في أمـر ذلك. وقد حضر أحد الأساقفة من عمان «يوحنــا» اجتماع المجمع الكنسي فـي عام ٤٢٣/ ٤٢٤م والذي تـم فيه اعـلان انفصال الكنيسـة النسطوريـة عن النصرانيـة البيزنطية. كمـا حضر أسقف مـزون اجتماع المجمع الكنسـي النسطـوري فـي عـام ٥٤٤م، وكـانت هذه هـي أول زيارة مسجلـة بعد الزيـارة المذكـورة آنفاً والتي تمـت في عام ٤٢٤م. كمـا تمت زيارة أخـرى قـام بهـا الاسقـف صمـويل الـذي حضـر اجتمـاع المجمـع الكنسي في مار عسقيل في شهر فبراير عام ٥٧٦م. كما أننا سمعنـا عن قيس بـن زهير الـذي عاد إلى عمـان في أعقاب احدى المعارك التـي نشبت فـي وسط الجـزيرة العربية ليصبح راهباً ، مما يوحـي بوجود أحد الأديرة في عمان في ذلك الحين.

السنوات الأخيرة قبل وصول الاسلام

تـم بـذل جهـود جبـارة أثنـاء حكـم الامبراطـورين البيزنطييـن جوستين (٥١٧–٥٥٢ ب. م.) وجـاستنيان (٥٢٥–٥٥٦م) لتجريد القوات الساسـانية من سيطرتها على مملكـة أكسوم الحبشية، غيـر أن الهزيمة السـاحقة التي تعـرض لها الجيـش الحبشي فـي اليمن قـد عززت سيطـرة الساســانيين علـى المنطقة السـاحلية لجنـوب الجزيرة العربية خلال النصف الثاني من القرن السـادس الميلادي. وتميل الآثار الفخارية التي تم العثور عليها في مسندم والتـي ترجـع إلى هـذا العصر إلـى الايحاء بـأن سيطرة السـاسانيين قد امتـدت على طول سـاحـل عمان في ذلك الوقت.

إن المعلومات المـدونة عن عمان خلال هـذه المرحلة الأخيرة مـن تاريخها السـابق علـى الاســلام محـدودة جداً، وعلينـا أن نعتمد جزئيـاً على الأدلة الموجــودة في الكتب التـي تـم تدوينها بعـد ذلك الحيـن والتـي تشيـر إلى هذه الفتـرة. وأحـد هـذه الكتب هـو كتاب «المحبار» لأبـن حبيب الـذي يصف الأوضـاع فـي بعض الأسـواق العمانيـة فـــي حوالـي عـام ٦٢٠ ب. م. أي فـي نهايـة عـصر الساسانيــة وقبل بـزوغ الاسـلام مباشــرة. وفيما يلي ترجمة لمقتطفات من هذا الكتاب:

وأحـد الأسواق الأخـرى هو سـوق صحار وســوق عمان والذي كان يقام عـادة فـي اليـوم الأول مـن شهر رجب ويستمـر لمدة خمس ليـالي. وقد اعتـاد الجلندى ابن المستكبر ان يجبي ضريبة صغيرة (ضريبة العشر) من التجـار هنـاك. وكـان هنـــاك سوق آخر هو ســوق دبي، ودبي هـي أحـد الميـنائين العـربيـين اللـذيـن يأتـي إليهما التجـار من السند والهنـد والصين ويـأتي إليـهما النـاس مـن الشـرق والـغرب. وكـــان هــذا السـوق يقـام فـي اليوم الأخير من شـهر رجب وكـان التجـار يتــاجـرون هــنـاك عـــن طـــريق المساومة.وكـان الجلندى ابن المستكبر يجبـي ضريبة صغيرة (ضريبـة العشر) في هذا السوق كمـا هو الحال في ســوق صحار. كمـا أنه اعتـاد على التصـرف مثل الملوك الآخـرين في الأماكـن الأخرى. كذلك كـان هناك سوق آخـر هو سوق الشهـر «شهر محرم» وكـان يقام عند قاعدة الجبل حيث يوجد قبر النبي هود. وكان لا يتم جباية أي ضرائب في هذا السوق لأن سوق شهر محرم كان لا يخضع لسلطة المملكة.

ويبدو مـن الواضـح الآن أن نفوذ السـاسانييـن قد خبـا كثيراً، وأن الجلندى يسيطر على مـوانيء الباطنة سيطرة تجارية تامة إن لم تكن عسكرية.

جي. نيسجرير. متحف الصناعات التعدينية الالماني

بعض الاواني التي تم العثور
عليها في المقابر والتي ترجع
إلى عصر سعد

تـراث عمـان

العصر الاسلامي



داخل قلعة الحزم.
يحمل المدفع العلامات
البرتغالية.

شركة تنمية نفط عمان



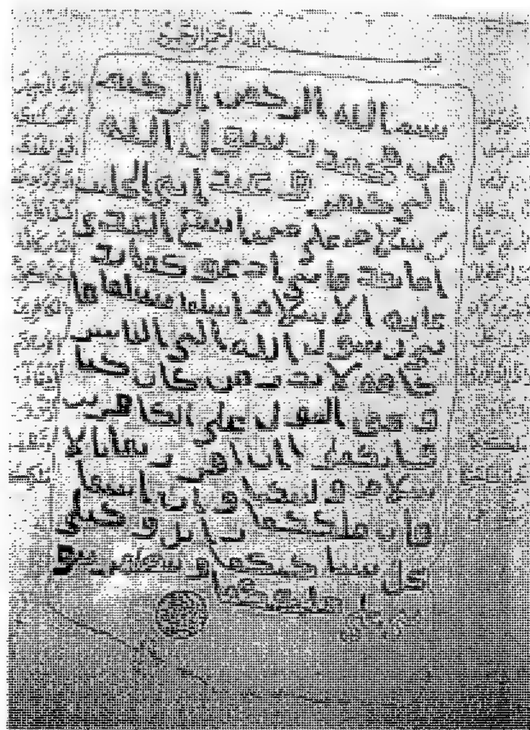
شركة تنمية نفط عمان

ازدهـار عمـان المسلمـة

دخول عمان في الاسلام

طبقاً للمخطوطات المعنونة «تـاريخ الرُسل والملوك» والتي كتبها الطبري في الفترة بيـن عامي ٨٣٨ و٩٢٣م، (أي بعد حوالي مائتين إلى ثلاثمـائة عام من دخول عمان في رحاب الاسلام) ذكر رجل يدعى وكيـدي أن اعتناق عمان للاسلام نتج عن قيـام رسول الله محمد ﷺ بارسال مبعـوث له، هو عمرو بـن العاص، إلـى عمان حيث التقـى بإبنـي الجلندي الذي توفى مؤخراً. ويقال أن ابنـي الحاكم المدعوين: جيفر وعبد قـدما ولاءهمـا لرسـول الله ﷺ ووافقا علـى تحصيل الزكـاة من أغنياء عمان بهـدف توزيع الثروة بصـورة أكثر عدالة تمكّن من رعاية الفقراء.

وهناك روايـة مختلفة قليلاً عـن تلك الواقعـة وردت في كتاب «الطبقـات الكبرى» الذي كتبـه محمد بن سعيـد قبل وفاته بفتـرة في عام ٨٤٥م. وطبقاً لرواية محمـد بن سعيد فإن مبعـوث رسول الله ﷺ قد وصل يحمـل كتاباً مختـوماً مرسـلاً إلى إبني الجلندي جيفـر وعبد مباشرة. وتـم اعطاء الكتاب، الذي ينصح الأخوين باعتناق الاسـلام، إلى عبد لأنه كان أكثر الأخويـن حلماً وتعقلاً وذلك بالرغـم من أن جيفر كان يحتـل مرتبة أعلى بصفتـه الأخ الأكبر سناً. وإحتـراما لمكانـة أخيه الأكبـر قدم عبد الكتـاب إلى أخيـه. ويبدو أن الكتاب كان له وقع عميق في نفس الأخ الأصغر.



كتاب رسول الله الكريم محمد ﷺ المحرر في عام ٦٣٠م. والمرسل إلى حاكمي عمان.

ولا يزال نص الكتابين اللذيـن أرسلهما الرسول الكريم محمد ﷺ إلى الأخوين محفوظـاً وقد استطعنا الاطلاع على الاسلوب المقنـع المستخدم في نشر الـرسالة المحمـدية. فقد تعهـد الرسـول ﷺ في هذيـن الكتابيـن بأنـه إذا قبل الأخَوان اعتناق الاسـلام فسوف يخولهما الرسـول الكريم ﷺ السلطـة ويمنحهمـا التـأييـد. أمـا إذا رفضـا اعتنـاق الاسلام فسوف يعـزلهما الرسول الكريـم ﷺ من السلطة ويحاصرهما بفـرسانه ولن يسمح لهما بالـوقوف في وجه انتشار الاسلام في عمان.

ويضمـن الكتـابـان المعنـونان كـل علـى حـدة، إلـى الحاكميـن الأخويـن، عبدي اللـه وأميري عمـان السلامـة والأمـن لأولئك الـذين «يقيمـون الصـلاة ويأتـون الزكـاة ويطيعون اللـه ورسولـه ويؤدون ما عليهـم إلى الـرسول ويتبعون طـريق المسلمين». كمـا تم إبـلاغ الأخوين بـأنه سيتم احترام ممتلكـاتهما باستثناء خزانة معبـد النار التي ستصبح مـن ممتلكات اللـه ورسوله، وبـأنه سيتـم جمع ضريبـة الزكـاة بمقدار عشـرة في المـائة على محصـول الفواكه وخمسة في المائة على محصول الحبوب.

وكان رد جيفر علـى الكتاب هو كما يلي طبقـا لما ذكره وكيدي: «لقد فكرت ملياً في مطـالبكم، لكنني أكون أضعف ضعفـاء العرب إذا سمحـت لـرجل آخـر بـأن يتحكم فـي ممتلكاتـي». ويقال أن جيفـر عندمـا رأى مبعوث الـرسول يستعد للعـودة لنقل رده إلى الرسـول الكريم ﷺ فـي مكة المكـرمة فكـر فـي الأمر مـرة أخـرى واستـدعاه واعتنـق الاسلام. وهنـا شرع عمرو بن العـاص في جمع ضـريبة الزكاة وعين نفسـه قاضيا بموافقة جيفر وأسـرته وبدأ في تلقين شعـب عمان تعـاليم الاسلام. ويقـال أنه مكـث في عمان إلى أن بلغه نبأ وفاة الرسول الكريم محمد ﷺ.

وقد جاء ذكر هذه القصة بصورة مختلفة إلى حد ما في كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري الذي توفى في عام ٩٨٢م. وطبقا للـرواية التي وردت في هـذا الكتاب فقد تـم ارسال مبعوثيـن هما عمرو بن العـاص الذي ورد ذكره آنفا وأبي زيد. وكان الكتابان اللذان حملهمـا المبعوثان معنونين إلى جيفر وعبد وينصـان على أنه عند قبول الشـروط المدرجة فيهما يصبـح عمـرو بن العاص أميـرهم ويتحمل أبو زيد المسؤولية عن تلقيـن الناس التعاليم الدينية ومسـاعدتهم


أندرو سيالتون

تعبر الجمال الصحراء الرملية في أواسط عمان لتذكرنا بالعصور القديمة.

علـى دخول الاسـلام». وكان الأخـوان في صحـار عندمـا وصلهمـا الكتابـان وقبلا الشـروط الـواردة بهما وشجعـا الآخرين على الدخول في الاسلام.

وأخيراً، جـاء ذكر هذه الواقعـة في المصدر التـاريخي الغني «كشف الغمة» والذي جاء فيه ما يلي:

قيـل إن أول من أسلـم من أهـل عمان هـو مازن بـن غضوبة بن سبيعة بن شماسـه بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر بـن خطامه بن سعد بن نبهـان ابن عمرو بن الغوث بن طي، وكـان يسكن قرية سمايل، وقيـل إنه جد سعيد أمبو علـي، الذي طلب من النبـي ﷺ: ادع الله لأهل عمان، فقـال النبي «اللهـم اهدهـم وثبتهم» فقلـت زدني يـارسـول الله فقـال: «اللهم ارزقهـم العفـاف والكفـاف والرضـا بما قدرت لهم». قـال مازن: يارسـول الله البحر ينضح بجانبنـا فادع الله في ميرتنا وخفنـا وظلفنا فقال: «اللهم وسع عليهم في ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم» فقلت زدني فقال: «اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم» وقال لمـازن: « قل يامـازن آمين فـإنه يستجيب عنـدهـا الدعاء». فقال مازن «آمين».

ثم قـال: يارسـول الله إني مـولـع بـالطرب وبشـرب الخمرة لجوج بـالنساء وليس لي ولد فـادع الله أن يذهب عني ما أجـد ويرزقني ولداً تقـر به عيني، ويأتينـا بالحيا فقال عليـه السلام: «اللهـم أبدله بـالطرب قـراءة القرآن وبالحـرام حلالاً وبالعهر عفـة الفرج وبالخمر ريـاً لا إثم فيه وآتهـم بالحيا وهـب له ولداً تقـرّ به عينه» قـال مازن فأذهـب الله عني ما كنت أجـد من الطرب وحججـت حجـاً وحفظـت شطراً مـن القرآن وتـزوجت أربـع عقائل مـن العرب ورزقت ولداً وسميته حيان بن مازن.

ثـم إنه صلـى الله عليـه وسلـم كتب إلـى أهل عمـان يدعوهم إلى الاسلام. وعلى أهـل الريف منهم عبد وجيفر ابنا الجلنـدى، وكان أبـوهما الجلندى، قـد مات فـي ذلك العصر. وكان كتـابه ﷺ: «من محمد رسـول الله إلى أهل عمان. أما بعـد، أقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأنـي محمد رسـول الله وأقيمـوا الصـلاة وأدوا الـزكـاة وأعمـروا المساجد وإلا غزوتكم».

وكتب ﷺ إلى عبد وجيفر: «مـن محمد رسول الله إلى جيفر وعبد ابني الجلنـدى، أما بعد فإني أدعوكـم بدعاية الاسلام أسلمـا تسلما فإني رسـول الله إلى الناس كـافة لأنـذر من كـان حياً ويحـق القول علـى الكافـرين، فـإن أسلمتمـا ولّيتكمـا وإن أبيتمـا فـإن ملككمـا زائل عنكما وخيلي تطأ ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما».

وكان الكـاتب لهـذا أبي بـن كعب وهـو عليه السـلام المملى عليه. وقد طوى الصحيفـة وختمها بخاتمه وبعث بها مع عمرو بن العاص فقـدم بها عمرو إلى عبد وجيفر، وأول موضـع نـزل به بعمان هو «دستجرد» وهـي مدينة بصحار بنتها العجم فنزل بها وقت الظهر، وبعث إلى ابني



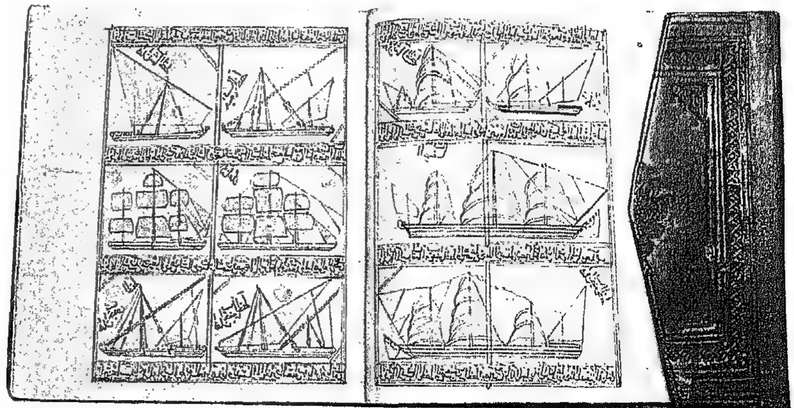
الجلندى وهمـا ببادية عمان، فأول من لقيه عبد وهو أحلم الـرجلين وأحسنهمـا خلقـاً فـأوصل عمـرو إلى أخيه جيفـر ودفع إليـه الكتـاب مختـومـاً ففـض ختـامـه وقـرأه ثم دفعـه إلى عبـد فقرأه ثم التفـت إلى عمرو فقال إن هذا الذي تدعو إليه من جهـة صاحبك أمـر ليس بصغير وأنـا أعيد فكـري فيه وأعلمك. ثـم استحضر جمـاعة الأزد وبعثوا إلـى كعب بن بـرشه العودي فسـألوه عـن أمر النبـي ﷺ فقـال إنه نبـي وقد عـرفت صفته وإنـه سيظهر علـى العرب والعجـم وأسلم كعب وعبد وجيفـر وبعثوا إلـى وجوه النـاس فبايعـوهم للنبـي ﷺ ودخلوا في دينـه وألزمهم تسليم الصدقـة وأمروا عمرو بقبضـها فقبضـها منهـم على الجهة التي أمـره بها رسول الله ﷺ.

ثم بعـث جيفر إلى مهرة والشحـر ونواحيها فدعـاهم إلى الإسـلام فأسلموا وبعث إلـى دُبا وما يليها إلـى آخر عمان فما ورد رسوله على أحد إلا أسلم وأجاب دعوته إلا الفرس الذين كانوا بعمان فحين أبوا عن الاسلام اجتمعت الأزد إلى جيفر وقـالوا لا تجاورنا العجم بعـد هذا اليوم. وأجمعوا علـى اخراج عامـل الفرس «مسكان» ومـن معه من الفـرس. فدعا جيفر بـالأساورة والمرازبة فقـال لهم إنه قد بعث نبـي من العرب فاختاروا منا إحـدى حالتين: أما أن تسلموا وتـدخلوا فيما دخلنا وإما أن تخـرجوا عنا بأنفسكم. فأبوا أن يسلموا وقالوا لسنا نخرج.

فعند ذلك اجتمعت الأزد فقاتلوهـم قتالا شديداً وقتل مسكان وكثير من أصحابه وقواده ثم تحصن بقيتهم في مدينـة دستجرد فحـاصروهم أشـد الحصار. فلمـا طال عليهم الحصار طلبوا الصلح فصالحـوهم على أن يتركوا كل صفـراء وبيضاء وحلقـة ويراع فـأجابـوا إلى ذلـك وخـرجوا مـن عمان وبقيـت أمـوالهم وهـذه الصوافـي (الأملاك والأرض). ومكث معهم عمرو وهـم له طائعون ولقوله سامعون إلى أن بلغته وفاة النبي ﷺ.

وطبقاً لأحد المصادر فإنه عند وصول نبأ وفاة الرسول ﷺ إلى عمـان، ارتد بعض أولئك الـذين اعتنقوا الاسـلام تحت راية لقيط بـن مالك ذي التاج الذي سبق أن ذكـرنا أنه كان يشغل مكانة قـوية في عمان قبل وصول مبعـوثي الرسول ﷺ. وقد علـق بوتس فـي كتابه علـى ذلك بقولـه: «يمكننا تصور أن هـذا الارتداد كان يهـدف إلى عزل جيفـر وليس إلى رفض الاسلام».

على أيـة حال، تـم ارسال قـوات من جيـش المسلمين بقيـادة حذيفـة بن محسـن المخـزومي الـذي انضم إلـى القوات المـوالية بزعامـة عبد وجيفر. ولقي لقيـط مصـرعه في سـاحة المعـركة فـي دبا حيـث يقال أن ١٠٠٠٠ مـن المتمرديـن قد لقوا مصـرعهـم بينما وقـع ٤٠٠٠ منهـم في الأسـر. وعاد السكـان المحليون مـرة أخـرى إلى رحـاب الاسلام، لكـن حدث عصيان آخـر في الشحر تـم القضاء عليه أيضـا بواسطة القوات التـي كان يقودها عكرمـــه بن أبي جهل.



النفوذ العباسي

شهدت عمان خلال الفترة بيـن القرنيـن الثامـن والعاشر الميـلاديين فتـرة مـن الازدهار المبنـي علـى عـلاقاتهـا الزراعيـة والتجارية. وكـانت هـذه الفترة أيضـاً هـي فترة الفتوحـات العباسية التـي بسطت نفـوذها من بغـداد إلى

المقاطعات الجبلية والداخلية لنزوى وبهلا وهما مركزان مهمان في قلب عمان. إن سيطرة النفوذ العباسي على هذين المركزين كان يعني إنتشار نفوذهم فعلاً في منطقة كبيرة من عمان باستثناء مسندم التي كانت لا تزال نائية بدرجة لا تستطيع معها الجيوش البرية أن تخضعها بصورة فعالة. وكان حافز العباسيين هو ربط طرق التجارة المربحة بين الهند والشرق الأدنى وأفريقيا وجنوب الجزيرة العربية بالموانىء العمانية التي تحتل مواقع هامة كمراكز تجارية رئيسية. وكانت هذه الفترة هي فترة أوج عظمة صحار وأوج عظمة الاسطول البحري العماني الذي ساعد في المحافظة على الطرق البحرية خالية من القراصنة.

التطورات التجارية

وضع وصول السلاجقة الأقوياء عسكرياً عقب هزيمتهم للبويهيين في عام ١٠٦٢م. نهاية للسلام النسبي الذي تمتعت به التجارة في الخليج لمدة قرنين أو أكثر. ومع ذلك لم تعمل أسرة حكام السلاجقة في عمان ضد المصالح التجارية تماماً حيث استمرت معظم حركة تجارة المحيط الهندي مع دول الخليج في الانتقال إلى الموانىء العمانية.

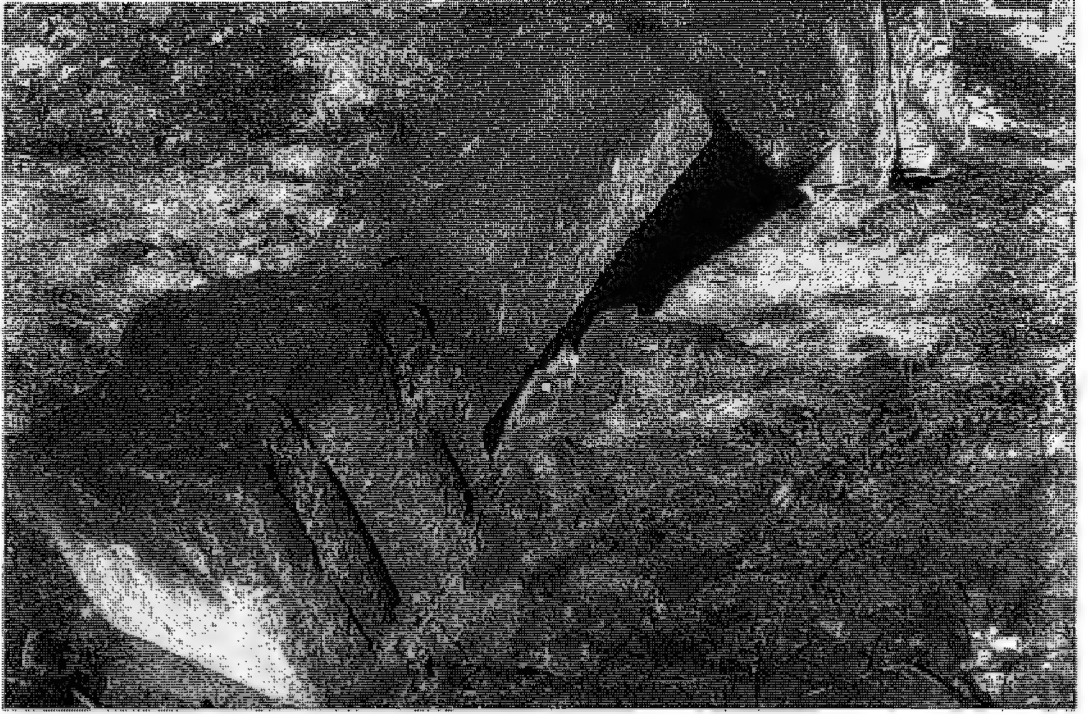
وقد واكب ازدهار هرمز كمركز تجاري اقليمي خلال القرن الثالث عشر نمو الموانىء العمانية في صحار ومسقط وقلهات. وكانت السفن القادمة من أماكن بعيدة بعد الصين تصل إلى الشواطىء العمانية بانتظام. وقد كتب «توم بيرس» ما يلي عن هرمز كما كانت قبل عام ١٥١٤م عندما استولى عليها البرتغاليون:

كانت هرمز تزاول التجارة مع عدن وكمبا ومع مملكة دكان وجاوه ومع موانىء مملكة نرسينجا وموانىء مكبار. وأهم السلع التي كان يأخذها تجار هرمز هي الخيول العربية والفارسية واللؤلؤ الصغير والملح الصخري والكبريت والحرير واكسيد الزنك الخام والشب - المعروف في منطقتنا من العالم باسم الالكسندرينا - وكبريتات الحديدوز والزاج وذلك إلى جانب كميات كبيرة من الملح والحرير الأبيض والعديد من قطع التنجا وهي عملة فضية تبلغ قيمتها حوالي خمسة وستين ريس (وحدة نقد برتغالية قديمة) والمسك وأحيانا الكهرمان وكميات ضخمة من الفواكه المجففة والقمح والشعير ومواد غذائية مشابهة أخرى. وكان هؤلاء التجار يجلبون معهم الفلفل والقرنفل



جزء من آثار البليد.

إس. كاي



عمود من آثار مدينة البليد، ظفار.

حوالي ٣٢٠ ريس. وكانت أفضل الخيول هي الخيول العربية تليها الخيول الفارسية ثم خيول كمباي.

ومع وجود مثل هذا المحور للنشاطات التجارية على امتداد سواحل عمان وعند مدخل الخليج، فليس من المدهش أن تركز البرتغال اهتمامها على هذه المنطقة في أعقاب وصول اسطولها البحري إلى المحيط الهندي.

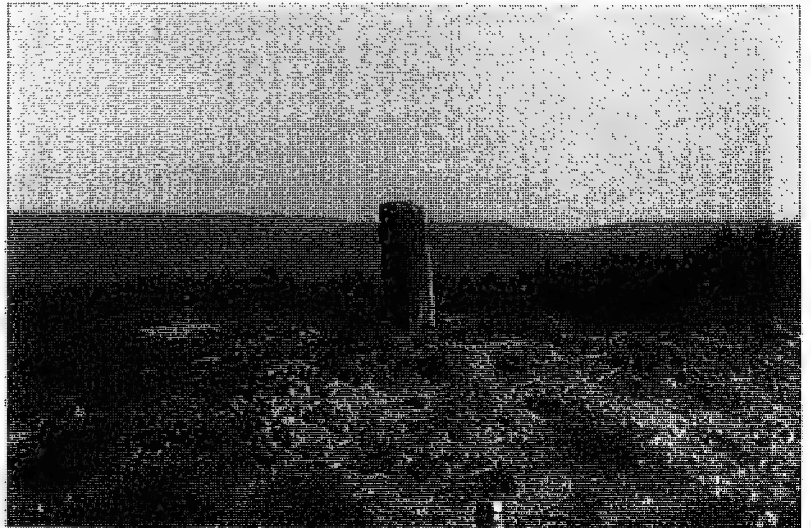
وفي عام ١٥١٤م. سقطت هرمز في أيدي البرتغاليين وبعدها أصبح النفوذ البرتغالي أحد العوامل الرئيسية في عمان والدول المجاورة لها.

وقبل أن نترك موضوع التجارة البحرية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، فمن الجدير بالاهتمام أن نشير إلى عبارة أخرى من كتاب توم بيرس تشرح كيف أن السلع القادمة من جنوب الجزيرة العربية قد وصلت إلى القاهرة حيث كان يتم كما رأينا آنفاً نقلها على متن السفن إلى أوروبا.

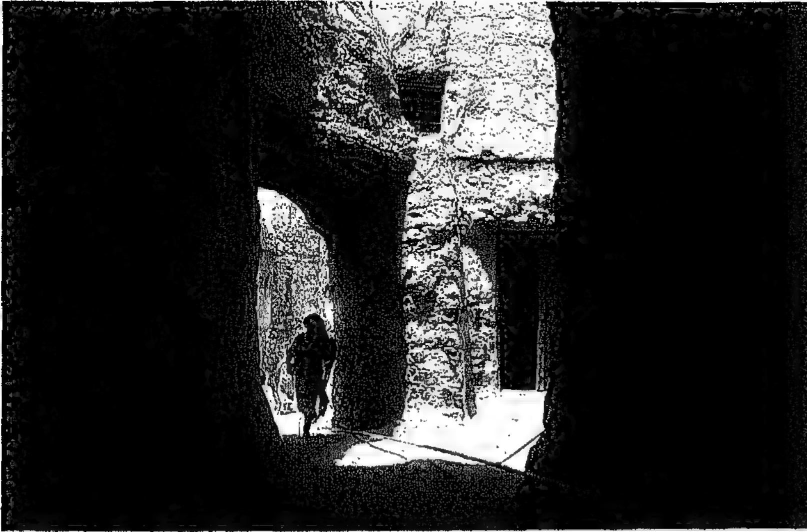
كان التجار هناك يحفظون التوابل بأنفسهم ويرسلونها إلى القاهرة بالطريقة التالية: كانوا يتجهون من عدن إلى جزر قمران ومن جزر قمران إلى زلكا ومن زلكا إلى جزر سواكن ثم عبر مضائق جزر سواكن حتى ميناء القصير المصري. ومن هناك إلى نهر النيل في رحلة تستغرق ثلاثة أيام ثم إلى القاهرة في رحلة تستغرق عشرة أيام. وكان هؤلاء التجار هم وحدهم الذين لا يتبعون هذه الطريق بسبب اللصوص. فقد كانوا عند وصولهم إلى جزر سواكن يتجهون إلى جدة مبحرين أثناء النهار. وقد تعرض العديد منهم للغرق لأن المضائق كانت عاصفة نتيجة للرياح البرية. وعندما يصل هؤء التجار إلى جدة يفرغون حمولتهم هناك وينتظرون حتى موسم الحج عندما تأتي إلى مكة المكرمة قوافل كبيرة يشترك فيها التجار بعد أن يقنعوا قائد القافلة بالموافقة على إنضمامهم إليها.

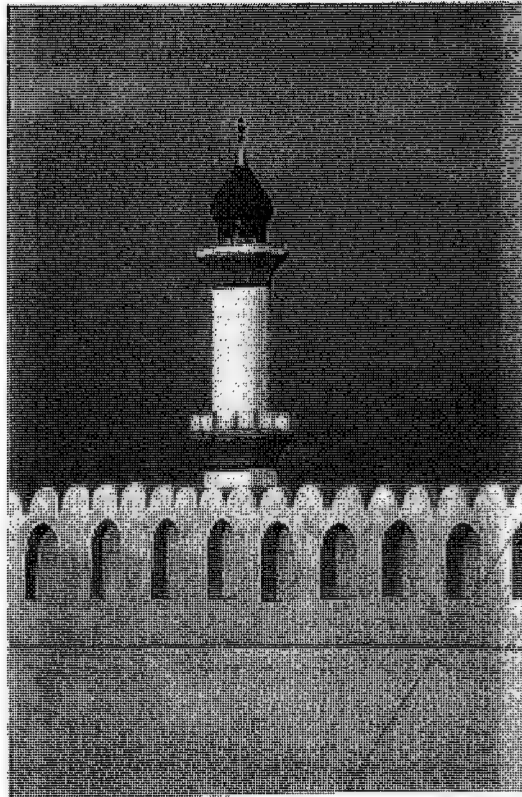
والقرفة والزنجبيل وجميع أنواع التوابل والعقاقير التي كان عليها طلب شديد في بلاد فارس والجزيرة العربية والتي كان يذهب جزء منها ــ عندما تكون متوفرة ــ إلى عدن. لكن نظراً لأنها كانت غالية بالفعل في هرمز فأعتقد أنها كانت تذهب إلى القاهرة ليتم ارسالها إلى ايطاليا. كما كان هؤلاء التجار يجلبون معهم أيضاً كميات كبيرة من الأرز على قدر الامكان وكذلك القماش الأبيض. كما كانت تسيطر عليهم فكرة جلب الفلفل والأرز والذهب. وكانت أسعار الخيول مرتفعة جداً في مملكة جاوه ودكان ونارسينجا ولذلك كان تجار هرمز يذهبون إلى هذه الممالك قبل عام محملين بالخيول. وكان ثمن الحصان عندما يكون من النوع الممتاز هو سبعمائة زرافين وهي عملة تبلغ قيمتها

بعض آثار البليد.



وكانـت الرحلـة إلى القـاهرة تستغـرق سبعين يومـاً، وأحيانا كـانوا يتوجهون مـن جدة إلـى منطقـة الطـور عـبر البحر الأحمـر لكـن ليـس دائـما لأن هـذا هـو الطريق الرئيسي المؤدي إلى القـاهرة وكانوا يتعرضون فيه دائما للسرقة.





ابـن بطـوطـة

في ٢٩ سبتمبر ١٣٢٩م وصل عالـم الجغرافيا المسلم ابن بطوطـة إلى جـزيرة الحلانيـات بالقرب مـن ساحـل ظفار العماني (وكـانت هذه الجزر ــ المعروفة حتى وقـت قريب كما رأينا آنفا بـاسم جزر كوريا موريا ـ معـروفة للرومان باسـم جزر زنجبـار). وكان ابـن بطوطـة يقطع جـزءاً من رحلته الطـويلة في هذه المـرحلة بين ظفار وميـنـاء قلهات القديم. وبعـد وصوله إلى الجـزيرة ارتقى تلها لـزيارة أحد النسّاك الروحانيين.

... فـي أعلـى التل يـوجـد سكـن مبني مـن الحجـارة بسقـف مـن عظام السمك، وأمـامه بـركة من مـاء المطر المتجمع. وعندمـا ألقينا رحالنا عند أسفـل التل صعدنـا إلى هـذا السكن حيث وجدنا رجلاً كهلاً نائماً. ألقينا عليه بالتحيـة فاستيقظ من نـومه ورد علينا التحية بـالاشارة وتحدثنـا إليـه لكنه لم يتحـدث إلينا وواصل هـز رأسه. وعرض علـيه مـلاحو السفينة بعض الطعـام لكنه رفض قبوله. ثم استعطفناه أن يصلي مـن أجلنا فواصل تحريك شفتيه لكننـا لم نعرف مـا كان يقول. كـان يرتدي ثـوباً مرقعاً وقلنسوة من اللباد ولم يكن معه كيس من الجلد أو أبـريـق أو عكـاز أو صندل. أمضينـا هـذه الليلـة عـند الشاطـىء فـوق التـل وأدينـا فـرائض صـلاة العصـر والمغرب معـه وعرضنا عليـه بعض الطعام لكنـه واصل الصلاة حتـى حان موعد صـلاة العشاء حيث صلينـاها معه عندما أذن إلى الصلاة. كـان صوته جميلاً في تلاوة القرآن الكريم وتـرتيله. وعندما انتهى من تـأدية فرائض صلاة العشاء أشـار إلينا بالانسحاب والقـاء التحية عليه ففعلنا مندهشين مما رأيناه».

(اقتبسهـا بـراين دو فـي كتـابـه «سـوقطرة: جـزيـرة السكون»، ١٩٩٢).

السيطــرة البرتغاليــة

هجمات البوكيرك

أرسل ملك البرتغال ثلاثة أساطيل من السفن البحرية إلى المنـاطق الأجنبيـة في عـام ١٥٠٦م.، ورحـل أحد هـذه الأسـاطيل المكّـون مـن ١٦ سفينة مـن ميناء تاجـوس البرتغالي في السادس من شهر مارس وطاف حول رأس الرجاء الصالـح متجهاً إلى جنوب الجزيرة العـربية. وقد حمل هـذا الاسطول بقيادة القـائد البحري تـريستان دي كونها الفاتح ألفونسو دي البوكيرك. ووصلت السفن إلى سوقطرة في شهر ابريل ١٥٠٧م.

وبعد معـركة مع الحاميـة (قتل فيها ٨٠ عربيـاً وأحد البـرتغـاليين وجـرح فيهـا ٥٠ شـخصـاً) استـولى البرتغاليون على القاعـدة العسكرية. إن وجود المسيحين في سوقطـرة قد جعلها مكانـاً مفضلا للبرتغاليين لأنهم اعتقدوا بـأنهم سوف يزودون قـاعدة البوكيرك الجـديدة بالطعام والماء العذب. وعين البـوكيرك ابن أخيه ألفونسو دي نورونها قـائداً لحامية قوامها ١٠٠ شخـص ثم رحل مع الاسطول بعد ذلك إلى الجزيـرة العربية حيث سرعان مـا ارتبط اسمـه بالأعمـال الـوحشيه تجـاه أهل جنـوب الجزيرة العربية المسلمين.

وقد ذكـر توم بيـرس محـاولات البـوكيرك لـلاستيلاء علـى عدن فـي كتابـاته التـي دوّنها بعـد انقضاء بضـع سنوات على محـاولات الاستيلاء هذه، جاء فيها:

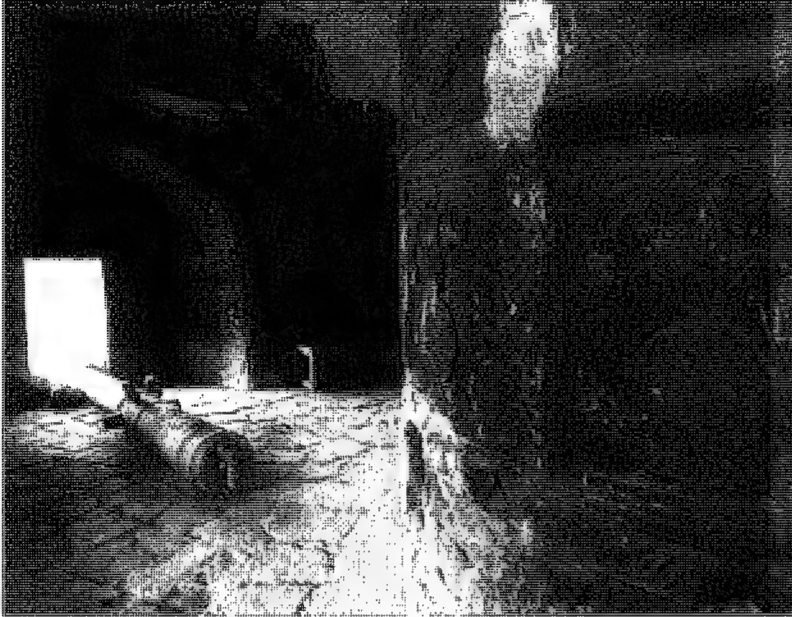
توجد فـي داخل المدينة قلعـة كبيرة فيها قائد يقـف على أهبة الاستعـداد دائما ـ كما يقضـي عليه الواجب ــ لأنه كان طوال السنوات العشر الماضية يخشى حملاتنا. وقد ساعد جميع المسلمين هذه المدينة حتى لا يتم الاستيلاء عليها. فقـد كانوا يخشـون فـي حال الاستيلاء علـى هذه المدينة أن تكون النهاية قريبة لأنها المدينة الوحيدة التي بقيت لهم. وقد شهدت هذه المدينـة بالفعل معركة كبرى وكانـت على وشـك أن يتم اقتحـامها لـولا كارثـة تحطم السـلاسـل لثقل وزن الأفـراد الـذيـن كانـوا يتسلقـون الجدران. وكانت معركة شهيـرة لأنه للاستيلاء على هذه المدينة كـان يجب أولاً السيطرة على مقـر المعسكر وإذا تم ذلك يفقد المسلمون هذه المدينـة. وكانت هذه المعركة مأثرة شهيرة فبالرغم من عدم التمكن من الاستيلاء على المدينة إلا أن الأمور لم تسر بعدها على مايرام وقد شعر شيوخها بأن تدمير مدينتهم بات وشيك الوقوع.

لقد اشتهر العمانيون بين البرتغـاليين بأنهم مقاتلون مهرة وشجعـان. ويعلق توم بيـرس على جنوب الجـزيرة العربية بأكمله حيث كتب:

بعد عدن جـاء الدور على جزر كوريا مـوريا ومصيرة، وكـان أهلها جميعـا من البـدو التجـار والمحـاربيـن البارعيـن. وكان العـديد منهم يذهـب من فـرتاك إلـى سوقطرة وزيلا وبربرا كقـادة للحاميات. ويعيش هؤلاء النـاس على التجـارة وإن لم تكـن كثيـرة. وتقـع البـلاد الممتدة مـن رأس الحد تحت سيطـرة هرمز ولـدى أهل فـرتـاك سيـوف جميلـة ولديهـم أيضـاً جميـع أنـواع الأسلحة. إنهم رجال باسلون.

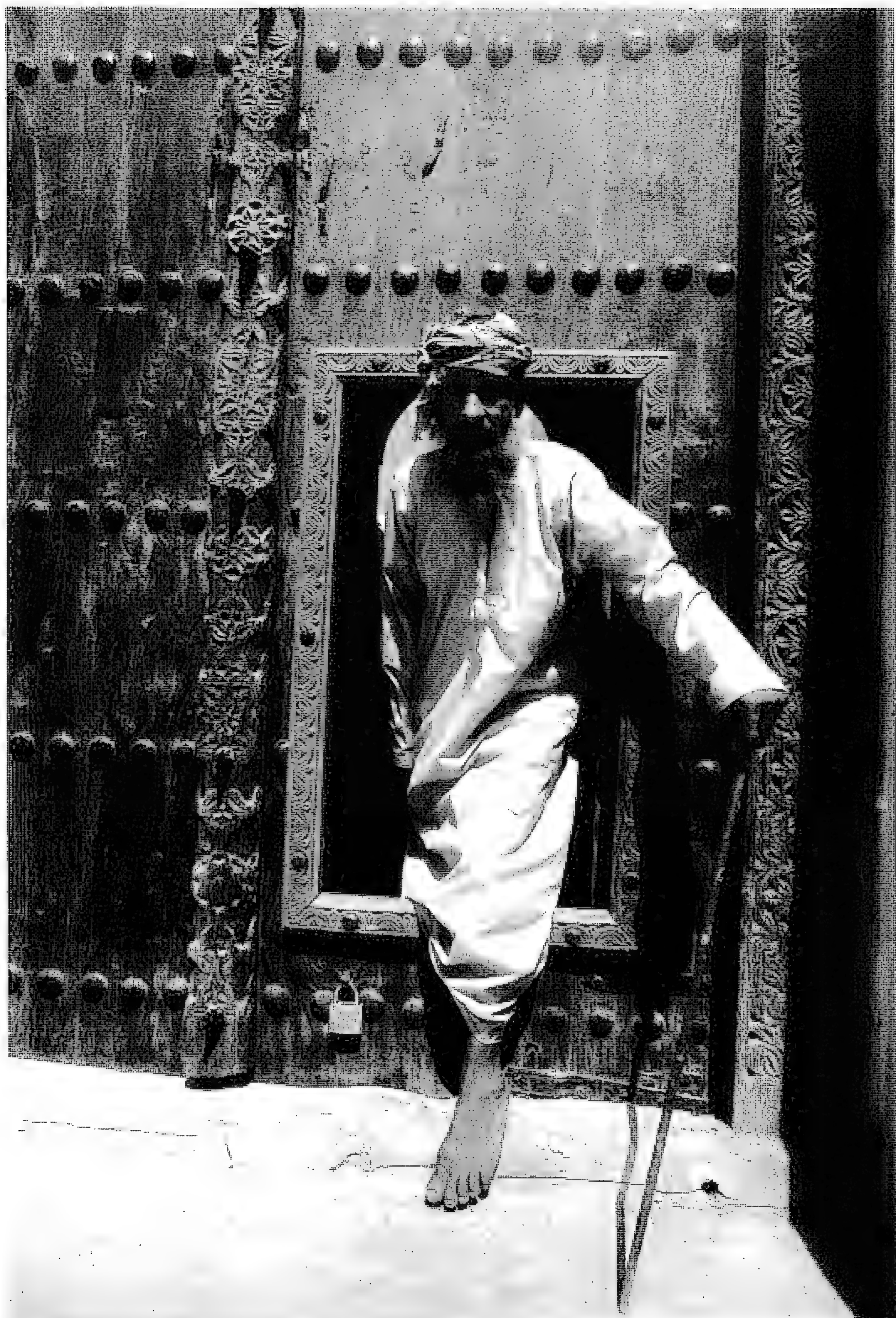
وفـي أعقاب هجـومـه الأول على خـور جـرماح قـاد البوكيـرك قواتـه إلى قلهات حيث لم يكـن أمام حـاكمها سوى خيار واحد هو الترحيب بالبرتغاليين.

وبعد انقضـاء عدة أيـام وعقب مـرورهم علـى طيوي وصلـوا إلـى قريـات وارتكبـوا أول أعمـالهم الـوحشيـة العـديدة ضـد أهـل عمان. فقـد هـاجموا أولاً تحصينـات المدينـة وقامـوا بذبـح الرجـال والنساء والأطفــال دون تمييز أثنـاء فرارهـم للنجاة مـن المذبحـة. وأخيرا نهـب البرتغاليـون المدينة وأشعلوا النـار في منازلها وحـرقوا السفـن في المينـاء. وانتشرت قصـة الهجـوم فى أنحـاء الساحـل كالنار في الهشيـم ووصلت إلى مسقـط قبل أن يصل الاسطول البرتغالي بفتـرة طويلة والذي وصل إليها بعد أربعة أيام من مذبحة قريات.

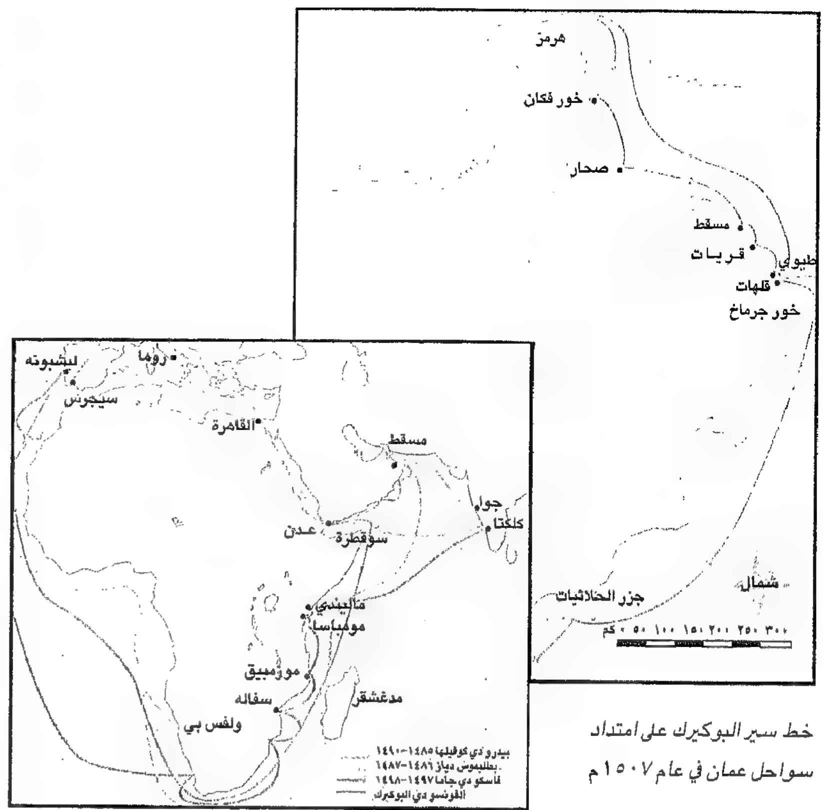


وزارة الاعلام

قلعة الحزم من الداخل حيث يوجد المدفع البرتغالي.







خط سير البوكيرك على امتداد سواحل عمان في عام ١٥٠٧م

أعلى جهة اليسار: صورة الفونسو دي البوكيرك كما ظهرت في كتاب بي. بارتو دي ريسنده «دولة الهند».

جهة اليسار: كان المر والبخور من مصادر الثروة في عمان منذ أكثر من ٢٠٠٠ سنة.

في الصفحة المواجهة: مدخل سوق نزوى.

وقد قام أهل مسقط بتحصين المدينة والاستعداد للدفاع عنها ضد هجوم البوكيرك الوشيك الوقوع.

وفي البداية وهنت عزيمة البرتغاليين إلى حد ما نتيجة لحالة الاستعداد في مسقط، لكن البوكيرك لم يكن اطلاقاً ذلك الشخص الذي يتراجع.

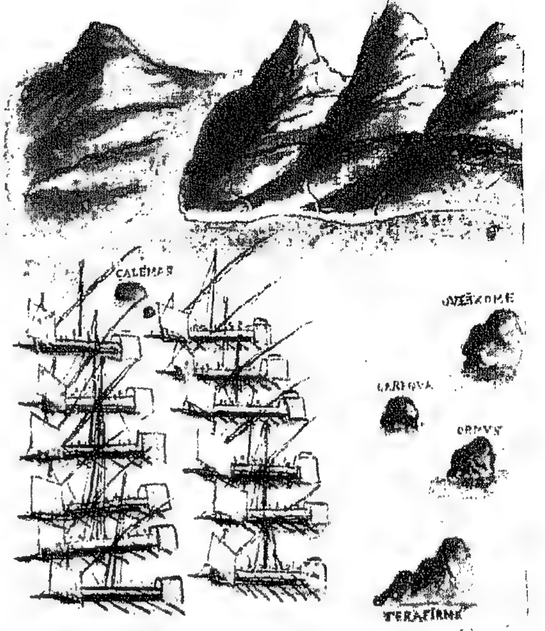
وقد سيطر الرعب على أولئك الموجودين عند الشاطىء بانتشار الأنباء عن وحشية البرتغاليين في أعقاب المذابح الدامية التي وقعت في قريات وباتوا معها يخشون على أرواحهم. ولذلك اتجه اثنان من قادة المدينة إلى الاسطول البرتغالي الذي كان يرسو في الخليج في محاولة لعقد اتفاقية سلام. وبمجرد أن بدأت المفاوضات شعر البوكيرك بأن هذين القائدين لا يحملان تفويضا مطلقا من كافة الناس الموجودين عند الشاطىء للموافقة على شروطه فأمرهما بالعودة إلى اليابسة والحضور إليه في اليوم التالي.

وعندما عادا في اليوم التالي عرض عليهما شروطه التي تضمنت دفع جزية أو اتاوة للأسطول البرتغالي كل عام وتزويده بالامدادات والتموين بما في ذلك الطعام والماء اللازم لهجومة المزمع على هرمز. وافق المتفاوضون العمانيون على هذه الشروط وحين عادا إلى الشاطىء وجدوا الناس يتحدثون عن مقاومة البرتغاليين. وفي تلك الليلة وصلت التعزيزات والتجهيزات إلى مسقط عن طريق البر وشجع أحد الشيوخ المدينة على المقاومة.

وبمجرد أن أصبح ذلك واضحاً بدأ البوكيرك هجومه على مسقط وقصف سواحلها والمدينة بالمدافع الثقيلة. غير أن السفن كانت بعيدة عن الشاطىء ولذلك لم يكن للقنابل تأثير كبير. وأوقف البوكيرك عملية القصف وعقد اجتماعاً لقادته لوضع استراتيجية جديدة. وأعرب الضباط عن استعدادهم لتنفيذ أوامر البوكيرك خشية من غضبه وبطشه وعند ئذ أمرهم البوكيرك بالقيام بهجوم تطويقي التفافي من الجانبين على المدينة، وتولى بنفسه قيادة قوات الجبهة



في شهر أغسطس ١٥٠٧م رسا الاسطول البحري البرتغالي بقيادة فرناندو دي مينزس بالقرب من مسقط قبل أن يواصل رحلته إلى مسندم حيث واجه اسطول السفن الشراعية التركي الذي أبحر حول الجزيرة العربية من قاعدته في السويس. تم أخذ اللوحة المصورة هنا من كتاب «تاريخ ليزورت» المجهول مؤلفه والذي نشر في حوالي عام ١٥٦٤م.





اليسرى بينما تولى الكابتن دي تافورا والكابتن دي كوستا قيادة الجبهة اليمنى التي ستقوم باختراق الخط أو الحاجز الدفاعي

وهبطت القوات أسفل التحصينات مباشرة واستطاعت بالرغم من بسالة وعزيمة القوات المدافعة أن تخترق كلتا الجبهتين. والتقت فرقتا الهجوم عند اقتحامها للمدنية وقامت بطرد سكان المدينة وقتل أو تشويه أهلها كلما أتيحت لهم الفرصة. وكانت هذه المعركة صورة من مذبحة قريات.

وبعد أن تمكن كل من استطاع الهرب من الهروب وتم القبض على النساء والأطفال والكهلة أمر البوكيرك شخصياً بقتلهم. وقام كل من الكابتن أنتاو دي كامبو وخواو دي نوفا على وجه الخصوص بدور شنيع في قتل النساء وتمردا على البوكيرك فيما بعد. وبعد انتهاء المذبحة بدأت عملية السلب والنهب وتم الاستيلاء على كل ما يمكن حمله وعادوا به إلى السفن البرتغالية. وقد تضمنت غنائم الحرب هذه ٣٠ مدفعاً واقوساً وسهاماً ورماحاً وغير ذلك من الأسلحة.

وواصل الاسطول رسوه لمدة ثمانية أيام قام خلالها بتزويد السفن بالفواكه الطازجة والماء العذب وغير ذلك من الامدادات. وكان البوكيرك على وشك اشعال النار فيما بقي من المدينة. لكن وقبل أن يصدر أوامره بذلك وصله رسول يستعطفه ليعفو عن المدينة مدافعا عنها بقوله «ألا يكفي أنه قد تم قتل العديد من الأبرياء من النساء والأطفال على حد سواء؟» ورد عليه البوكيرك مستعينا بكل ما لديه من مبررات قائلا: «كان يجب على أهل المدينة عدم نقض وعدهم له عندما توصلوا معه إلى اتفاق مبدئي». وبدلا من أن يحرق المدينة في الحال قال أنه سيوافق على التخلي عن خططه إذا حصل على ١٠٠٠٠ أشرفية من الذهب بحلول ظهر اليوم التالي. ونظراً لأن البرتغاليين كانوا قد سلبوا بالفعل كل الغنائم التي وصلت إليها أيديهم فقد كان أهل المدينة في موقف لا يحسدون عليه ولم يستطيعوا بالطبع تلبية هذا الطلب. وأخيراً تم حرق مساكنهم ومنازلهم (حوالي ٣٥ مسكناً على الأقل). ولحقت بالعديد من الانشاءات أضرار لا يمكن إصلاحها وتم بصورة خاصة تدمير أحد المساجد المقامة من الخشب المنقوش تدميراً تاماً.

وبعد تدمير مسقط اتجه الفاتح البوكيرك بإسطوله الجبّار إلى صحار. وأمكن مؤقتاً تفادي مذبحة أخرى عندما سافر وفد من المدينة إلى بارجة البوكيرك لتقديم فروض الولاء لملك البرتغال ولدفع أي مبلغ يطلبه هذا الطاغية البرتغالي مهما كان كبيراً.

وقبل وصول الاسطول البرتغالي طلب أهل صحار المساعدة العسكرية من هرمز، لكنهم لم يتلقوا أي استجابة لمطلبهم وكان ذلك هو السبب في اذعانهم للبرتغاليين.

وبعد أن اتفق البوكيرك مع حاكم المدينة على الضرائب التي ستتم جبايتها ودفعها له عند زيارته القادمة للمدينة واصل رحلته شمالاً في اتجاه هرمز.

وكانت المستوطنة الرئيسية التالية على امتداد الساحل هي خور فكان حيث تم تكرار نفس العمليات التي شهدتها الموانيء العمانية الأخرى، وفي هذه المرة

حاول أهل المـدينة المقاومة غير أن قـوة البطش الجبارة للقـوات البرتغـاليـة كانـت أقـوى منهـم واضطروا إلـى الاستسلام وتحولت المدينة إلى رماد.

ومن هناك أبحر االبرتغاليون إلى هرمز حيث واجهتهم تحصينات دفاعيـة أقوى، ومنها أبحروا إلى سـوقطرة حيث تركـوا حاميتهـم قبل ثمانيـة أشهر. وعنـدما وصلـوا هناك وجدوا الحامية البرتغالية الصغيرة فـي حالة يرثى لها، فقد كان رجالهـا يموتون من الجوع لأن المسيحييـن أخفقوا في العنايـة بهم خشية عقاب جيـرانهم المسلمين. وفي طـريق عودته إلى هرمز في عام ١٥٠٨م هجم البوكيرك بقواته على قلهات مرة أخرى وسلبوا ما تبقى منها وأحرقوا المسجد.

وقد جاء فـي كتاب «رحلات عبر الشـرق» لتوم بيرس الـذي يتضمن وصفـاً لرحـلاتـه عبر الشـرق من البحـر الأحمر إلى اليابان والذي كتبـه أثناء وجوده في الهند في الفترة بين عامي ١٥١٢ و١٥١٥م ذكـر الساحل العماني كجزء من المقاطعة التي كانت تسمى الجزيرة العربية.

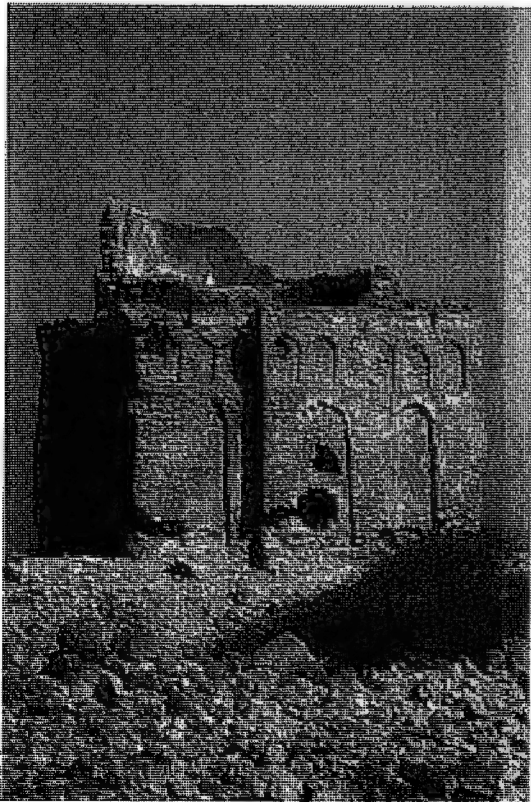
يوجـد في هذه المقاطعـة بعض المدن الواقعـة على امتداد الساحل فهي تضم جدة وعدن وفرتاك ومصيرة ورأس الحد. وعلى امتـداد سواحل هرمز تـوجد قلهات ومسقط وقريات وغيرها مـن المدن. وعند الاتجاه عبر الجبال إلـى المناطق الداخليـة توجد بعض المـدن التي تقطنها مجمـوعة كبيرة مـن السكان وبعـض الأراضي الجميلة التي يعيش فيها العديد من الناس.

إن أهل هذه الجـزيرة العربية يشبهـون المحاربين، يحـاربـون وهـم يمتطـون الخيـول بنفـس طـريقتنـا ويستعملـون المهاميـز. ويقبضـون علـى سير اللجـام بإحدى اليدين وعلى الرمح باليد الأخرى. ولديهم أعداد كبيرة من الرجال. والخيول الموجودة في هذه الجزيرة العربيـة أفضل من الخيـول الأخرى الموجـودة في أي منطقة من المناطق الأخرى، ولديهم أيضاً عدد كبير من الجمال والثيران التي يستعملونها والحيوانات الأخرى. إنهـم رجـال صيـادون يعملـون دون كلـل وهـم متغطرسون وغاية في البسالة.

وقـد سيطـر البـرتغـاليـون علـى عمـان وبعـض المستوطنـات الساحلية الأخـرى منذ عـام ١٥٠٧م حتى قام بطـردهم الإمام سيف بـن سلطان اليعربي فـي عام ١٦٥٠م. وتنحصر معظـم آثارهـم في ثـلاثة مـن أعظـم القـلاع العمانيـة وهما قلعتـا الميـراني والجـلالي فـي مسقط وقلعة مطـرح. وهذه هي القلاع البرتغاليـة الوحيدة التي لا تزال شامخة في عمان حتى اليوم.

وتتضمـن الآثـار الأخـرى التي تـرجـع إلـى العصـر البرتغالي بعـض المدافع المصنوعة من البـرونز. وتوجد أفضل مجموعة من هذه المـدافع والتي تتكون من خمسة مدافع في ميناء الحزم اليعربي. وأخيراً فقد أثرت التقنيات البرتغـالية لبناء السفن علـى تلك التقنيات الموجـودة في جنوب الجزيرة العربية. وقد ابتكـر البرتغاليون على وجه الخصوص طريقة التثبيت بالمسامير الحديدية التي حلت محل طريقة الخيـاطة بالحبال والتي كان يتـم استعمالها في عمان منذ عدة آلاف من السنين.

وقد وجه البـرتغاليون اهتمامهم للسيطـرة على المدن الـرئيسية فـي المحيـط الهندي حتـى يمكنهـم بـالتالـي الاستفادة من التجارة المربحة للتـوابل والحرير التي تمر عبر هذه الموانىء. وقد أقـاموا ٢٣ مستوطنة محصنة في أنحاء المحيط الهندي من ملقا في الشرق إلى ساحل كينيا فـي الغـرب. وكـان طلـب الأوربييـن علـى الفلفـل (مـن سومطرة) والقـرفة (من سيلان) والكافور (مـن بورنيو)



تعتبر آثار ضريح بيبي مريم أشهر آثار المباني الأثرية في قلهات المدينة الساحلية التي سلبها البرتغاليون.

وجوز الطيب (من جزر باندا) والقـرنفل (من ملوقا) يذكر بالرغبـة المبكرة الملحة للحضارات الكلاسيكية اليـونانية والرومانية للحصول على اللبان والمر.

ومـرة أخـرى تـم جـذب القـوات الأجنبية إلـى عمان وإلى الدول الساحلية الأخـرى لتحصل على حصتها من التجارة المـربحة. وفرض البـرتغاليـون في نفس الـوقت الضرائب علـى الأعمال التجـارية الاقليميـة الأخرى مثـل صـادرات عـمان مـن الخيول العـربية الأصيلـة إلـى الهند وصادرات الهند من القطن إلى افريقيا.

تركيا ضد البرتغال

في عام ١٥٤٦م قـام الاسطول التركي الذي كـان يرسو بالقرب من الساحل بقصف مسقط بالقنابل، لكنه لم يتبع ذلك بالنزول إلى الشاطىء لمـواجهة المدينة التي يحتلها البرتغاليون والمزودة بتحصينات دفاعية قوية.

ومع ذلـك، ففي عـام ١٥٥٠م أحضر القـائد التركـي

قلعتا الجلالي والميراني في مسقط.



وزارة الاعلام



بيري باشا قوة أكبر إلى مسقط لمعاقبة البرتغاليين على تأييدهم للثوار العرب في البصرة ضد تركيا.

واستعدادا لهذا الهجوم بدأ القائد البرتغالي لحامية مسقط ببناء قلعة ضخمة.

وفي وقت الهجوم التركي لم تكن البناية قد اكتملت بعد لكنها مع ذلك وفرت موقعاً جيداً للمدافعين البرتغاليين.

وظل البرتغاليون لمدة ١٨ يوماً مختبئين في القلعة والأتراك يحاصرونهم. وأخيراً اضطروا إلى الاستسلام طالبين تأمين طريق لانسحابهم. وتم توقيع معاهدة على عجل سرعان ما تم نقضها عندما نكث القائد التركي بوعده وقتل بعض البرتغاليين المحاصرين وقبض على بعضهم الآخر بما في ذلك القائد المحلي البرتغالي. ونهب الأتراك القلعة واستولوا على كل ما وصلت إليه أيديهم من غنائم يستطيعون العودة بها إلى سفنهم.

وقد شجع هذا النجاح الأولي ضد البرتغاليين الأمير سلطان بأن يأمر بالقيام بهجمات أخرى ضد الأوروبيين، في البحر الأحمر أولاً ثم في جنوب الجزيرة العربية بعد ذلك. وغادر الاسطول التركي البصرة في أغسطس ١٥٥٣م، لكن الهزيمة لحقت به بالقرب من مسندم وأبحر ما تبقى من الاسطول مرة أخرى في العام التالي في شهر يوليو ١٥٥٤م. وفي هذه المرة واجه البرتغاليون عند خور فكان. وانسحب البرتغاليون إلى مأمنهم في مسقط، لكنهم أجبروا في النهاية على الخروج إلى البحر مرة أخرى لمواجهة سفن الاسطول التركي.

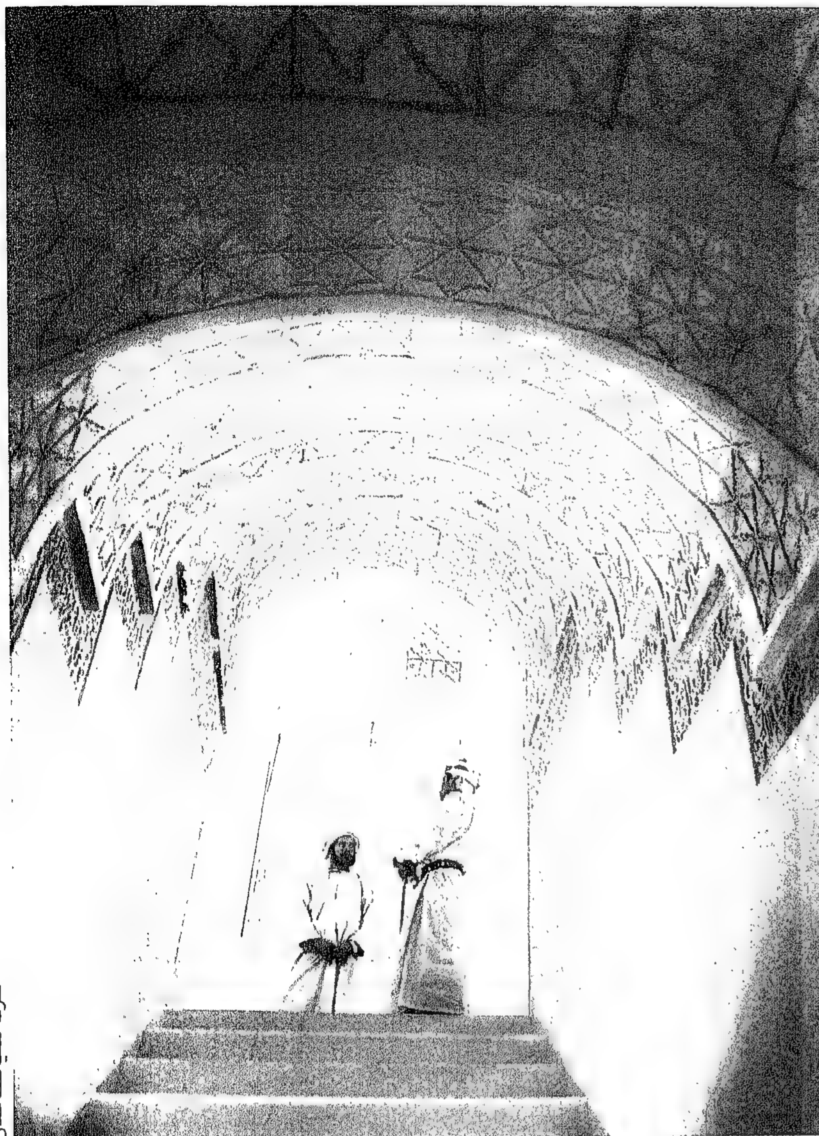
وفي هذه المرة لم يكن البحارة البرتغاليون وهم على متن سفنهم متيقنين من النصر، حيث كان لدى الأتراك قوة يعتد بها وكانوا يضارعونهم من الناحية الفنية ومن ناحية مهارات الحرب البحرية. وقد سجل المراقبون البرتغاليون حادثتين في شهر أغسطس من ذلك العام كنذيرين بسوء الطالع، الأولى هي حوم أحد الحيتان الضخمة حول السفن البرتغالية، وهو مشهد ليس غريباً على مسقط حتى في هذه الأيام. وقد أوقع فضول هذا الحوت وجرأته الرعب في قلوب البحارة البرتغاليين. أما الحادثة الثانية فهي سقوط نيزك صغير في البحر بالقرب من مسقط في ذلك اليوم. ونستطيع تصور مدى الرعب الذي سببه سقوط هذا النيزك بين الرجال الذين كانوا على وشك الدخول في معركة دفاعاً عن أرواحهم.

وأخيراً نشبت المعركة البحرية على مسافة قصيرة من جزيرة الفحل التي سماها البرتغاليون بعد ذلك جزيرة النصر لأنهم هم وليس الأتراك الذين حالفهم النصر في ذلك اليوم.

وقد تركت هذه المعركة البرتغاليين ولديهم ٤٦ مدفعاً آخراً وكمية ضخمة من الأسلحة.

لكن مع مرور الوقت، تم بذل بعض المحاولات لطرد البرتغاليين من عمان. فقد قام القائد التركي مير علي بك بهجوم على مسقط في عام ١٥٨١م ترك البرتغاليين «مرتجفين ولكن غير مزعزعين» وجعل مير علي متلهفا لتكرار محاولته المحدودة النجاح هذه في أماكن أخرى.

وأخيرا تم القبض عليه وارساله إلى لشبونه حيث توفى كما يقال من تأثير التعذيب. وكانت مثل

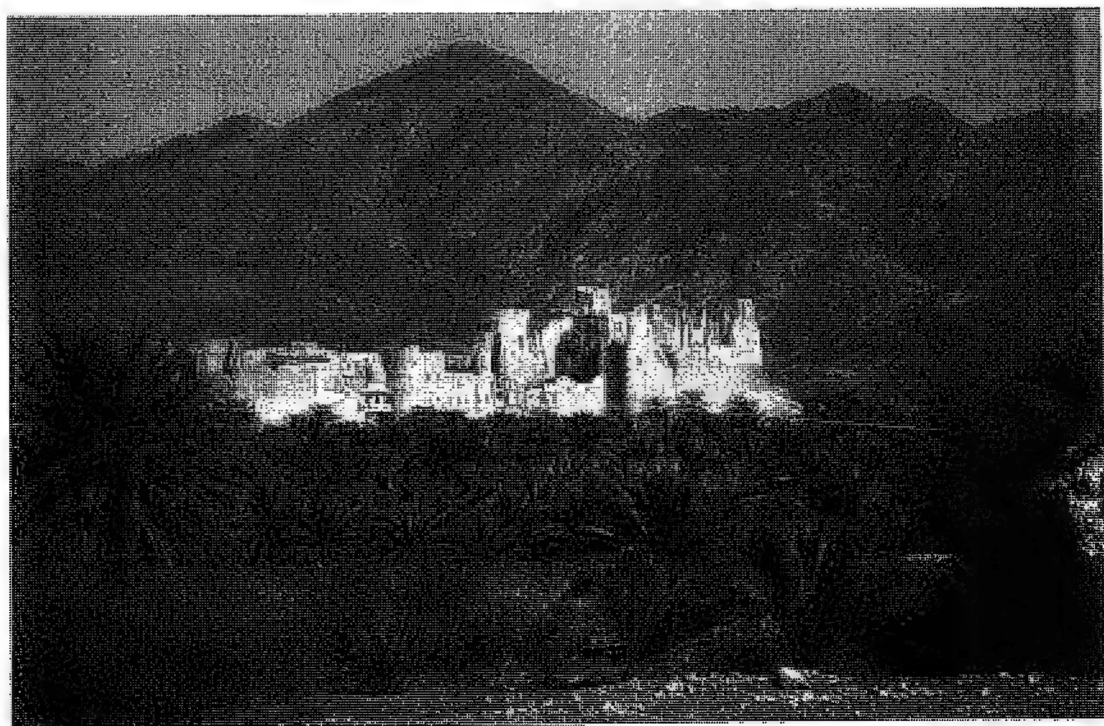

شركة تنمية نفط عمان

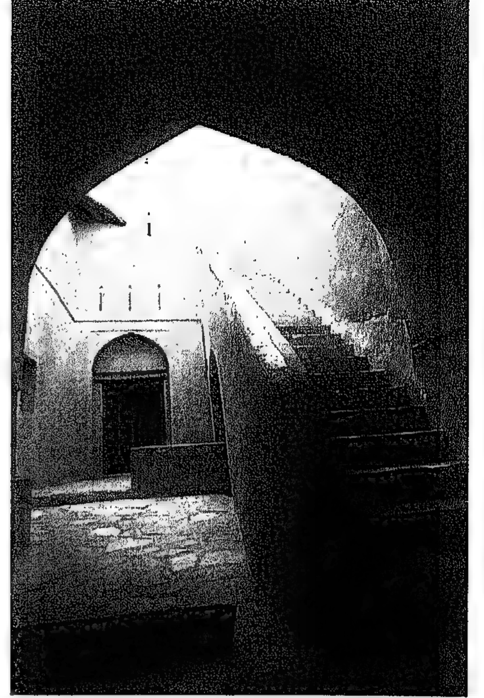
هذه الهجمات الخاطفـة هي التـــي أدت إلـى اقامـة قلعتين ضخمتين في مسقط هما قلعة الجلالي التي اقيمت في عام ١٩٨٧م وقلعة الميراني التي اقميت في عام ١٥٨٨م.

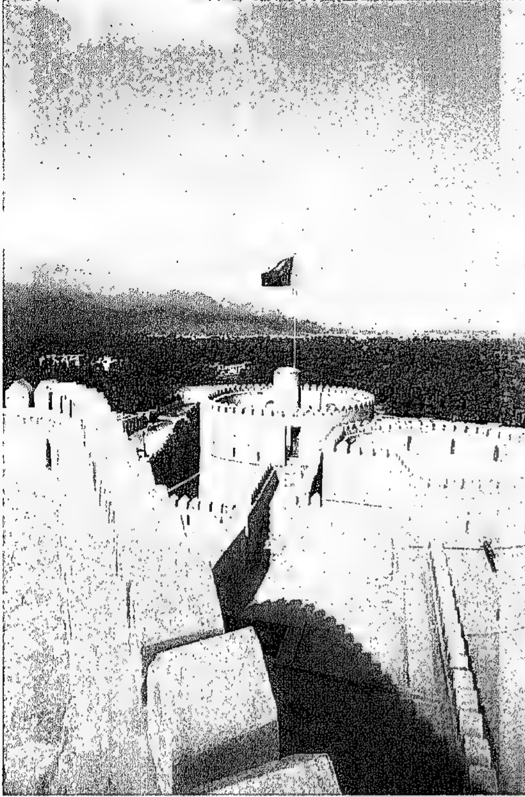
الأعمال المشتركة لطرد البرتغاليين

بحلول أوائل القرن السابع عشر كـانت السيطرة البرتغالية فـي المحيط الهنـدي تواجـه تحـديات متزايـدة من قبـل القوات المحليـة، فقد سقطـت هرمز فـي أيدي الفـرس في عـام ١٦٢٢م، بينما استـولت القـوات العمانية على جلفار. واعتمد البرتغـاليون على قاعـدتهم شديدة التحصيـن في مسقط وواصلـوا منها تطبيـق نظامهم بـاصدار تصـاريح «سلامة المرور» للسفن التجاريـة العابرة مقابل الحصول على مبالغ كبيرة من المال.

وقد تلت ذلك فترة توتر شديد بين البرتغاليين والسكان المحليين. (كـان ذلك هو الـوقت الـذي تم فيه بنـاء الجدار الرئيسـي لمدينـة مسقط). وحـاول الفرس، بتشجيـع من النجـاح الذي أحـرزوه في هـرمز، الحصـول على بعـض المكاسب واستطـاعوا السيطرة على صحـار لكنهم أخفقوا في طـرد القوة الأوروبيـة من مسقـط. وقد قـام الأدميرال روي فرايـر دي أندراد الذي قاد قـواته للدفاع عـن مسقط بالزحف على صحار لاستعـادة الميناء. وعندما لـم يتمكن


قلعة بهلا.




قلعة الرستاق.

أندراد من شن هجوم على هرمز من الجبهة الأمامية، اكتفى بتعزيز احدى القواعد في خصب بشبه جزيرة مسندم، وقام منها بمحاصرة هرمز انتظاراً لوصول التعزيزات من جوا.

وبحلول عام ١٦٢٤م ضعفت مكانة الفرس إلى حد أنهم طلبوا من القوات البحرية الأوروبية المنافسة التابعة لهولندا وانجلترا مساعدتهم في طرد البرتغاليين. ونشبت معركة بحرية كبرى في شهر فبراير ١٦٢٥م دامت لمدة يومين وتحدى فيها اسطول فارسي هولندي انجليزي مشترك القوات البحرية البرتغالية.

وكانت خسائر الطرفين كبيرة لكن الاسطول الانجليزي الهولندي الفارسي كانت له اليد العليا لأنه كان يستطيع اصلاح سفنه وتموينها في ميناء جو مبارون (بندر عباس) القريب بينما لم يكن أمام البرتغاليين سوى ميناء مسقط البعيد يستطيعون الرجوع إليه. وبدلاً من أن ينسحب الأسطول البرتغالي بقيادة نونو الفاريز بوتيلهو من المنطقة مكث عند مدخل الخليج في انتظار عودة الاسطول المشترك. وفي ٢٣ فبراير اشتبك جزء من اسطول الحلفاء في معركة مع البرتغاليين في محاولة يائسة لاغراق بارجة الأدميرال. ومع ذلك فقد نقصت الذخيرة لدى الطرفين ولم تكن النتيجة حاسمة.

الإمام ناصر بن مرشد

(إمام من عام ١٦٢٤ إلى عام ١٦٤٩م)

انقسم الاسطول البرتغالي بعد المعركة، حيث عادت العديد من السفن إلى قاعدتها الحصينة في جوا بالمحيط الهندي، بينما ظلت بارجة الأدميرال وعدد صغير من


قلعة مرباط المطلة على البحر.

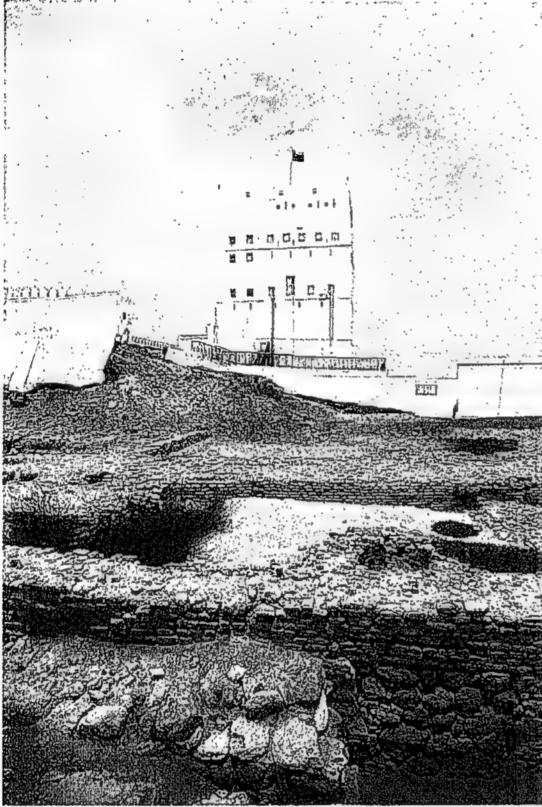
السفن للدفاع عن مصالحهم في الجزيرة العربية. وفي هذا الوقت كانت تتعرض للهجوم من البر والبحر ونجح القائد العماني الإمام ناصر بن رشيد (الذي تم انتخابه حاكماً لعمان في عام ٦٢٤م) في شن عدة هجمات برية ضد المعاقل البرتغالية. وفي عام ١٦٣٣م استولى على القلعة الموجودة في جلفار (في رأس الخيمة) والتي تم انشاؤها منذ ثلاثة أعوام فقط بناءاً على أوامر الأدميرال روي فرير دي أندراد. وفي العام التالي استولت قواته على صحار، وتمكن بعد مضي عشر سنوات أي في عام ١٦٤٤م من طرد البرتغاليين من قلعة رأس مسندم في خصب. وكادت احدى محاولات طرد البرتغاليين من مسقط في عام ١٦٤٨م أن تنجح فقد تمت محاصرة المدينة بأكملها من ١٦ أغسطس إلى ١١ سبتمبر وأجبر البرتغاليون على قبول شروط السلام التي قدمها الإمام، ووافقوا على تدمير تحصيناتهم في صور وقريات والغاء الضرائب المفروضة على العمانيين وتدمير الحصون الخارجية في مسقط ودفع تعويض مالي قدره ٢٠٠٠٠٠ باردوس.

وقد بدا من المؤكد أن النهاية وشيكة الوقوع، ولكن البرتغاليين بعد أن وافقوا في البداية على شروط السلام أعادوا التفكير مرة أخرى، ومن ثم تمت محاصرتهم مرة أخرى ولم يتم اجبارهم على الحضور إلى خيمة المفاوضات حتى ٣١ اكتوبر ١٦٤٨م. وقد تمخضت الشروط الجديدة عن طرد القوات البرتغالية من قلعتهم في مطرح والغاء الضرائب وعقد اتفاقية للتجارة الحرة والتعهد بعدم قيام البرتغاليين ببناء أية تحصينات جديدة خارج مسقط. ولم يدم انتصار الإمام ناصر فترة طويلة، فبمجرد وصول الاسطول البرتغالي من جاو في نوفمبر ١٦٤٨م نقض البرتغاليون نصوص المعاهدة في محاولة منهم للاحتفاظ بسيطرتهم على مسقط وتعزيز قاعدتهم في خصب بشبه جزيرة مسندم. وقد توفى الإمام ناصر في عام ١٦٤٩م قبل أن ينجح أبن عمه وخليفته سلطان بن سيف اليعربي بفترة قصيرة في طرد البرتغاليين من مسقط وتدعيم حكم أسرة اليعاربة في مسقط.

الأمام سلطان بن سيف اليعربي

(من حوالي عام ١٦٤٩م إلى عام ١٦٦٨م)

يصف حميد بن محمد بن رزيق في كتاب «الفتح المبين» هذا الانتصار العماني الشهير على البرتغاليين كما يلي:

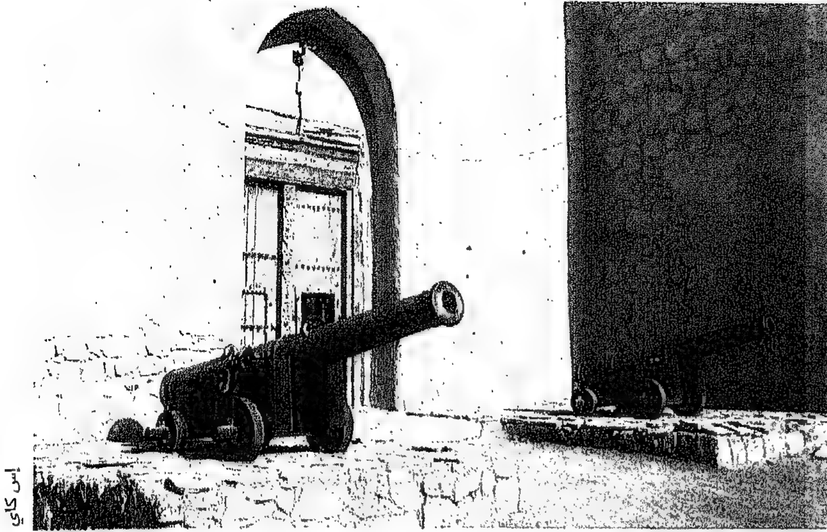


قال المصنف السائل ربه عنه وعن المسلمين، أهل الاستقامة في الدين دفع كل ضير وضيق، حميد بن محمد بن رزيق، أخبرني غير واحد من الثقات المسنين، الذين نشأوا في زمان سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، رحمه الله. فاتفقوا في الرواية معنى، واختلفوا لفظاً، فكان معنى كلامهم اللفظي والمعنوي، أن الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي المذكور لما توفى إبن عمه الإمام ناصر بن مرشد لم يمكث بعمان بعدما خلصت له الإمامة إلا أياماً معدودة إلى أن أسرع الوثبة لحرب النصارى الذين بيدهم زمام بلدة مسقط، ومطرح، وهم المسمون البرتكيس (البرتغاليون)، وولاتهم، من الهندجوة (الهنود)، وهم يومئذ أشد النصارى قوة في المملكة والسلطان، وإليهم سائر النصارى عضداً وأعواناً، ولكن لكل زمان دولة ورجال، فكان معسكر الإمام سلطان بن سيف، لما عزم على حربهم، بطوى الرولة



بالقرب من مطرح إلى سد روى، ومعه من الجند خلق كثير، فطفق جنده يغزون البرتكيس صباحاً ورواحاً، وهم مستعدون لحربه، لم يظهروا له الجبن ولا الاذعان، وقد أفعموا حصني مسقط وبروجها وسورها وجبالها برجالهم الشهيرة بالصبر على القتال، وحدّ غزوات عسكر الإمام سلطان بن سيف عليهم إلى بير الراوية من مسقط، إذ هم قد بنوا على رؤوس جبال مسقط بروجاً، وأكمنوا فيها رجالهم، أهل التفق (البنادق)، فكل من اقترب منهم من عسكر الإمام رموه برصاص التفق، وقد نصبوا في الهواء سلسلة من حديد، عليها سور من حديد من البرج المسمى الآن برج والدى محمد بن رزيق إلى البرج المسمى الآن المربع، فلم يزل من كمنوا في سرر تلك السلسلة المذكورة يرمون من اقترب منهم من عسكر الإمام برصاص التفق، وقد قبضوا الجبل المسمى السعالّي، من أوله إلى آخره، وقبضوا جبل المكّلا من أوله إلى آخره، وصوت التفق من الكامنين في الجبال وسائر المقابض لا يفتر لا سيما إذا جنّ الليل، وحراسهم وجواسيسهم يترددون عليهم بالأخبار بالليل والنهار، قد أخذوا من حزمهم الغاية، وبلغوا من الحذر النهاية، وقد أفعموا الصيرتين برجالهم المتقنين ضرب التفق والمدفع، فما تركوا للدخول عليهم سبيلاً.

فكانت الحرب يومئذ بينهم وبين الإمام وعسكره سجالا، لا قدرة للبرتكيس أن يخرجوا الإمام وعسكره من مطرح، ولا قدرة للإمام وعسكره أن يدخلوا مسقط على النصارى، بل كانت عسكر الإمام تدلف لهم، فيقتلون من يرونه حذاء الراوية في الأرض، ويقتلون من يرونه سائحاً في المكان الذي يسمى حلة العجم، والبحارنة، ونحوهم، ويرفعون أصواتهم إلى من بالسور من البرتكيس، ناجزونا، بارزونا، فإن الشجاع مع الحرب لا يتحصن بالقلاع والنيران، ويعيرونهم طويلاً، فلم يخرج إليهم منهم أحد لعلمهم أنهم ليسوا كفئاً لهم على المبارزة بالسيف ولا الرمح، ولا يمنعهم عن الدخول عليهم غير التفق والمدفع، فطالت الحرب بينهم على تلك الحال حتى كاد الإمام وحزبه أن يثنوا عزيمتهم عنهم لعدم القدرة على الدخول عليهم، حتى جرى بين البرتكيس وعابد البقر (طائفة من الهنود)، وهو المشرك المسمى «نروتم البانياني»



مدخل قلعة نزوى.

الشقاق في المصاهرة والتزويج.

وذلك أن نروتم المذكور كانت له بنت جميلة الصورة، قد خطبها من أمير البرتكيس على لسان رجل من شماستهم (من قسس النصارى) وطموسهم الملازم لكنيستهم التي بالحصن الغربي، وكان اسم أميرهم المذكور فرفرة، وقيل الفريرة، فما رضي نروتم أن يزوجه بابنته، وقد بذل الفريرة البرتكيسي مالا عظيماً، فأبى عن ذلك، فكان جوابه لرسول الفريرة، ان هذا الشأن الذي يريده مني السلطان لا يليق به ولا يليق بي، إذ هو نصراني المذهب، ومذهبي غير مذهبه، فهو وأهل مذهبه يحللون شرب الخمر، وأكل لحم البقر وسائر الحيوان غير الناطق، فما في القديم ولا في الجديد زوجنا نصرانياً، ولا زوجنا نصراني.

فقال له رسول فريره، لا ينبغي لك أن تخالف الأمير، وهو قد أحسن إليك غاية الاحسان، وأعطاك مفاتيح حوانيت الحصن، وغيرها ووكلك المال والبلاد، وفوض إليك الحل والعقد، فهو يقول، إن لم تزوجه طوعاً زوجته بها غصباً، وفعل بك ما لم يفعل بأحد قبلك من التعزير والغرامة وسائر العقوبة المهلكة لك ولأهلك فأطعه ولا تخالفه، فإن من خالف الملوك العظام أسلمته مخالفته للحمام.

وأكثر عليه رسول الفريرة بمثل هذا الكلام.

فلما رأى نروتم، لا تنقذه من شر الفريرة إلا الحيلة لّين للرسول الجانب وموّه له الطاعة وقال له، أمض أمامي إليه، فإنني جعلت في هذا الشأن، وإن شان معولي عليه، فليطلب من قبلي نفساً، وأنست كذلك، فلما سارا إليه وجداه بارزاً برزة عظيمة بقومه في الجزيرة.

فلما سلم عليه تسليم رعايا النصارى لملوك النصارى أخذ بيدهما، وفسح بعسكره المحدقين به، فصعد بهما إلى غرفة الجزيرة، فقال، ما خطبكما في الخطبة، فقال له نروتم، اعلم أيها الأمير، أن الأمر الذي جاءني رسولك به فهو عليّ يشق، لأجل المباينة في المذهب بيننا وبينكم، وعدم العادة، فإذا كان ولابد من ذلك فامهلني إلى سنة حتى أحلي ابنتي الحلى التي تلبسها نساؤها اللواتي لم يمسسهن بعل وهذه الصيغة المحكمة لا يقدر على نظمها إلا بعض صوّاغ بلدة ناجنة، وقبل خروج هذه السنة، ودخول الثانية لا يسهل نظم الصيغة المحكمة، وكلّ ما هو آت قريب، وإني لك لمن الناصحين العارفين بعواقب أمور الحرب، وما فيها من الراحة واللغوب، فإن ملك عمان، سلطان بن سيف، ما رفع عنك السيف، فهو كامن لك برجال كالصلال، وعساكره تترى إليه من عمان، يرجوك أن تبارزه، وأنت متقهقر عنه، لا قدرة لك على مبارزته، فصرت كالذليل، وصار كالعزيز القوي، فعلى هذا الشأن أخشى أن يهجم عليك هو ومن معه من العساكر، فيقتحمون سور البلاد كالآساد، فهو الآن على ما يرجحه ظني ينتهز الفرصة للهجوم على البلاد، والدخول من أبواب السور قسراً، فإنهم إذا أقلوا عليه السلالم، فلا أشك أنهم يبلغون فيك مرادهم، فلا يبقى معك إلا الحصنان، الغربي والشرقي، فيحصرونك حينئذ أشد حصار، وتنقطع عنك مادة الانتصار، لا سيما من قبل الماء العذب، فإنه ليمنعه عنك، فتبقى أنت وأصحابك في أشد عطش، وهيهات أن يصبر محصور على عدم الماء، وبه حياة النفس، فإن الماء الذي هو في برك الحصنين والصيرتين ماء قديم، تسبح فيه الديدان المضرة بالأحشاء، فعلى طول مدة الحصار لا يسلم من شرها المحصور الشارب من مياه هذه البرك، والثانية أن البارود والزاد الذي في الحصنين والصيرتين صارا قديمين،فالأولىّ أن تنزف الماء منهن، وتغسل البرك قبل الحصار بماء جديد عذب، وتخرج البارود منهن، فتصلحه بالدق، وتخرج منهن الطعام القديم، فتدخل فيهن طعاماً جديداً، فإننا إن أدخلنا الطعام الجديد مع الطعام القديم دخل دود الطعام القديم في الطعام الجديد فيفسده، وتحصل منه الاسقام المفضية إلى الحمام، وأكثر عليه مثل هذا الخطاب في هذا الباب.

فلما سمع الفريرة منه ذلك قلده في جميع ما قال له من الأمر، وتخيلت له هذه الخديعة منه نصيحة خالصة، فأمهله التزويج كما طلب إلى سنة.

فلما أخرج نروتم ما في الحصنين والصيرتين من

الماء والزاد والبارود قاطبة كتب إلى الإمام سلطان بن سيف بسرعة الوثبة إلى مسقط، وأنفذ الكتاب بيد رجل من أصحابه سراً، ومعنى كتابه له، أنك يا إمام عمان، طالما حاصرت البرتكيس، وأنت في مطرح، وهم في مسقط، فما أجدتك المحاصرة شيئاً، إذ هي لا شيء، فالرأي السديد، إذا كان يوم الأحد من هذا الشهر أسرع الوثبة إلى مسقط، فإني صنعت بهم كذا وكذا لما أرادوا أن يصنعوا بي كذا وكذا من قبل الصهرية، فالآن لا ماء ولا زاد، ولا بارود في الحصنين والصيرتين، وإنما القوم في يوم الأحد، وهو يوم عيدهم لا يحملون فيه السلاح، لاشتغالهم بشرب الخمر والنفخ في الزمر، فإنك إذا دخلت رقعة مسقط بلغت منهم المطلوب، وفي حال دخولك، اركض أنت وقومك على الكوتين والحصنين، فاحرق أبوابها المغلقة بالنار، فإن البارود الذي فيهما قد أخرجته، وأدخلت عوضه باروداً صبّ عليه الخل فلا يجديهم بشيء، وإياك والمهلة بعد اليوم الذي ذكرته لك، فإنك إن نبذت كلامي وأخذت بكلام غيري، وكلامه ضد كلامي، لم تبلغ المطلوب، ولو حاصرتهم سنين.

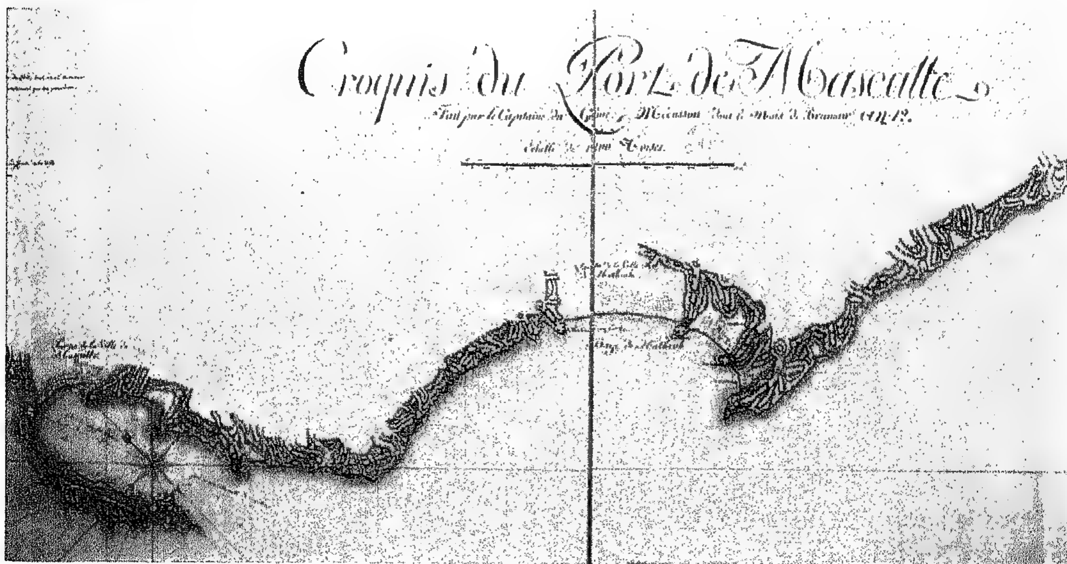
فلما قرأ الإمام الكتاب وأسمعه الآتي بنصيحة نروتم، وما صنعه في البرتكيس من الحيلة بعد ما كان فيه منهم من قسرية التزويج والتكليف على المصاهرة، وحلف له بالله العظيم، أنهما في قولهما له من الصادقين، أجاب الآتي بالكتاب بامتثال الأمر، وأخفى الخبر عن الخاصة والعامة، فرجع الآتي بالكتاب إلى صاحبه مسرور القلب، قريراً.

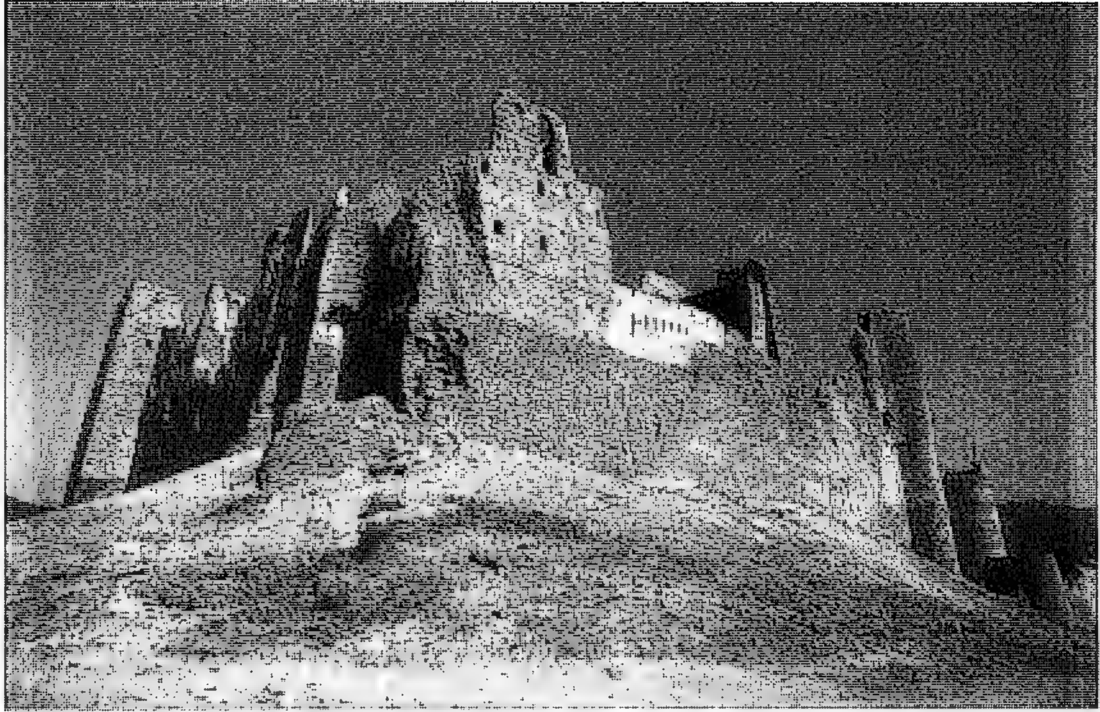
فلما أخبر نروتم عن امتثال الإمام إليه، وأنه عوّل على ما عول عليه انشرح صدره، وكاد من السرور المستلاح أن يطير إلى الإمام بلا جناح.

فلما كان يوم الأحد من الميعاد صلى الإمام بالقوم صلاة الضحى، وصلاة الحرب بعد صلاة الضحى، وسأل الله له وللمسلمين بعد الفراغ من الصلاتين النصر والفتح المبين على المشركين، فنهض بقومه جميعاً، وأسرع بهم الوثبة.

فلما بلغوا إلى رأس عقبة الوادي الكبير من جبال مسقط أخذ منهم البيعة على التسور للسور والركضة على الكوتين الحصنين، وسائر المقابض التي بيد البرتكيس من حد مسقط إلى مطرح، فبايعوه على التفصيل والجملة.

فلما أخذ البيعة منهم مشى أمامهم، وهم يكررون، الله أكبر، اللهم انصر المسلمين الاستقامية، على البرتكيس أهل الحرلحيه، حتى إذا كانوا تحت السلسلة المنصوبة جعلوا يضربون من في سورها برصاص التفق والحجارة، فلم يلتفت إليهم أحد بضرب تفق ولا برمي حجارة، قد أغل الله أيديهم عنهم فانصرفوا عنهم، فلما وصلوا إلى السور أقلوا عليه السلالم، فملكوا أبواب السور كلها، ولم يكن من البرتكيس غير العربدة بالسكر، لا تصل أيديهم لقبض السلاح، فضلاً عن الضرب والطعن به، فوضع المسلمون فيهم السيف وطعن الرماح،





قلعة بهلا.

فتركوهم صرعى، كأعجاز نخل منقعر، ثم انقسموا قسمين، قسم ركض على الحصن الغربي، وقسم ركض على الحصن الشرقي، فأقلوا عليهما السلالم، فلما شرع من فيهما إلى ضرب المدافع خانهم البارود، فما شعروا إلا والسيوف تقد جماجمهم وحناجرهم والرماح والخناجر في صدورهم.

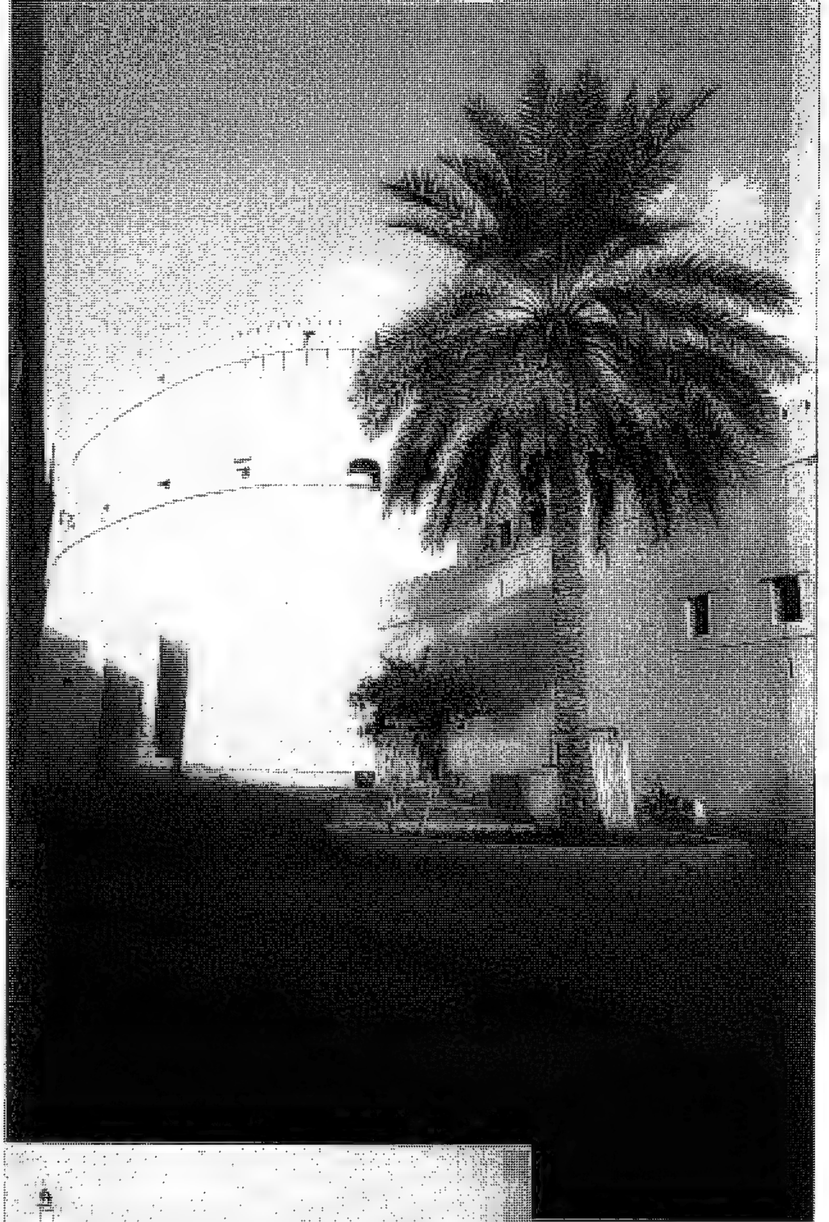
فملك الإمام وقومه السور والحصنين والصيرتين وسائر المقابض إلا البرج المسمى بإسم أميره، كبريته، وكان كبريته من شجعان البرتكيس، فظل يحارب الإمام وقومه، ويركض عليهم إذا وجد الفرصة للركضة ومعه من أصحابه رجال عدة، فهجم ذات يوم على المسلمين القابضين بالجزيرة فخرجوا إليه، فانكسر عنهم، فتبعوه حتى إذا كان بسوق البز وقف وقفة شديدة، فأشرعوا فيه وفي أصحابه الشرع الرماح، والبيض الصفاح، فقتلوه ومن معه جميعاً، وأراح الله المسلمين منه ومن أصحابه المشركين.

ثم إن الإمام أمر بعض أصحابه الركضة على القابضين حصن مطرح من فئة البرتكيس، فما استتم كلامه إلا وأميرهم قد أقبل إلى الإمام يريد منه الأمان، فأمنه الإمام على قبض الحصن منه، فسلمه إلى الإمام، ونهى عن قتله وقتل أصحابه، وما بقى للإمام منازع من البرتكيس إلا أهل مركبين عظيمين من مراكبهم، فمضى أحدهما إلى مطرح، فطرح أناجره (مرساه السفينة) بعيداً من الحصن، وجعل يضرب البلاد بالمدافع، والحصن يضربه، فلم يصبه رصاص مدفعه لابتعاده منه، والثاني جعل يضرب الرقعة الداخلية من مسقط، فبلغ رصاص مدافعه إلى أقصى سداب.

فلما أكثر من الأذى أمر الإمام المسلمين بالركضة عليهم، فاعتذروا له وقالوا، لا يركض على



أحد المدافع في مرباط.





قلعة نزوى وفي الصورة الصغيرة سقف القلعة.

المـركـب العظيم إلا مـركـب مثلـه، فقـال له صـاحـب المغيـوث، أيهـا الإمام، إن الأرواح نفيسـة، لا تبـاع إلا بالمـال الجزيـل فعليك المـال وعلي الـرجال، فأجابـه الإمام على ذلك.

فمضى صـاحب المغيوث إلـى عمان، فانتخـب منها مائة رجـل في فمهـم الحمام ألـذ من المـدام في أهـل المدام، فلمـا أقبل بهم إليـه، وأجزل لهم المـال ركضوا على المركبيـن المذكورين على سفـن صغار فنصرهـم الله على الكفـار فاسـتأصلوا المركبـين، وقتلوا مــن فيهما من المشركين.

ثـم إن الإمام ولـى علـى مسقـط سيف بـن بلعـرب اليعـربي، وتـرك معه عسـاكر جمـة، وأمـره بالحــزم والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر، ونــزول الرعيّـة في الحكم بـالسويق، ورفع الجـزية عن نروتـم وأهـل بيته جزاء إعانته إليه وإلى سائر المسلمين.

وبعـد نجـاح الإمـام سلطـان بـن سيـف فـي طـرد البرتغاليـين من عمان، شرع فـي ملاحقتهم في المـواقع الأخرى من المحيط الهندي معلناً الحرب المقدسة عليهم وقام بتعـزيز التحصينات الـرئيسية وكان مسـؤولاً عـن بناء أول قلعـة برجية دائرية فـي نزوى وهي القلعـة التي استغرق بناؤها ١٢ عاماً.

وسـرعـان مـا أدرك حكـام عمـان اليعـاربـة، وعبـرة ودروس تجربـة القوات البحـرية البرتغـالية لا تـزال في ذاكرتهـم، مدى أهمية الاحتفاظ بـاسطول بحري حـديث يضـم سفناً بحـريـة تستطيع حمـايـة مصالحهـم فــي المحيـط الهندي وفـي الخليج. وقـد سـاعدهـم في ذلـك استيلاؤهـم على السفن البرتغـالية والأسلحة فـي مسقط وحقيقة أن البـرتغاليـين لم يعـد لهم ملجـأ مأمـون علـى امتداد سـواحل عمـان. وبينما تم الانتصـار في المعـركة البريـة فإن المعركة البحـرية لم تنتـه بعد فقد كانـت لدى البرتغـاليين قـواعد هامـة في المحيـط الهندي وكـانوا لا يـزالـوا يغيـرون علـى السفـن العربيـة أثنـاء قيامهـا بالتجـارة بين الهنـد وأفريقيـا والجزيـرة العربيـة ومصر ودول الخليج.

ومع ذلـك تزايـد تعرض البـرتغاليـين للهجـوم مــن جانـب السـفن العمانـيـة التــي قامـت بمهاجمـة الحاميات الموجودة فـي بومباي في عام ١٦٦١/١٦٦٢م وفي ديـو في عـامي ١٦٦٨ و١٦٧٦م وفـي باسيـن فـي عام ١٦٧٤م وفـي كونـج (على السـاحل الفـارسي) في عام ١٦٧٠م.

وفي أفـريقيا تعرض المعقل البـرتغالي في مـوزمبيق للهجوم في عام ١٦٧٠م.

وبعد ضغـوط متواصلة مـن البحرية العربيـة دامـت ٢٨ عاماً تم في عام ١٦٩٧م الاستيلاء على قلعـة المسيح في مومبـاسا. وبالرغم مـن هذا النجاح فقد عـانت السفن العمانيـة الكثير علـى يد البـرتغاليـين وذلك خـلال فترة


Milliaria Germanica Communia.
PERSIÆ PARS.
Basora
MARE ELCATIF olim SINVS PERSICVS
Gamaron
Ormus
Basora Fretum
Elcatif Desertum
ORMVS
Mascate
Mascalat
MASCALAT
Cancri
BESCHARIN
MAFFA
Maffa
Martimos mons
AMANZIRIFDIN
Amanzirifdin
ALIBINALI
Alibinali
Deserta Vasta
GVBELHAMAN
Gubelhaman
FARTACH
Fartach
MARE ARABICVM et INDICVM
Zocotora Insula, Hinc optima Aloe, del nos vehitur.
As duas Irmaõ
Abo dal Curias
I. de Mazira
C. de Rasalgate
Bay Nassau

خريطة تبين عمان والجزيرة العربية والمحيط الهندي الذي يسيطر عليه البرتغاليون مأخوذة من كتاب الأطلس لبلاو، ١٦٦٢م.

القلاقـل البحرية الطـويلة هذه وتم وصـف الوضـع بـأنه «متجمد ومكلف وضار للطرفين» (بوكسر، ١٩٦٩).

وعلى الرغـم من أن المعركة ضـد البرتغاليين لـم تنته بعـد، فـإن الفـوز السـاحق فـي مسقـط وطـرد القـوات البرتغاليـة من الموانيء السـاحلية العمانية قـد ترك هذه الموانيء تحـت السيطرة التامة للـوكلاء التابعين لـلأئمة اليعاربة الذين ظلوا في المدن الداخلية مثل نزوى وبهلا.

وهكـذا أصبح مـن الممكـن الآن أن تفرض السلطـات المحلية الرسوم الجمركيـة وأن تسيطر سيطرة أعظم على التطور والتقدم الذي يحدث في مناطقها.

وقد كتـب المـؤرخ العمانــي حميد بن محمد بن رزيق ما يلي عن هذه الفترة:

أن عمان اعتمرت فــي أيام دولته وزهرت، واستـراحت في عصــره رعيتــه، ورخصت الأسعــار، وصلحـت الأسفـار، وربحــت التجـار، وســدت الأثمار، وكـان متـواضعـاً لله الواحـد القهار، رؤوفـاً بالرعيـة صفوحـاً عنهم عمـا جاز الصفح فيـه شرعـاً، ولم يكـن متحجباً عـن رعيته، وكـان يخـرج إلى الطـريـق بغير عسكـر ، ويجلـس مع النـاس ويحدثهم، ويسلم على الصغير والكبير، والحر والعبد.



من منتصف القرن السابع عشر حتى القرن العشرين

الإمام بلعرب بن سلطان

(من حوالي عام ١٦٦٨م إلى عام ١٦٩٢م)

عند وفـاة الإمام سلطـان تم اختيـار أبنه بلعـرب امامـاً، ومرت الأمـور سلسـة لبعـض الوقت وقـام بلعرب بـدعم هيكل الاصلاحـات الاجتماعية وحركـة النمو الاقتصادي وهي من العلامـات التي كانت تميز فترة حكـم أبيه وقام بتأسيس وتمـويل كلية في نزوى ووفر التعليـم المجاني للطلاب المسجلين بالكلية.

وفي النصـف الثاني من فتـرة حكمه نشأ شقـاق بينه وبين أخيه سيف بن سلطان تسبـب في وقوع اضطرابات خطيرة. وفـي النهاية هيمـن سيف وتم اعـلان تنصيبـه إمامــاً على عمـان بينما كـان بلعرب لايـزال يحمل هـذا اللقـب. وأخيـراً حاصـر سيــف بلعـرب عنـد جبريـن حيث قتل الأخير.

سيف بن سلطان

(من حوالي عام ١٦٩٢ إلى عام ١٧١١)

إن أحد المعـاييـر التـي تعبر عـن كيفية نجـاح عمان فـي تجارتهـا الدوليـة تتضح من حقيقـة أن الإمام سيـف بن سلطـان، الذي امتـد حكمة عبـر القـرنين السـابع عشـر والثامن عشر (١٦٩٢-١٧١١م)، كـان يمتلك ٢٨ سفينة مختلفة تتضمـن سفينة حـربية واحـدة مجهزة بثمـانية مدافع هي سفينة «الفلك» و ٧٠٠ شخصاً.

وقد قام العاملون لديـه بغرس حوالي ٣٠٠٠٠ شجرة نخيل فـي عمان في ذلـك الوقـت بالاضافـة إلى ٦٠٠٠ شجرة من أشجار جوز الهند.

ويوجد تقريركتبـه أحـد الزائريـن الانجليز لمسقـط في عام ١٧٠٥م يتحـدث فيه عن ١٤ سفينة حربيـة في ميناء مسقط و١٥ أو ١٦ سفينة أخـرى في عرض البحر. وطبقا لما جـاء في كتاب ألكسندر هاملتـون عـن جـزر الهنـد الشـرقيـة والذي نشـر فـي عـام ١٧٢٧م فـإن الاسطول البحـري العمانـي فـي عصـر خامـس الأئمـة اليعاربة، وهو الإمام سلطان بن سيف الثاني، كان يتألف مــن سفــن بتصميمــات أوروبيـة تتضمــن سفينـة حـربيـة واحـدة مجهـزة بـاثنيـن وسبعيـن مـدفعـاً وبارجتين مجهـزتين بستين مـدفعاً وبـارجة واحـدة مجهزة بخمسيـن مدفعـاً و١٨ بارجـة مجهزة بمـا يتراوح بيـن ١٢ و٣١ مدفعـاً وبعض السفن الصغيرة المجهزة بأربعة إلى ثمانية مدافع.

لكن ما كان يعتبر في عيون حكـام عمان نشاطاً بحرياً شرعياً كان يعتبره الذيـن يحاولون السيطرة عليهم أعمال قـرصنة. ولـم يلتفت أحد إلـى الرعـب والحـرمان الـذي فرضته القوات البرتغالية علـى العمانيين أو إلى جهودهم المفهومة للانتقام لما أصابهم.

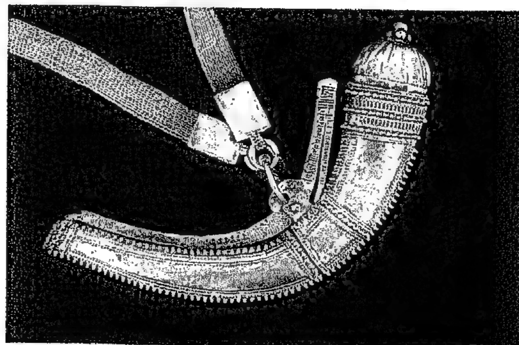
وبينمـا أصر الأوربيـون على آرائهـم المنحازة حـول العـرب، فإنهـم لـم يروا أي خطـأ فـي مهـاجمة سفنهـم وارهـاب أهلهـا. وقد تنحصـر النظرة الأكثـر موضوعيـة في هـذا الخصوص فـي أن العمانييـن كانـوا في الـواقع أكثـر تحفظاً فـي ردهـم وكانـوا مهتمين فعـلًا بـإقامـة علاقـات دولية جيـدة مبنية علـى المعاملـة العادلـة. وقد أصروا عـن حق على الـدفاع عـن تراب عمان وعـن أهلها وثقافتهم ودينهم ضد التدخل الأجنبي.

ومن الغريب تماماً أن يكون نجاح العمانيين في القيام بذلك هو الـذي جعل من بلادهم اليوم مكـاناً مثيراً يغري الأوربيين بزيارته.

الامام سلطان بن سيف الثاني

(من حوالي عام ١٧١١م إلى عام ١٧١٨م)

تـوفـى الإمـام سيف فـي الرستــاق فـي عـام ١٧١١م، وخلفـه إبنه سلطـان بن سيف الثاني الـذي نـقل قاعدتـه العسكريـة مــن الرستــاق إلــى الحـزم. إن القلعــة الموجـودة هناك هي تـذكار له حيث يقال أنه أنفـق كـل ثـروته علـى بنائهـا. وقــد اتســم عـصره باستمــرار السـلام والازدهار الـذي كانـت عمان تتمتـع به خـلال معظم سنوات القـرن الماضي. وقد حـاز الإمـام سلطـان على احتـرام الجميع بصفته حاكمـاً قوياً وعادلًا، وتـوفي في القلعة حيث دفن هناك.



الصراعات في الإمامة
الامام سيف بن سلطان
(حــوالــي عــام ١٧٠٨-١٧١٩م، ١٧٢٣-١٧٢٤م، ١٧٢٨-١٧٤٣م)
الامام مهنا بن سلطان
(من حوالي عام ١٧١٩-١٧٢٠م)
الإمام سلطان بن مرشد
(من حوالي عام ١٧٤١-١٧٤٢م)

في أعقـاب وفاة الإمام سلطان بـن سيف الثاني فـي عام ١٧١٨م شهدت عمان فترة من الصـراعات نتيجة للتنازع على السلطة بين الطوائف اليعربيـة المتنافسة. فقد اعتبر البعض أن سيـف بن سلطـان، الذي كـان لا يزال صبيـاً، أصغر من أن يتولى مقاليد السلطـة وكانت هناك اتجاهات قوية لتنصيب مهنا بن سلطان إماماً.

وقد تمخضـت مقاومـة هذا الاتجـاه عن مصـرع مهنا وعندئذ ازداد التباس الأمر مع ظهـور عدة مرشحين جدد. وشهدت عمـان صراعاً دام عـدة سنين وانتهى أخيـرا في عام ١٧٢٤بانتصار محمد بن ناصـر الغافري الذي كانت قبيلته فـي تنافس شـديد مع قبيلـة الهناويين التـي كان يتزعمها خلف بن مبارك. ومع ذلك، فلم يدم هذا الانتصار طويلاً لأن خلف بن مبارك تمكن مـن اقناع أتباعه بمقاومة الغافريين، ووقعـت معركة حامية في صحـار لقـي فيهـا خلف بن مبـارك مصرعه وأصيب فيها نصيـره محمد بن نـاصر بجـرح مميت. وفـي أعقاب وفـاة ابن نـاصر فـي مـارس ١٧٢٨م إعيد انتخـاب سيف بـن سلطـان إمامـاً بتأييد من الطائفتين المتنافستين.

وبـرغم ذلـك لم تستتـب الأمـور فقد قـاد أحد أخـوال سيف وهو بلعرب بن حمير المقيـم في نزوى ثورة ضده. وحققت هذه الثـورة نجاحاً جزئياً واستولـت على السلطة في نـزوى وسمائل وإزكـي ونخل والشـرقية والظـاهرة. وبينمـا تم اعـلان تنصيـب بلعرب إمـامـاً فـي المناطـق الداخليـة، كان سيـف يسيطر علـى المناطـق السـاحليـة. وهكذا تمت تجزئة السلطنة في عمان.

وقـد أدت الحـرب الـداخلية (الأهلية) إلـى إضعـاف الأوضاع الدفاعية في عمـان وهي حقيقة لم تكـن لتغيب عن عيون الفرس الذين لـم يغفلوا مطلقاً عـن مصالحـهـم فـي عمان. وكـانت ايـران تحـت حكـم نـادر شـاه قــد أصبحــت مـرة أخــرى قــوة محليــة لا يستهان بهــا حيـث استولـت علـى البصـرة فـي عام ١٧٣٥م وعلــى البحـرين فـي عام ١٧٣٦م. وقـد طلب الإمـام سيف بـن سلطـان المساعـدة مـن نـادر شـاه ليستعـيد سيطـرته علـى عمان بـأكملها ودعـاه ليجلب جيشـه إلى البــلاد. وانتصـر الجيـش الفارســي فــي خور فكان فــي ابريـل عـام ١٧٣٧م، لكن هـذا الانتصـار أفسـدته فــي الحـال تصرفـات القائد الفارسـي لطيف خان وانسحبـت قوات نـادر. وقد أدى الاحتجـاج على قيـام الإمـام سيـف بـن سلطان بدعــوة الفرس لمهاجمـة العمـانيين إلـى اندلاع بعض الاحتجاجات الأخرى علـى حكمه أسهمـت بدورها في معاودة الإمـام سيف طلب المساعدة مـرة أخـرى من نادر شاه.

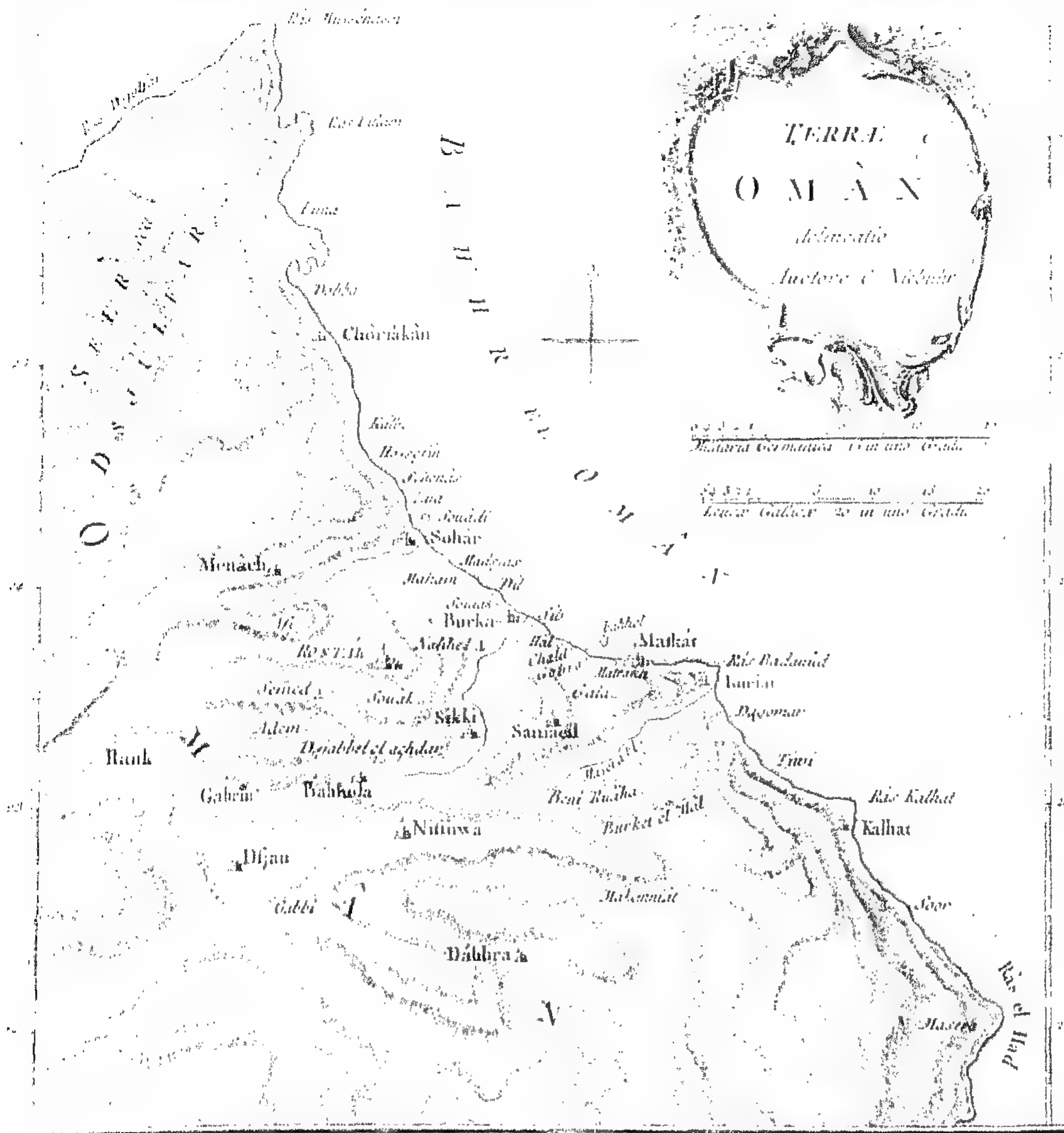
وفي هذه المرة أرسل الحاكـم الفارسي جيشاً قويـاً إلى عمان قــوامه ٦٠٠٠ رجلاً بقيـادة تقي خان ولطيـف خان. وكان هـذا الجيش قوياً وكـاملاً بالتجهيزات والمعـدات ولم تستطع القوات العمانية المنشقة أن تقف في وجهه.

وبحلـول الوقـت الـذي سيطـرت فيه قـوات الجيـش الفارسي على مدينتي نـزوى وبهلا ومدينة مسقط (دون أن تفلح فـي الاستيلاء علـى قلعتيها المحصنتيـن جيداً) كان الإمام سيف قد ندم على هـذه الدعوة. فقد قتل العديد من المدنييـن أثناء تقدم القوات الفارسيـة وانتشر النفور



الساحة المركزية لحصن جبرين.

وزارة الاعلام



خريطة لعمان رسمها كارستين نيبوهر.

مما حدث. وهرب الإمام سيـف بسفنه إلى أحضان الأمان النسبـي في بـركـاء وقام بتشكيـل فـريـق من الحلفـاء المتآلفيـن قادر على طـرد الفرس. ولتحقيق هـذا الهدف إضطر إلـى الالتجاء إلى عـدوه الأسبق بلعرب بـن حمير الذي استطـاع أن يصل معـه إلى اتفاق لتـوحيد قـواتهما تحت راية واحدة لمواجهة العدو المشترك.

وبينما كـان الأعداء يتحدون كـان الرفاق علـى وشك الانفصـال. فقد وصـل النزاع بيـن القائديـن الفارسييـن ذروته لـدرجة أن تقـي خان دس الســم لرفيقـه السابـق لطيف المتعجرف.

ومرة أخرى أصبحت عمان المتحـدة عسكريـاً في وضـع أفضـل كثيـرا لمجابهـة الـغـزو الفارســي، وتــم استــرداد سمائل وإنهـاء حصار صحـار وتقهقر الجيـش الأجنبي إلى جلفار في مسندم. وفي نفـس الوقت كان نادر شاه يواجـه بعض الصعوبات في بلاده أولهـا ثورة شعـب Gombroon، واضطر إلـى إستدعـاء قواتـه. وأخيـراً وفـي عـام ١٧٤٢م استقـر الـرأي على أن الإمـام سيـــف بــن سلطـان قد أصبـح ضعيفـاً ولا يصلـح كحاكـم وطلـب مجلـس من القضــاة والشيــوخ من سلطـان بـن مرشـد اليعـربـي أن يتولـى مقاليـد الحكم. وأيـدت المـــدن الـداخليـة، سمائـل وإزكـــي ونــزوى وبهـلا قـــرار التنصيب الجـديـد وهجـم جيش ابـن مرشـد علـى مقـر الإمـام سيـف في قلعـة الـرستـاق وتـم اجبـاره عــلى الانسحاب إلى مسقط.

وفي نفس الوقت وصل الجيـش الفارسي إلى مسندم حيث قـابله الإمام سيف بعـد أن طلب العون مـرة أخرى مــن نـادر شاه. وفــي مسقـط قـررت القوات البحـريـة العمانيـة تأييـد الإمام الجديـد سلطان بـن مرشـد الذي يحظى بشعبية أكبر. ووافق المخططـون العسكريون في مسندم على أن تقوم سفن الاسطـول الفارسي بهجمتين طويلتين بقيادة كلب علي خـان لمحاصرة صحـار على أن يعود مرزا تقي خان مع الإمام سيف إلى مسقط.

وكان ذلك هـو الحصار الثالث لمدينة صحـار حيث تم الحصار الثاني في عام ١٧٣٨م عنـدما قاد أحمد بن سعيد



(مؤسس أسرة البوسعيد) مقاومة حاسمة. وفي تلك المرة حاصر الفرس صحار عن طريق قطع طرقها البرية ومحاصرة مينائها لمدة سبعة أشهر.

وكانت معركة مسقط دامية وتصدت القوات الموالية لسيف بن حمير في البداية للقوات الفارسية عند نزولها بالقرب من سيح الحرمل ودفعوهم نحو روي. وفي اليوم التالي عاد الفرس لمهاجمة مطرح حيث قابلهم المدافعون العمانيون.

وبعد معركة عنيفة اشتبكوا فيها بالأيدي انتصر الفرس وتم قتل سيف بن حمير والعديد من أتباعه. وبعد هذه المعركة امتطى العديد من الفرس خيولهم واتجهوا إلى مدينة قريات الساحلية غير الحصينة حيث قاموا بأسر النساء والأطفال. وقامت مجموعة أخرى من جنود الفرس بمهاجمة قرية مسلمات.

وبعد محاولتين مضنيتين للاستيلاء على قلعتي الجلالي والميراني نجحت القوات الفارسية في المحاولة الثالثة، وجمع الإمام سلطان بن مرشد قواته من المدن الداخلية واتجه إلى صحار لمساعدة الوالي أحمد بن سعيد الذي كان يقود مرة أخرى مقاومة المدينة ضد القوات الفارسية. ووقعت معركة خارج المدينة انتهت بمصرع القائد الفارسي كلب علي خان وإصابة الإمام سلطان بن مرشد إصابة مميتة.

الإمام أحمد بن سعيد البوسعيد

(مؤسس إسرة البوسعيد)

(من حوالي عام ١٧٤٤-١٧٨٣م)

فقد الإمام سيف بن سلطان، الذي أصبح ضعيفاً الآن، تأييد شعبه، وكان من الواضح أمامه إنه حتى ولو انتصر الفرس فإنهم لن يعيدوا إليه كل شيء. فقد تم الاستيلاء على قلعتي مطرح ومسقط بالدم الفارسي ولو كان الأمر في يد نادر شاه إذن لظلت القلعتان في أيدي الفرس. وكان سيف بن سلطان معرضاً للخطر من قبل شعبه بنفس درجة تعرضة للخطر من قبل الفرس أنفسهم.

وأصابت الإمام سيف نوبة من الكآبة الحادة واليأس وغادر صحار واتجه إلى قلعة الحزم حيث يقال أنه أبلغ أحد رفاقه القدامى «تلك هي قلعتي وقبري لأن راحة الموت أفضل من أي سعادة جلبها علي حكمي. إن طلعتي تزعج عيون الجميع». وقد توفى بالفعل بعد وصوله إلى قلعة الحزم بفترة قصيرة وتم دفنه هناك.

وكـان مـن الطبيعـي الآن أن تنتقل قيـادة المقـاومـة العمانيـة للغزاة الأجانب إلـى أحمد بن سعيد الـذي أبدى بالفعل بسالة كبيرة. وأصبـح الأختبار الذي يواجهه الآن اختباراً قـاسياً. فقد كان الجنـود العمانيون غير قـادرين ببساطة على فك الحصار الفارسي لمدينة صحار بالرغم من بذل عدة محاولات باسلة لتـزويد المدينة بالتعزيزات والمؤن والامدادات.

ورغم استشهـاد ثلاثـة آلاف عمانـي في القتـال فقد رفضت صحار أن تذعن للضغوط الفارسية.

وسعـى القائد الفـارسي للقـوات المحـاصرة والـذي أدرك مـدى العـزيمة الجبـارة للـوالـي أحمد بـن سعيـد وأتباعـه، إلى طلـب موافقة نـادر شاه علـى عقد اتفـاقية سـلام يتم بمـوجبها إنهـاء الحصـار وانسحاب القـوات الفارسية من عمان مـع الاحتفاظ بمسقط واحتفاظ أحمد بن سعيـد بمدينتي صحـار وبركـاء ودفع اتاوة للحـاكم الفارسـي. ووافق نـادر شاه على شـروط الاتفاقيـة وتم عقدها مع أحمد بن سعيد.

وبمجرد إنسحـاب القوات الفـارسية لـم يجد الإمـام أحمد مـا يدعوه إلى إحتـرام شروط المعتدي وامتنـع في الحال عن دفـع الاتاوة واتخذ في نفس الوقـت الترتيبات لتحويل جميع خطوط التجارة البحرية عبر بركاء بدلا من مسقط المحتلة.

وعندما أدرك تجـار مسقط ما يحدث هجـروا المدينة التي تحـولت إلى شبح تعيـش فيها القوات الفارسيـة في عزلة داخل القلاع العمانية.

وقد تلى ذلك سلسلة من الأحداث السعيدة التي مكنت أحمد بـن سعيد مـن استرداد قلعتـي مسقط دون إراقـة قطرة دم. فقد هبـت عاصفة قوية سببـت انحراف إحدى السفن التي كـانت تحمل ماجـد بن سلطان، أحد أقـرباء الإمام سيف بن سلطـان الذي توفى مؤخراً، عـن مسارها وطلبت اللجوء إلى صحار.

كان ماجد في طريق عودته من شيراز حيث سلم نادر شاه حـاكم ايـران رسالة مـن قائد حـامية قـلاع مسقط يطلـب فيهـا تسليم القـلاع إلـى مـاجد بصفتـه الخلـف المباشر لسيف بن سلطان الذي تـوفى مؤخراً. وقد وافق نادر شاه على هـذا الطلب وكتب رسالة إلى القـائد يأمره فيها بتسليم القلاع.

وعندما لجأت السفينة بتأثيـر العاصفة إلى صحار تم إحضـار ماجد إلى الوالي أحمد بن سعيد الذي أخذ رسالة نادر شاه وإطلع عليها بعد أن استجـوب ماجد عن رحلته.

وشعوراً منه بـأن الفرصة التي كـان ينتظرها قد حـانت، قام بتجهيـز قوة قـوامها ٤٠٠ رجل بقيـادة والي بـركاء خميس بن سالم البوسعيد الـذي حمل رسالة نادر وأمره بالذهاب إلـى قلاع مطرح ومسقط وتسليم الرسـالة إلى القائد الفارسـي الذي قام بتسليمهم القلاع مقتنعـاً بأنهم الممثلون الشرعيون لماجد بن سلطان.

وبوقـوع هذه القـلاع الدفـاعية الحصينـة في أيـدي العمانيـين، أصبحت لهـم أخيراً اليـد العليا علـى القوات الفارسيـة، لكن جيـش نادر شـاه كان لا يـزال موجـودا ويجب القيام بطرده.

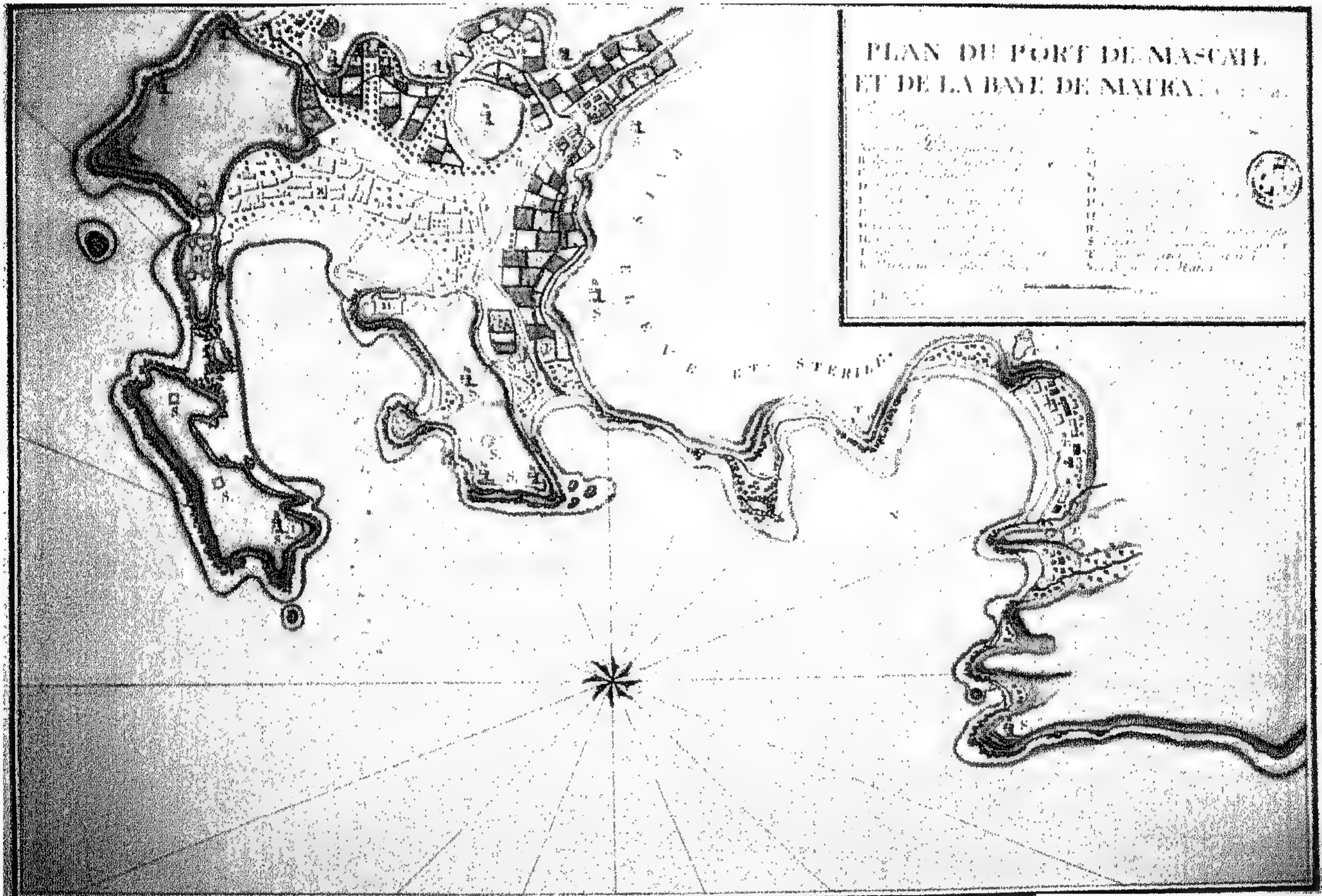
واستمراراً في تطبيـق سياسة الخداع طلـب أحمد بن سعيد مـن قائده في القلاع، خميـس بن سليم، أن يـدعو الفـرس إلـى قلعته فـي بـركـاء. وعنـدما وصلـوا تمـت استضافتهـم وتكريمهم واقامـة الولائم لهم لبضعـة أيام حتي أصبحوا علـى سجيتهم وشعروا بالـراحة كضيوف مكرمين عند الوالي.

وفي اليـوم الثالث دعى أحمـد بن سعيد قـادة القوات الفارسيـة إلى حفل إستقبال خـاص في قلعته، حضـرها حوالي ٥٠ منهم. وعندما أصبحـوا داخل القلعة قام أحمد بـدعوة أتبـاعة للثـأر من الفـرس في داخـل القلعة وفـي المنطقة المحيطة بها.

وبـاغت العمـانيـون الفرس وتفـوقـوا عليهم عـدداً وبراعة، وأخيراً نفّسوا عـن غيظهم المكظوم بشكل واضح وتام. وبنهـاية اليوم لم يبـق على قيد الحياة مـن الفرس سوى ٢٠٠ شخصـاً فقط.

وتتضح أحـد مظاهر الامتعـاض الأخرى ضـد الفرس بجـلاء في الحـادثة التـي وقعـت أثناء تـرحيل الأسـرى الأحياء. فعند نقلهم بالسفينة مـن صحار إلى بندر عباس أشعـل البحارة العمـانيـون النار فـي السفينـة وتركـوا الأسرى يموتون في البحر.

وفي أعقاب هذه الواقعة الدامية بدأ أحمد بن سعيد في بث جو من الهـدوء في البلاد، وعاد خميس بن سـالم إلى مسقط بصحبة العديد من سكانها وأهلها السابقين الذين فقدوا منـازلهم عندما احتلـت القوات الفارسية المـدينة. وقد حدث إلتبـاس كبير من جراء تأثير الاحتـلال، فقد تم تدميـر الأسوار والجـدران وتحويـل بعض المنـازل إلى اسطبلات وحـرق بعضها الآخر تمـاماً. ولم تعـد الحدود القائمة بين الممتلكات المختلفة واضحة ووقعت مشادات حاميـة حول تحديد الملكيـة أدت إلى حدوث مصـادمات وإلى اندلاع العنف الداخلي من جديد.



وأخيرا وبعد وساطة خميس بن سالم تم حل هذه النزاعات.

وكان أحمد بن سعيد لا يزال يواجه معارضة من الجماعات القبلية المختلفة الموجودة في المدن الداخلية في عمان وخاصة القوات الموالية لبلعرب بن حمير الذي تم اختياره إماماً للرستاق والذي كان يحظى بتأييد قبيلة الغافري.

وإصراراً منه على توحيد البلاد تحت راية واحدة، قام أحمد بن سعيد بمواجهة بلعرب وغيره من الذين يعارضون حكمه. ووقعت عدة مناوشات ومعارك انتهت بمقتل بلعرب بن حمير وموافقة والي سمد على إطاعة أحمد بن سعيد.

وأخيراً تم توحيد البلاد، وتنصيب أحمد بن سعيد باجماع العلماء إماماً لعمان. ومع ذلك فقد كان للتطاحن الطويل والقلاقل الكثيرة تأثير كبير على عمان، فأصبحت مكانتها في شرق أفريقيا ضعيفة للغاية. وتمخضت الحادثة العنيفة لموت نادر شاه باجماع العلماء عن فترة راحة قصيرة للامام أحمد بن سعيد لأن الحاكم الفارسي الجديد كريم خان الزند الذي تولى مقاليد السلطة في عام ١٧٥٦م كان يمثل تهديداً متجدداً.

ومع ذلك فقد حقق الإمام أحمد بن سعيد، بصفة عامة، انجازات ضخمة وكان زعيماً محبوباً من شعبه. ولأنه أمضى أحلى سنوات عمره في مكافحة الطغاة وأبدى شخصياً بسالة كبيرة في حالات عديدة فقد جلب لشعبه الاحترام والاخلاص.

وقد جلب السلام معه فرصة إصلاح الأضرار التي نجمت عن الصراعات وبناء مستقبل أكثر طمأنينة.

وقد علق حميد بن محمد بـن رزيق في كتابـه التاريخي المعنون «الفتح المبين» على الزيـارة التـي قام بها الإمام أحمد بـن سعيد إلى مسقط مـن قلعته في الرستـاق. وقال في صدد تعليقه مركزاً على شعبية الحاكم ما يلي:

«... مضى إلى مسقط على الماشوّات والرايـات منشورة عليه، فإذا وصـل إلـى مسقـط ودخـل الجـزيرة ترادف ضرب المـدافع مـن الصيرتيـن والمراكب والحصنين، فيبرز الناس فـي أعلى الجزيرة فتـأتيه الرعية أفـواجاً أفواجاً على ترتيب، فيسلمـون عليه، فيرد عليهم السلام، ثم يسألهم عن حوائجهم فيقضيها لهم».

أصبحت الأخطار التي تهدد أمـن عمان الآن تكمن في المصـادمات والمنـاوشـات الداخليـة (الأهليـة) وتزايـد تعرض السفن العمانية لهجوم سفـن القواسم التي توجد قـواعدهـا فـي رأس الخيمة. وقـام القواسـم بمـا كانـوا يعتبـرونه غـارات مشـروعة علـى سفـن شـركة الهنـد الشرقية التي تستخدم ميناء بندر عباس في الخليج.

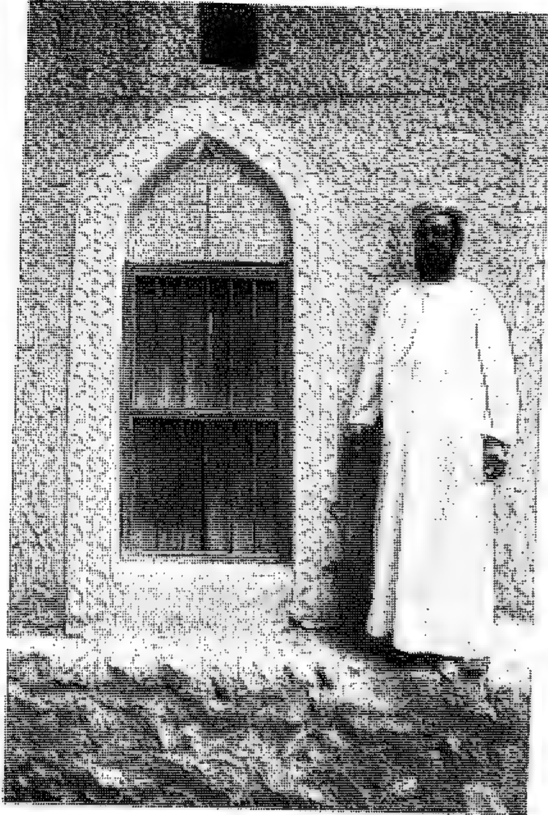
وقد طلب زعيم الفـرس الجديد كريم خان، مـزهواً بما حققه من نجاح في إيران، أن تدفع عمان أتاوة سنوية عن طريـق مكتب أحمـد بن سعيـد. وتم رفـض هذا المطلب تماماً، مما أعطى الفرس الحجـة لتجديد الأعمال العدوانية ضد السفن العمانية.

وفـي هـذا الوقـت لـم تـعـد البحـرية العمانيـة موضع سخرية ولو بسيطة فقد توجهت في عام ١٧٧٥م لمساعدة الامبراطوريـة العثمانيـة وساعـدت في الدفـاع عـن البـصرة ضـد هجمات الفـرس. وكـان أسطـول أحمد بن سعيـد في هـذه المهمـة وحـدها يتكـون مـن عشـر سفن حـربية ضخمـة و٧٠ سفينة صغيـرة و٥٠ قارباً تحمل المقاتلين.

البحرية العمانية

إن مفهوم إقـامة قوة بحـرية عمانية منظمـة ليس مفهومـاً جديداً، فقـد تبنـاه غسان بـن عبداللـه الفجحي الأحمدي فـي عام ٨١٤م عندمـا أمر ببنـاء سفن خاصة لاستعمـالها كأسطول للحمـاية البحرية. وفـي خلال القرنين السـابع عشر والثـامن عشر الميلاديـين حافظت عمـان على القيام بدور رئيسـي في الخليج وعززت نفوذهـا متجاوزة السواحل العربية إلى ساحـل شرق أفريقيا. وبنهاية القرن السابـع عشر كانت البحرية العمانية هي أقـوى قوة بحرية في المحيط الهندي بأكمله وكان لديها سفن ضخمة تم بناؤها في الهند وتجهيزها بعدد كبير من المدافع مثل السفن الأوروبية.




مدخل المسجد القديم.

وبرغم غضـب كريم خان فقد نجحت هـذه السفن في فك حصار الفرس لمدينة البصرة وأعادت تموين المدينة. وكـان من نتـائج هذا العمـل أن أمر السلطـان العثمانـي مصطفى الثالـث أن تدفع خزينة المال فـي البصرة مبلغاً سنـوياً إلـى عمان. (وقـد استمـر دفع هـذا المبلغ حتـى منتصف القرن التاسع عشـر الميلادي وطوال فترة حكم السيد سعيد بن سلطان).

وفي العـام التالـي وفي أعقـاب استيلاء الفـرس على بعض السفن الحربية، أرسل الأمـام أحمد بن سعيد الجزء الرئيسي من أسطول سفنه الحربيـة إلى بوشاهر لمعاقبة الفـرس على ذلـك. واشتـرك القواسـم فـي هذه الحملـة وأغرقوا عدة سفن فارسية.

وعندما انخفضـت امدادات الأرز إلى عمان تـم إرسال السفينة العمانية «رحماني» إلـى ساحل ملبار لاستقصاء الأمر ولوضـع حد لأعمال القرصنة التي تسببـت في قطع طريق التجارة.

ومما يـدل على مـدى الاحترام الذي كـانت تحظـى به القـوات البحريـة العمانيـة فـي ذلك الـوقت أن حاكـم ميسور قد أرسـل في الحال مبعوثـاً إلى الرستاق ليـؤكد للإمـام أحمد بـن سعيد أن بـلاده ترغـب في العيش في سلام مـع عمان. وعقب ذلك تـم تعيين ممثل دائم لحـاكم ميسور في مسقط.

وكانـت حرب السنوات السبع بيـن بريطانيا وفـرنسا (١٧٥٦-١٧٦٣م) فتـرة عصيبة فـي تـاريـخ البحريـة العمانية في عصر الإمام أحمد بـن سعيد فقد كانت عمان تربطها علاقات وثيقة بكـلا الطرفين، ووقعت عدة حوادث أثناء مطـاردة السفن الفـرنسية للسفن البـريطانيـة فقد دخلت سفن كليهما المياه الاقليمية العمانية، مخالفة بذلك القوانيـن المحلية وطلـب حاكـم مسقط مـن سفنه طـرد السفن الفرنسية من المنطقة بإطلاق النار عند مقدمتها.

وبعد مضـي عشـرين سنة تقريبـاً وفي عام ١٧٨١م حـدث صـدام آخـر مــع إحـدى السفن البريطانـية (وهي السفينة «بيجلربرج» التي كـانت ترسو هـذه المرة فـي ميناء مسقـط) أثناء ثـورة إبنـي الإمام أحمـد وردت السفن البحرية الفرنسية على ذلك بالاستيلاء على إحدى البوارج العمانيـة المجهزة بخمسين مدفعاً وهـي البارجة «الصالح» التي تعرضت للهجـوم بالقرب من صحار أثناء رحلتها مـن الهند إلـى زباره والقطيـف والبصرة محملـة بحمولة ثمينـة. وقد تم قتل معظم البحارة العمـانيين في معركـة الاستيلاء على السفينـة وأرسل القائد الفـرنسي «ديستشينز» السفينة «الصالح» إلـى موريشيوس. وفي طريقها إلـى هناك توقفت السفينـة في ميناء مارثـا حيث إدعى الحاكـم المحلي أن بلاده في حرب مـع عمان وقام بمصادرة السفينة.

وتؤكد إحـدى الرسائل المحررة فـي ١٧ سبتمبر عام ١٧٨١م مـدى الأضرار التـي لحقت بتجـار الخليج مـن وراء أعمال القرصنة الفرنسية:

لقد أفلس جميـع تجار زباره والقطيف تقـريباً نتيجة لـلاستيلاء علـى سفينـة مسقـط والتي تقـدر قيمـة حمـولتها بثمـانمـائة ألف روبية، كمـا خسر تجـار البصرة أيضاً مبالغ كبيرة وعانى الباشا من الخسائر في الايرادات الجمركية نتيجة لتوقف حركة التجارة.

واحساسـاً بـالاساءة والاهانة التي لحقت بـالعمانيين من جراء الأفعـال الفرنسية طلب الإمام أحمـد بن سعيد ـ الذي بات كهـلا ـ من الفرنسيين أن يعتـذروا عن فعلتهم وأن يدفعـوا تعويضاً لعمـان عن الخسائر. ولـم يستجب

الفرنسيـون لذلـك، وسرعـان ما اكتشفـوا أنهم يلعبـون بالنــار. فقد قام إبنــا الإمام أحمد اللذان كـانا في معـركة حامية مـع والدهم بشأن قلعتي مسقط (إنظـر التفاصيل أدناه) بمصــادرة إحدى السفـن الفرنسيـة التي وصلـت لتوهـا من البحـر الأحمر ووجهـا مدافعهـا تجاه رجــال الإمام أحمد.

وأخيراً قـدم الفرنسيـون اعتذاراً فاتـراً (أتى متـأخراً ليهدىء من غضب الإمام أحمد الـذي توفى قبل أن تصله الـرسالـة) مصحوبـاً «بهديـة» هي السفينـة الفرنسيـة «إيسكـوريل» كتعـويض عـن الخسـائر بالـرغم مـن أن قيمتها كـانت أقل من قيمـة السفينة العمانية «الصـالح» وحمولتها الثمينة.

ويجب ألا نغفـل حقيقة أنه بالـرغم من أن الصـراعات المختلفة علـى السلطة قـد لازمت فتـرة غير قصيـرة من فترة حكم الإمـام أحمد فإن التجارة البحريـة قد ازدهرت في عهده. وبصورة خاصة إنغمسـت السفن العمانية في أعمال التجـارة المربحـة للبن المتجـه إلى البصـرة وفي أعمال التجـارة مع الصيـن وكانت تحتـل بصورة عـامة مكانة رائدة في تجارة الخليج.

وللأسف كانت السنوات الأخيرة من حكم الإمام أحمد يشوبها أعمال العنف واراقة الدماء التي أثارها هذه المره بعض أعضاء إسرته. فقد ثـار إثنان من أبنائه، هما سيف وسلطان على والدهما العجوز، ربما بتحريض من الوالي محمد بـن سليمان اليعـربي والي نخـل، واستوليـا على قلعة بركاء.

لقد كان ذلك في الواقع مجـرد خلاف عائلي أكثر منه ثورة علـى الإمام لأن تحرك سيـف وسلطان كان بـدوافع الـرغبة فـي الحصول علـى قسط مـن السلطة والثـروة اللتين كـان والدهما بصدد تـوزيعهما على أبنائه. وكـانا مستائين من حقيقة أن أخيهم غير الشقيق في طريقه إلى أن يصبـح خليفـة للحاكـم وأنـه أصبـح بالفعـل قـائداً للرستاق ونزوى وإزكي وسمائل.

وأمر الإمام أحمـد باسترداد قلعة بركـاء وباستسلام إبنيه. وبـالرغم مـن أن الإمام أحمـد عفا عن إبنيـه إلا أنه أضمر عـدم الارتياح لليعربي الـذي كان يلومه علـى هذه الواقعة.

وبعد مضي فترة قصيرة من الزمن وفي عام ١٧٨١م ثار إبنـا الإمام أحمـد مرة أخرى وتسلـلا هذه المـرة إلى قلعتي الميراني والجلالي، ممـا أدى إلى حضور والدهما من الرستـاق إلى مسقط وأصدر أوامـره شخصياً إليهما



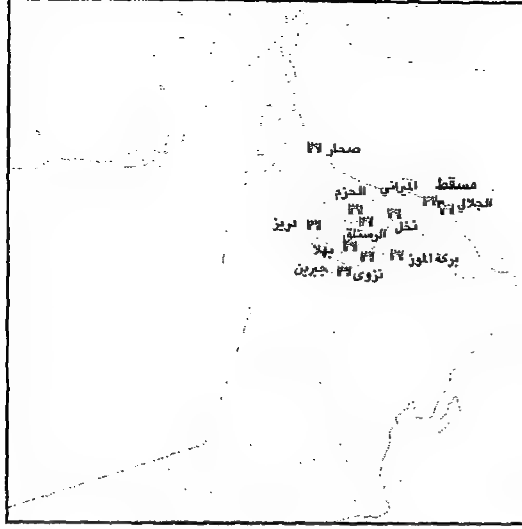
بالاستســـلام. وعندمـــا رفضــا الاستسـلام أمــر بقصـف القلعتيـن بالقنابـــل فـوراً، لكنــه في النهايـــة أوقف عمليـة القصف بموجب الاتفـاق الذي تم التـوصل إليه فــي شهر يـونيو والـذي يقضي بـأن تسيطر قـوات الإمام أحمد بقيـادة إبنه الوفي سعيد على قلعـة الميراني بينما يسيطر إبناه ا لعاصيـان سيف وسلطان على قلعتي الجلالي وبركاء.

ولم تدم هذه الهدنة طـويلاً حيث خدع سيف وسلطان أخيهمـا غير الشقيـق سعيـد في شهـر ديسمبـر وقامـا بسجنـه في قلعـة الجـلالـي. واستطاع سعيـد الهـروب بمعاونة أحـد العبيد. وفي أوائل عام ١٧٨٢م لجـأ سيف وسعيد إلى ســاحل مكران حيث استقبلها البلـوشستاني نصر خــان الذي أعطـاهما جزءاً مـن المنطقة السـاحلية ليستعملاه كقاعدة لهم.

الإمام سعيد بن أحمد

(من حوالي عام ١٩٨٤-١٧٩٣م)

عند وفاة الإمام أحمد بـن سعيد في ١٤ ديسمبر ١٧٨٣م عم الحـداد أنحاء عمـان لأنه كـان زعيماً قـوياً فـي فترة عصيبة من تاريخ عمان. وتـم انتخـاب سعيد الأبن الأكبر للإمام أحمد إماماً على الـرستاق في شهر يناير ١٧٨٤م، لكنه لـم يعقد أي صلـح مع أخـويه وتـم الشك فـي مدى شرعية انتخابه.



مواقع القلاع الرئيسية.

وحصر سيف، الذي كان هـائماً الآن في المحيـط الهندي، إهتمامه في طلـب العون والتأييـد لطرد قـوات سعيـد مـن قلعتـي مسقـط. وبالقـرب مـن ساحـل شرق أفريقيا وجد سيف حليفاً لـه في كلـوه وضـم قواته إلى قوات حـاكم كلوه والتمـس مساعـدة الفرنسييـن ووعد الأوروبيين بحـرية استعمال الموانـــيء العمانية كـمـا وعـد الفرنسييــن بمنحهـم مكتـباً للمحاسبة وعقـد الصفقـات في مسقـط يستطيعون رفع الراية الفرنسية فوقه.

ومـع ذلـك لم يتمخض ذلك عـن شيء لأنه بعـد محاولة صغيرة مجهضــة لعـزل حـاكم زنجبـار (أحبطتهـا قـوة النجـدة التي رأسهـا سلطان، أخـوه ورفيقـه السابـق في السـلاح، وأحد أبنـاء الإمـام سعيـد) إعتزل سيـف عنـد ساحل لامو حيث وافته المنية.

وفي عـام ١٧٨٦م علـق الزائر الانجليـزي «يـوليـوس جريفث» على ذلك قائلا: «لقد قـام الفرنسيون، وخاصـة في فترة الحـرب، بـرحـلات متكـررة مـن جـزيـرة فـرنسـا (مـوريشيوس) إلى مسقـط حيـث كـانوا يحصلـون على شحنات من القمـح وعدد من الحمير التي لها نفس قيمة ممتلكاتهم في موريشيوس».

وكـان ذلـك في نفـس الـوقت الـذي تخلـص فيـــه السلطان تيبو من أمير (راجا) ميسور وشرع فـي السعي لتـوثيق العـلاقـات التجـارية مـع عمان. وقامـت عمان بـاستيراد الأرز وحب الهال والخشـب والأقمشة وخشـب الصنـدل والفلفل بينما كـانـت السفـن تعود إلى ميسـور محملة بـالتمر والبغال والخيـول من عمان بالاضـافة إلى اللؤلـؤ ودودة القز (دودة الحريـر) والكبريت القـادم من موانيء الخليج.

السيد سلطان بن أحمد

(من حوالي عام ١٧٩٣–١٨٠٤م)

كانـت فترة حكم سعيـد في أعقاب وفـاة والـده مباشـرة فترة سـادهـا الشك والاضطرابات في البـلاد وانتهت أخيراً بتبـوّ السيـد سلطـان بن أحمد مقـاليـد السلطـة في عـام ١٧٩٣م.

وبنهـاية القـرن الثامـن عشر، كـان مـن الواضـح حـدوث إنشقاق خطير بــين القاعـدة العسكـرية التــي تتطلـع إلى مسقـــط والمناطـق الداخليـــة لعمان التـي شكلـت على نحـو تقليـدي مـركـز السلطـة والمركـز الروحي لعمان.

كما إتسـم حكـم السيـد سلطـان بـن أحمد (١٧٩٣–١٨٠٤م) الـذي إمتد مـن نهايـة القرن الثامـن عشر إلى مطلـع القـرن التـاسـع عشر بـالعـداء بين الفـرنسيين والبريطـانيين في المحيط الهنـدي كما يتضـح من حـروب نابليون (١٧٩٢– ١٨١٥م).

لقد حافظـت عـمان في الماضـي عـلى علاقـات جيـدة إلـى حـد مـا بكلتا الدولتين، لكـن البريطانييـــن كانـوا متحمسين للتأكـد مـن عدم حصـول الفرنسييـن علـى أيـة امتـيـازات في عــمـان. وأدت سلسلـــة مـــن الحـــوادث التي وقعـت للسفـن الـزائرة والحديث عـن إقامـة مصنع فرنسي في مسقـط إلـى شعـور البريطانيين بـأنهم في مـوقـف الضعـيـف. وكـان أقـرب ممثـل بـريطاني دائم تحت رعايـة شركـة الهنـد الشرقيـة في ذلك الـوقت موجوداً في البصرة، وكـانت مهمة الابـلاغ من هـذا المكان البعيد عما يحدث في عمان ـــ مـن بين البـلاد العربية الأخـرى ـ هي مهمة عسيرة. وقد كتـب «صمويل مانيستي الـذي كان يشغل هذا المنصـب في عام ١٧٩١م إلى أمـانة السر التـابعة للشركـة في لندن مايلي: «لا نـزال نجهل مدى نجاح المفاوضات الفـرنسية لاقامة مصنـع في مسقط، لكن لـدينـا أسباباً قـوية تدعونـا إلى الاعتقاد بأن الإمام ـ بدافع من المصالح وبـدافع من الصداقة ـ سوف يبدي ميـولاً قويـة لتلبية رغبات الحكـومة البريطـانية في جميع المناسبات».

غير أن مسـألة تـأسيس المصنـع الفرنسي لم تنتـه وقــام الحاكــم العــام البريطانــي في كلكـتـا باتبــاع إسلوب التهديد وكتـب إلى سلطان بن أحمد مباشرة محذراً أيـاه من الانخـداع بفتـنة الفرنسيــين لأنهـم «بعــد أن قتلوا ملكهـم وألغـوا الديـن حاولـوا بــث الاضطـرابات في أنحـاء العـالم وخلـق نفس الفوضـى والقلاقـل في الممالك الأخرى..».

وأكـد سلطان للبريطـانيين أنـه لا يعتزم الانحيـاز إلى

جانـب الفرنسيين أو منحهـم قاعـدة دائمـة في مسقـط. وفي نفس الوقـت تـم إبلاغ ممثـل شركـة الهند الشرقيـة في البصرة أن عليـه التركـيز عـلى الجانـب التجـاري. وهنـاك وثيقة رسميـة تنتقده بـالطريقـة التاليـة: «... إن المصالح القـوية للمؤسسة (في البصرة) تقتـصر (حسب تعليمات مـانيستـي) على مـراقبـة تحركـات بعـض المبعـوثين الفـرنسيين المشكـوك في أمـرهـم والمتـاح لهم دخول الهنـد عن طريـق قنوات مختلفة تخرج عـن نطاق سيطرة مستر مانيستي، وعلى توفير مركز مناسب لمزاولة أعمالنا مع الأوروبيين».

وقـد أدى غـزو نـابليون لمصر في شهـر يـوليـو عـام ١٧٩٨م إلى تجدد خشية البريطانيين من سيـاسة التوسع الفـرنسية في المحيـط الهندي وإلى اهتمامهـا بالاحتفـاظ بعلاقات خاصة مع عمان.

وقـام الأمير مهـدي علي خان الممثـل الجديـد لشركـة الهنـد الشرقية في البصرة بـزيارة خـاصـة إلـى السيـد سلطـان بـن أحمد بنـاءاً على تعليمات الحـاكـم العـام البريطاني في بـومباي. ويبدو أن حجة مهـدي بخصوص سياسـة «إخراج الفـرنسيين» لقيت تـرحيباً مـن سلطان (الذي لم يبلغ البريطانيين بأنه وافـق بالفعل علـى إقامـة مصنـع فـرنسي في مسقط) وتـم إجراء مفـاوضات حـول مسألة إقامة مصنع بريطـاني في مسقط. وقد خدمت هذه الزيـارة أيضاً في تـوضيح مدى نفـوذ سلطان (وبـالتالي مسقط) وسيطرته السياسية. ورفـع مهدي تقريراً فحواه أن هناك عـلاقات تجاريـة ودبلوماسيـة وثيقة مـع مدن سـواحل شرق أفـريقيا ومكـران وهرمـز وبندر عبـاس. وبينما كان سلطـان ينـاور كلا الطـرفين فقد عقـد صفقة جديدة مع الفرنسيين في زنجبار ومع البريطانيين في الهند حيث أدرك أن بـاستطاعتـه جعل البريطـانيين يتراجعون عـن تهديـدهـم بغلق الموانيء الهنـديـة في وجـه السفـن العمانية وهو إجـراء قد يكون له تأثير مـدمر على التجارة العمانية.

ومـع ذلك ظلـت حالـة التوتـر قائمـة ووقعت عـدة حـوادث تـدل على مـدى إصرار عمان على الاحتفـاظ

أحمـد بـن سعيـد بن محمـد بـن سعيـد
من حوالي عام ١٧٤٤م إلى عام ١٧٨٣م

هـلال | قيـس | **سعيـد** من حوالي ١٧٨٣ إلى حوالي ١٧٨٤م تولى الإمامة حتى وفاته في ١٨١١م | سيـف | **سلطـان** ١٧٩٣–١٨٠٤م | طالـب | محمـد

عـزان | **حمـد** من حوالي ١٧٨٤ إلى ١٧٩٢م | **بـدر** ١٨٠٤–١٨٠٧م حاكم | حمـد | **سعيـد** ١٨٠٤–١٨٥٦م

حمـد | قيـس | خالـد | هـلال | **ثويني** ١٨٥٦–١٨٦٦م | ماجـد | علـي | **تركـي** ١٨٧١–١٨٨٨م | عبد العزيز | برغـاش

فيصـل | **عزان** ١٨٦٨–١٨٦١م | ابراهيـم | **سالـم** ١٨٦٨–١٨٦٦م | حـمد | حريـب | محمـد | **فيصـل** ١٨٨٨–١٩١٣ | فهـد | محمـد | خليفـة

خليفـة | **تيمـور** ١٩١٣–١٩٣١م | حمـد

عبدالله | **سعيـد** ١٩٣٢–١٩٧٠م | علـي

جمشيد عزل في ١٩٦٤، نهاية حكم الأسرة في زنجبار | **قابـوس** تولى العرش في ١٩٧٠م

شجرة عائلة اسرة البوسعيد
سلاطين عمان
سلاطين زنجبار



وزارة الاعلام

بعلاقـات طيبة مـع كـلا القوتين الأوروبيتـين. وتـم فـي عـام ١٧٩٨ التوقيـع عـلى اتفاقيـة تمويـن متبـادل يتم بموجبهـا تمويـن السفـن البريطانـيـة التـي تـزور مسقط والسفـن العمانية التـي تزور الموانـىء الهندية، لكن هـذا الاتفاق تعـرض لاختبار قـاس في العام التالـي عندما وقعـت حـادثة اشتركـت فيهـا قـوارب القرصنـة الفـرنسيـة التـي استولـت على سفينـة بريطانيـة، هـي السفينـة «بيرل» التي تـم تفـريـغ بعض حمـولتهـا في مسقـط. وقد أدى ذلـك إلى عقـد اتفـاقية جديـدة بيـن سلطـان بـن أحمد والبريطـانيين وتعيين أول منـدوب سـامي سيـاسي بـريطـاني في عمان في سنة ١٨٠٠م هـو «أرشيبالـد بوجل» الذي كـان يعمل أيضاً كطبيب خاص للسيد سلطان.

وقد توفى بوجـل بعد بضعة شهـور مـن وصولـه إلى مسقـط ولم تسنـح لـه الفرصـة مطلقـاً ليعـزز الأوضاع. وقـد سجلت الـرسائل القليلـة التـي استطاع «بوجـل» أن يكتبها عـن الحمـلات التي شنهـا سلطـان علي القواسـم (والتي من أجلهـا طلب العـون البريطاني) ضد الوهابيين.

وكما رأينا كان سلطان بـن أحمد يسيطـر مـن مقـره في مسقـط على إمبراطـوريـة كبيرة تتجـاوز حدودهـا سواحـل جنوب الجزيـرة العربيـة، ومع ذلـك فلم يكـن يسيطـر سيطرة تـامة على عمان المتحـدة. فعنـدما تـولى مقـاليـد السلطـة في عام ١٧٨٣م كـان حكمـه شخصيـاً يقتصر على مسقط وبـركاء وعلى تلك المنـاطق التي كـانت تحت سيطـرة إخـوته وهـي صـور التـي كانـت تحـت سيطـرة طـالـب والسويـق التي كانـت تحـت سيطـرة محمد وصحار ومطـرح اللتان كانتا تحت سيطـرة قيس. أمـا بقيـة عمان فكانـت تحت سيطـرة الشيـوخ المحليين زعماء القبائل المهيمنة.

وهكذا كانت نزوى وابرا وجبرين تحت سيطرة بني غافر، وبهلا تحت سيطرة البوسعيد، ونخل تحت سيطرة اليعاربة.

وحتى في مسقط نفسها، واجه مقر سلطة سلطان تحدياً من قبل النفوذ الكبير لخلفان الذي كان والياً على مسقط منذ أن عينه أحمد بن سعيد في هذا المنصب منذ أربعين سنة مضت. وقد حافظ خلفان بمساعدة إبنه محمد بن خلفان على مسقط كمركز للتجارة طوال فترة الاضطرابات السياسية التي شهدتها عمان.

وبحلول عام ١٨٠٢م كان سلطان يسيطر على جيش قوامه ٢٤٠٠٠ رجلاً و٣٠٠ عبداً و١٧٠٠ مرتزقاً من السند وبلوشستان. وفي البحر كان لديه إسطول كبير من السفن الضخمة يضم السفينة «جنجاوا» وهي سفينة مربعة ذات إزاحة قدرها ١٠٠٠ طن ومجهزة باثنين وثلاثين مدفعاً وثلاث سفن مربعة أصغرها حجماً مجهز بخمسة عشر مدفعاً و١٥ بارجة تتراوح حمولتها بين ٤٠٠ و٧٠٠ طناً وثلاث سفن شراعية بصاريين ومـا لا يقل عن ١٥ قارباً كبيراً لنقل الرجال والمؤن.

وفي عام ١٧٩٩م حدث صراع مع البحرين بخصوص الضريبة الجمركية، أي ضريبة سلامة المرور التي كان سلطان يفرضها على السفن التي تمر في الخليج. وكان يتم فرض هذه الضريبة بمعدل ٢,٥ في المائة من قيمة جميع البضائع التي تحملها السفن التي تبحر في الخليج من الموانيء الهندية.

وإذا أخفقت السفن في شراء ترخيص سلامة المرور فقد تتعرض لهجوم القوات الموالية لسلطان والموجودة في هرمز. وتحدى العتوب هذه الترتيبات لعدم رضاهم عنها وحاولوا فرض ضرائب خاصة بهم.

وعندما هاجمت القوات البحرية لسلطان ثلاث سفن أثناء عودتها من الهند إلى البحرين في ربيع عام ١٧٩٩م طلب البحرينيون العون من حاكم إيران الشيخ نصر بن نصر الذي قام في مقابل الحصول على فرائض الولاء والاتاوة، بإرسال قوة كبيرة إلى البحرين مما أجبر سفن سلطان على الانسحاب. وقد استمرت المعارك البحرية والمناوشات بين العمانيين والعتوب طوال فصل الصيف وسيطر سلطان مؤقتاً في إحدى المراحل على جزيرة الخرج.

وفي عام ١٨٠٠م اتخذ التهديد الوهابي لعمان بعداً أكثر خطورة وقام أحد لواءات عبد العزيز، سالم بن هلال الحريق (وهو عبد نوبي) بمحاولة لغزو عمان بهدف الاستيلاء على صحار، غير أن التصرف الذكي لسلطان وأخيه قيس الذي كان والياً لصحار حال دون ذلك لكنه أدى إلى فقدان أرواح كثيرة ولم تنته المعركة إلاّ بهدنة تركت الوهابيين يسيطرون على واحة توام (التي أصبحت قاعدة لهجمات الوهابيين في عام ١٨٠٣م).

وقد أدت إحدى الغارات الوهابية الأخرى التي تمت في العام التالي على مدينة أخرى من المدن الداخلية في عمان إلى مقتل أو أسر حوالي ١٥٠ رجلاً. وانتشرت إشاعة تقول بأن الوهابيين سيقومون بغزو كامل بقوة تعدادها ٢٥٠٠٠ رجلاً.

ومن الأمور الأخرى التي أدت إلى اختلال موازين المعركة هو التجاء السويديين إلى معسكر الوهابيين بعد أن اضطر سلطان إلى طردهم من هرمز (في أعقاب قيامهم بهجوم أحمق على السفن البريطانية التي كان من المفروض أنها معفاة من الجمارك أو ضريبة سلامة المرور).

وكانت الهجمة الثانية التي قام بها سلطان على البحرين في عام ١٨٠١م أكثر تنظيما من سابقتها، فقد أدت سلسلة من الأحداث إلى إنحياز الفرس إلى جانبه وبذلك بلغت قوته ٢٤٥٠ رجلاً وأصبح لديه اسطول بحري يضم السفينة العملاقة «جنجاوا» التي تبلغ حمولتها ١٠٠ طن والمجهزة بإثنين وثلاثين مدفعاً وبارجتين ومـا لا يقل عن عشرة قوارب. ونجحت القوات



نسخة من صورة معاصرة للسيد سعيد بن سلطان من رسم هنري بلوس لينش

العمانية في النزول عند شاطيء البحرين وتنصيب سالم بن سلطان والياً. وفي عام ١٨٠٢م تجمعت القوات المشتركة للخليفة والوهابيين في زبره لتقوم بهجوم مضاد ونجحت هذه القوات في الاستيلاء على البحرين. وفي صيف عام ١٨٠٢م قام سلطان بهجوم آخر على اسطول العتوب في الخليج غير أن الأحداث التي وقعت في الجزيرة العربية جذبت اهتمامه للدفاع عن عمان ضد الوهابيين. وقد تمخض قيامه بتأدية فرائض الحج في مكة المكرمة في عام ١٨٠٣م عن ترك فراغ مؤقت في مسقط أدى إلى قيام إبن أخيه بدر بمحاولة للسيطرة على الحكم، وأدت إلى غضب عبد العزيز زعيم الوهابيين الذي كان ساخطاً سخطاً شديداً من دخول سلطان الحجاز بقواته المسلحة.

وقد أدى ذلك إلى إندلاع معركة خطيرة مع الوهابيين تم خلالها مطالبة القواسم والعتوب بترك موسم صيد اللؤلؤ وفرض الحصار على عمان.

وأدت الضغوط المستمرة في النهاية إلى عقد هدنة وافق سلطان بموجبها على دفع ١٢٠٠٠ دولاراً من نوع دولارات ماريا تريزا سنويا ولمدة ثلاث سنوات إلى عبد العزيز.

ولم يدم هذا الاتفاق طويلاً حيث قام الوهابيون بهجوم آخر تصدت له قوات سلطان بقيادة إبن أخيه محمد بن حميد على مسافة قصيرة خارج الرستاق على ساحل الباطنة. وقد قتل محمد في هذه المعركة وانتصرت القوات الوهابية.

وقد أدى إنتشار نبأ مقتل عبد العزيز مصحوباً بإشاعة أن سلطان قد أعد جيشاً قوياً للاغارة على الوهابيين إلى انسحابهم بسرعة والقضاء على هذا التهديد.

أدت أخبار مقاومة العثمانيين لحركة الوهابيين إلى ذهاب سلطان إلى البصرة على متن سفينتة الحربية الضخمة «جنجاوا» في شهر سبتمبر ١٨٠٤م. وكان سلطان يأمل من هذه الزيارة تأمين مساعدة العثمانيين لمقاومة الوهابيين في شرق الجزيرة العربية، لكنه وجدهم غير مستعدين لتقديم مثل هذه المساعدات.

وفي طريق عودته إلى عمان ترك سفينته الضخمة «جنجاوا» واستقل قارباً صغيراً ليهبط في جزيرة قشم، لكن القارب الصغير تعرض للهجوم من قبل القراصنة أثناء إبحاره مما أدى إلى مقتل السيد سلطان.

السلطان السيد سعيد بن سلطان البوسعيد

(من حوالي عام ١٨٠٤-١٨٥٦م)

تركت وفاة السيد سلطان عمان في حالة من التخبط وفي حرب داخلية (أهلية) مؤقتة. وحدث نزاع شديد على السلطة بين الأجنحة المختلفة لأسرة سلطان الكبيرة. وفي النهاية تولى ابنه السيد سعيد بن سلطان مقاليد الحكم من عام ١٨٠٤م حتى عام ١٨٥٦م. وواجه السيد سعيد مجموعة جديدة من المشاكل لم يكن أهمها تزايد درجة منافسة تجار العاج والملابس الهنود الذين هددوا السيطرة التجارية العمانية في المنطقة. وفي نفس الوقت كانت تجارة الرق تتعرض لضغوط كبيرة من قبل البريطانيين. ولمجابهة ذلك أمرالسيد سعيد بن سلطان بغرس العديد من أشجار القرنفل في زنجبار. وكانت الحاجة إلى الاشراف عن كثب على عمليات غرس هذه الأشجار هي أحد الأسباب التي جعلت سعيد ينقل مقره إلى زنجبار في عام ١٨٣٢م مما شجع العديد من العمانيين على الاستقرار هناك. وبعد أن تولى مقاليد الحكم بفترة قصيرة وفي عام ١٨٠٧م وقع السيد سعيد بن سلطان اتفاقية صداقة وتجارة مع الفرنسيين، غير أن البريطانيين وضعوا حداً لنهايتها بالفعل عندما هزموا الفرنسيين في جزيرة فرنسا (موريشيوس). ومنذ ذلك الحين أقام السيد سعيد علاقات وثيقة مع انجلترا. وكان سعيد قد حاز طوال فترة عدائه الطويلة مع القواسم على تأييد البريطانيين الكامل الذين اعتبروا هؤلاء الناس كالقراصنة.

ويعتقد البريطانيـون أن تأييدهم لعمان كان ـــ من بين أمور أخـرى ـ أحد عـوامل الموازنة الهـامة ضد القـواسم. وفي أعقاب فترة طويلة من الصراع، تم توقيع اتفاقية سلام في عـام ١٨٢٠م مهدت الطريق لاقـامة اتحاد دول الهـدنة الذي وضع حجـر الأساس لتأسيس دولة الامـارات العربية المتحدة في القرن العشرين انفصالاً عن عمان الأم.

وقـد دام حكم السيـد سعيد فتـرة طويلـة، وكان عهـداً ناجحاً. وقد كتب عنه ابن رزيق الذي أرخ حياته ما يلي:

الحمد لله الذي نال به سعيـد الملوك حظاً رضيّاً، ومجداً عد ملياً، وسلطاناً قوياً، وقضى بالسعد له، فكان مركزه في أفـق المجد والجد مكـاناً علياً، فـانقادت بإعـانة الله ونصره لـه ملوك عصره، فشـرّف بضربه وطعنـه في الأعداء سمهرياً ومشرفياً (السمهري هو الرمح السلب والمشرفي هو السيف) ففتح مغـاليق البلاد بالسيوف الحداد، وسلك في قطع وصل أجياد أهل العناد صراطاً سوياً، والصـلاة والسلام على رسوله المؤيـد، سيدنا محمد المذلـل بعزته الأعداء تذليلاً. وعلـى آله وصحبه المعطين بحد القرضاب (السيف القاطع) حق الضّراب، وما بذلوا عن العز عزائمهم تبذيلا.

لقد كان رجـلاً عظيم الشخصية بشوش الوجـه كما شهد



الأميرة السيدة سالمة بنت السلطان السيد سعيد بن سلطان الذي حكم عمان خلال الفترة من عام ١٨٠٤ إلى عام ١٨٥٦م.





أقصى اليسار: صورة أحمد بن نعمان المبعوث الخاص إلى نيويورك. تم رسم الصورة في عام ١٨٤٠م.



بذلك الملازم جيه. آر. ويلستد الذي وصفه في عام ١٨٣٥م بالعبارة التالية: «كان ذا قامة طويلة مهيبة وذا ملامح بشوشة لكنهامؤثرة وكان لبقاً لطيفاً دمثاً وجليلاً».

وبالرغم من أن مصالح السيد سعيد كانت تنتشر في منطقة واسعة تمتد من أرض الفرس إلى شرق أفريقيا فإن تركيزه الأعظم كان على زنجبار التي أصبحت عاصمته الثانية. وقد سافر كثيراً عن طريق البحر وكان يفتخر ببحريته وكثيراً ما كان يتولى بنفسه قيادة بارجته «شاه علم». وكانت علاقاته الوثيقة بالبريطانيين تتسم بتبادل الهدايا بانتظام وخاصة في مناسبتي تتويج الملك وليام الرابع والملكة فيكتوريا.

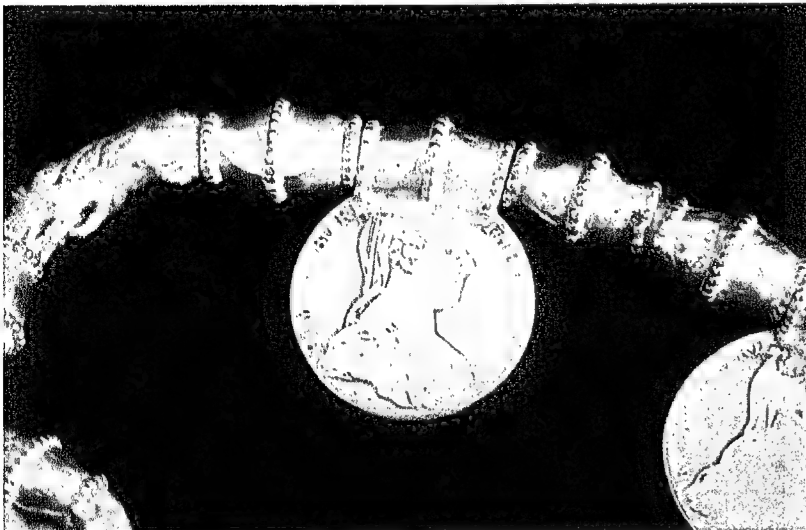
ففي عام ١٨٣٠ أهدى الملك وليام الرابع فرس استيلاد عربي، بينما أهدى للملكة فكتوريا فحلاً للاستيلاد. ولأنه كان يفخر ببحريته فقد أهدى للملك وليام الرابع إحدى سفنه الحربية التي تم تسميتها فيما بعد «إتش إم إس ليفربول»، وجامله الملك في المقابل بأن أهداه احدى السفن البريطانية «برنس ريجنت».

ويعلق دونالد هولي في كتابه الرائع «عمان ونهضتها» على الطبيعة الغريبة لبعض هذه الهدايا والتي تضمنت (من الملكة فكتوريا إلى سعيد) حافلة للمناسبات الرسمية مع طقم للفرس ليستعملها سعيد في زنجبار التي كانت تفتقر إلى الطرق المعبدة) ومن (سعيد إلى الملكة فيكتوريا) جزيرة كوريا موريا التي قدمها إليها كهدية أبدية في ١٤ يوليو عام ١٨٥٤م. وهي إيماءة تمخضت عن هدية مربكة هي علبة سعوط قدمها إليه وزير خارجيتها لورد كلارندون. وقد تم إعادة الجزيرة إلى عمان في عام ١٩٦٧م (هولي، ١٩٧٧).

السلطان السيد ثويني بن سعيد

(من حوالي عام ١٨٥٦-١٨٦٦م)

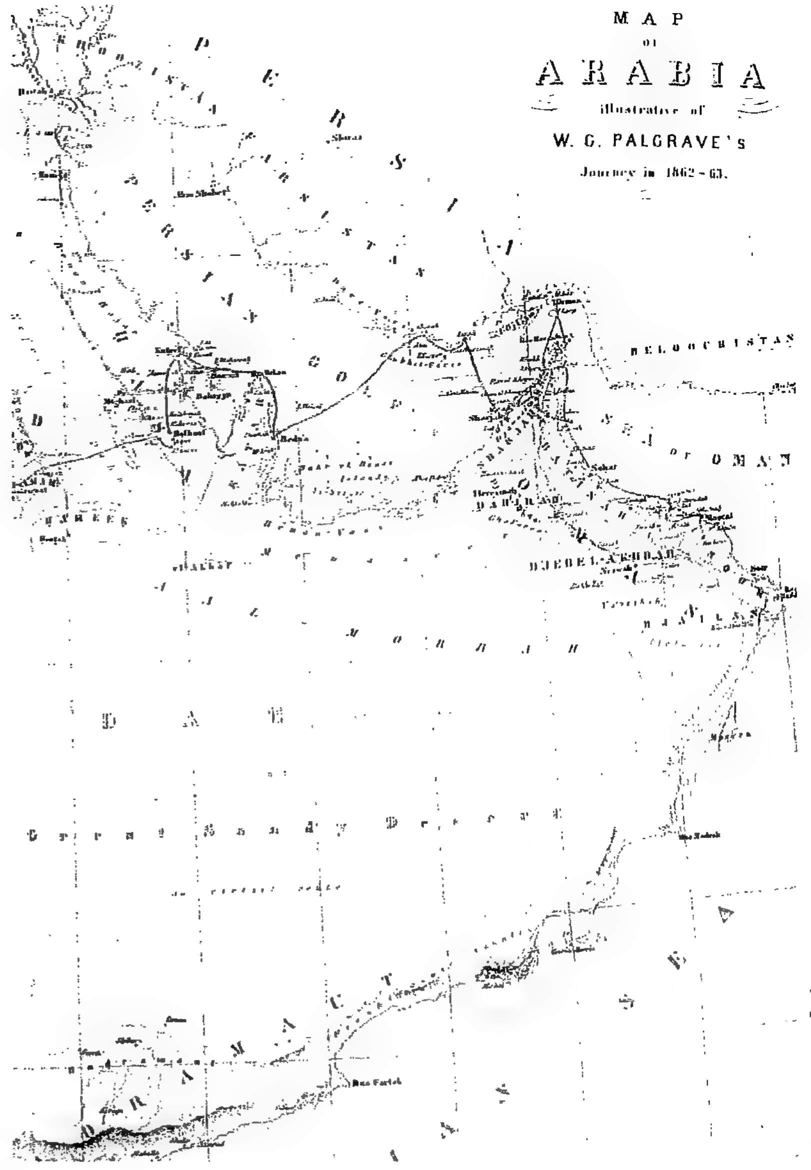
حكم السيد سعيد بن سلطان عمان وزنجبار ببصيرة عظيمة وحزم، غير أن الاحساس بالوحدة الذي كان سائداً



بين الجزيرة الأفريقية وعمان العربية قد اضمحل بوفاة سعيد في عام ١٨٥٦م. وفي وقت وفاته كان معظم الأسطول البحري العماني في زنجبار، ولم تتم اعادته إلى عمان بل ظل تحت سيطرة إبن سعيد، ماجد بن سعيد الذي كان موجوداً في زنجبار وقت وفاة والده.

وبينما استولى ماجد على السلطة في زنجبار فعل أخيه ثويني نفس الشيء في عمان. وبعد سلسلة من المشاحنات والنزاعات بين الأثنين وتهديد ثويني بالقيام بأعمال عسكرية لاجبار أخيه على دفع «إيجار» سنوي مقابل احتلال زنجبار تم التوصل إلى تسوية بمساعدة البريطانيين تم بموجبها الاعتراف بماجد حاكماً على زنجبار واحتفاظ ثويني بمنصبه





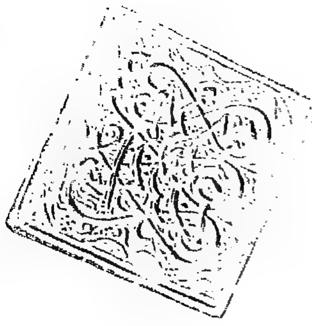
مكتبة شيستر بيتي، دبلن

خريطة للجزيرة العربية تم رسمها اعتماداً على رحلة دبليو جي بلجراف التي قام بها خلال عامي ١٨٦٢-١٨٦٣.
(حكايات رحلة عام عبر وسط وشرق الجزيرة العربية ١٨٦٢-١٨٦٣م، للمؤلف وليام جيفورد بلجراف).

كسلطان لعمان. واعترافاً بإدعاءات عمان السابقة في زنجبار وافق ماجد على دفع رسمٍ سنوي قدره ٤٠٠٠٠ كراون.

وفي منتصف القرن التاسع عشر وقعت تغيرات سريعة عكست مكانة عمان البارزة كاحدى أقوى القوات البحرية في المحيط الهندي. فإلى جانب فقدان ثويني لجزء كبير من الأسطول البحري لأخيه في زنجبار، فقد واجه الاسطول التجاري العماني تحديات جديدة من السفن البخارية التابعة لشركة الملاحة التجارية البريطانية الهندية. فقد كانت هذه السفن الحديثة، التي لم تعد تعتمد على الرياح الموسمية في تحديد مواعيد الابحار، تنافس بشدة القوارب الشراعية العمانية التقليدية المصنوعة من الخشب والتي كانت تشكل منذ فترة طويلة العمود الفقري لاسطول سفن المحيط الهندي.

ونتيجة لذلك ولبعض العوامل الأخرى أصبحت عمان تعاني من الكساد الاقتصادي الخطير الذي كان بمثابة الوقود الذي أشعل النزاعات الداخلية. وتم القاء مسؤولية تدهور عمان على ثويني وتعرض حكمه لتحديات من عدة جهات تضمنت ثورة في صحار قادها أخوه تركي، وعصيان عدة قبائل



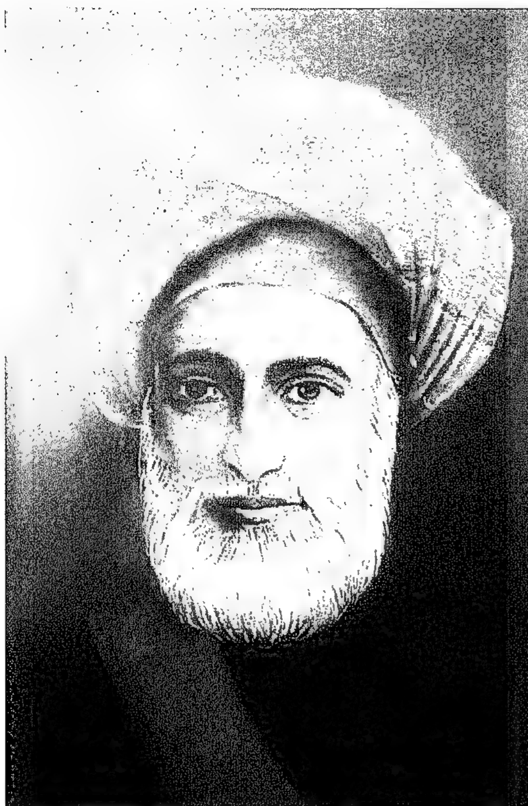
بتحريض من قيس بن عزان والي الرستاق، وغزوة قام بها الوهابيون بتأييد من قبيلتي جنبه وبني أبو علي، وأخيراً لقى حتفه أثناء نومه في القلعة في صحار حيث أطلق عليه أبنه سالم النار من بندقية ذات ماسورتين.

السلطان السيد سالم بن ثويني
(١٨٦٦-١٨٦٨م)

أخيراً تحققت طموحات سالم في حكم عمان، لكن انتصاره دام فترة قصيرة. فقد كانت الطريقة التي تولى بها مقاليد السلطة موضع اشمئزاز كبير، وانتشرت المعارضة لحكمه بسرعة. وقد أدى عدم الاستقرار هذا إلى زيادة ضعف مكانة عمان ورفض سلطان زنجبار دفع الرسوم السنوية لسالم وألغى الفرس اتفاقية استئجار عمان لبندر عباس قبل تجديدها بقيمة إيجارية أعلى. وبعد عامين من الحكم غير الناجح تم إجبار سالم على مغادرة عمان عندما قاد عزان بن قيس أتباعه للقيام بعدة هجمات ناجحة على قلاع بركاء ومطرح ومسقط. وبعد مضي عدة سنوات وفي عام ١٨٧٣م حاول سالم العودة إلى عمان أثناء حكم السلطان تركي بن سعيد. وفي هذا الوقت كان البريطانيون قد اعترفوا رسمياً بتركي كسلطان لعمان وقبضت السفينة البريطانية «إتش إم إس دافني» على سالم وأرسلته إلى حيدر أباد حيث توفي في العام التالي.

الإمام عزان بن قيس
(١٨٦٨-١٨٧٠م)

اتسم حكم عزان بفلسفة دينية أصولية قوية، وتم توحيد البلاد تحت رايته وأتاحت له هذه القوة المتجددة أن يطرد الوهابيين من واحة البريمي التي كانوا يستعملونها كقاعدة لهم منذ عام ١٨٠٠م. وقد تم عمل ترتيبات بين الإمام عزان والأسرة الحاكمة في أبو ظبي تقضي بحماية البريمي من الغزوات في المستقبل. لكن حكم عزان لم يدم طويلاً أيضاً لأنه لقي معارضة تزعمها تركي بن سعيد، أخو ثويني بتأييد من سلطان زنجبار وشيوخ دبي وعجمان ورأس الخيمة. والتقت القوات المعارضة في معركة وادي ضنك التي انتهت بهزيمة الإمام عزان الذي لجأ إلى صحار حيث قتل بعد فترة قصيرة في معركة مطرح التي انتصر فيها تركي.



السلطان السيد تركي بن سعيد
(١٨٧١-١٨٨٨)

بدأ تركي حكمه في ظل معارضة كبيرة من قبل عدد كبير من الجماعات بما في ذلك معارضة أخيه الصغير عبد العزيز بن سعيد (الذي كان مثل تركي، أخاً للحاكم ثويني المقتول) وصالح بن علي (أحد أبناء قبيلة حرث) وابراهيم بن قيس (أخو الإمام عزان الذي قتل مؤخراً).

وعقب عدة سنوات عصيبة نجح تركي في عام ١٨٧٥م في اكتساب ولاء ابراهيم بن قيس. وكان ذلك علامة بارزة لبداية تعاون وثيق طويل بين اسرة ابراهيم وسلطان عمان حيث خدم أحمد نجل ابراهيم كوزير للداخلية في حكومة السلطان سعيد بن تيمور حتى عام ١٩٧٠.

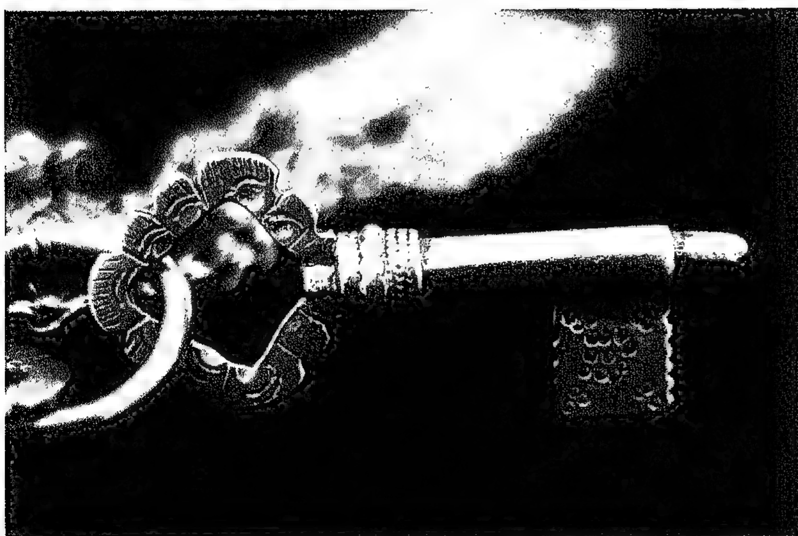
ومع ذلك لم تخمد معارضة صالح بن علي وتسببت في اضعاف مكانة تركي نتيجة للهجمات التي تم شنها على مطرح ومسقط والتي أدت إلى تخلي أتباع تركي عنه مما اضطره في عام ١٨٧٥م إلى التقاعد والاقامة في جوادور تاركاً أخاه عبد العزيز يحكم عمان.

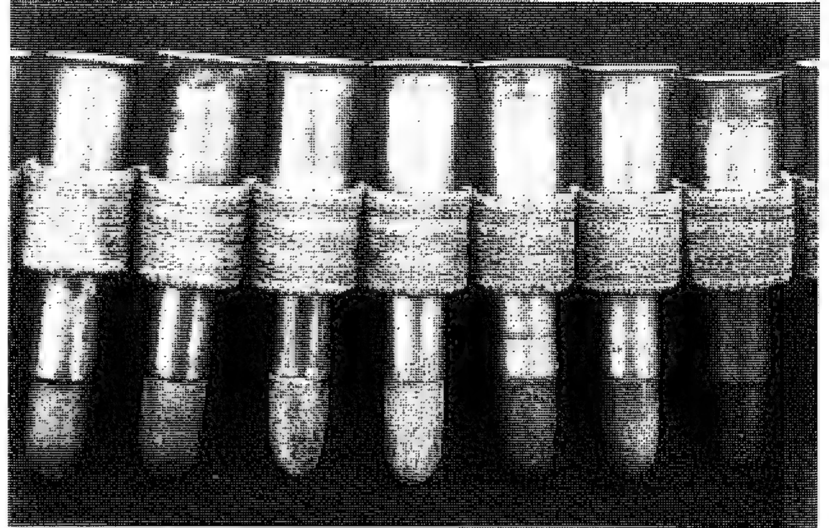
على أية حال، لم تكن تلك هي نهاية حكم تركي لأنه بعد أن أمضى عدة شهور معتكفاً نال خلالها قسطاً من الراحة وتجديد النشاط عاد فجأة إلى مطرح ومسقط أثناء وجود عبد العزيز في زيارة إلى وادي سمائل.

وبعد مضي عامين وفي سنة ١٨٧٧م شن صالح هجوماً آخراً على حكم تركي مدعياً بأنه لا يحترم القيم الدينية. وفي هذه المرة تم رده بمساعدة السفينة البريطانية «إتش إم إس تايزر» التي قصفت مخيم صالح بالقنابل. وفي عام ١٨٨٣م جرت محاولة جديدة لعزل تركي عندما انضم سالم إلى عبد العزيز شقيق تركي الذي ذاق طعم الحكم مرة قبل ثمانية أعوام. ومرة أخرى تلقى تركي المساعدات البريطانية التي قدمتها هذه المرة السفينة البريطانية «إتش إم إس فيلومل» التي قامت بقصف القوات المهاجمة بالقنابل. كما تلقى تركي المساعدة من حلفائه في قبيلتي الحرث والمساكره الذين هبوا لمساعدته ومن إبنه فيصل الذي قاد القوات التي تعقبت المتمردين وأخضعتهم مرة أخرى لحكم أبيه.

وبالرغم من هذه النزاعات على السلطة وهي أحد المعالم الطويلة للسياسات الداخلية العمانية، فقد كان حكم تركي بناءاً وايجابياً في تأثيره على الحياة العمانية. فقد كان حكيماً وجاهد في سبيل تسوية الخلافات بين القبائل في عمان وطبق في نفس الوقت سياسة خارجية عملية.

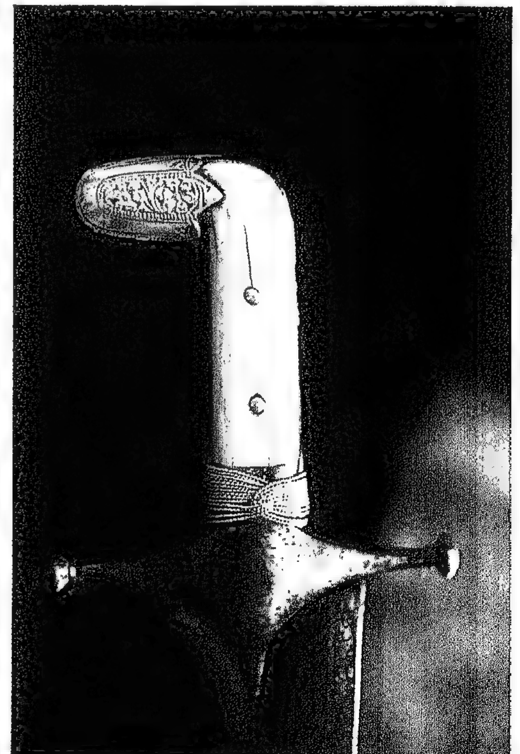
وعرفاناً منه بالمساعدات التي قدمها له البريطانيون ولقلقه من جراء تجارة الرقيق الظالمة وقع السلطان تركي معاهدة مع ممثل بريطانيا «سير بارتل فرير» في عام ١٨٧٣ تهدف إلى انهاء تجارة الرق.







السلطان السيد فيصل بن تركي
(١٨٨٨-١٩١٣م)
استطاع فيصـل أن يحصـل علـى ولاء أهم زعمـاء القبائل العمانيـة. وقد تولـى مقاليد الحكم في السلطنـة وهو لا يزال في عنفوان شبابه حيث كان يبلغ من العمر ٢٣ سنة فقط وكـان عليه أن يـواجه بعـض الخصوم الأكبـر سنـاً والأكثر خبـرة وعلي رأسهم عمه عبـد العزيز الذي كـافح دون نجاح ضد تركي والد فيصل.



وفـي عام ١٨٩٣م حـدثـت تغيـرات فـي سلطنـة زنجبـار تمخضـت عن إحـلال علي بـن سعيد محـل حمـد بـن ثوينـي ممـــا أدى إلـــى تأييـــد محـاولـة تتصـدرهـا زنجبـار للسيطـرة علـى عمـان. وقد استطـاع فيصـل بمسـاعـدة البـريطانييـن رد الهجوم علـى مسقـط ومطـرح لكـــن بعد أن استطاعـت القوات المتمـردة السيطـرة علـى مسقـط لفتـرة وجيـزة. وقـد تعلـم فيصـل دروسـاً وعبـراً مـن هـــــذه المحـاولـة واعتبـر نفسـه محظـوظاً لنجـاتـه بحيـاتـــه، وقـام بتعـزيـز تحصينـاتـه الدفـاعية وسيطر سيطرة قـوية علـى الـزعامة وظل فـي منصبه كسلطان لعمان حتى وفاته في عام ١٩١٣م.

وفي مطلـع القرن العشريـن وجدت عمان نفسهـا في حيرة تتنـازعها المحاولات القويـةالتي تبذلها المصـالـح الفرنسية والبريطانية لكسب تأييدها.

وحـاولـت فـرنسـا وروسيـا إضعـاف السيطـرة البـريطانيـة علـى المحيـط الهندي، وشكلـت الجهـود الفرنسية لتعزيز التواجد الفـرنسي في عـمان جـزءاً من هذه المحـاولات.

وأدى بزوغ عصـر السفن البخاريـة إلى ضـرورة تـوفيـر مرافـيء استراتيجيـة تستطيـع فيهـا هـذه السفـن إعـادة تزويـد مستودعاتهـا بالفحـم كـي تتمكـن مـن القيـام برحلاتهـا الطويلـة. وكـانت مطـرح توفـر مثـل هـذا الموقـع فهـي تعتبـر مركـزاً نموذجيـاً للسفـن المبحـرة مـن الشـرق إلـى الغرب عبر البحر الأحمـر وقنـاة السويس والمتجهـة إلى أوروبا والخليـج أو الهند وما بعدها. وقد حـاولـت كـل مـن فرنسـا وبريطانيـا الحصـول علـى قواعـد للتمويـن. واتبـع السلطـان فيصـل الاسلوب الدبلومـاسـي ومنـح كـلا البلديـن قطعـة مـن الأرض متسـاوية فـي المساحـة وسمح لهمـا بإقامـة مبانـي مطابقـة علـى سواحـل خليـج مسقـط. وقـد ظلـت هـذه المبـاني قائمة حتـى عـام ١٩٧٢م حيث تـم هدمهـا لتوفير الأراضي اللازمـة لاقامـة القـاعـدة البحرية الجديدة.

وفي عام ١٩٠١م تم ربط عمان بخط هاتفي، وواصل فيصل تعزيز مكانته خـلال فتـرة مـن الاستقرار والسلام النسبيين حتى وفاته في عام ١٩١٣م.



السلطان السيد تيمور بن فيصل
(١٩١٣-١٩٣٢م)

خلف تيمور والده فيصل في عام ١٩١٣م وواجه على الفور تقريباً عصياناً يتزعمه الإمام المنتخب راشد الخروصي الذي كسب تأييد بعض القبائل. وقد تتوج هذا النزاع بهجوم على مسقط في عام ١٩١٥م بقيادة سالم بن راشد تصدت لهم عند السيب قوة قوامها ٧٠٠ جندي ونجحت في ردهم. وبعد عدة محاولات زائفة لبدء الهجوم تم التوصل إلى حل وسط جلب السلام بين قبائل المحافظات الداخلية والمحافظات الساحلية مع الاعتراف بدور السلطان بصورة عامة. واستمرت هذه الاتفاقية سارية بصورة مرضية طوال فترة إمامة سالم بن راشد الخروصي وخليفته الإمام محمد بن عبد الله الخليلي، لكن إنفرط عقدها في أعقاب وفاة الإمام محمد في عام ١٩٥٤م.

وقد كتب برتران توماس الذي عمل لدى السلطان السيد تيمور عن بعض خبراته في كتابه «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية» والذي تم نشره لأول مرة في عام ١٩٣٢.

وقد تضمن الكتاب إهداءاً نصه: «إلى سمو سلطان مسقط وعمان السيد تيمور بن فيصل بن تركي بن سعيد، حامل وسام الامبراطورية الهندية ووسام نجمة الهند، مع الشكر والتقدير لأفضاله العديدة التي شملني بها تحت رعايته وتذكاراً للسنوات الخمس السعيدة التي أمضيتها في خدمة سموه». وفي هذا الكتاب يقص برترام خبراته في مسندم حيث كان الشيخ حسن والي خصب يتزعم قبيلة الشحوح القوية التي رفضت السماح لفريق المساحة التابع للسفينة البريطانية «إتش إم إس أورماند» بالنزول إلى الشاطيء ورفع راية المساحة فوق قمة أحد التلال، وتجاهلت رسالة من حكومة مسقط وتسببت بذلك في احباط عزيمة فريق برترام للمساحة مؤقتاً.

ويعلق توماس على ذلك بقوله لقد بدأ هذا التحدي في عام ١٩٣٠م قرب نهاية حكم السلطان تيمور وفي وقت كانت فيه قبيلة الشحوح في مسندم تعرض عضلاتها. ولم ينتهي الأمر عند هذا الحد فقد عادت السفينة «السعيدي» بقيادة الكابتن رشيد إلى مسندم في أبريل من ذلك العام وأحضرت برترام توماس للتفاوض على تسوية سلمية للنزاع.

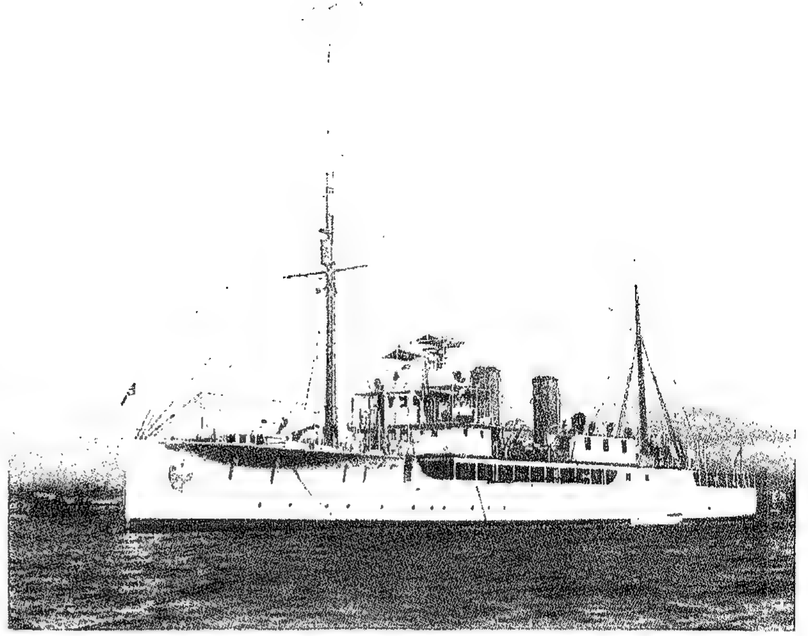
وبعد محادثات تمهيدية شعر توماس بأنهم يجهزون قوة دفاعية لمقاومة أي محاولة للنزول إلى الشاطيء. وظهرت إحدى السفن الحربية البريطانية في الأفق ووصف توماس هذه الواقعة كما يلي:

صورة للسلطان السيد تيمور مأخوذة من كتاب «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية» (جورج ألن ويونيون، ١٩١٣م).

قرع الجرس أربع مرات حضر بعدها الكابتن رشيد للابلاغ عن اقتراب احدى السفن البريطانية قائلاً تأتي من أعماق البحر بارجة ذات هيكل طويل ومنخفض وذات صارية طويلة عليها قمعين (رايتين) خفيضين. إنها نموذج رائد جميل ووقور وأنها لتبدو أنيقة تحت أشعة الشمس. إنها زيارة غير متوقعة بالنسبة لي لأن السفينة السعيدي غير مجهزة بجهاز لاسلكي. لكن سرعان ما تبادلنا الاتصال بالرايات وتوجهت لاستقصاء الأمر، فوجدتها السفينة «إتش إم إس



بارترام توماس على ظهر جمله المفضل «خوره» كما يظهر على صفحة الغلاف الداخلي لكتاب «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية»، ١٩١٣م.



صورة للسفينة الحربية البريطانية «سلوب الخليج العربي، سيكلمين» تم التقاطها في حوالي عام ١٩٣٠ وهي تبحر بالقرب من ساحل عمان. وقد ظهرت هذه الصورة في كتاب برترام توماس «أخطار ورحلات قصيرة في الجزيرة العربية» الذي نشر في عام ١٩٣١. كان قد تم ارسال هذه السفينة لحسم الخلاف القائم بين حكومة مسقط وشيوخ مسندم.

لوبيـن»، سفينة نائب القائد البحري الأعلى الـذي عن طريقه كان علي الابلاغ عن الوضع .....».

وقد نظرت مسقط إلى الحالـة في مسنـدم بجديـة، لكـن كمـا يتـذكـر تومـاس، فـإن ثمانـيـة أسابيـع مـن المفاوضــات الصبـورة للحصـول علـى الموافقــة المحلية بوضـع راية على الجبل تمخضت عـن رفض هذا المطلب تماماً في رسـالـة كتبها الشيخ محمد بن سليمان وأنهاها بتحـذير حازم نصـه «نطلب منكم اتقـاء هذا الأمر وعدم التدخل في أراضينـا وممتلكاتنا. إن حكمكم المطلق ينطبق عليكم أنتـم والخطر يقع عليكم أنتم ولا تلـومونا.. والسـلام عليكم.».

وفي النهاية وقـع إختيـار فريـق المساحة علـى تـل آخر وحقق الشيـخ محمـد نـصرا مؤقـتا. وأخـيرا وفي ١٨ أبريـل تم إعطاء الناس المـوجودين علـى الشاطـىء إنـذارا نهائيـا «بـالاستسـلام لحكومتكـم دون قيـد أو شرط.. حكـومة البوسعيد الممثلـة في السفينة الحـربية المـدفعية «السعيـدي» وذلك فـي خلال ٤٨ سـاعة مـن استـلامكم لهـذا الانـذار. وإذا لـم تستسلموا فسـوف تقـوم قوات مسقـط بقصـف ممتلكـاتكم ....». ولـم تتـم الاستجابة لهذا الانذار وبدأت السفينـة بالفعل في قصف قـذائفها التـي وصفها تـوماس مستعينـاً بالـرسومـات. ونجحت عملية القصـف في الحصول على التنـازل الذي تمت كتـابته باللغة العـربية الفصحى. وهـو يستحق أن نكره هنا حتى ولـو من باب المعرفة بأسـاليب الاتصال في ذلك الزمان والمكان:

إلـى السيد تيمـور بن فيصـل سلطـان مسقط وعمـان حماه الله وأبقـاه ومجده وصانه وجعل جنـاته ومثواه ومأواه. أما بعد، فإننا نبلـغ معاليكم أننا شعبك وعبيدك من قبل قدى. يا أيها السيـد نحن شعبك وعبيدك وتراب قدميـك من أيـام آبائنا وأجدادنا والآن وكمـا لا يخفى عليكم أصبح حسـن هو حاكمنا. واليوم نحـن لا نريده شيخاً أو حاكماً علينا على الاطـلاق ونتوسل إليك اليوم





أن تعفو عنا وتسامحنا ونحـن تحت أمرك وقيادتك ولا نستطيع مخالفتك. إنك إمامنـا وسلطاننا ونود أن نتلقى منك رداً في الحال مع حامل هـذه الراسلة. ومهما كانت أوامركم فنحن تحت أمركـم ونتلمس عفوكم. رحمة بنا يا سيدنـا وإشملنا برعايتك فـأنتم أهل الرعـاية ومهما أمرتنا به فسننفذه.

من جميع أهل شحوح قدى .... الشيخ.

وأصر تومـاس على أن يتراجع الشيـخ حسن بنفسه، وتمت معاودة القصـف مرة أخرى وأصيب منـزل الشيخ حسن. وأخيـراً وفي ٧ مـايو وعقـب تدخـل أحد وسطـاء السلام وهو الشيخ سعيد من دبي استسلم الشيخ حسن وتم ارساله إلى مسقط كسجين. وكانت هذه هي الأحداث التي وقعت أثنـاء حكم السلطان السيد تيمـور بن فيصل. وقد عكـرت المشاكل الماليـة معظم هذه الفترة وفـي عام ١٩٣٢ سلم مقـاليد الحكم لأبنـه السيد سعيد بـن تيمور وتقاعد في بومباي حيث توفي في عام ١٩٦٥.

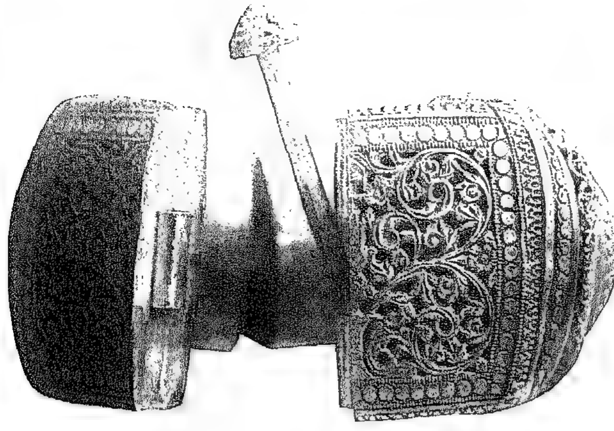
السلطان السيد سعيد بن تيمور

(١٩٣٢-١٩٧٠م)

السلطان السيد سعيـد هو والد السلطان قـابوس سلطان عمان منذ عـام ١٩٧٠م. لقد ورث البلاد وهي تعـاني من مشاكل مالية خطيرة وقام بتطبيـق سياسة مالية حكيمة أتـاحت لـه إعادة الأوضـاع الماليـة للبلاد إلـى الطريـق الصحيـح. وقد واجـه بعض الأزمـات أثنـاء فترة حكمـه تركـزت أساساً حول تقلبـات الولاء القبلي والسيـاسات الداخلية.

وعندما تم اختيار الإمام الجديد غالب بن علي في عام ١٩٥٤م قـامت ثـورة أخمـدتها فـي البـداية الاجـراءات العسكريـة الصارمـة. لكن تجـدد هذا النشـاط في عـام ١٩٥٧م بزعامـة طالب شقيق غـالب وبتأييد مـن الشيخ سليمـان بـن حمير، مـن بيـن آخـرين، وأمكـن إخمـاده بمساعدة البريطانيين.

وكان لمجيء عصـر النفـط تأثيره أيضـاً على عمان أثنــاء حكـم السلطــان السـيد سعـيد. فعقـب



اكتشاف النفط العربي لأول مرة في البحرين في عام ١٩٣٠م وعقب الاكتشافات الأخرى في المملكة العربية السعودية جذبت المنطقة الجنوبية الشرقية للجزيرة العربية بأكملها اهتمام شركات النفط الدولية. وتم بالفعل أثناء حكم السيد تيمور اجراء أعمال مسح للنفط في العشرينات من القرن الحالي لكنها لم تسفر عن اكتشاف أي نفط وانحسر الاهتمام بالأمر.

وتم منح شركة امتيازات البترول المحدودة امتيازاً للتنقيب عن النفط في عام ١٩٣٧م، لكن لم يحدث أي شيء إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عندما قامت نفس الشركة والتي اعيد تسميتها باسم شركة تنمية نفط عمان باجراء مسح جيولوجي في عام ١٩٥٤م لشمال عمان في فهود. وبالرغم من أن المؤشرات الجيولوجية كانت موجبة إلا أن الجهود الأولية لم تنجح في الكشف عن أي حقل للنفط.

وفي عام ١٩٦٢م تم اكتشاف أن البئر الاستكشافية قد أخطأت في تحديد مكان حقل ضخم للنفط لا يبعد عنها إلاّ مسافة بضعة مئات من الأمتار فقط. إن اكتشافات النفط في عمان لم تتيسر بسهولة نسبية كما حدث في البحرين والمملكة العربية السعودية. فقد تم انفاق ١٢ مليون جنيه استرليني قبل أن يتم العثور على أول بئر تجارية للنفط في يبال في عام ١٩٦٢.

وقد تبع تحقيق الاكتشاف الأول حدوث اكتشافات أخرى. فقد تم اكتشاف حقل بطح في عام ١٩٦٣م وحقل فهود في عام ١٩٦٤م وهو أول حقل يبدأ في الانتاج عام ١٩٦٧م. وجلبت الاكتشافات المبكرة للنفط في عمان في عصر السلطان السيد سعيد بالاضافة إلى الايرادات الناتجة عنه طموحات جديدة للتنمية الاجتماعية في البلاد. ومع ذلك فإن مقدرة السيد سعيد على متابعة التغير السريع وتردده في مواكبة عصر التقدم أدى في النهاية إلى تنازله عن الحكم في عام ١٩٧٠. وقد ظل خلال الفترة من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٧٠م مقيماً في ظفار حيث يصدر المراسم من هناك ولم يزر شمال عمان على الاطلاق.

وقبل اكتشاف النفط لم يكن لدى عمان ما يكفي من الاعتمادات المالية لتلبية المتطلبات الاجتماعية للبلاد من ناحية اقامة الطرق والمدارس والمستشفيات وشبكات الاتصالات وغير ذلك. ولذلك لم يكن من المدهش أن يتبع سلطان عمان إسلوباً حذراً في الانفاق العام أو أن يجد من العسير عليه تغيير نمط حكومته في أواخر عهده.

وقد أتاح تنازله عن الحكم أن يتولى إبنه قابوس بن سعيد مقاليد السلطة ويقود عمان على طريق مسيرتها الحالية للتنمية الواعية والتقدم المدروس، وعقب تولي قابوس بن سعيد مقاليد الحكم بفترة قصيرة تم قبول عمان رسمياً عضواً في هيئة الأمم المتحدة وفي جامعة الدول العربية ويمثل ذلك علامة بارزة في تاريخ دولة عمان.

وقد توفى السلطان السيد سعيد في لندن في عام ١٩٧٢م بعد عامين من تنازله عن الحكم لابنه الذي تولى قيادة عمان على طريق التقدم الحالي وهي قصة سنتناولها في الفصل التالي.



عمان الحديث



شركة تنمية نفط عمان

توفر الحكومة العمانية افضل المرافق الترفيهية العصرية للمواطنين، مع المحافظة في نفس الوقت على العادات والتقاليد والبيئة. ويظهر في هذه الصورة مشهد لحديقة ريام



سي فيوجارد

جلالة السلطان قابوس بن سعيد

عـــــمان الحديـــــثة

" ولا شـك أن الناحيـة الاقتصاديـة في كـل أمة هــي عصـب حيـاتهـا ومصـدر قـوتهـا وسـنـد سيـادتهـا واستقرارها.

اننـا نـركـز اهتمـامنا لايجـاد الـوسـائل والسبـل والمشاريع لرفع مستوى اقتصاد بلادنا وتوفير العمل والعيش الكريم لكل مواطن " .
(جلالة السلطان قابوس بن سعيد).

إن أهم سمات عمان المحببـة هي أنهـا استطاعـت أن تحقـق توازنـاً رائعاً بيـن تطــورات وخصائص العصـر التكنولـوجي الذي نعيشـــه وضرورة المحافظـة علـى التـراث الثقافـي القومـــي وعلـــى العـادات والتقاليـد العريقة وعلى القيم الروحية التي يتميز بها شعبها.

وفي الواقع، فإن التقدم الحقيقي هو أن تستطيع الأمة أن تحقق التقدم والتطور دون أن تدمـر كل ما هو جميل ورائع سواء في المجتمع أو في الأمة ذاتها.

ومـن الـواضح أن حكـومـة عمـان قـد ركـزت كـل جهودهـا مـن أجـل رفاهيـة مواطنيـــها ورفـــع مستواهم المعيـشي دون أن تقـضـي علـى التـراث الثقافي الفريـد في البلاد أو على القيم الانسانيـة أو تخـل باحترام البيئة.

وعندمـا نتطلع إلـى عمان الـحديثة وإلـى إنجازاتهـا المرموقة التي تحققـت فــي عهد جـلالة السلطان قابوس بن سعيـد فعلينا أن ندرك ونعي الأولـويات القوميـة التي أضاءت الطـريق أمام اتخاذ مثـل هذه القرارات الـرشيدة التـي كـانـت السبب وراء تحقيـق هـذا النمـو والتطـور الرائعيـن اللذيـن شهدتهمـا البلاد خـلال فترة العقـدين والنصف الماضيين.

وزارة الاعلام

تعطي الحكومة الحالية الأولوية لقطاع التعليم. وبينما كان في البلاد ثلاث مدارس ابتدائية فقط في عام ١٩٧١ تضم ٩٠٩ طالباً فقد زاد هذا العدد في العام الدراسي ١٩٩٥/٩٤ ليصبح ٤٧٤٨٨٨ طالباً.



يتم تشجيع مزاولة النشاطات الرياضية في جميع المستويات وأصبحت كرة القدم تحظى بشعبية كبيرة.


وزارة الاعلام

التدريب المهني عنصر هام في سياسة التعليم العمانية. وتتلقى الطالبات الممرضات تعليمهن في معهد الصحة.

التعليم

دعونا نبدأ باستعراض بعض الاحصائيات البسيطة، ففي عام ١٩٧١ لم يكن هناك أية مدارس اعدادية أو ثانوية في عمان، بل كان هنـاك فقط ثلاث مدارس ابتدائية فـي كافة أنحـاء البـلاد تضـم ٩٠٩ طفلاً يشـرف علـى تعليمهـم ٣٠ معلماً. وكان تعليـم البنات أمراً غير معـروف في ذلك الحيـن. وبعد مضـي عشر سنـوات فقـط، أي في العـام الدراسي ١٩٨١/ ١٩٨٢م، تغيرت الصورة تماماً فقد زاد عدد الطلاب بنسبة ١١٩٣٤٪ ليبلغ ١٢٢١٤٣ طالباً يتـم تعليمهـم في ١٧٧ مـدرسـة ابتدائيـة و ٢١٠ مدرسـة اعداديـة و٢١ مـدرسـة ثـانويـة وسبع مـدارس اعداديـة اسلاميـة ومدرسـة ثانويـة اسـلاميـة ومـدرسـة تجـاريـة ومدرسـة زراعية وأربع كليات للمعلمين ومدرسة خاصة.

كمـا زاد عـدد المعلميـن زيـادة كبيـرة خـلال عشـر سنوات فقـط من ٣٠ معلماً الـى ٦٧٤٥ معلماً أي بـزيادة هائلة نسبتها ٢٢٤٨٣٪.

إن من الصعب أن نجد دولة أخرى في العالم شهدت مثل هـذه الطفرة التعليميـة في فتـرة وجيزة. وبعـد مضي عشر سنوات أخرى، أي في عام ١٩٩١، نجـد أنه يتم تدعيم هذا النمو العارم ونشاهد حـدوث زيادة مفاجئة أخرى سواء في اعـداد الطلاب أو المعلمين، فقـد تضاعف عـدد الطلاب ثلاث مـرات من ١٢٢١٤٣ طالبـاً إلى ٣٦٠٠٦٦ طالبـاً مع زيادة مماثلـة في أعداد المراكـز التعليمية. وبالاضافـة الى ذلـك فقد حـدث انخفـاض بسيط فـي نسبـة الطلاب الـى المعلمين في المدارس الابتدائيـة حيث انخفضت النسبة من ١:٣٥ في عـام ١٩٧١ إلى ١:٢٨ في عـام ١٩٩١. ويتضح من هذه الأرقام ان حكومة جلالـة السلطان قابوس قد أعطت الأولوية للتعليم المجاني ولاتاحـة تكافؤ الفرص أمام جميع المواطنيـن العمانيين. انهـا مهمة ضخمة لا زالـت مستمرة، لكن الانجازات كانت رائعة.

ان مثـل هذا التقـدم الرائع هـو خير مبـرر لتأكيـدات جلالة السلطـان قابوس والتي يقول فيهـا "التعليم يجب ألا يبقـى وسيلة لتثقيـف الفرد فقـط، بـل يجب أن يعنـي أيضاً بتكوين شخصيته حتـى تلعب عمان دوراً مهماً في الشؤون العـالمية". ويشـرح جلالتـه ذلك قـائلاً: "إننا نهدف إلـى نشر التعليم فـي جميع أنحاء السلطنـة، لكي ينال كـل نصيبه في التعليم وفـق قدراته، كما نعمـل على وضع خطـة للقضاء علـى الأمية ونركـز بصورة خـاصة على التعليـم المهني والتعليـم العالي حتـى نلبي حـاجة البلاد من القوى البشرية العمانية المدربة".

إننا لا نبتعـد عن الحقيقـة عندمـا نقول بـأن قلة مـن البلدان فقط استطاعت أن تشهد مثـل هذه الطفرة الهائلة في مجـال التعليم في فترة وجيزة، غير أنه من الـواضـح أيضاً ان اهم الخطـوات التي تثير الاعجاب والتـي خطتها عمان قد بدأت مع تقلد جلالـة السلطان قابوس بن سعيد مقاليد الحكم في ٢٣ يوليو ١٩٧٠.

وتلخيصـاً للفلسفة التـي أرشـدت سيـاسـة التعليـم العمـانية فـإننا نستيعـن بالـوثيقة التـي أعدتهـا وزارة التربيـة والتعليم العمانيـة والتي تقول: «الايمـان والعلم والعمل هـي الركائز الأساسيـة لتقدم المجتمع العمـاني وتطـوره وبها يتمكـن المجتمع العمـانـي من استغـلال مـوارده وثـرواته وتنميتهـا بمـا يكفـل لأفراده الـرخـاء والعيش الكـريم. ولـذا فان العمل المـرتكز علـى الايمان والعلم يعتبـر حقاً وواجبـاً وشرفـاً لكل قـادر من أفـراد المجتمع يقوم بأدائه باتقـان وأمانة واخلاص وصدق. إن سلطنـة عمان وهـي تعي طبيعـة التحديـات الاجتماعيـة والثقافية والاقتصادية التي تجابه المجتمع العماني وهو ينهـض بعد فتـرة طويلة مـن الـركـود لتتصدى لهـذه التحديـات بتسخير كل جهوده وتجنيـد كل طاقاتـه وفي سبيـل خلق مجتمـع حـديث البنيـان قـادر على تحمـل مسؤولياته وواجباته الوطنية والقومية الكاملة».

ان ثمـار الجهـود العمانيـة المبـذولـة في مـواجهـة التحديـات الجبارة التي واجهتهـا البلاد فـي عام ١٩٧٠ واضحة اليوم فـي وجوه الشباب المتعلم الذيـن هم نتاج سياسة التعليـم الرشيدة والنيرة التي تأخـذ في الاعتبار الكيان الكلي والدور المحتمل لكل فرد في المجتمع.

وقد انحصرت الفلسفة الأساسية فـي تطوير مجموعة كاملـة من القـدرات الانسانيـة بما فـي ذلك فهـم الأمور الاسلامية والقـدرات العقلية والبدنية والحسـاسية تجاه

الطبيعة والمجتمع والعلوم والفنون وتقديرها حق قدرها وتجاه المهارات الوظيفية واخلاقيات العمل والمهارات الاقتصادية والقدرات الادارية وتجاه الشعور بالمسؤولية المدنية والسياسية والقدرة على تقدير اهمية اوقات الفراغ واستغلالها خير استغلال. واخيرا ترسيخ فكرة ان التعليم لا ينتهي بالتخرج من المدرسة او الجامعة بل يستمر طوال حياة الانسان.

ومن هذه الانطلاقة فان سياسة التعليم هي سياسة رحبة الأفق وتقدمية. انها أساس ضروري لتطور عمان الحديث. ان انجازات عمان في هذا المجال تثير الدهشة ايضاً وخاصة عندما يأخذ المرء في الاعتبار انه برغم قصر الفترة التي تحقق فيها التقدم والتطور فإن عمان تعتبر اليوم «نموذجاً لتطور قطاع التعليم في الدول النامية بصورة عامة وفي الدول العربية بصورة خاصة".

وعلى أية حال، فان معيار نجاح عمان في هذا المجال لا ينحصر فيما اذا كانت سياستها هي سياسة تقدمية او متخلفة بل ينحصر فيما اذا كانت ناجحة في تطوير مجموعة كبيرة من القدرات الانسانية. ومع ذلك فمن الخطأ الجسيم ان نعطي الانطباع بأن عمان تعيش على امجادها في مجال التعليم فقط، لأن ذلك ليس صحيحاً على الاطلاق، اذ انها تنظر نظرة انتقادية للانجازات التي حققتها وتبحث عما اذا كانت هناك اساليب اخرى يمكنها بها أن تحسن نظامها التعليمي.

ان التركيز اليوم منصب على الكيف لا على الكم، وقد تم مؤخراً اجراء تحليل تفصيلي لأهداف المناهج والمقررات التعليمية بهدف جعل التعليم في الفصول التعليمية في مستوى واحد مع الأهداف الفلسفية والموضوعية لسياسة التعليم.

وقد ركزت احدى الدراسات التي تمت مؤخراً في هذا المجال على ثلاث مهارات هي الملاحظة والقياس ومعالجة البيانات. وتم اعطاء امتحانات واستمارات استبيان للطلاب في ١٥ مدرسة ثانوية في عمان، واستخدام نتائج هذه الدراسة كأساس للتخطيط السليم لادخال التحسينات على نظام التعليم.

الرعاية الصحية

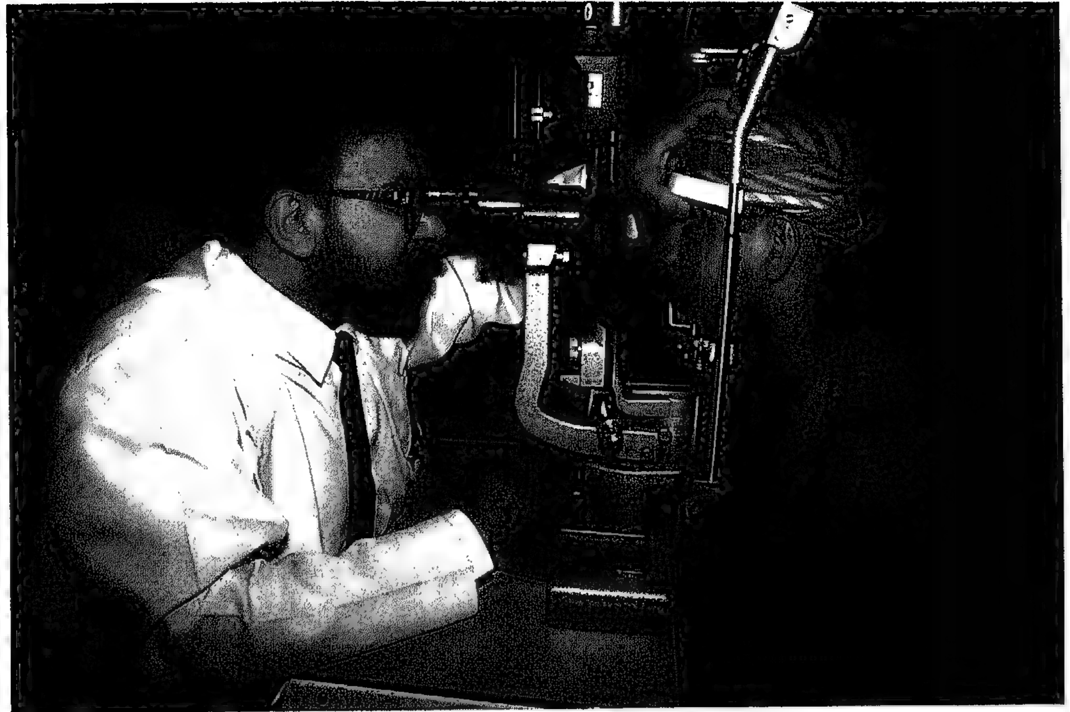
شهد قطاع الرعاية الصحية نمواً هائلاً بنفس درجة نمو قطاع التعليم، وهنا نستطيع أن نقيس درجة النجاح ليس بعدد المستشفيات والعيادات الطبية التي تم اقامتها او بعدد المرضى الذين تم علاجهم فحسب بل بدرجة التحسن الهائلة في المستوى الصحي لكافة أبناء الشعب.

ففي عام ١٩٦٠ كانت عمان تحتل المكانة رقم ١٢٩ من



وزارة الاعلام

تعليم العلوم يعتمد على الخبرات العملية الواسعة لتهيئة الطلاب العمانيين لشغل الوظائف الفنية في المستقبل.



تم تحسين مستويات الرعاية الصحية تماماً كما هو الحال بالنسبة لمستويات التعليم. لقد حقق برنامج الرعاية الصحية الذي استهله جلالة السلطان قابوس نتائج رائعة ومثيرة.

بيـن ١٣١ دولة مـدرجـة فـي قوائم التصنيـف المحلي الدوليـة لنسبة الوفيات بيـن الأطفال وهي مكانـة تأتـي قبل المكانة التي تحتلها سيراليون وافغانستان فقط.

وفـي ذلك الحيـن كـان ٣٧٨ طفـلاً مـن بيـن كـل ١٠٠٠ طفل يموتون قبل بلوغ سـن الخامسة، لكن نسبة الوفيـات بين الأطفال انخفضت إلـى ٢٣ حالة فقـط لكل ألف ولادة حية مقابل ٢٠٠ وفـاة لكل ألف ولادة حية عام ١٩٧٠م. كنتيجة لبرنامج الرعـاية الصحية القومي الذي طبقـه جلالـة السلطـان قابـوس. كمـا انخفضت نسبـة الإصابة بالأمراض المعدية بصورة كبيرة.

وينقسـم برنـامج الـرعـاية الصحـيـة الأوليـة إلـى برامـج مختلفة هـي قسم نشر بـرنامـج المناعـة وقسم مكافحـة مرض الاسهال وقسـم امراض التنفـس الحادة وقسم صحـة الفم وقسـم منع الإصابـة بالعمـى وقسم الرعـاية الصحيـة بالأمـومة والطفـولة وقسـم مكافحـة مرض السـل. ويغطي البرنـامج ٩٠٪ من البـلاد وأمكنه تخفيض نسبـة الإصابة بمـرض السل مـن ٨٦١ حالـة إلى ٤٨٢ حـالة خلال خمس سنوات. ويـركز البرنـامج جهـوده على تعليـم الأمهـات وإطـلاعهم علـى أمـور النظـافة الصحيـة والـرعايـة الصحيـة. ويضمن نظـام المـراكـز الصحية الميـدانيـة تـوفير سـبل الاتصـال الممتـازة بيـن شبكـة الشـؤون الادارية المـركـزيـة والمواطنيـن الذيـن يسعى البـرنامـج الى مسـاعدتهـم وخدمتهم.

ومرة اخرى أدت هذه التحسينات الـى تحسين نوعية الحياة واطـالة العمر المتوقـع للمواطنين في عمـان. لقد كان متوسط العمر المتوقـع في عمان في عام ١٩٦٠ هو ٣٨ سنة فقط وهو رقم سببته نسبـة الوفيات العالية بين الأطفال والأطفال حديثي الـولادة. ومع حلول عام ١٩٨٨ ارتفع متـوسط العمر المتـوقع الى ٦٥,٧ وإلـى ٦٧ سنة في عـام ١٩٩٣ وهو لا يزال في ازديـاد مع تزايد تـأثير التحسينـات المـدخلـة علـى قطاع الـرعـايـة الصحيـة والإسكان والـرعاية الاجتماعيـة والتعليم. ان هذا التـأثير المفاجيء على الهيكـل الديموغرافي للبلاد ليـس له مثيل وهو خير دليل على نجاح برامج التنمية العمانية.

وتهدف الـوثيقة التـي أعدها بـرنامـج التنمية التـابع لهيئـة الأمـم المتحـدة وعنـوانها "تقـريـر عـن التنميـة الانسانيـة ١٩٩٠" الى تقييـم مدى التطـور الاقتصادي في الـدول المختلفة وذلك مـن ناحيـة نجاحها فـي تلبية الاحتياجات الانسـانية وليس من ناحيـة تحقيق الأهداف الماليـة. وهي تتضمـن تقديـرات عــن كيفية استطـاعـة ١٠٨ دولة مختلفـة خفض نسبـة الوفيـات بين الأطفـال تحـت سـن ٥ سنـوات لتصل الـى ٧٪ أو الـى النصـف بـالنسبة للـدول التي تقـل فيها هـذه النسبة عـن ١٤٪.

وكانت عمان هـي الدولة الوحيدة في القـائمة بأكملها التي استطاعـت ان تحقق الأهداف التي وضعها بـرنامج التنمية التابع لهيئة الأمم المتحـدة حتى قبل الشروع في كتابة التقرير.

وقد تم في الجدول رقم (١) ايجاز نتائج التحليل.

كما أوجز التقرير نشاط تغطية برامج المناعة في عدة دول مختلفة. ومرة أخرى كانت عمـان تحتل مكانة قريبة من القمـة حيث نجحـت في تحصيـن ٩٠ في المـائة من

الأطفال وتصـل نسبة التحصين ضد الأمـراض الأخرى، مثل شلل الأطفال إلى ٩٩٪ في عام ١٩٩٢.

وبقدر ما تشير الاحصائيات الى تطور عمان الحديث فإن الاحصائيات الخاصة بالصحة تؤكد التزاماتها تجاه رفع مستوى المعيشة لأبناء الشعب.

ففي عام ١٩٧١ كـان هناك ٢١١ سريراً فـي مختلف المستشفيات المنتشرة في انحاء البـلاد بأكملها، وارتفع هـذا الرقـم بـعد مضي عشريـن عامـا فقـط ليصبـح ٣٤٣١ سـريراً ولا يـزال بـرنامـج اقـامة المستشفيـات الجديدة مستمراً.

وقـد تم فـي الجـدول رقـم (٢) ايجاز الاستثمـارات الضـخمة التي تمت في قطاع الصحة.

في أسفل الصفحة:
بلازما الدم المحفوظة في بنك الدم في عمان.

جدول رقم (١)

سنة تحقيق الهدف	البلد/عدد البلدان
١٩٨٨	عمان
١٩٩٠-١٩٩٥	الامارات العربية المتحدة، الكويت، كوبا، كوستاريكا، تشيلي، هونغ كونغ
١٩٩٦-١٩٩٩	١٥
٢٠٠٠-٢٠٢٥	٤٠
٢٠٢٦-٢٠٧٥	٢٢
٢٠٧٦-٢١٠٠	٥
بعد عام ٢١٠٠	٩

وفقاً لميلر، التنمية الإقتصادية والتخطيط في سلطنة عمان، يونايتد ميديا سيرفيسز، ١٩٩١

جدول رقم (٢)
تطور خدمات الرعاية الصحية

السنة	عدد المستشفيات	عدد الأسرة	عدد العيادات الطبية	عدد الأطباء	عدد هيئة التمريض
١٩٧١	٥	٢١٦	١٠	٤٦	٧٧
١٩٨١	١٤	١٨٨٦	١٧	٣٤٨	١٠٢٥
١٩٩٠	٤٧	٣٤٣١	٩١	٩٩٤	٣٥١٢
١٩٩٣	٤٦	٣٦٢٥	٨١	١٥٦٥	٤٧٢٨



وزارة الاعلام

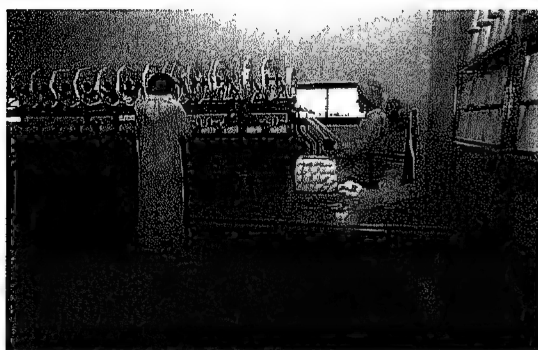

وزارة الاعلام

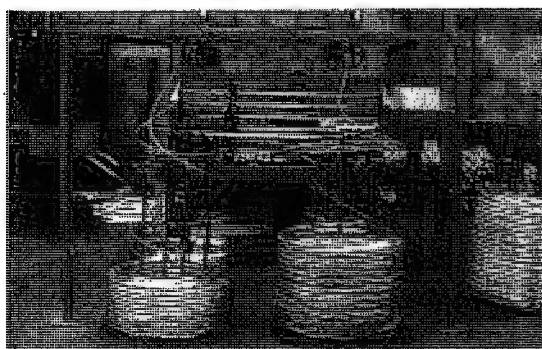
تعتمد الصناعات العمانية على الموارد الطبيعية المتوفرة في البلاد، ويشكل التمر جزءاً صغيراً، لكن هاماً من الناحية التقليدية، من القاعدة الزراعية العمانية.

جدول رقم (٣)
النمو الكمي للقطاعات الهامة خلال الفترة بين عامي ١٩٨٠-١٩٩٠م.

الوصف	١٩٨٠	١٩٩٠
اجمالي القطاع المحلي	٢٠٦٣,٥	٥١٥٤,٩
قطاع النفط	١٢٧٩,٥	٢٠٥٤,٢
قطاع المنتجات غير النفطية	٧٨٤,٠	٢١٠٠,٧
المدارس والمعاهد التعليمية	٣٨٨,٠	٨٠٠,٠
عدد الطلاب	١٠٨٣٢٣,٠	٣٦٠٠٦٦,٠
عدد المعلمين	٥٢٥٩,٠	١٥٥٨٧,٠
المستشفيات	١٤,٠	٤٧,٠
الصادرات العمانية (بالمليون ريال)	٤,٦	٦٨,٩
الطرق المرصوفة (بالكيلومترات)	٢١٩٢,٠	٤٩٦٠,٠
خطوط الهاتف	١٥٠٤٤,٠	١٠٧٤٠٩,٠
الميزان التجاري (بالمليون ريال)	+٦١٦,٠	+١٠٣٤,٠
إنتاج النفط	١٠٣,٧	٢٥٠,١
توليد الكهرباء (كيلو واط/ساعة)	٧٨٧,٠	٤٥٠٣,٠

المصدر: الكتاب الاحصائي السنوي لعام ١٩٩٠، يوليو ١٩٩١، مديرية الاحصاءات القومية.


وزارة الاعلام


وزارة الاعلام

الصورة العليا لجهة اليسار: مصنع للملابس يجمع بين المهارات التقليدية والمزايا التي تتيحها التقنيات الحديثة.

جهة اليسار: مصنع لانتاج الأسيجة ذات الوصلات السلسلية يقدم مواداً حديثة تستخدم في انجاز المهام التي كانت تؤديها يوما ما الأسيجة المصنوعة من الخشب الطبيعي.

الاحصاءات الخاصة بالتنمية

يشكل قطاعا الصحة والتعليم جزءاً متواضعاً فقط من الصورة الكاملة، لكنهما من القطاعات الحيوية. وإذا نظرنا إلى المؤشرات الخاصة بقطاع الاسكان أو الطرق أو أي من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية الأساسية الأخرى نجد أن هناك قصة مماثلة تستحق أن نذكرها.

إن من السهولة بمكان، بالطبع، تحقيق معدلات نمو عالية للغاية عندما تبدأ الدولة نشاطاتها التنموية من مستويات منخفضة جداً مثل تلك التي كانت سائدة في عمان في عام ١٩٧٠. لقد عملت الحكومة بجد ونشاط لمدة عشر سنوات لتستطيع بناء الانشاءات الأساسية في البلاد. وقد شهدت الفترة بين عامي ١٩٨٠ و١٩٩٠م مواصلة حركة التطوير والتدعيم كما يتضح في الجدول رقم (٣).

جدول رقم (٤)
توزيع السكان في عام ١٩٩٣م

مسقط	٦٢٢٥٠٦	٪٣١,١
ظفار	١٧٤٨٨٨	٪٨,٧
الداخلية	٢٢٠٤٠٣	٪١,٠
الشرقية	٢٤٧٥٥٢	٪١٢,٤
الباطنة	٥٣٨٧٦٣	٪٢٦,٩
الظاهرة	١٦٩٧١٠	٪٨,٥
مسندم	٢٧٦٦٩	٪١,٤
المجموع	٢٠٠١٤٩٠	٪١٠٠,٠

المصدر: الأمانة العامة لمجلس التنمية. الاحصاء الرسمي الذي أجري في الفترة من ١-١٠ ديسمبر ١٩٩٣م.

في أعلى الصفحة جهة اليسار: مجموعة من التلاميذ يرتدون الزي الشعبي التقليدي الجميل أثناء الاحتفال بالعيد الوطني لعمان.

في أسفل الصفحة: شباب عمان هم أمل المستقبل العظيم لعمان. لقد استفادوا من خدمات التعليم والرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية الحديثة، وهم في نفس الوقت يقدرون ويحترمون تقاليدهم العريقة وثقافتهم.

زيادة التعداد السكاني

إن إحدى النتائج الحتمية لحركة التنمية السريعة في عمان هي زيادة تعداد السكان، التي تقدر في الوقت الحالي بحوالي ٣,٥ في المائة سنوياً. وفي وقت اعداد هذا الكتاب (سبتمبر ١٩٩٤م) كان التعداد الكلي للسكان يتجاوز ٢ مليون نسمة بقليل. وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٩٣م كان تعداد السكان يتألف من ٥٣٧٠٦٠ مهاجراً و٧٥٥٠٧٠ عمانياً من الذكور و٧٢٥٦٤٠ عمانياً من الاناث. وبذلك كانت نسبة المهاجرين هي ٢٦ في المائة من مجموع تعداد السكان، وهي نسبة مقبولة وتطابق احتياجات خطة التنمية الحالية. ومع ذلك تنحصر سياسة الدولة على المدى المتوسط في خفض أعداد المهاجرين عن طريق إحلال العمانيين محلهم وبالتالي المحافظة على توازن التعداد الكلي للسكان مع زيادة المواطنين العمانيين.

وتوحي حقيقة أن أكثر من ٧٠ في المائة من العمانيين هم من الأفراد تحت سن ٤٠ سنة بأن النمو السكاني سيكون من الصفات المميزة للمجتمع العماني في خلال السنوات المقبلة. وقد بات يشكل بالفعل عنصراً هاماً في تشكيل سياسة الحكومة التي تراه عنصراً ايجابياً، لكنه يحتاج إلى تخطيط واعٍ حتى يمكن تلبية الاحتياجات المتزايدة للتعداد السكاني النامي.

ويعمل معظم السكان في قطاعات الزراعة والتجارة وصيد الأسماك والصناعات التقليدية والحرف اليدوية. وهم يتركزون في مناطق محدودة نسبياً حيث تشير إحصاءات عام ١٩٩٣ إلى أن ٣١,١ في المائة من السكان يعيشون في منطقة مسقط، يليها منطقة الباطنة التي يقطنها ٢٦,٩ في المائة من السكان.

ويوضح الجدول رقم (٤) التوزيع الكلي للسكان في عمان حسب مجموعات الأعمار.



وزارة الاعلام

لقد تم اعداد تنبؤات النمو السكاني في عمان اعتماداً على عدة تصورات مختلفة. فإذا افترضنا حدوث زيادة في تعداد السكان الوطنيين في عمان بمعدل ٤ في المائة سنوياً إبتداءاً من رقم التعداد السكاني في نهاية عام ١٩٩٣م، وهو ١,٤٨ مليون نسمة، لوجدنا أن تعداد السكان الكلي سيزداد ليبلغ في عام ٢٠٠٠م حوالي ١,٩ مليون نسمة. وإذا تم الحفاظ على معدل النمو هذا والبالغ ٤ في المائة سنوياً فسوف يبلغ تعداد السكان الكلي في عام ٢٠٢٥م، أي في خلال فترة تقل عن ٣٠ سنة، حوالي ٥,٩ مليون نسمة. وبينما يقول البعض إن زيادة تعداد السكان هو أمر مرغوب، فإن الحكومة تميل إلى تنظيم نمو السكان. وقد أعرب جلالة السلطان قابوس عن الحاجة إلى تطبيق بعض الاجراءات المتعلقة بتحديد النسل والتخطيط الفعال للأسرة.

جدول رقم (٤)
توزيع السكان حسب مجموعات الأعمار.

مجموعات الأعمار	٦٥ فما فوق	٤٥–٦٥	١٥–٤٥	٥–١٤	٠–٤
النسبة المئوية	٢,٣٣	٩,٤٦	٣٤,٧٨	٣٣,٠٢	٢٠,٤٢



وزارة الاعلام

قطاع الأغذية

يتضح من هذه الاحصاءات أيضاً أن الأيدي العاملة في ازدياد مستمر، ومن المتوقع أن تحدث زيادة سريعة في الطلب على الوظائف. وقد انحصرت استراتيجية الحكومة في هذا الخصوص في اتاحة فرص التعليم والتدريب لمواطنيها لتمكينهم من شغل الوظائف العديدة التي توفرها القطاعات الاقتصادية المزدهرة. ولا يعني ذلك

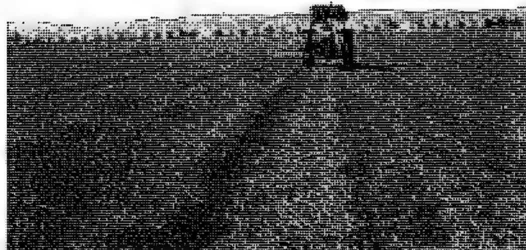




بالطبع اهمال النشاطات التقليدية، بل على العكس فقد تم التركيز على هذه النشاطات بدرجة أكبر من التركيز على القطاعات الجديدة حيث أثبتت أنها قادرة على مواكبة التطور منذ فترة طويلة من الزمن. وهكذا يتم في الوقت الحالي اعطاء عناية خاصة لقطاع الأغذية الذي تقع مسؤوليته على عاتق وزارة الزراعة والثروة السمكية.

إن قطاع الزراعة في عمان يتمتع بدعم طبيعي كبير نتيجة لحقيقة أن بعض مناطق البلاد تحظى بمعدل كبير لسقوط الأمطار، وهناك حوالي ٤٠٠٠٠ فدان صالحة للزراعة. وتتضمن قائمة المحاصيل الزراعية الرئيسية المنتجة في عمان، التمر والموز وجوز الهند والقمح والذرة والبرسيم وبعض أنواع الخضروات. وقد تم تأسيس الهيئة العامة لتسويق المنتجات الزراعية، وهي هيئة حكومية، في عام ١٩٨١ بهدف تشجيع المزارعين العمانيين على انتاج الفواكه والخضروات والمحاصيل الزراعية الأخرى، ولتعمل كهمزة وصل فعالة بين المزارعين والتجار. وتقوم الهيئة حالياً بإدارة سلسلة من مراكز الاستلام والتوزيع ساعدت كثيراً في خفض الوقت المستغرق في توصيل المنتجات من المزارع إلى المستهلك، وبالتالي زيادة درجة جودة المنتجات. كما تقوم الهيئة بتشغيل اسطول كبير من سيارات النقل المبردة ولديها مختبرات لمراقبة الجودة ومركز للتدريب ومصانع لتعليب الأغذية ومراكز لاستلام وتغليف الموز. وتتضمن المنتجات الغذائية المعلبة أو المغلفة التي تقوم الهيئة العامة لتسويق المنتجات الزراعية بتشجيع انتاجها مجموعة متزايدة من السلع مثل العسل، واللبان والبخور المغلف في عبوات جذابة كاملة مع المباخر، وأوراق شجر السدر (كان يتم استخدام أوراق أشجار السدر المطحونة كشامبو للشعر وهي تقوي الشعر وتمنع تكّون القشور)، ومسحوق الطماطم، ومسحوق الثوم، ومسحوق البصل، ومسحوق الحنة، والليمون الجاف (يعتبر مسحوق الليمون الجاف أحد المشهيات الممتازة الغنية بالفيتامينات والكالسيوم والبوتاسيوم)، والمخللات، ومربى فاكهة الفيفاي، والتمر المجفف ومسحوق الفلفل الأحمر الحار، ومسحوق التمر المجفف المستعمل كمادة غذائية مكملة والمستخدم في صنع المشروبات أو الهلام والبسكويت والكعك والفطائر، وأخيراً تركيبة «الخيران» وهي تركيبة طبيعية من مسحوق الليمون اللجاف يتم إعدادها وتعبئتها خصيصاً للاستخدام في تحضير المشروبات.

كما أن طرق الري المحسنة قد أدت إلى زيادة الانتاج، لكنها تسببت أيضاً في تعريض المياه الجوفية لضغوط متزايدة أدت إلى انخفاض منسوبها في بعض المناطق. ويتم التركيز حالياً على تحسين الغلة الانتاجية عن طريق استعمال نوعيات أفضل من البذور والمبيدات الحشرية والسماد بدلاً من زيادة ضخ المياه.



وزارة الاعلام

سي فيرجسال، بإذن من وزارة الإعلام

ومن ناحية تربية الحيوانات، يتم توفير الخدمات البيطرية وتقديم النصائح للمزارعين لمنع المشاكل ولحلها قبل أن تتفاقم. وقد أثبت تأسيس مراكز أبحاث الموارد الحيوانية واقامة مصنع للعلف وانشاء بعض العيادات البيطرية أنه حافز هام لتربية الأبقار والماعز والأغنام والجمال والدواجن. وانحصر التركيز في هذا الخصوص في تحسين المنتجات الخام.

وقد حقق قطاع الأسماك تطوراً كبيراً بفضل البيئة البحرية الخصبة للسواحل العمانية التي تمتد مسافة ١٧٠٠ كيلومتراً. وهو يشكل جزءاً هاماً من الموارد الطبيعية الشهيرة في عمان.

وتتضمن الثروة السمكية الغنية المتوفرة في المياه العمانية الأسماك البحرية الصغيرة مثل السردين والأنشوفة، والأسماك البحرية الضخمة مثل التونة والكنعد. وبالاضافة إلى ذلك تغل مناطق سلاسل الصخور البحرية المستوية القريبة من سطح الماء بعض أنواع الأسماك الأخرى مثل سمك الأخفس والنهاش والعديد من أنواع الأسماك الآخرى التي تعيش وتتغذى في قاع البحر وكذلك عدة أنواع من الحيوانات اللافقارية مثل الأربيان والحبار وأذن البحر.

ولا تزال طرق الصيد اليدوية هي عماد قطاع الصيد. وتتضمن الطرق المستخدمة في صيد الأسماك طريقة الصيد باستخدام شباك الغل (وهي شباك ذات عيون تجيز لرأس السمكة أن ينفذ إليها ولكنها تحجزه عندما تحاول الانسحاب) والمصائد المصنوعة من الأسلاك وشباك




سي فيوجسال، بإذن من وزارة الاعلام

الصيد العمودية (شباك السينة) التي يستخدمها الصيادون عند الشاطىء في مواسم الصيد وصنارات الصيد. ويوجد في عمـان ما يربـو علـى ١٦٠٠ زورق صيد صغيـر تقوم بالصيـد على امتـداد الساحل، بينمـا تقـوم سفن الصيـد الكبيرة بـالصيد فـي أعماق البحر. وقـد سادت فـي بعض الأوقات ميول الافـراط في استغلال مخزون الأسمـاك، كما هو الحـال في جميع مصـائد الأسماك فـي العالم، لكنـه تم السيطرة على هـذه الميـول في الوقت الحالي.

وتهدف المخططات الحالية إلـى ضمان المحافظة على



معدلات ثـابتة للصيد. وقد بلغت كميـة الأسماك التـي تم صيدها في عام ١٩٨٠م حـوالي ٧٥٠٠٠ طناً، بينما بلغت كميتهـا فـي عـام ١٩٨٨م حـوالـي ١٦٦٠٧٩ طنـاً. ثـم انخفضت بعد ذلـك كمية الأسماك التي تم صيـدها لتصبح ١١٧٥٣٦ طنـاً فـي عـام ١٩٨٩. و استقـرت عنـد هـذه المستويات طوال السنوات التالية.

إن تحـديـث أساليـب الصيـد قـد سـاعد الصيـاديـن العمانيين كثيراً فـي تأدية أعمالهم المرهقـة والخطيرة في الغـالـب. ويعتمد حـوالي ١٢٠٠٠٠ مـن السكان فـي عمان اعتماداً مباشراً في معيشتهم على صيد الأسماك.

ولذلك تـم تخصيص بعض الاعانات الحكوميـة لتوفير زوارق للصيد أكثـر أماناً وسهولـة في الصيانة، ولتـوفير محركـات وتجهيزات لهذه الـزوارق يجدر الاعتمـاد عليها. ويتم تنظيـم برامج تدريبيـة لاطلاع العمانيين علـى كيفية استغلال أحـدث التقنيات المطبقة فـي هذا المجـال. ويتم توزيع الاعـانات عن طريق صندوق خـاص، هو «صندوق الصيـاديـن»، الذي أنشأته الحكـومة لمساعدة الصيـادين. كما يقـدم مركز الـدراسات والبحـوث البحرية للصيـادين خدمات الدعم الفني.

إن سيـاسة انشـاء المـزارع البحريـة لـم تحقق بعـد النتـائج المرجـوة لها، لكـن ليـس هناك شـك في أن هـذه المزارع ستصبح من الصناعات الهـامة في عمان بمجـرد أن يتم التغلب على بعض العقبات البيولوجية.

وتعتبـر تسهيـلات ومـرافـق الرسـو والتخزيـن والتسـويـق مـن المجـالات الأخـرى التـي تحتـاج إلـى مساعـدة، قدمتها الحكـومة بالفعـل بسخاء كبير. وقـد تم اقامة عـدة مراكز للصيد علـى امتداد الساحل مـع تجهيـز كل منها بمخازن مبردة.

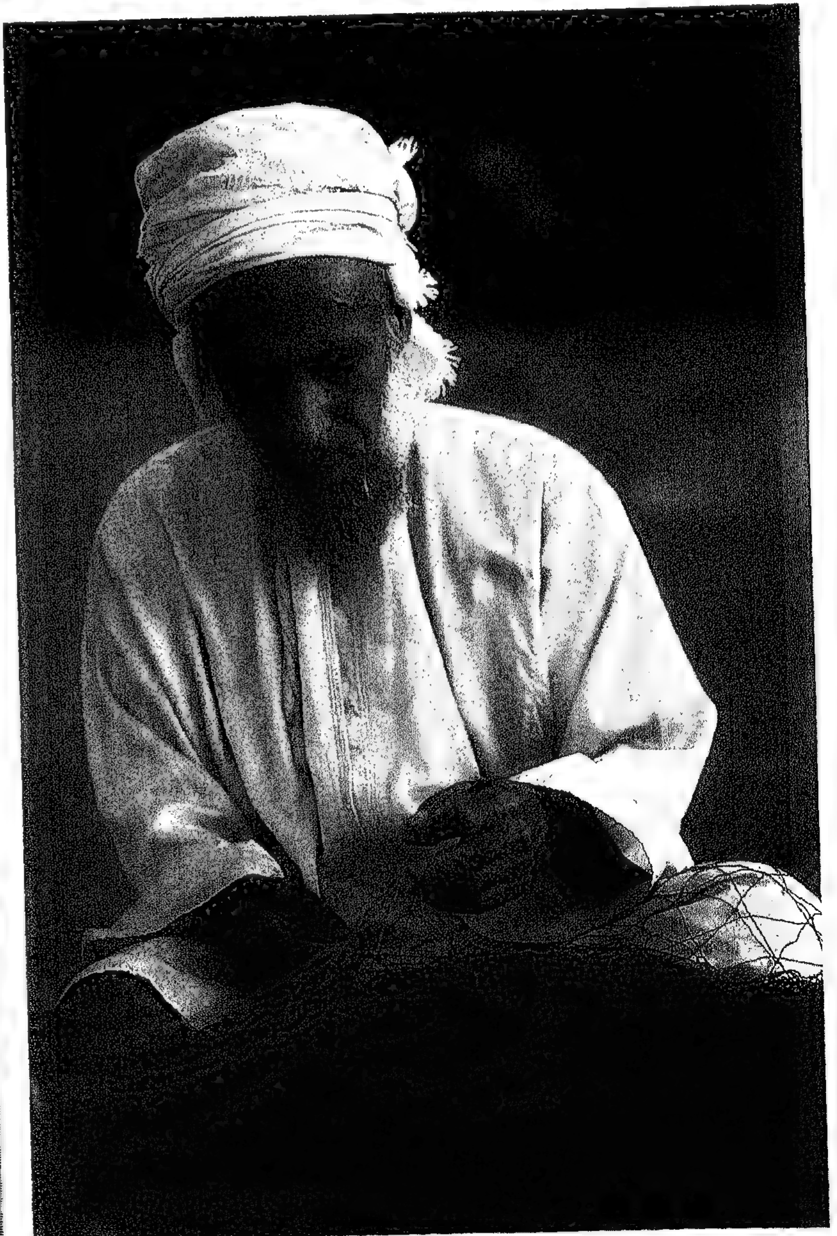
كما تـم تطوير قطاع الصيـد التجاري بمشاركـة بعض



الشـركات الأجنبيـة وهو يعتمـد علـى سفن الصيـد ذات الأحجام المتوسطة والكبيرة وعلى مصنع التعليب الضخم.

وقم تم تصدير بعـض أنواع الأسماك الممتازة إلى دول الخليج وآسيا واوروبـا وأمريكا الشمالية. ومـع ذلك تشير التحليلات النهائية إلى أن ازدهـار قطاع الأسماك في عمان يعتمد علـى مهارة الصيـادين العمانييـن وعلى المحـافظة عليهـم. صحيح أن بـاستطاعـة الحكومـة أن تقدم العـون والتشجيع وأن تسهل بعـض النواحي المتعلقة بـأعمالهم، لكن يظـل الصيادون بخبـراتهم بـأنواع الأسمـاك المحلية وبالظروف البحرية هم العمود الفقري لبرنامج تنمية صيد الأسماك.

وأحد المعايير التي تدل علـى مدى الأهمية المعطاة لهذا القطـاع الاقتصـادي الحيوي هـي أن صـادرات الأسمـاك تشكل في قت تأليف هذا الكتاب ٣٠ في المائة من مجموع الصادرات العمانية غير النفطية، وهو مستوى يضمن لهذا القطاع الحيوي أن يحظى بأولوية هامة من قبل الحكومة.



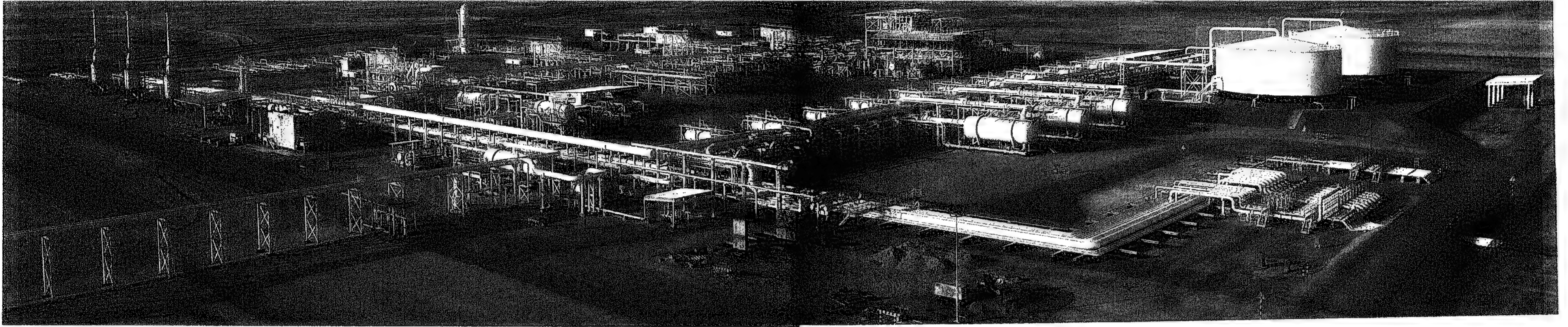
النفط والغاز

بينما وفـرت النشاطات التقليديـة للزراعة وصيـد الأسماك احتياجـات عمان على مـر تاريخهـا، فقد أتاح التنقيـب عن النفط واستخراجـه في عمان اقامـة صناعات جديـدة في البلاد لعبـت دوراً رئيسياً وهاماً فـي تمويل حركـة التنمية الاجتماعية والاقتصادية التي جاء ذكرها آنفا.

لقد بـدأ التنقيب عن النفـط في عمان فـي عام ١٩٢٤م، لكنه لم يتم اكتشاف النفط هناك إلّا في عام ١٩٦٢م عندما تم اكتشـاف حقل ييال وهـو الاكتشاف الذي أعقبـه بفترة قصيرة اكتشـاف أول حقل تجاري للنفـط في الفهـود في عـام ١٩٦٤م وهو يعتبـر أضخم حقـل يتم اكتشـافه فـي السلطنة حتى الآن.

وقـد بدأ تصـدير النفـط فـي شهر أغسطـس ١٩٦٧م عندما تـم تصدير ٢٠,٩ مليون برميـل. وفي عام ١٩٧٠م





شركة تنمية نفط عمان

إن محطة الخوير للانتاج هي انجاز ضخم في مجال تنمية الصناعات البتروكيماوية في عمان. وقد بدأت هذه المحطة، الواقعة على مشارف صحراء الربع الخالي والتي بلغت تكاليفها ٤٢ مليون دولار أمريكي، الانتاج في شهر مارس عام ١٩٩٢م. لقد أعطى هذا المشروع دفعة قوية لانتاج حقل الخوير. ويساعد انتاج هذا الحقل من النفط الخفيف ذي الجودة الفائقة في المحافظة على الجودة الممتازة لمزيج النفط العماني الخفيف المصدر.

ازداد هذا الرقم ليصبح ١٢١,٣ مليون برميل. وبعد انسحاب شركة البترول العراقية، وهي اتحاد يمثل مجموعة من شركات النفط، من عمان بعد أن قامت بعدة محاولات فاشلة للتنقيب عن النفط تم منح امتياز التنقيب عن النفط إلى شركة تنمية نفط عمان التي كانت شركة شل هي المساهم الأكبر في رأسمالها وشركة البترول الفرنسية وشركة بارتكس المساهم الأصغر. وبحلول عام ١٩٨٠ بلغ معدل الانتاج ٢٢٩ مليون برميل، وأصبحت الحكومة العمانية هي المساهم الأكبرفي رأسمال شركة تنمية نفط عمان حيث أصبحت تمتلك ٦٠ في المائة من أسهمها مع احتفاظ شركة شل بحصة قدرها ٣٤ في المائة وشركة البترول الفرنسية بحصة قدرها ٤ في المائة وشركة بارتكس بحصة قدرها ٢ في المائة.

ويشرف على ادارة الشركة مجلس إدارة مكون من تسعة أعضاء، خمسة يمثلون الحكومة العمانية وأربعة يمثلون الشركات التجارية الثلاث الأخرى. ويرأس مجلس الإدارة سعادة وكيل وزارة النفط والمعادن. وتنص اتفاقية تقاسم الانتاج التي وقعتها الحكومة العمانية مع شركات النفط الأخرى التي حصلت على امتيازات التنقيب عن النفط في مختلف مناطق السلطنة على أن تحصل عمان ما بين ٨٠ و٨٥ في المائة من أرباح النفط.

وإذا فشلت احدى هذه الشركات في العثور على كميات تجارية من النفط والغاز، تظل هذه الشركة مسؤولة عن جميع تكاليف التنقيب وغيرها من المصروفات المتعلقة بأعمال التنقيب عن النفط. أما إذا عثرت الشركة صاحبة امتياز التنقيب على كميات تجارية من النفط فيتم السماح لها باسترداد تكاليف التنقيب والتطوير والانتاج من عائدات النفط على شرط ألاّ تتجاوز هذه التكاليف ٤٠ في المائة، ومن ثم يتم توزيع العائدات بين الحكومة وشركة الامتياز طبقاً لأحكام اتفاقية امتياز التنقيب عن النفط.

وفي وقت اعداد هذا الكتاب كان لي شرف مقابلة معالي الاستاذ سعيد بن أحمد الشنفري، وزير البترول والمعادن في عمان وطلبت من معاليه أن يعلق «بصورة عامة» على البرنامج الحالي للتنقيب عن النفط.

فأجاب معاليه: «نحن سعداء بنتائج التنقيب عن النفط التي تم تحقيقها خلال العشرين عاماً الماضية لأن أحتياطياتنا المؤكدة من النفط في ازدياد دائم وبلغت الآن ٤,٥ مليار برميل. وسوف نسعى إلى أن نضيف إليها كل عام نسبة تعادل نسبة معدل انتاج النفط الخام في ذلك العام. لقد بلغ انتاجنا من النفط مستويات قياسية تبلغ ٧٥٠٠٠٠ برميل في اليوم. وإذا قارنا احتياطياتنا المؤكدة بالاحتياطيات التي كانت موجودة في عام ١٩٧١م (والتي كانت تبلغ ١,٢ مليار برميل) وبالمستويات الانتاجية في ذلك الوقت والتي كانت تبلغ ٣٠٠٠٠٠ برميل في اليوم نجد أنه قد حدثت طفرة كبيرة. وتشير هذه الأرقام إلى مدى ما حققناه اليوم من نجاح.

عليك أن تتذكر أيضاً أنه في عام ١٩٧٠ كانت هناك شركة واحدة لانتاج النفط في عمان، وهي شركة تنمية نفط عمان. أما الآن فلدينا أربع شركات، هي شركة تنمية نفط عمان وشركة أوكسيدنتال عمان (الأمريكية) وشركة جابيكس (اليابانية) وشركة إلف (الفرنسية). ومن المحتمل أن تعثر الشركات الأخرى التي حصلت على امتيازات التنقيب على بعض النفط.

كما أن اكتشاف كميات ضخمة من الغاز قد شجع الحكومة على أن تقيم معملاً لاسالة الغاز لتلبية احتياجات التصدير. وتمتلك الحكومة ٥١ في المائة من رأسمال هذا المشروع بينما تمتلك شركات شل وتوتال وبارتكس ميتسوبيشي ووسيتوح وميتسيوي بقية حصة رأس المال. ومن المتوقع أن تبلغ تكاليف المشروع حوالي تسعة مليارات دولار أمريكي وأن يبدأ في تصدير باكورة إنتاجه من الغاز السائل في منتصف عام ١٩٩٩م.

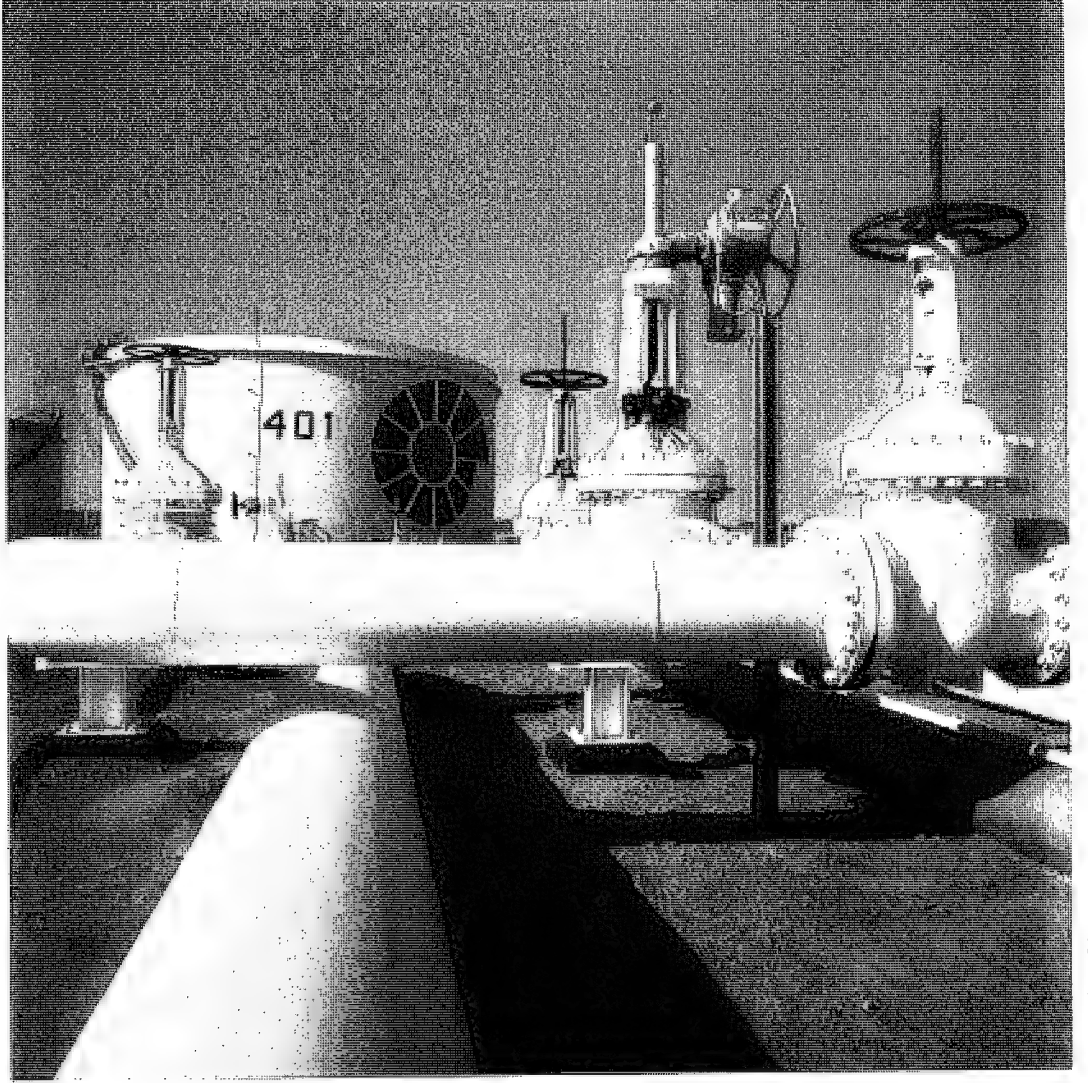
وتقوم عمان الآن بحملة مكثفة للتنقيب عن النفط والغاز وتقييم النتائج. وقد تم بالفعل اكتشاف عدة آبار للنفط والغاز في عام ١٩٩٢م، ويجري حالياً دراستها وتقييمها. ويمكن القول حالياً بأن بعض هذه الاكتشافات الجديدة تبشر بوجود آبار ضخمة للنفط والغاز، مثل آبار حقول مبارك والبحير والنور، بينما يبشر بعضها الآخر بوجود آبار متوسطة الحجم مثل آبار الواحة وحذر وطيوش ووفيق ونوال. أما بالنسبة للتنقيب عن الغاز فإن احتياطياتنا المؤكدة قد تضاعفت وبلغت ١٧ ترليون قدم مكعب. إننا متفائلون بما حققناه في مجال التنقيب عن النفط، ونأمل أن نضاعف هذه الاحتياطيات في المستقبل القريب».

إن هذه الاحصاءات مذهلة، لكن معالي الوزير لا يغفل حقيقة أن النفط والغاز هي موارد طبيعية غير متجددة. ولذلك فبالرغم من التمكن من زيادة الاحتياطيات عاماً بعد عام نتيجة للنجاح في التنقيب عن مزيد من النفط والغاز، فإن استخراج هذه الاحتياطيات في المستقبل سيؤدي في النهاية إلى استنزافها.

ولهذا السبب تطبق حكومة عمان استراتيجية تتطلع نحو المستقبل ليس فقط من ناحية كيف ستنظر أجيال الشباب الحالية إلي الأساليب التي تتبعها الحكومة لتحمي بها هذه الموارد الطبيعية القيمة بل كيف ستنظر الأجيال القادمة، بعد مئات أو ربما آلاف السنين إلى لانجازات التي حققتها الحكومة.

إنها مسؤولية خطيرة تنظر إليها الحكومة بجدية. لأنه إذا قدر أن يتم استغلال النفط والغاز في هذه المرحلة من التنمية العمانية فمن الضروري إذن أن يتم استغلال العائدات المالية لهذه الاكتشافات أفضل استغلال. وقد شاهدنا بالفعل كيف أن عائدات النفط قد ساعدت في تمويل برامج التعليم والرعاية الصحية وبناء شبكات الطرق وغير ذلك من مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وقد سألت معالي الوزير عن السياسات التي تطبقها الحكومة فيما يختص بمسألة التوظيف والعمالة لأنه من الواضح أنه يجب أن يستفيد المواطنون العمانيون على



شركة تنمية نفط عمان

تظهر في الصورة محطة فهود الرئيسية للضخ التي تقوم بتشغيلها شركة تنمية نفط عمان. تتيح هذه المحطة تعزيز كميات النفط القادمة من حقولها عبر خط التصدير الرئيسي في ميناء الفحل.

قـدر الامكان مـن النشاطـات الاقتصـادية النـامية حـول صناعة النفط والغاز.

فأجـاب معالي الـوزير: «في أعقـاب توجيهات جـلالة السلطـان أصبـح تدريـب العمـانييـن وإحلالهـم محـل الوافـدين هدفـاً قوميـاً فـي القطاعيـن العـام والخـاص. ويتم تدريبهم في داخل عمان وخارجها.

ويشغل العمانيو ن في شركة تنمية نفط عمـان ٦٣,١٣ في المائة من مجموع الوظائف في جميع المستويات. وقد بلغت نسبة العمانيين الذين يشغلو ن المناصب القيادية في شركـة تنمية نفـط عمان ٤٣,٨٩ فـي المائة، بينمـا بلغت نسبتهم في المستـويات الأدنى ٧٢,٨٢ في المـائة. وطبقاً لخطة التـدريب واحلال العمانييـن محل الوافديـن فسوف تصل نسبـة العمانيين الذيـن يشغلون المناصب القيـادية إلـى ٤٨,٧٢ في المـائة ونسبتهـم فـي المستوى الأدنـى إلى٧٨,٣٥ فـي المائة. ويبلغ المستـوى الكلي للعمـانيين العامليـن بشركة تنمية نفـط عمان في نهايـة عام ١٩٩٤م ٣٠٥٤ موظفاً وهـذا يمثل نسبة ٦٨ في المـائة من مجموع العاملين لديها ومن المتوقع أن يصل إلى ٧١ في المائة في عام ١٩٩٥م و٩٤ في المائة في عام ٢٠٠٠م».

ويواصـل معالي الـوزير حديثه شـارحاً كيف أنـه يتم تطبيق برامج ممـاثلة لاحلال العمانيين محل الـوافدين في الشـركات الأخـرى مثـل شركـة عمان للتكـريـر وشركـة جابكس وشركة أوكسيدنتال عمان وشركة إلف عمان.

وقبـل أن أغـادر مكتـب معالـي الـوزير سـألته عـن توقعـاته بالنسبة للتحـديات التي يواجههـا قطـاع النفط والغاز وعن انجازات هذا القطاع.

فأجـاب معالـي الوزير: «مـن ناحيـة التحديـات. فإن هدفنا هو اكتشاف كميات مـن النفط أكبر من الكميات التي نستخرجها كل عام حتى يمكننا زيادة احتياطياتنا المؤكدة من النفـط. وينطبق نفـس الشيء علـى الغـاز الـذي يتم استعماله محلياً في الوقت الحالي ولم يتم تصديره بعد.

وفي مجال تنمية الغاز هناك عدة مشاريع مثل مشروع الخويـر وبيال وبربع والتـي يجري تنفيذها بـهدف زيادة طاقة تسهيـلاتنا لتتطابق مـع الزيادة في انتـاج النفط. إن مشروع الخويـر يعتبر أكبر هذه المشاريع وأعـلاها تكلفة حيث بلغت تكاليفه ٥٠٠ مليون دولار أمريكي».

إن مشروع الخوير الواقع على حـافة الربع الخالي هو مشروع جبار حقـاً، فقد تم اكتشاف حقل الخويـر في عام ١٩٦٨م، وبدأ فـي الانتاج في عـام ١٩٧٦. وقد تـم خلال الفترة بين عامي ١٩٧٦ و١٩٨٢ زيـادة عدد الآبار المنتجة

فـي الحقـل إلـى ٤٢ بئراً. وتبلـغ معـدلات الانتـاج اليـوم ٢٥٠٠٠ برميل في اليوم.

وكانت تجارب الحقن بالماء التي تم اجراؤها في الحقل بهدف المحـافظة علـى الضغط فـي مكمن النفـط وزيادة معدلات الاستخـلاص إلى أقصى حـد تبشر بالخيـر، و تم وضـع بعـض الخطط لتـركيب نظام للحقـن بالمـاء. غير أن انهيار أسعار النفط في عـام ١٩٨٦م أدى إلى تأخير تنفيذ خطط التنميـة. وأخيراً اعتمـد المساهمـون خطة مشـروع الخوير للغمـر بالماء ووصفوه بـأنه «أكثر مشاريـع تنمية النفط والغاز تعقيداً في تاريخ شركة تنمية نفط عمان».

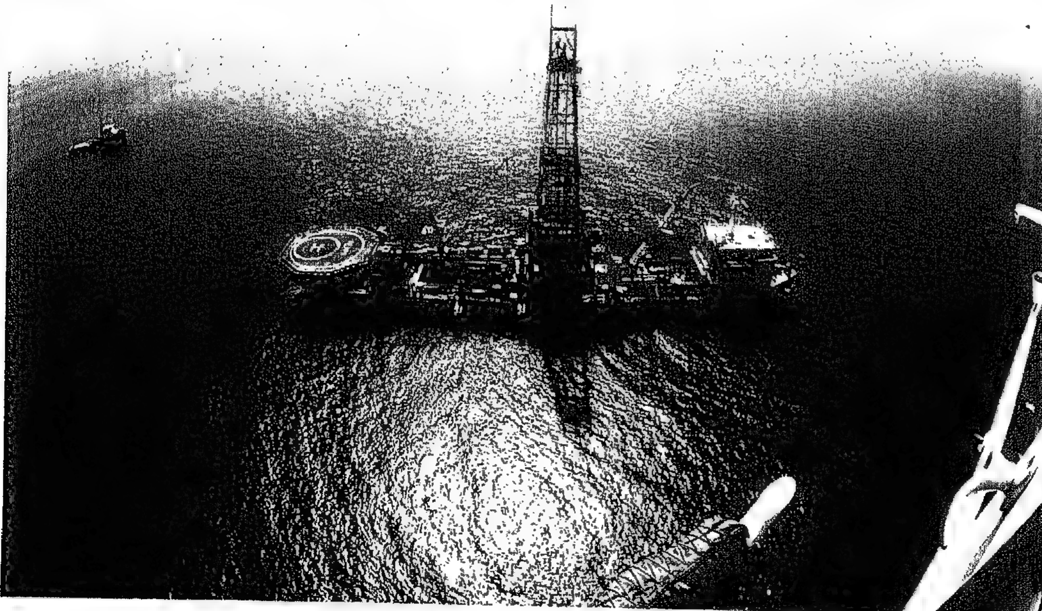
ويتضمن هذا المشروع، المنفذ في ظروف بيئية معادية للغاية، إقامة مدينة صغيرة معزولة في الصحراء بين كثبان الرمل. ويوفـر المشروع للعاملين به والبالـغ عددهم ١٧٠ موظفاً مرافق مكيفة الهواء ومجمـوعة كاملة من التسهيلات. ويجري تـوفير الطاقـة الكهربائيـة اللازمة للمشـروع عن طريق محطة كهرباء خاصة به تبلغ طاقتها ٥٠ ميجا واط.

لقد أتاح هذا المشروع مضاعفـة انتاج الحقل أربع مرات ليبلـغ ١٠٠٠٠٠ برميل في اليوم وبـذلك فهو يسهم بحوالي ١٣ في المائة من اجمالـي صـادرات السلطنة من النفط. إن النفط المستخرج مـن هذاالحقل هو نفط خفيـف نقي جداً، مما يساعد في المحافظة على النوعية الممتازة لخليط النفط العماني الخفيف المصدر.

وبالاضافة إلى ذلك يتضمن المشـروع اقامة خط جديد لنقل الغاز بتكاليف قدرها ١٥ مليو ن دولار أمريكي لنقل ما يصل إلى ١,٥ مليون متر مكعب فـي اليوم من غاز الخوير إلى معمل الغاز الحكومي ومنه إلى شبكة الغاز الوطنية.

ويمثل هذا المشـروع سبقاً هندسياً رائداً فـي أكثر من مجال، فهـو يمثل أول استخدام لشـركة تنمية نفـط عمان لأحـدث تقنيات أنظمـة التحكـم في التـوزيـع التي تعمـل بالكمبيوتر مما يعزز مـن كفاءة التشغيل، ويمثل كذلك أول استخدام فـي عمان لأنـابيب الايبـوكسي عـديمة الصـدأ والمقواة بـالزجـاج في نقل النفـط الخام ممـا يتيح إطـالة العمر التشغيلي للشبكـة وخفض تكاليف الصيانـة، وكذلك أول استخدام فـي عمان لأحدى التقنيـات الحديثـة التي لا تضر بالبيئة وهي تقنية «السيولفيروكس» الخاصة بتحلية الغاز (معالجـة النفط الخام لازالة المركبـات الكبريتية أو كبت رائحتها) والتي طورتها شـركة شل مما أدى إلى عدم توليـد أي تلوث بيئـي على الاطـلاق مع خفـض التكاليـف الرأسمـالية وتكـاليف التشغيل. كمـا أنها تمثـل أيضاً أول استخدام فـي عمان لـوصلات الادارة بـالسوائل متعـددة

كان التنقيب البحري عن النفط والغاز أحد المعالم الحديثة لصناعة البتروكيماويات في عمان.



شركة تنمية نفط عمان



تشكل سيارات التنقيب بالطريقة الزلزالية و التي تعمل في منطقة البهجة جزءاً من برامج التنقيب المستمرة في عمان.

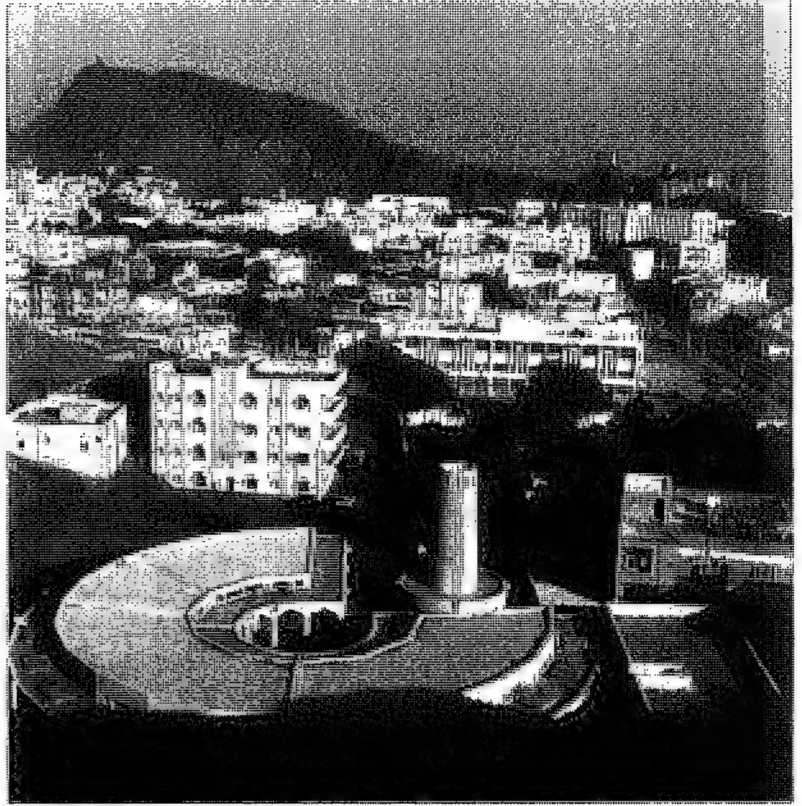
السرعات والمركبة على ضاغطات الرفع بالغاز مما ساعد في زيادة درجة الاعتمادية وخفض التكاليف الرأسمالية وتكاليف التشغيل في آن واحد، وأول استخدام في العالم لأضخم وصلة (جلبة) اسطوانية مصنوعة من البولي ايثيلين ومركبة على دائرة أنابيب مقفلة لحقن الماء يبلغ قطرها ١٦ بوصة تؤدي إلى منع تسلل المنتجات المسببة للتآكل إلى الخزان، وأضخم غمر مائي في العالم بالضغط العالي لاحدى تكوينات الحجر الجيري المغلقة، وأول مشروع للحفر في عمان يتم انجازه بموجب عقد «تسليم المفتاح» وأضخم عقد في العالم يفوز به مقاول عماني، وأخيراً تركيب أول مشعب (سيفون) يستخدم في مشروع ضخم للنفط والغاز ويتم تصنيعه محلياً في عمان من قبل مقاولين عمانيين ١٠٠ في المائة. وعندما نقارن هذه الانجازات الرائعة بالأوضاع التي كانت سائدة منذ عشرين عاماً فقط عندما كانت عمان في مستهل الطريق وتفتقر إلى أي مهارات وخبرات ودرايات فنية لحفر أحدث آبار النفط ناهيك عن إقامة واحدة من أحدث المرافق من نوعها في العالم تظهر لنا الانجازات الكاملة الرائعة التي تم تحقيقها في الخوير واضحة كالشمس.

برامج التنمية

أسهمت صناعة النفط والغاز العمانية اسهاماً رائعاً في حركة التنمية الاقتصادية الوطنية، لكن يدرك الجميع أن النفط لن يدوم إلى الأبد.

ويتم كل خمس سنوات طرح خطة جديدة للتنمية تحدد برنامج الاستثمارات والمشاريع التي سيتم تنفيذها في السنوات الخمس المقبلة. وتعتمد هذه الخطة على مجموعة من أهداف التنمية المحددة بوضوح وهي تنمية مصادر جديدة للدخل القومي تقلل من الاعتماد على عائدات النفط وتحل محلها في النهاية وزيادة نسبة الاستثمارات الوطنية المخصصة لتنفيذ المشاريع المدرة للدخل وخاصة في قطاعات التصنيع والتعدين والزراعة وصيد الأسماك وتوزيع الاستثمارات القومية على المناطق الجغرافية المختلفة مع الأخذ في الاعتبار تعميم الازدهار والتطور في جميع مناطق السلطنة ودعم صيانة المراكز السكانية والمجتمعية الحالية بهدف حماية هذه المجتمعات ومنعها من الهجرة المحتملة إلى المدن الكثيفة بالسكان ولحماية البيئة ومنح الأولوية القصوى لتنمية المصادر المائية القومية ولتنمية الموارد البشرية أيضاً ورفع طاقاتها للاسهام في الاقتصاد القومي وتلبية متطلبات الانشاءات الأساسية ودعم النشاطات التجارية عن طريق التخلص من النقص الذي تعاني منه الأسواق وخاصة في مجالات النقل والاتصالات والتخزين وغير ذلك من القيود التي تعوق حركة المنافسةالتجارية مع الأخذ في الاعتبار دعم ازدهار الأسواق المتنافسة واتخاذ الاجراءات اللازمة لخلق اقتصاد قومي يعتمد على نشاطات القطاع الخاص ومنع الاحتكار وتعزيز كفاءة الأجهزة الادارية الحكومية.

وقد تم حتى الآن تطبيق خمس خطط مرحلية للتنمية


شركة تنمية نفط عمان

مسقط.


شركة تنمية نفط عمان

مقطع طريق الخويه يكشف عن جزء من التاريخ الجيولوجي لعمان.

لتحقيق هـذه الأهداف بـدأت عندما تسلـم جلالـة السلطان قابـوس مقاليد الحكـم حيث قامـت الدولـة بتنفيذ برنـامج سـريـع للتعليـم والخـدمـات الصحيـة والطـرق لتلبيـة الاحتياجات الضرورية للمواطـن والتي افتقدها تمامـاً. وقد أعقب هذا البـرنامج، أربـع خطـط أخـرى للتنميـة آخرهـا هي خطـة التنمية الرابعـة للسنوات من عـام ١٩٩١م إلـى عـام ١٩٩٥م. ويلـزم أن نتناول خطـط التنميـة الخمسيـة السـابقـة بايجـاز حتـى يمكننـا أن نقارن خطـة التنميـة الخمسية الحالية.

إن خطة التنمية الخمسيـة الأولى (١٩٧٦-١٩٨٠م) قد وضعـت استراتيجيـة تطـوير البـلاد فـي المستقبل. وقـد شهدت هذه الفترة ازدهار عائدات النفـط، وتم منح الأولوية القصوى لأعمال التنقيب عن الموارد الطبيعية وجرى وضع برامـج للتنمية تهدف إلـى توفيـر انشاءات أساسيـة جيدة وإلـى تشجيع القطـاع الخاص ، وبـالتـالي تـرويج فكـرة الاقتصاد القومـي الحر. أما خطة التنمية الخمسيـة الثانية (١٩٨١-١٩٨٥م) فقد شـهدت زيادة ملحوظة في العائدات النفطية مرتبطة بارتفاع أسعار النفط العالمية.

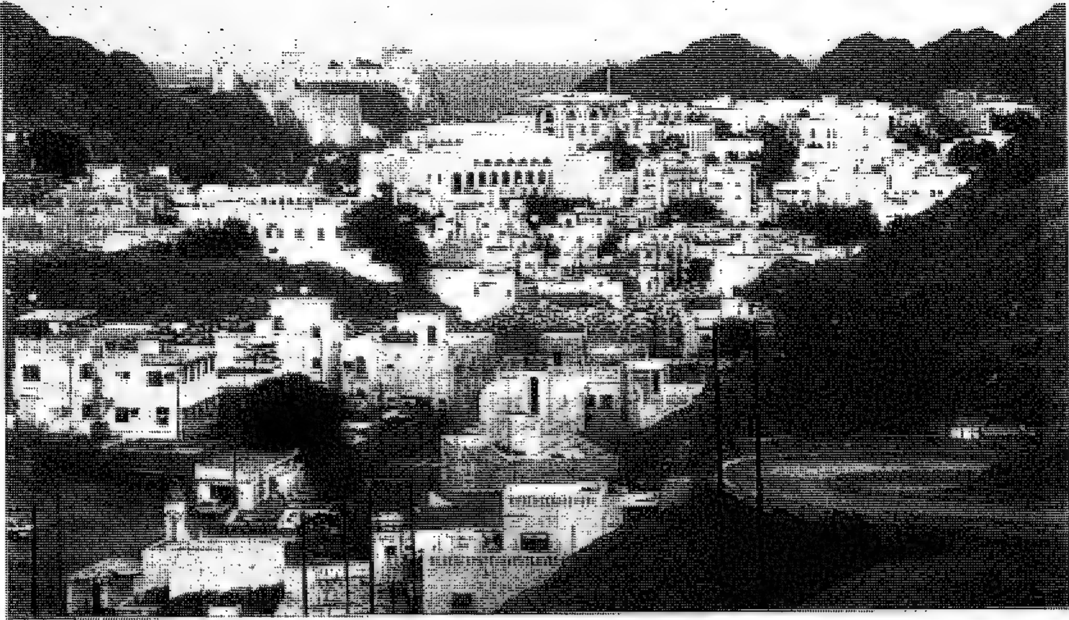
وقد تم مرة أخرى تأكيد التـركيز على تطوير الانشاءات الأساسية وخاصة فيما يتعلق بموارد المياه وتوزيع المياه. أمـا خطة التنميـة الخمسيـة الثـالثة (١٩٨٦-١٩٩٠) فقـد شـهدت فتـرة انهارت فيهـا أسعار النفـط واختبرت بـرامج التنمية السـابقة مدى قدرة البـلاد على مواصلة مسيـرتها التنمويـة اعتماداً على عائدات نفطيـة أقل مما كان متـوقعاً. وقـامت الحكـومة بتخفيـض برامـج التنمية وأوضحـت أن الهيكل الاقتصادي العماني مستقر بدرجة كبيرة.

أما خطة التنمية الخمسية الرابعـة فهي تعتمد كسابقتها على الـدروس والعبـر المستفـادة، وتتطلـع إلـى تعزيـز المكاسب التي تحققت حتى اليوم. ونتناول فيما يلي بايجاز الملامح الأساسية لخطة التنمية الخمسية هذه.

أولاً، تتطلع خطة التنميـة الخمسيـة الحالية إلـى توسيع القـاعـدة الاقتصـاديـة العمـانيـة وتنـويـع النشـاطـات الاقتصادية. وعلـى الرغم من الزيادة الكبيـرة في العائدات النفطيـة التي شـهـدتها الفتـرة من عـام ١٩٧٥م إلى عـام ١٩٨٩م، فقد زاد اسهام المنتجات غير النفطية في معدلات الانتاج القومي في خلال نفـس الفترة من ٣٣ في المائة في عام ١٩٧٥م إلـى ٥٥ في المائة فـي عام ١٩٨٩م. وقـد تم تحقيـق ذلـك فـي فتـرة انخفضـت فيهـا نسبـة الاسـهـام الحكـومي فـي النشـاطـات الاقتصـاديـة وزاد فيها اسهـام القطاع الخاص.

ثانيـا، تذليل العقبات والصعـوبات المرتبطة بتـأثيرات التنمية وخاصة في مجالات الحد من الاعتماد على العائدات النفطية والأيدي العاملة المهاجرة.

ثالثـا، وضعت الخطـة حركة التنميـة العمانيـة وخطط التنميـة في المستقبـل فـي اطار عـالمـي، وأدركت مـدى التغيرات التي تحدث على النطاق الدولي وخاصة مـع قيام


شركة تنمية نفط عمان

مجموعــات اقتصاديــة جديدة مثــل مجموعــة دول الاتحاد الأوروبي كمراكز قوة اقتصادية جديدة. كما أدركت الخطة أن المنافسة الاقتصادية بين القوى العالمية في ازدياد وأن التطور السريع في تقنيات الاتصــالات والاعــلام يتطلب وضــع استراتيجيــات مرنة للتنمية.

لقــد زاد الانتاج القــومي الاجمــالــي العمانــي زيــادة كبيرة خــلال الفترة بين عام ١٩٧٠م و١٩٨٥م حيث بلغ ١٠٦,٨ مليون ريال عماني، ثم انخفض قليلاً بعد ذلك قبل أن يزداد مرة أخرى ليبلغ ٣٥٢١,٩ مليون ريال عماني في عام ١٩٩٠م.

وقد بلغ اسهــام قطاع النفط والغاز ٤٥,١ فــي المائة من اجمالي الانتاج القومي في عام ١٩٩٠م. وكان متوسط انتاج النفط خــلال الفترة بين عامــي ١٩٧١ و١٩٧٦م هو ٣٠٠٠٠٠ برميــل في اليــوم، بينما بلــغ خلال فتــرة خطة التنمية الخمسية الثالثة مــن عام ١٩٨٦م إلى عام ١٩٩٠م حــوالي ٦١٤٠٠٠ بــرميلاً فــي اليــوم. وتشير احصــاءات الخطة الحالية إلى تحقيق زيادة أخرى.

كمــا حققت اسهــامات القطــاعات غيــر النفطية زيــادة كبيرة أيضــاً خلال هــذه الفترة حيث أسهــم قطاع الــزراعة وصيد الأسماك بمقدار ١٨,٣ مليون ريال في عام ١٩٧٦م و١٢٥ مليون ريال في عام ١٩٩٠م، بينما زاد دخل القطاع الصنــاعي فــي نفس الفترة من ٤,٣ مليــون ريال إلى ١٥١ مليون ريال.

الموارد الأخرى

بالاضافة إلــى النفط والغاز، تتوفر في عمــان موارد أخرى مدفــونة تحت الأرض تتضمــن النحاس والكروم والحــديد والمنجنيز والنيكل والمغنسيوم.

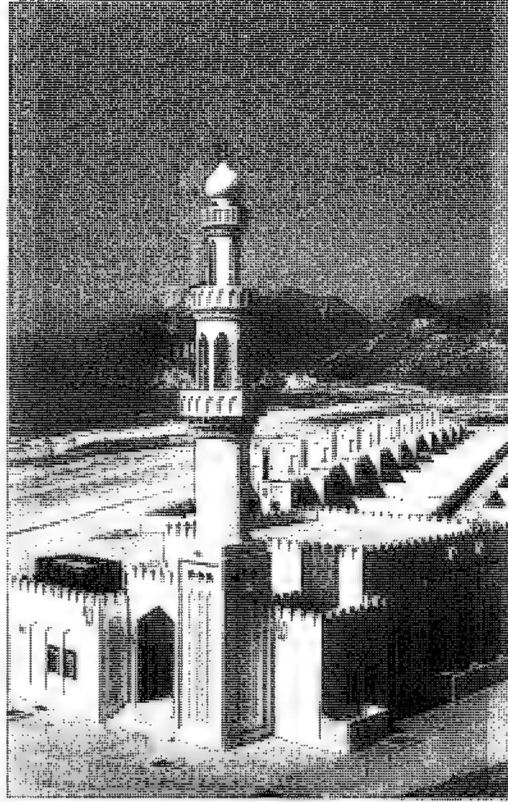
إن نشاط التعدين في عمان، كما شــاهدنا في صدر هذا الكتاب، هــو نشاط يرجع إلــى أوائل فترة ما قبل التــاريخ. وقــد تم فــي عــام ١٩٨٢م العــودة بنجاح إلــى استخــراج النحاس على نطــاق تجاري. وقد أتاحت التقنيــات الحديثة للمساحــة الجيوفيزيــائية واعــداد الخرائط توفيــر صورة أوضح للتراكمات المعدنية الموجودة في البلاد.

ويتولــى المشروع التجاري الــذي تشرف علــى ادارته شركة التعدين العمانية، وهــي احدى شركات القطاع العام العمانــي في وادي الجــزي بالقــرب من صحــار استخراج المــادة الخــام التي يتــم تحــويلهــا إلــى كاثــود النحــاس بالاستعانة باحدى الكسارات وبمعمــل للتكرير. وقد تم في عام ١٩٩٠م انتاج ١٢٠٠٠ طن من كاثود النحاس. كما تم اكتشاف عروق غنية بالنحاس في ركعا وحيل السافل على بعد ٢٠٠ كيلــومتر تقريبــا من معمل التكرير بالقــرب من صحار. ويتــم الآن تعدين هــذه المواقــع بطريقة التعــدين السطحي ونقــل المواد الخام المستخرجــة منها إلى مــوقع الكسارة الحالي بالقرب من حائل السفيل قبل أن يتم نقلها إلى معمل التكرير. ويتم مــواصلة بذل الجهود للكشف عن مصادر أخرى للنحاس.

وتتوفر مادة الكروميت، التي تم اكتشافها بالصدفة في عام ١٩٧١م، بكميات تجارية وتقدر احتياطياتها بحوالي ٢ مليون طــن. ولذلــك فقد تــم تأسيــس شركــة الكروميــت العمــانيــة فــي عام ١٩٩١ لتتخصــص فــي التنقيــب عــن الكروميت واستخراجه وتصديره.

كما يتــوفر الفحــم أيضاً بكميات ضخمــة بالقــرب من صور حيــث تقدر الاحتيــاطيات بحــوالي ٣٦ مليــون طناً. ويجري حاليــاً دراسة خطط لاقامة محطة للكهــرباء تعمل بالطاقة الفحمية لاستغلال مصــادر الوقود هذه.

ويعتبر الــذهب من المنتجات الفــرعية القيمة لصنــاعة تعدين النحاس، حيث من المتوقع أن يتم إنتاج ٢٤٠٠ كيلو



جراماً من الذهب في خلال سنوات التشغيل الثمان لموقع استخراج وتصنيع الذهب في حيل الساقل. ويتم حالياً تطبيق برنامج لتقييم احتياطيات الذهب في عمان. ومن المتوقع أن يستمر هذا البرنامج لعدة سنوات قبل أن يمكن وضع خطة شاملة لاستخراج الذهب على نطاق تجاري.

التنمية الصناعية

انحصرت الصناعات العمانية قبل عصر النفط في الصناعات التي تخدم الاحتياجات التقليدية للشعب العماني.



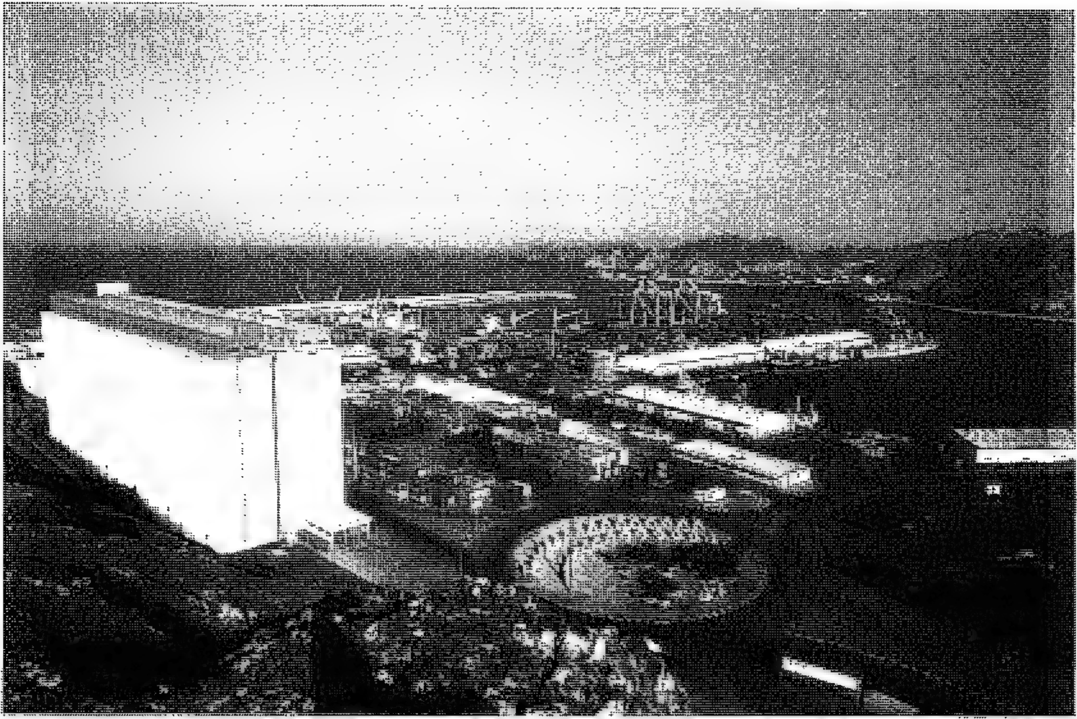
وكان يتم منذ قرون عديدة مزاولة صناعات بناء الزوارق وممارسة الحرف الفنية المختلفة ومزاولة صناعة النسيج والمشغولات الفضية. وكان هناك اقبال شديد على هذه المنتجات العمانية الصنع سواء محلياً أو من قبل الدول الأخرى في أنحاء المنطقة. غير أن مجيء العصر الحديث بتأثير من اكتشاف النفط والغاز واستخراجهما قد فتح الباب على مصراعيه أمام قاعدة صناعية جديدة لا تزال تنمو بمعدلات مرضية. ويعود الفضل في معظم النمو الذي حدث للاستثمارات التي قدمها القطاع الخاص والتي تشجعها وتدعمها الحكومة.

إن الثراء المحلي المتزايد قد أدى إلى تشجيع الطلب على المنتجات المستوردة، وكلما أمكن تصنيع هذه المنتجات محلياً تم تشجيع المستثمرين من القطاع الخاص على القيام بانتاجها. وليس من المدهش أن ترتبط صناعة البناء بهذا القطاع الهام للتنمية الصناعية.

وتشكل القطاعات غير النفطية للاقتصاد العماني حالياً ٥٠ في المائة من اجمالي الانتاج القومي وتواصل صادرات جميع أقسام هذه القطاعات في الزيادة. وكما ذكرنا آنفاً، فقد نجم هذا الازدهار الصناعي جزئياً نتيجة لاكتشاف النفط والغاز في عمان لكنه نتج أيضاً نتيجة لعدة عوامل هامة تتضمن الموقع الاستراتيجي الهام لعمان كمدخل إلى الخليج العربي ووفرة مواردها الطبيعية والسياسات المتنورة التي تتبعها الحكومة في تقديم الحوافز الصناعية والبحث دائماً عن الكيف قبل الكم والذي أعطى الصناعة العمانية شهرة طيبة على المستويين الاقليمي والدولي.

ويكمن في قلب النجاح العماني اقامة عدد من المدن الصناعية، أهمها وأكبرها هي مدينة الرسيل الصناعية التي تبعد مسافة ٤٥ كيلومتراً تقريباً عن وسط مدينة مسقط. لقد تم تأسيس هذه المدينة الصناعية في عام ١٩٨٤م بهدف تشجيع تنمية القاعدة الاقتصادية غير النفطية ويوجد بها حالياً أكثر من ٦٠ مصنعاً تقوم بتصنيع مجموعة كبيرة من المنتجات تتراوح بين الشاي والاطارات والبسكويت والمفروشات.

ويقدم المجمع الصناعي بالمدينة مجموعة من المزايا للشركات الموجودة فيه تتضمن شبكة طرق ممتازة وامدادات وافرة من المياه والكهرباء والغاز وشبكة اتصالات حديثة غاية في الكفاءة وتسهيلات للتخلص من النفايات وذلك إلى جانب مجموعة كاملة من الخدمات التي يتوقع المرء أن يجدها في المدن العصرية.


وزارة الاعلام

ويتم مساعدة الشركات الراغبة في اقامة تسهيلات لها بالمنطقة الصناعية من خلال تزويدها بالمستندات التجارية شاملة المستندات المتعلقة بالاجراءات الجمركية والمستندات التي تطلبها وزارات العمل والشؤون الخارجية والتجارة والصناعة. كما تتضمن مجموعة الحوافز العملية المقدمة تسهيلات مغرية في أسعار ايجارات المباني وأسعار خاصة للطاقة.

إن برنامج الحوافز هو برنامج شامل يسعى إلى تشجيع حركة التنمية الصناعية في عمان. ويتم اعفاء المؤسسات التي تقوم بتأسيس فروع أو شركات جديدة لها في عمان من دفع جميع الضرائب لفترة السنوات الخمس الأولى من بدء نشاطها.

ويمكن في بعض الحالات مد فترة الاعفاء الضريبي هذه. كما يتم اعفاء المعدات والأجهزة الصناعية بصفة دائمة من رسوم الاستيراد، بينما يتم اعفاء المواد الخام والمواد نصف المصنعة من هذه الرسوم لفترة السنوات الخمس الأولى مع امكانية تجديد فترة الاعفاء هذه. وإذا كانت المنتجات المصنوعة في عمان تتعرض لمنافسة من المنتجات المستوردة، فقد يتم في بعض الأحيان فرض الحماية الجمركية عليها بهدف تمكين الشركات الوطنية الشابة من أن ترسخ أقدامها في الأسواق المفتوحة.

كما تقدم وزارة التجارة والصناعة قروضاً معفاة من الفوائد، بينما يقدم بنك التنمية العماني قروضاً بفوائد مخفضة. ويتم تقديم مجموعة من الحوافز إلى العمانيين من خريجي المرحلة الثانوية بهدف تشجيعهم على تأسيس المشاريع التجارية في عمان. وتتضمن هذه الحوافز منحاً تصل قيمتها إلى ٤٠ في المائة من كلفة المشروع بالاضافة إلى بعض القروض المعفاة من الضرائب بما يعادل ٤٠ في المائة من تكاليف المشروع. ويلزم على الخريج في هذه الحالة توفير ٢٠ في المائة من تكاليف المشروع من موارده الخاصة.

كما تقوم وزارة التجارة والصناعة بتقديم مجموعة من المزايا المتعلقة باستهلال المشاريع وذلك بالنسبة للمستثمرين الآخرين من غير الخريجين الذين يتلقون ٣٠ في المائة من تكاليف المشاريع المقامة في مسقط وما يصل إلى ٥٠ في المائة من تكاليف المشاريع التي تقام في خارج مسقط.

السياحة

تعتبر السياحة أحد مجالات الاستثمار والتنمية التي ستزدهر في عمان. ويتوفر في البلاد بالفعل مجموعة لا بأس بها من فنادق الدرجة الأولى وبعض المشاهد البرية الرائعة.

وعندما يضيف المرء إلى ذلك المحافظة الجذابة على الثقافة والتراث القومي والمحافظة الواعية على الحياة البرية وكذلك اعتدال المناخ الذي يعد بشمس مشرقة طوال العام، فإننا نجد من الواضح أن جميع العناصر الرئيسية لازدهار السياحة متوفرة بكثرة.

وقد ركزت حركة التعمير خلال الخطتين الخمسيتين الأولى والثانية على اقامة الانشاءات الأساسية التي تستطيع استيعاب حركة السياحة بما في ذلك انشاء مجموعة من الفنادق والاستراحات ومرافق النقل الأخرى.

كما تم تطبيق بعض البرامج لترميم وتجديد القلاع التاريخية والمعالم التراثية الأخرى. ولا يزال تطبيق مثل هذه البرامج مستمراً. وبالرغم من أنه لم يتم تنفيذ هذه البرامج أساساً بهدف جذب السياح بل كجزء من البرنامج القومي للمحافظة على التراث الثقافي، إلّا أنها ساعدت في اقامة مراكز جذابة للسياح والزائرين على حد سواء.

وقد تم اعداد دراسة شاملة عن السواحل العمانية بأكملها وتم تحديد المواقع المناسبة لاقامة الفنادق في المستقبل. كما تم توسيع مطار السيب الدولي ليستوعب الأعداد المتزايدة من الطائرات والركاب. وتم كذلك تحسين مرافق المطارات الموجودة بالمدن الأخرى.

ويعتبر توفر إمدادات مناسبة من الماء العذب



وزارة الاعلام

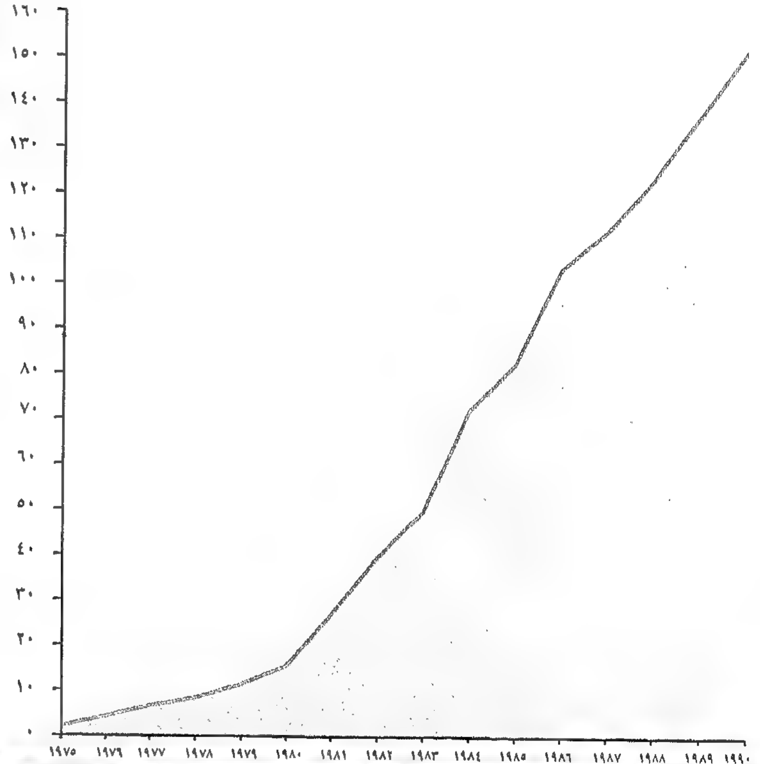
أمـراً ضرورياً لجميـع نشاطـات التنميـة المذكـورة آنفـا، ولـذلك فـإن الانجـازات التي حققتهـا عمـان فـي هـذا المجـال تثير الاعجـاب. ففي عـام ١٩٧٠م كـان يتـم في مسقط انتـاج ١٥٦ مليون جالـون مـن المـاء العـذب فقـط، يتـم ضخها جميعـاً من الآبار العميقـة. وفي عام ١٩٧٧ وصل إنتـاج الماء العذب إلى ١٠٠٢ مليـون جالـون معظمهـا كـان نتيجة لانشـاء أول محطـة ضخمة لتحلية الميـاه في عمان. وبحلـول عـام ١٩٩٤م تجاوز انتـاج الماء العـذب فـي مسقـط ١٣٠٠ مليـون جالون. كمـا حدث نمو مشابه في انتاج الماء في صلالة.

إن تزايـد الطلب على التنميـة الحديثة يجب ألا يطغـي على الحـاجة إلى حماية البيئـة التـي هـي أحد السمـات الثـابتـة في التخطيـط العماني تحـت رعايـة جلالـة السلطـان قـابـوس بن سعيـد. وفي منـاسبـة الذكـرى الخـامسة للعيـد الوطنـي للسلطنة ذكـر جلالـة السلطان شعبـه بهـذه الحقيقة حين قال:

إن اهتمامـنا الكبيـر بالمحـافظـة علـى البيئـة الطبيعيـة وانجازاتنـا في هذه المجـال جعلت عمـان تتمتـع باحترام شـديـد بين الأمـم المهتمـة بحمايـة البيئـة، ومـع ذلـك لا يـزال يتعيـن علينا بـذل المزيد مـن الجهود ودراسـة الاعتبـارات الخاصـة المرتبطـة بهذه المسألـة عندما نقـوم بتخطيط وتنفيذ مشـاريع التنميـة. وعلينـا أن نبـدأ في الاتصـال بالهيئـات

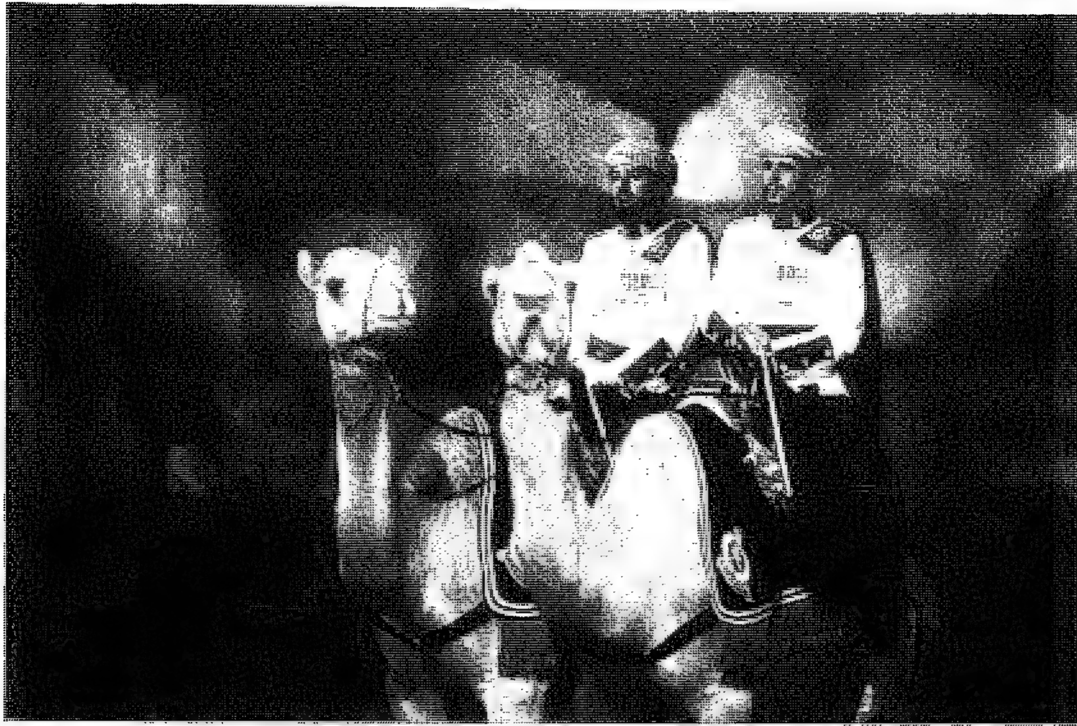
تطور اسهام قطاع التصنيع
في إجمالي الانتاج القومي العماني طبقاً للأسعار الحالية
با لمليون ريال عماني

السنة	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨	١٩٧٩	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠
قطاع التصنيع	٢,١	٤,٣	٦,٧	٨,٥	١١,٥	١٥,٦	٢٧,٠	٣٩,٦	٤٩,٧	٧٢,١	٨٢,٣	١٠٣,١	١١١,٥	١٢٢,٧	١٣٧,١	١٥١,١
قطاع تكرير النفط	-	-	-	-	-	-	-	-	٤,١	١٣,٠	٩,٩	٨,٦	١٠,١	١٠,٣	١٣,٤	١٤,٤
القطاعات الأخرى	٢,١	٤,٣	٦,٧	٨,٥	١١,٥	١٥,٦	٢٧,٠	٣٩,٦	٤٥,٦	٥٩,١	٧٢,٤	٩٤,٥	١١٠,٤	١١٢,٤	١٢٣,٧	١٣٦,٧





وزارة الاعلام



وزارة الاعلام

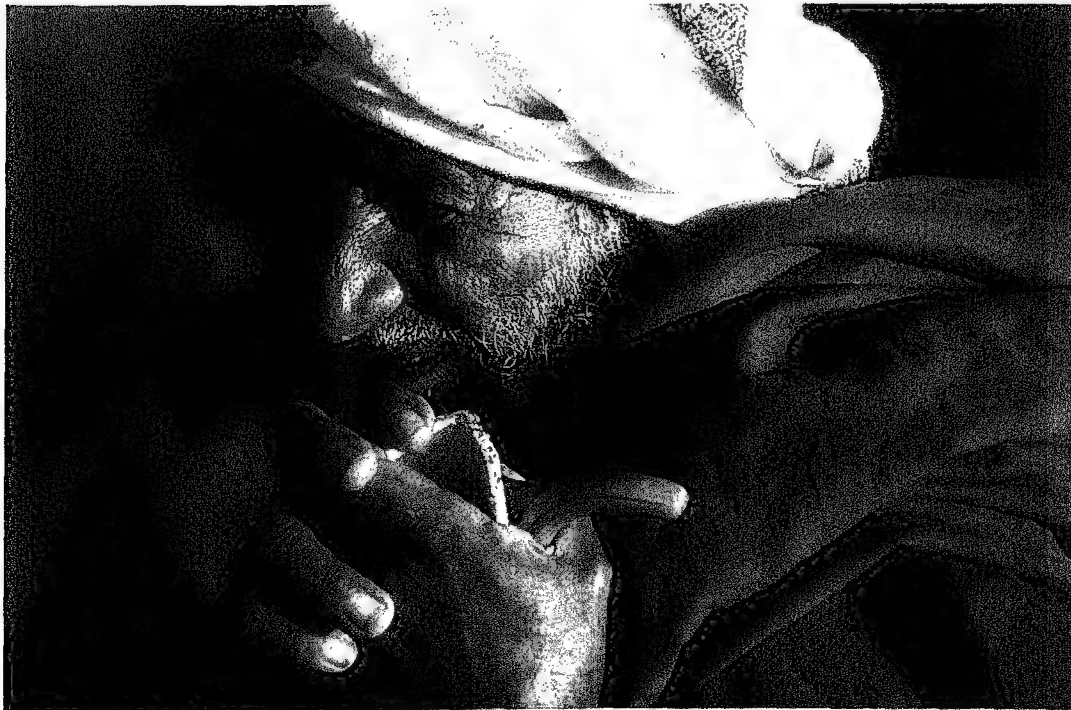
الاقليمية والدولية المعنية. ان القيام بذلك واجب على كل موطن لضمان حماية مواردنا الطبيعية والمحافظة على الصحة العامة من الآثار الضارة وحماية الطبيعة الجميلة والجذابة التي خص الله بها عمان الحبيبة.

ويمكن استشفاف الالتزامات العمانية تجاه هذه المسائل البيئية من خلال سياسة الحكومة التي تستلزم، على سبيل المثال اصدار «شهادة عدم التعارض البيئي» بالنسبة لجميع المشاريع الخاصة والحكومية خاضعة للوائح التخطيط. والغرض من اصدار هذه الشهادة هو منع الآثار السلبية للتنمية.

وتلخيصاً لسياسة الحكومة في هذا الخصوص نص تقرير عام ١٩٩٢م المقدم إلى مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية على ما يلي: «هناك تكاليف بيئية مرتبطة بالصناعة، يمكن دفعها إما في شكل قيمة مضافة إلى السلع يمكن التحكم فيها أو كتكلفة يتعذر تقديرها في شكل الاعتلال الصحي وعدم الراحة وفقدان الموارد الناتج عن التلوث والأضرار بالبيئة المرتبط بالتنمية الصناعية غير الخاضعة للسيطرة. وقد اختارت حكومة عمان القيمة المضافة وهو قرار أعتقد أنه نافع للدولة على المدى الطويل». إنه مثال يجب أن تحتذي به العديد من الدول الأخرى.

الشؤون الخارجية

تنفرد عمان عن سائر دول المنطقة بتاريخ طويل وحافل حيث لم يكن النفوذ العماني قاصراً على المنطقة فحسب

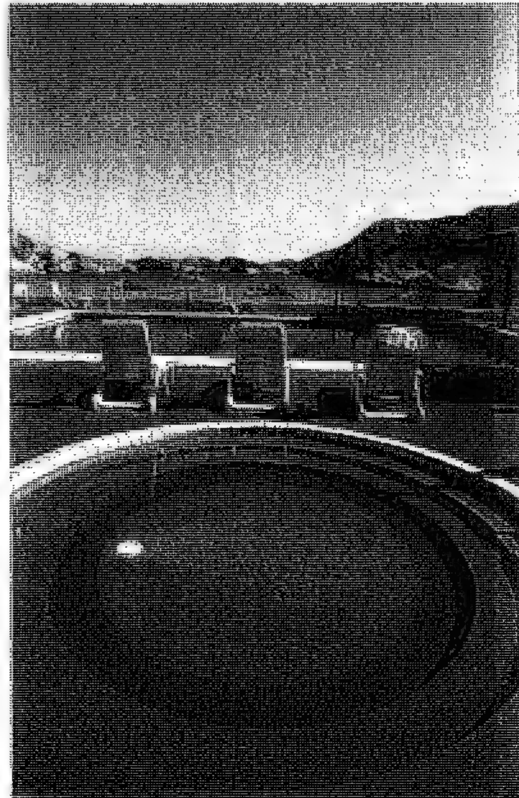


وزارة الاعلام

بل إمتـد إلى افـريقيا والشرق الأدنـى وذلك رغـم الغارات التـي كـانت تشنهـا بيـن الحيـن والآخـر قوى فـارسيـة وبـرتغاليـة. ولم تعـرف عمان فـي كـل مراحـل تاريخهـا الطـويل الخضــوع الاستعمـاري لقـوى أجنبية حـاكمـة، والاحتلال البرتغـالي للمدن الساحلية العمانيـة في القرن السادس عشر ما لبث أن تخلص منه العمانيون.

وانطـلاقاً مـن هذا الـواقع اكتسـب شعب عمـان روح الاعتزاز القومي وظل يدافع بجسارة عن سيادة الوطن ضد أي قـوى أجنبية تحـاول اخضاعـه. وشهـدت عمان فتـرة ركود خلال الفتـرة الأخيرة من القرن التاسـع عشر بسبب الصراعات الـداخلية ولكساد التجارة الدوليـة نظراً لظهور سفن البـواخر بديـلاً عن المـراكب الخشبية الشـراعية ... واستمـرت حالـة الركـود حتـى بعد اكتشـاف النفط بعـد النصف الثاني من عقد الستينات لهذا القرن.

وكان مجـيء جلالـة السلطان قابـوس بن سعيـد على رأس السلطة عام ١٩٧٠م، إيذانا بنهوض عمان من كبوتها وفاتحة لعهـد انفتاح خارجي ونهضـة شاملة. ومنذ تـولي جلالته مقـاليد الحكم، أرسى مبـادىء ثابتة في السيـاسة الخارجية ظلت المـوجهة لنهج البلاد الخارجي حتـى يومنا



هذا ... وتتلخـص تلك المبادىء فـي اقامـة علاقة صـداقة وتعاون مـع جميع دول العـالم بغـض النظر عـن الأنظمة الاجتماعيـة والسياسيـة السائدة فيهـا تقوم علـى أساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.

ولم تكن لعمان قبل عام ١٩٧٠م علاقـة تذكر مع العالم الخـارجي سـوى علاقـة ضعيفة مـع كـل من بـريطانيـا والولايـات المتحدة الأمريكية، ولهـذا قرر جلالـة السلطان قابـوس بن سعيد قيادة سيـاسة السلطنة الخارجيـة على هـدى تلك المبـادىء التـي أرساهـا حتـى تستعيد عمـان مكانتها بين الأسرة الدولية.

وحالـف النجاح سياسة جـلالته إذ صارت عمـان على علاقـة ودية مع جميع دول العـالم على اختـلاف أنظمتها السياسية ... وصـارت عضواً في هيئة الأمـم المتحدة وفي المنظمات الاقليميـة مثل جـامعة الـدول العربيـة ومنظمة المؤتمر الاسـلامي، وتعمل حكومـة جلالته بهمة مـن أجل ارساء أركان السلام في ربوع العالم.

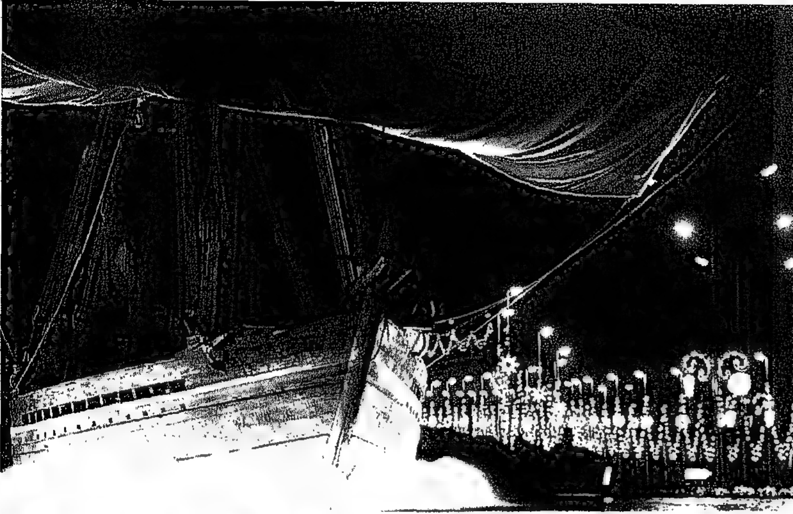
وقـد انضمت عمـان إلى جـامعـة الدول العـربية عـام ١٩٧١م ... وفي وقت لاحق من نفـس العام انضمـت إلى عضوية هيئة الأمم المتحدة ... ثم انضمت في عام ١٩٧٢م إلى عضـوية منظمـة المؤتمـر الاسلامـي وإلى عضـوية مجموعـة دول عدم الانحياز عام ١٩٧٣م ... وتـم انتخاب السلطنة عضواً في مجلس الأمـن الدولي عام ١٩٩٤م لمدة عامين اعترافـاً من المجتمع الدولي بمركـز عمان المرموق بين أمم العالم.

وكانت السلطنـة في ظل قيادة جلالة السلطـان قابوس بن سعيـد من الدول الرائدة فـي تأسيس مجلـس التعاون الخليجـي عـام ١٩٨١م وهـو المجلس الـذي يضـم فـي عضويتـه أيضاً دول البحريـن والامارات العربيـة المتحدة والكويت وقطر والمملكة العربية السعودية.

يهدف المجلس إلى تنسيق التعاون بين الدول الأعضاء لخدمة مـواطنيهم ولتحسين مستوى معيشتهـم كما يعمل على المحـافظـة على سيادة الدول الأعضـاء وتثبيت أسس السلام في المنطقة.

وقد أشاد العالم بجهود جلالة السلطان قابوس بن سعيد كوسيط أمين وعادل في العمـل من أجل ازالة التوتر بين دول المنطقـة واحلال روح التعاون واشاعـة السلام، وكداعية لازالـة التوتر بين جميع أمم العـالم عن طريق حل النزاعات بالحوار وبالوسائل السلمية.

وقد أثمـرت جهود جلالته فـي استعادة العلاقـات بين المملكة العـربية السعوديـة وايران ... وبين قـادة شطري





اليمن سـابقاً ... كمـا اتخذ جـلالته مـوقف الحيـاد خلال الحرب العـراقية/الايرانيـة مما سـاعـد على احتواء اثـارها وحـال دون انتشار ذيـولهـا بيـن دول المنطقة ... وبـذل جـلالته الجهـود المكثفة لاقنـاع العراق بـالانسحاب مـن الكويت ... ولما لم يتحقق ذلـك اشتركت السلطنة مع قوات التحـالف الدولي من أجل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة.

وقبل ذلـك سجلت القيادة العمانيـة بعد نظر عميـق في قراءة الأحداث حين كـانت الدولة العربية الـوحيدة التي لم تقطع علاقتها الدبلوماسية مـع مصر عندما ابرمت اتفاقية كامـب ديفيد للسـلام مع اسرائيـل عام ١٩٧٩م وبـاركت السلطنة الاتفاقية كخطوة من أجل اقرار السـلام العادل في المنطقة ... ولقـد أثبتت الأحداث الـلاحقة عمق تلـك النظرة ومـوضوعيتهـا وها نحـن نشـهـد اليوم مسيـرة التسويـة السلمية في المنطقة بين الفلسطينيين واسرائيل.

وانتهج جلالته نفس السياسة من أجل تطوير العلاقات مع الدول الأوروبيـة ونتيجة لمبادرته، اجتمـع ممثلون عن الـدول العربيـة المصـدرة للنفط مـع نظـرائهم مـن دول المجمـوعة الأوروبيـة وكـان ذلـك أول اجتماع يعقـد بيـن الجانبين فـي العـاصمة ـ مسقط ـ عـام ١٩٩٠م ... وحقق المؤتمر تفاهماً بين الطرفين من أجل التوصل إلى اتفاقيات بشأن التعرفة الجمركية والاتجـاه نحو حل الخـلاف المعلق بين السعودية والمانيا بخصوص الصناعة البتروكيماوية.

وأبرز جـلالة السلطان قـابوس بـن سـعيد في خطـابه لشعبه بمناسبة ذكرى العيد الوطنـي الرابع والعشرين عام ١٩٩٤م، الأخطار المدمـرة للنشاط الذي يتخذ مـن العنف وسيلة والـذي يستغل المشـاعر الـدينية لتحقيـق أغراض سياسية ... ودعـا في نفس الخطاب إلى ضـرورة التوصل إلى مصـالحة وتفـاهم مـع المجموعـات المتنـاحـرة داخل الوطن الواحد.

عمان اليـوم غيرهـا بالأمـس فقد تبـدل وجههـا الشـاحـب ونفضـت عنهـا غبـار العزلـة والجمود، وانطلقت تفتح أبـوابها ونوافذهـا للنور الجديد تعلن للعـالم عن اتصـال مباشـر تتفاعل مع تطـوره وتتأثر بمجرياته.

[جلالة السلطان قابوس بن سعيد].



جلالة السلطان قابوس بن سعيد

تـراث عمـان

التاريخ الطبيعي

طائر القطاة التاجي.



هانز وجينز إريكسين



انطباعات شخصية

جدة الحراسيس

لمحت الغـزلان سيارتنا من علـى مسافة كيلو متـر واحد تقريبـاً قبل أن يستشف بصـر قصيري النظر مـلامحها الجميلة، ولكن ليـس قبل أن يلحظ المشرف الحـاد النظر محمود وجـودهم في سكون. ولكنــه لم يحد عـن مساره المختار عبر الصحراء الصخرية ومررنا بمحض الصدفة علـى مسافـة ٥٠ متراً بـالقطيـع الذي إستمـر لدهشتـي يمضـغ بصوت طاحن ويرعـى فوق طبقة الأعشاب الرقيقة التي تفرش هـذه الأرض الجرداء. ولم يظهر علـى محمود ما يدل علـى اندهاشه أو اهتمامه بوجودهـا ولم يلفظ أي كلمة إثارة أو تعجب أو سرور لمشاهدة هذا القطيع الكبير مـن الغزلان المهـددة بخطر الانقـراض تعيـش في مـرح وسعـادة في هـذه المنطقة البـرية النـائية مـن الجزيـرة العربيـة. ولم أستطع أن أرفـع عيني عنها أو أقـاوم إغراء الايمـاء أو الصياح بـأعلى صـوتـي دون داع ... ها هـي الغزلان!.

وواصـل محمود قيـادة السيـارة وهو لا يستطيـع أن يخفي ابتسامته السـاخرة.

وبعد فترة قصيـرة من الوقت ونحن مـا زلنا منطلقين بالسيارة في جدة الحراسيس التـي تبدو وكأنها تمتد بلا نهاية تحت قبة السماء الزرقاء التي تزخرفها قطع متفرقة من السحب الشبيهة بندف القطن أشار البدوي ذو القامة المستقيمة إلـى الأرض المنبسطة أمامنـا وقال هـل ترى؟ نظرت أمامـي وركزت بصري محاولا رؤية مـا يشير إليه غير أن كـل ما استطعـت أن أراه هو أكـوام من الحجـارة والـرمـل وبعـض الجنبات والشجيـرات المنتشـرة هنـا وهناك. هززت كتفي وقلت له لا أرى شيئاً. لكنه أشار مرة أخرى وقال هناك في هذا المكـان !!. ثم فسر لي ما يقصد وهنـا فقط أدركـت مـا كان يجـب علـي أن أراه في المـرة الأولى وأمعنت النظر في الاتجاه الذي أشار إليه لكن دون جدوى. وأخيراً وبعد أن تقدمنا بـالسيارة شاهدت دجاجة حباري جميلـة تنهض علـى ساقيهـا الطويلتيـن وتجري مبتعدة عنا. وهنـا صرخت دون داع «.. آه ... إنها دجـاجة حباري!!».

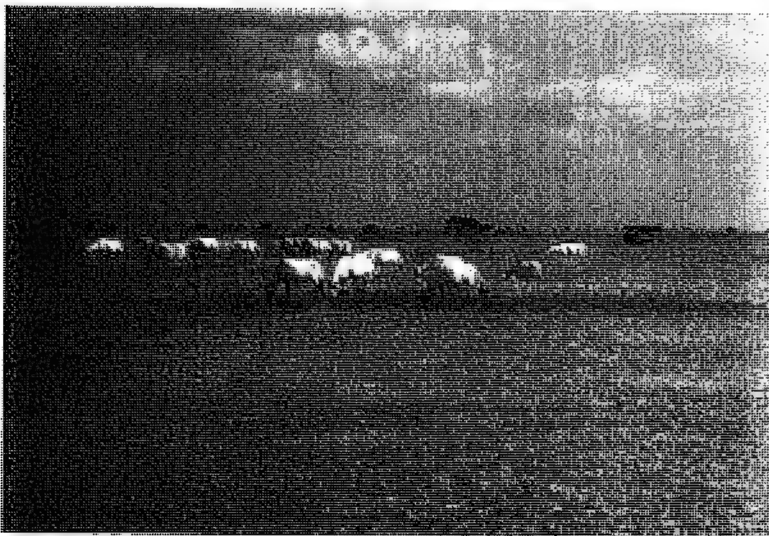
وبعد أن تركنا الدجاجـة الحباري ببضع دقائق سمعنا صوت جهاز الـلاسلكي «يعلوني إثنين ... يعلـوني إثنين» .. مد محمـود يده إلـى ميكروفـون الجهاز وأجـاب النداء «يعلـوني إثنيـن ... يعلونـي إثنيـن» وشرعـا في تجـاذب أطراف الحديث بسـرعة حول موقعنا وعن طـرائدنا. وكان حديثـه مجرد دردشة عـادية روتينية لا تخـدم أي غرض بعينه. ولم يتطرق الشك إليّ مطلقـاً في أن مرشدي يعرف تماماً أين نحن متجهون بالرغم من عدم وجود أي طرقات أو لافتـات أو أي علامـات مسـاعـدة أخرى. صحيـح ان السيارة كان بهـا بوصلة، لكنني لم أر محمـود ينظر إليها ولو مرة واحدة. لقد قطعنا حتـى الآن مسافة ٢٥ كيلومترا من قاعدة المعسكر في يعلوني.

وشـاهــدت بـالاضـافــة إلــى قطيـع الغـــزلان الأول، قطعاناًأخرى غيـرها لم أستطع تذكر أعـدادها على إنفراد حين حـاولت إحصاءها وهـي تسرح وتمرح أمـام أعيننا. وكانت أحيـاناً تنطلق عبر الصحراء فتبدو وكـأنها تجري وتطير في آن واحد. لكنها كانـت تتوقف في أحيان أخرى لمراقبتنا. وفي الظـروف العادية فإني ربما كنـت سأطلب التوقف لتأمل هذه الغـزلان الجميلة وربما كنت سأحاول أن ألتقـط بعض الصـور لها، ولكـن ذلك لـم يكن ضمـن مخطط محمود لهذه الرحلة.

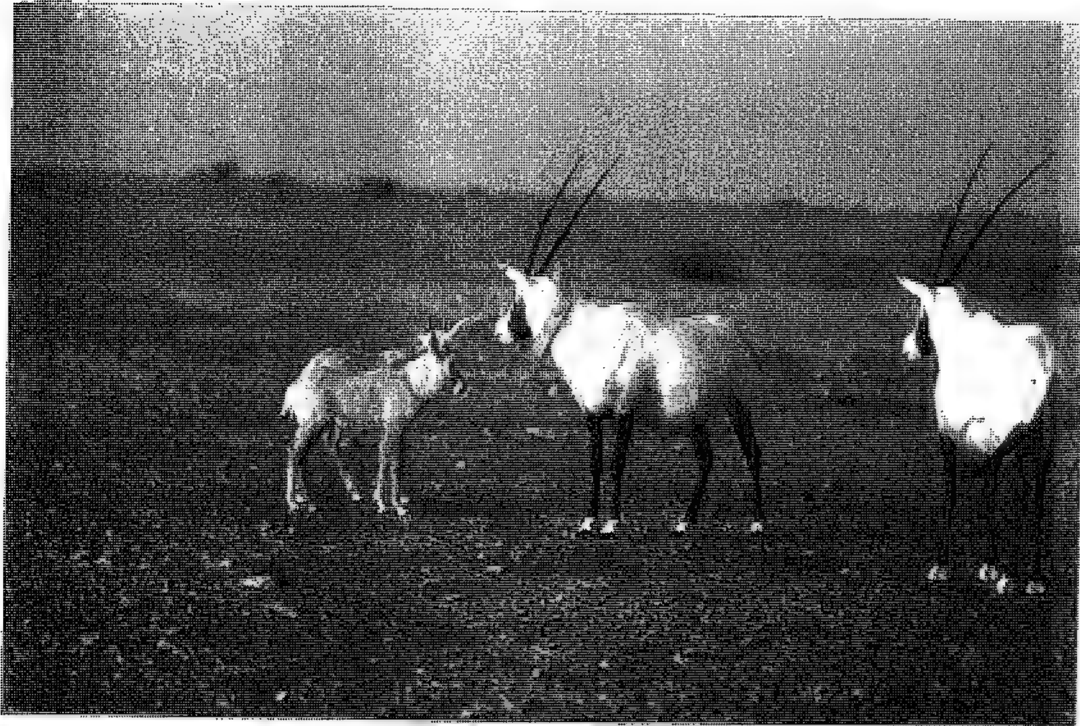
وفجأة تغير مسـارنا بزاوية قدرهـا ١٥ درجة واتجهنا كالنحلة نحـو الأفق المتوهج وسألني محمـود مرة أخرى هل تـرى ذلك؟. ولـم يكن بـامكانـي رؤية أي شـيء غير عادي بـالرغم مـن أن مجال الرؤية أمـامنا كان لا يعـوقه عائق لمسافة ستة كيلومترات أو أكثر.

إن الوصـول إلى «خط الأفـق» يستغرق حوالـي سبع دقائق عنـدما نسير بالسيـارة بسرعة ٤٠ كيلومتـرا ومع ذلك وبعـد مضي دقيقتين وجدتنـي غير قادر علـى رؤية الطـريـدة. وأخيـراً أدركت أن البقـع البيضـاء المعلقة فـي الأفـق في غيـوم السراب لـم تكـن سوى أبقـار المارية (المها) العـربية. وفي هذه المـرة كتمت صوتي وقـاومت

مشروع جدة الحراسيس للمحافظة على الحياة البرية يتولاه موظفون محليون يتم استغلال مهاراتهم التقليدية بصورة مفيدة للمحافظة على أبقار المارية (المها) العربية والغزلان ووعل الجبل وغيرها من الحيوانات البرية.



قطيع من أبقار المارية (المها) العربية البرية يرعى في رقعة خضراء في جدة الحراسيس.



إغـراءات إبـلاغ السـائق بمـا كان يعرفه منـذ دقيقتين على الأقل. ولـم تخيب أملـي أبقار المارية (المها) العـربيـة التي أحضـرنـي محمـود هنـا لمشـاهـدتهـا، فبعـد أن شاهدتها وهـي في الأسر في الأردن وفي المملكـة العربيـة السعوديـة والبحريـن وقطر والامـارات العربيـة المتحـدة كان وقـع رؤيتي لهـا في حالة جيدة في المحميـات البرية مرضياً للغـاية. ولا يمكن لأي قدر من التقارير العلميـة أو الأفلام التسجيلية أن تعوض عن متعـة رؤية هـذه الحيوانـات على الطبيعيـة. وأوقفنا السيارة على مسـافة ٥٠ متراً من قطيع المـارية المكون من ١٦ بقـرة وشاهـدناهـم بهدوء عبـر عدسـات النظارة المكبـرة. وكـان القطيـع يضم عجليـن حـديثـي الـولادة و إثنتي عشرة بقـرة وثورين أحدهما صغيـر والأخر كبير يهيمن على القطيع.

وفـي أثناء مشـاهـدتنا للقطيـع شـردت بقـرة مـع عجلها الصغير بعيـداً عن القطيع وهنا أحـاط بهـا الثـور وأعادها بهدوء إلى بقية القطيـع. إن مثل هذا السلوك غير مـوجود بيـن الغـزلان أو الثدييـات الأخـرى وهو الـذي يسـاعد أبقـار الماريـة علـى البقاء فـي البيئات التـي لا تستيطع الحيوانات الأخرى أن تعيش فيها.

بدأ محمود يشير إلى حيوانـات القطيع كل على إنفراد، وكـان الثور الضخـم يقـف مع ثـلاث أبقـار عند إحـدى أشجار الأكاسيـا (السمر) وهو يقول: هـؤلاء هـم «خليفة وكتيبـه وحبيبة» ثـم أضـاف لقد ولـد الثـور خليفة فـي الأردن في شهر يناير عـام ١٩٨٣م وتم نقله، مثل حبيبه التـي ولدت فـي شهـر أبريـل عـام ١٩٨٢م بـالولايـات المتحدة الأمـريكية، إلى عمـان كجزء مـن برنامـج إعادة توطين سلالات أبقار المارية. أمـا كتيبة فهي بقرة عمانية الأصل ولدت في عام ١٩٨٣م فـي المستوطنة المسورة الخاصة بأبقار المارية. وعلـى مسافة قصيرة منها وقفت إثنتان من أحـدث الولادات التي إضيفت إلـى هذا القطيع وهما صبحة وسميرة اللتان لم تبلغـا من العمر بعد شهراً واحداً، وقد وُلدتـا في المستوطنة البرية. وكـان تعداد هذا النوع من الأبقار وقت زيـارتي لعمان في ديسمبر ١٩٩٢ يبلـغ ١٣١ بقـرة تعيش فـي المحميـة البـرية فـي جـدة الحـراسيس، وتتـألـف من ٦٣ بقـرة و٦٥ ثـوراً وثلاثـة عجول صغيـرة السن بـدرجة لا يمكن معهـا بعد تحـديد جنسها بصـورة مؤكـدة من خـلال مراقبتهـا بعدسـات النظارة المكبـرة. إن الاحصاءات الخاصة بهـذا المشروع تثيـر الاعجـاب حقاً فقـد ولـدت ١٦٥ مـارية فـي جـدة الحراسيس منـذ عام ١٩٨٠ لا تزال ١١٣ بقرة منهـاعلى قيد الحياة.

وفي خـلال نفس الفتـرة تم جلـب ٤١ بقرة إلـى جدة الحراسيس منها ٢٩ بقرة من الـولايات المتحدة الأمريكية وخمسة من الأردن وسبعة من مركز الاستيلاد في الأسر في عمـان. غير أن الاحصاءات وحـدها لا تعبر عـن مدى النجاح الحقيقي الـذي حققه مشروع إعادة تـوطين أبقار المارية البيضاء لأنه أكثر من مجـرد برنامج لاعادة أبقار المارية إلى موطنها في المناطق البرية.

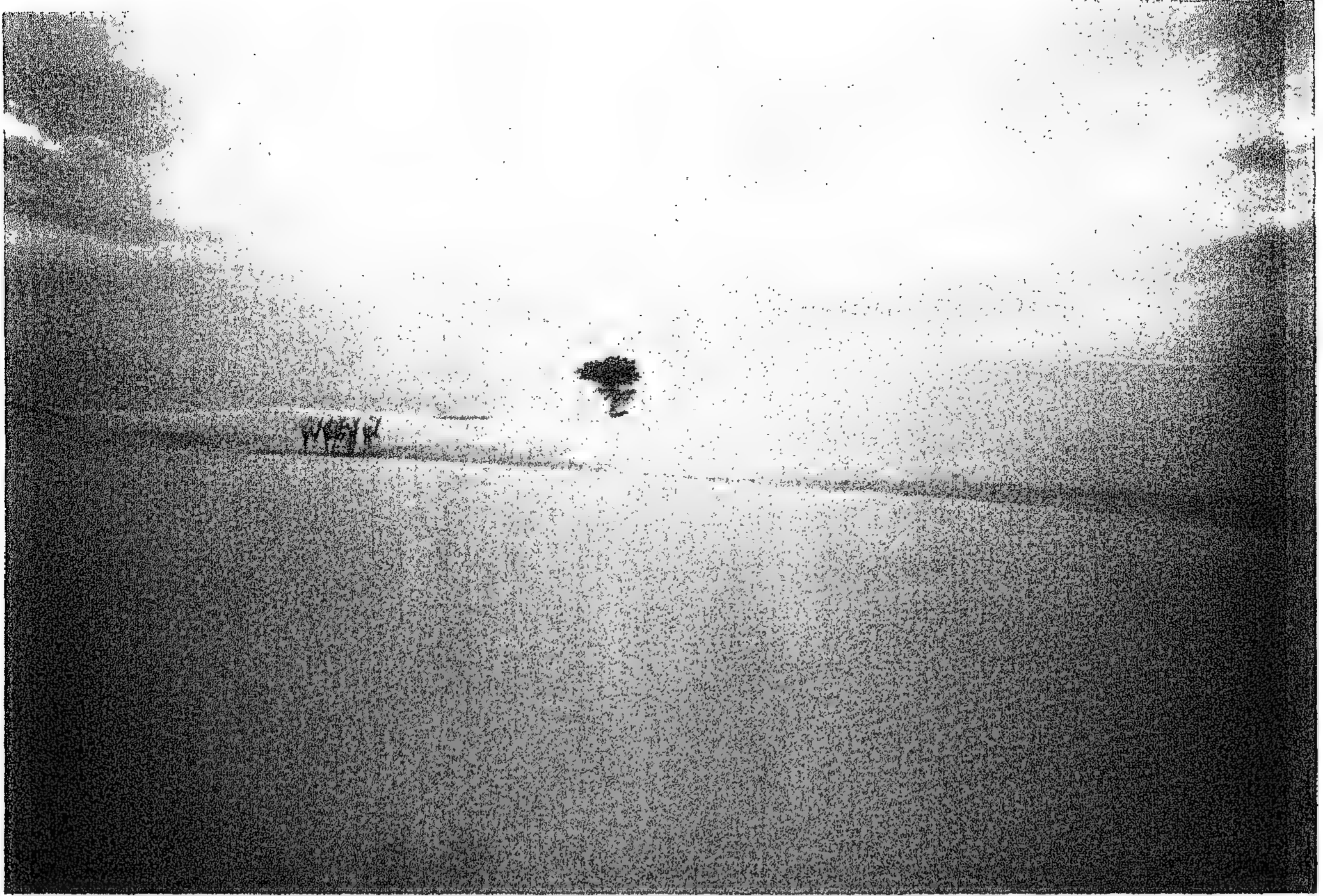
وبالرغم من أن هذا التحدي كان في الأصل السبب وراء استهـلال هـذا البـرنـامـج ولا زال يشكـل البـؤرة الرئيسية له فإن المشرفين على إدارة المشروع لا يزالون مهتمين برعـاية أهل جدة الحـراسيس تماماً كمـا يعتنون بأبقار المارية (وفي الواقـع فإن الاسم الرسمي للمشروع هو «مشروع تنمية جدة الحراسيس ـ المرحلة ب»).

تحتفظ أبقار المارية (المها) بعجولها قريبة منها بهدف حمايتها من المقتنصين.



أندرو سبالتون

يشتهر لوتي، أحد أفراد أهالي جدة الحراسيس، الذي يعمل مشرفاً بالمشروع بمهارته في اقتفاء آثار الحيوانات.



أندرو سبالتون

التقط أندرو سبالتون أخصائي بيولوجيا الحياة البرية هذه الصورة أثناء قيامه برحلة على ظهر الجمل مع بعض أهالي جدة الحراسيس.

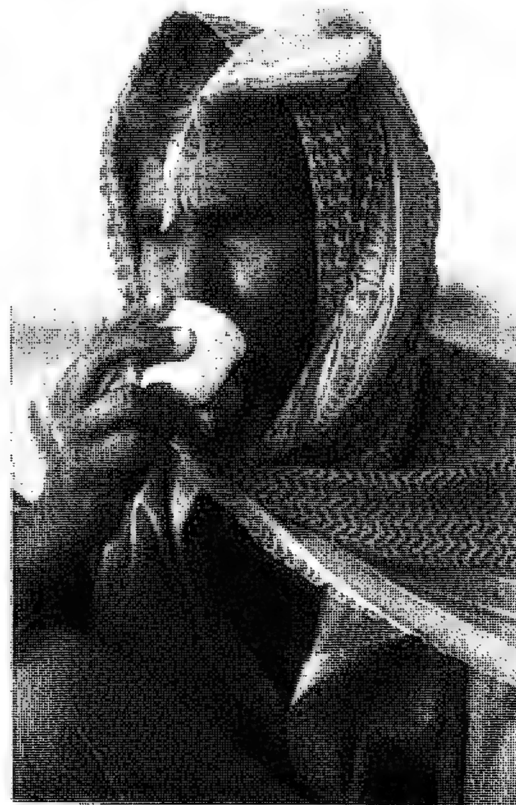
إن الهدفين الرئيسيين للمشروع يتداخلان مع بعضهما بصورة أكبر مما يتخيل المرء لأن المهارات الفريدة لأهل جدة الحراسيس ومعرفتهم بالتقاليد الصحراوية وشعورهم العميق تجاه المحافظة على الحياة البرية هو الذي يضمن نجاح المشروع.

ويواجه أهل جدة الحراسيس، مثلهم مثل المارية (المها) العربية عواقب التحديث الذي لا مفر منه والذي يهدد بتدمير الطبيعة التي تؤازر تواجدهم الطويل في جدة الحراسيس. إنهم يفخرون كما تفخر قبائل البدو الأخرى في عمان، بأجدادهم ويحافظون على القيم التقليدية لقبيلتهم وعلى عاداتهم العريقة. ويرتبط عشقهم للمنطقة الحجرية الواسعة لجدة الحراسيس بالجمال الطبيعي الرائع للمنطقة وبحقيقة أن الله قد أنعم عليهم بالضباب الرطب الذي يأتي من البحر ويوفر لهم الرطوبة حتى إذا لم تسقط الأمطار.

وتعتمد النباتات والحيوانات الموجودة في جدة الحراسيس على الضباب البحري الموجود في هذه الهضبة المرتفعة، وقد تمكّن أهالي جدة الحراسيس من تربية الجمال والماعز خلال فترات القحط الطويلة التي قد لاتسقط فيها الأمطار فوق معظم إن لم يكن كل جدة الحراسيس التي تبلغ مساحتها ٢٥٠٠٠٠ كيلومترا مربعاً تقريباً.

وقد إعتمد أهالي جدة الحراسيس منذ قرون طويلة على الجمال في التنقل، غير أن لدى العديد منهم الآن سيارات مدفوعة بالعجلات الأربع. ومع استخدام هذه الآلات نشأت الحاجة إلى البترول وظهرت حول جراج شل الموجود في هيماء على الطريق الرئيسي بين مسقط وصلالة مدينة جديدة تماماً.

وتضم هذه المدينة بالاضافة إلى المركز الاداري لمدينة هيماء، مدرسة جديدة ومسجداً جديداً ومتجراً (سوبر ماركت) حديثاً ومصرفاً ومجموعة من مراكز الخدمة الصغيرة ومجموعة من المساكن الاجتماعية. وبينما يرحب أهالي جدة الحراسيس بالجهود المبذولة



أندرو سبالتون

للحياة في الصحراء ايقاع لطيف يحكمه شروق الشمس وغروبها وحلول مواعيد الصلاة وأوقات تناول القهوة العربية والتمر.



أندرو سبالتون

«لـرفع» مستـواهم المعيشـي فـإنهم قلقـون من جـراء العواقـب الاجتماعيـة والاقتصادية لمثـل هذا التحـديث السريع.

لقد كان محمود في هذه المرحلـة يواجه بالفعل بعض الصعوبات العملية المرتبطة بهـذا التغيرات. فقد كان إبنه مقيداً بالمـدرسة الداخلية في هيماء بينمـا إلتحقت إبنتاه مؤخـراً بمدرسة البنات المحليـة التي لا يوجد فيهـا قسم داخلي. وقد خلـق ذلك مشكلة له فهو لا يستطيـع بالطبع أن ينقـل قطيع المـاعـز الخاص بـه مـن منطقـة الرعـي التقليدية في قلب جدة الحراسيس حيث يعيش عادة. لكنه إضطر إلـى توفير مسكـن لأبنتيه بـالقرب من المـدرسة. ورغبة منه في حل المشكلة اضطـر إلى تجزئة إسرته إلى قسمين الأول يـرعى الماعز بـالقرب من يعلونـي والآخر يقيم فـي خيمة نصبهـا في الصحـراء على مسـافة ميـل واحد تقريباً من هيماء.

وهـو يعانـي بالفعـل من بعـض المشاكـل، لأنه مـن الصعب عليه أن يلبـي متطلبات تـأسيس منـزلين له أو أن يضمن سلامـة وأمن إسرته المجزأة. ومـع ترعرع أولاده وهم يتمتعون بمـزايا التعليم الحديث فإن فـرصة رغبتهم في العودة إلى بيئتهم الصحراوية التقليدية تكاد أن تكون معدومة. ومن المتوقع أن يواجه محمود خياراً صعباً بين أن يتنازل عن حبه للصحراء أو يخـاطر بتجـزئة أسرتـه بدرجة أكبر. لكـن لعل بعض الضوء قد بدأ يلوح في نهاية النفـق المعتم. فمثلمـا كـان الانسـان مسؤولاً عـن دفـع أبقار المارية (المها)العربية إلى الانقـراض وعن انقـاذها في النهاية، فـربما تقدم هذه الأبقـار الحل لانقـاذ أهالـي جدة الحـراسيس وتهيئتهـم لـلاقامـة هناك. فمـع تزايـد أعـداد الماريـة وجـذبهـا للاهتمام المتزايد سواء على النطـاق المحلي أو الـدولـي سيصبح من الأهميـة بمكان أن يـواصـل أهـالـي جـدة الحـراسيـس رعـايتهـم الخـاصة بـالبيئة الطبيعـة.

وهم بحمـايـة أبقار المـارية يضمنـون أن حياتهم البـرية مأمـونة من أن يفتـرسها الانسـان. لقد أصبحت منـاطق المحميات الطبيعية البـرية التي تخضـع لاشرافهم والتي تغطي مساحة قدرها ١٥٠٠٠٠ كيلـومتراً مربعاً من جدة الحراسيس تعـج بالغزلان وتوفر المأوى لأكبـر مجموعة في العـالم مـن حيوانات الـوعل (تيـوس الجبل) النـوبية بالاضـافة إلى مجمـوعة من الحيـوانات والطيور البـرية الأخـرى مثل الـوشق (مـن فصيلة السنـانير) والصقـر الذهبي وثعلب الصحراء.

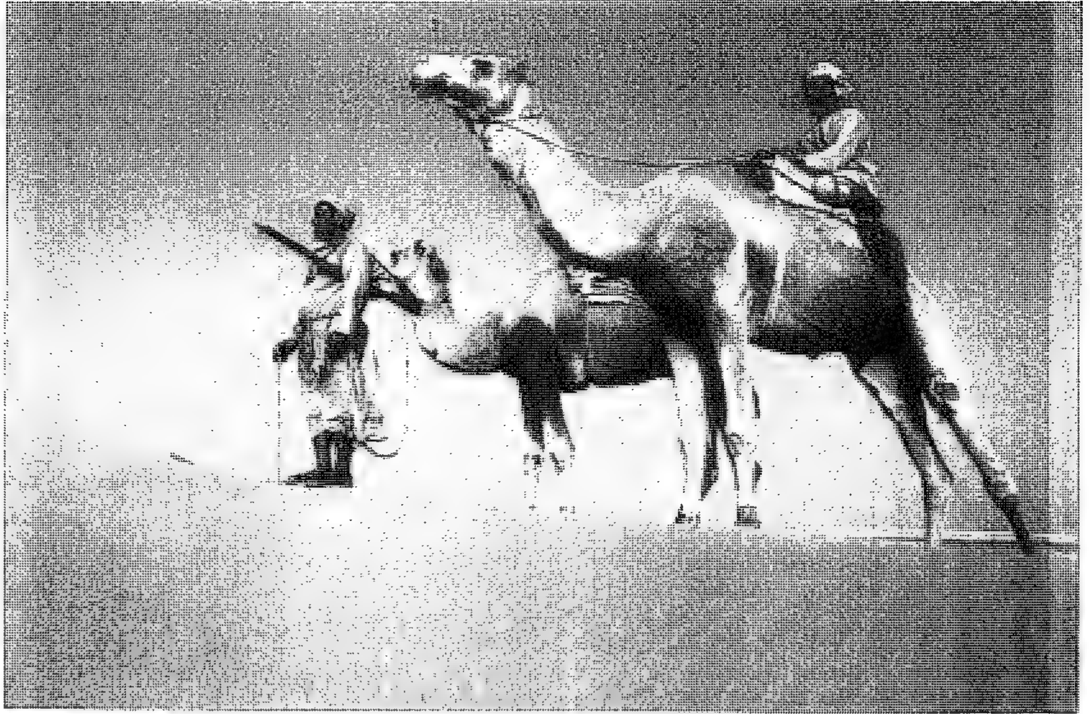
إن مشاريع تـوفير البيئة الطبيعية هذه تحظـى بأهمية

يتعرض أطفال أهالي جدة الحراسيس للتاثيرات المتناقضة لدورة حياتهم التقليدية من جهة ومزايا التطور العصري التي تجذبهم نحو مجتمعات مدنية من جهة أخرى.

أمرأتان من أهالي جدة الحراسيس مع طفل.



أندرو سبالتون



المشرفون الحراسيس يتنقلون بالجمال وبالسيارات الحديثة المدفوعة بالعجلات الأربع أيضا.

لقد قمت بزيارة إلى جدة الحراسيس في شهر ديسمبر عام ١٩٩٢م عندما كانت المنطقة تتمتع بالمزايا التي جنتها من موسمي هطول الأمطار في أوائل العام. فقد كانت النباتات في الصحراء في ذلك الوقت خضراء على غير المعتاد، وأوصل عشب الرعي المتوفر بغزارة،جميع أنواع الاحياء البرية إلى أفضل حالاتها . وتحسساً منها لهذه الوفرة الطبيعية تزاوجت أبقار المارية بعد سقوط الأمطار ووضعت العديدمنها بالفعل صغارها أو أصبحت على وشك الولادة.

وكانت القصة مختلفة تماماً منذ عام واحد فقط حين استطاعت أبقار المارية (المها العربية) بالكاد أن تنجو بحياتها من عواقب فترة القحط الطويلة، فقد كان العشب نادراً لدرجة لم تستطع معها الأمهات سوى الحصول على الغذاء الذي يكفيها للبقاء هي نفسهاعلى قيد الحياة، وماتت عجولها نتيجة لعدم توفر اللبن. وهي قصة تكررت في أنحاء المنطقة، وأثرت ليس على أبقار المارية فحسب بل على أنواع الثدييات الضخمة الأخرى مثل الغزلان والوعول.

وبعد انقضاء عام واحد تمتع من استطاع النجاة منها بالمزايا التي جلبها هطول الأمطار الأخيرة وأصبح من بين أصح سلالات أبقار المارية العربية والغزلان و الوعول الموجودة في أي مكان آخر في العالم.

أن أهالي جدة الحراسيس يتمتعون بشهرة كبيرة كمشرفين ممتازين على الحياة البرية، وتتعرض مهاراتهم للاختبار كل يوم لأن عليهم أن يقتفوا تحركات المارية البرية في منطقة شاسعة في حجم منطقة إيست أنجليا بالمملكة المتحدة على الأقل.

وتتمتع أبقار المارية (المها) العربية هذه، على عكس تلك الموجودة في المحميات الطبيعية المسورة، بحرية الحركة الكاملة وتستطيع الذهاب أينما ترغب فلا توجد أية أسوار أو قيود على تحركاتها.

وفي النهاية فإن الأمل معقود على أن تغزو أبقار المارية (المها العربية) من جديد منطقة رملة الوهيبة في الشمال. لكنها كما يبدو راضية في الوقت الحالي عن خاصة وتستحق العناء المبذول من أجلها حتى إذا لم تتح لقطاعات واسعة من الناس فرصة مشاهدة الحياة البرية في المنطقة. وبرغم ذلك وبالأخذ في الاعتبار الضغوط العالمية للمحافظة على المناطق البرية وانتشار الاهتمام بأبقار المارية (المها) العربية فإنه من غير الممكن على ما يبدو مواصلة مقاومة الضغوط التي تطلب فتح المنطقة أمام الزوار.وتخطط إحدى شركات السياحة العمانية بالفعل لجلب السياح المهتمين بالطبيعة لمشاهدة أبقار المارية وغيرها من الحيوانات والطيور البرية. ومن المحتمل أن ينمو هذا الاتجاه ويوفر قوة دافعة جديدة لتعزيز الجهود المبذولة في المستقبل للمحافظة على الطبيعة. وربما قد يتم تأمين مستقبل محمود وإسرته من خلال مشروع المحافظة على أبقار المارية البيضاء (المها العربية) والذي قد يدر على أهل جدة الحراسيس ثمار جهودهم.

تتوفر الغزلان بكثرة في عمان وذلك بفضل إتباع سياسة المحافظة على الحياة البرية في أنحاء البلاد.




أندرو سبالتون

الحراسيس يعبرون سبخة منخفض الحقف خلال شهر مايو.

وجـودهـا فـي محميتها المفتـوحـة فـي منطقـة جـدة الحراسيس وهي المنطقة التي تم اختيارها على نحو جيد لاعادة توطيـن هذه الأبقار في المنـاطق البرية. وفـي كل يوم يخـرج المشرفون مـن أهـالـي جدة الحراسيـس من قاعدة المشروع فـي يعلوني لتتبع أبقار الماريـة ومراقبة أحوالها.

وهم يخـرجون فـي مجموعـات تتكون كـل منها مـن رجلين يمضيان ثلاثة أيام في الصحراء قبل أن يعودا إلى قـواعدهمـا فـي مـركز المشـروع لـرفـع التقاريـر عـن اكتشافاتهـم. وبهذه الطريقة يقوم المشرفـون على أبقار المـاريـة بحـراسة ودائعهـم الثمينـة دون أن يستعينـوا بأجهزة النداء اللاسلكية أو أنظمـة الاقتفاء التي تعمل عن طريق القمر الصناعي أو أية أجهزة مراقبة أخرى.

ويقوم أحـد أهالـي جدة الحـراسيس بمهمـة مختلفة تمامـاً، فهو يعمـل بمفرده فـي بقعة مـن أجمل المنـاطق الصحراوية المثيرة في كل أنحـاء الجزيرة العربية ويقوم بمتابعـة حيوانـات الوعـل النوبيـة التي تتميـز بالجبـن والمراوغة. وقد حقق لوتـي لنفسه شهرة فريدة كمشرف علـى الحيوانـات البريـة ويستطيـع معرفـة مغزى أتفـه الاشارات التـي يخلفها حيوان الـوعل النادر الـذي يعيش على حافة جرف الحقف.

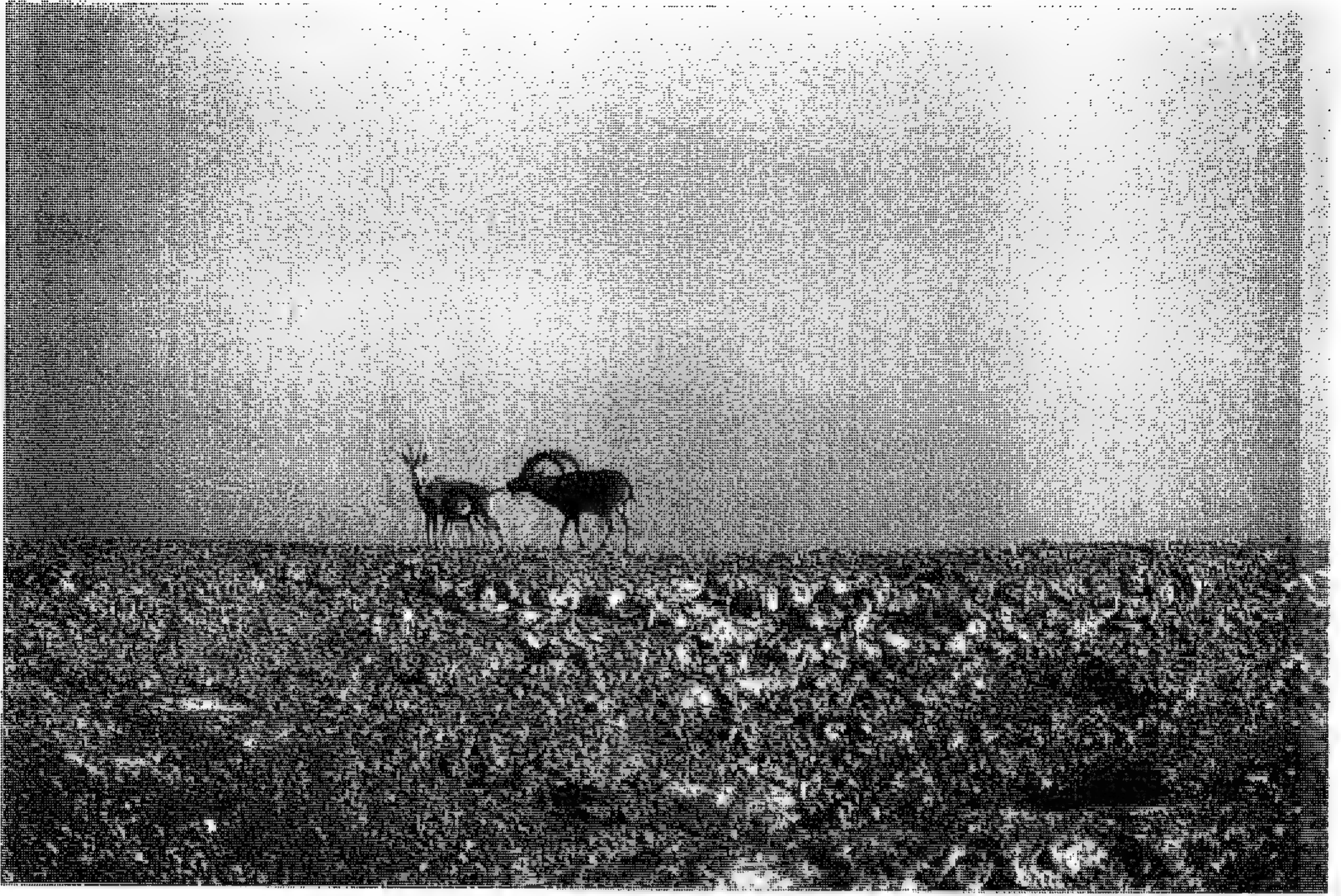
وبعد أن سمعـت عن مهـاراته كخبيـر في اقتفـاء هذه الحيوانات تحمست لمقابلته ومشـاهدته وهو يؤدي مهام عملـه. وصحبني روري جـونس مـدير مـوقع مشـروع توطين أبقار المارية البيضاء في يعلوني لمقابلة لوتي في معسكره بالصحراء.

ووجدنـاه يعد القهوة فـوق نار مكشـوفة بالقـرب من غيضة شجيـرات صغيرة علـى مسافـة ١٥ كيلومتـراً من يعلونـي. وبعد مقاسمتـه التمر والقهـوة توجهنا معـه في اتجاه الحقف بسيارة كان يقودها بنفسه.

إنه رجل يبلـغ من العمر ٤٠ عاماً، دمـث الخلق وواثق مـن نفسـه، متواضـع ورقيـق الصـوت، ولديـه ذخيـرة خفيةمن الصبـر والجلد. وطلـب منـه روري أن يرينـي الوعل (تيس الجبل).



لوتي المشرف على الحيوانات البرية يبحث عن حيوان الوعل عند حافة جرف الحقف.



... في منطقة الحقف.

كان روري متـأكداً مـن أنه سينجـز هذه المهمـة على أكمل وجه بالرغم من صعوبة توفير هذه الحيوانات حسب الطلب وأقـر بأن بعض الشك قـد ساورني في امكـانية أن يحقق لي هذا المطلب.

عنـد اقترابنـا لأول مـرة من حـافـة الحقف انحبسـت أنفـاسي مـن روعة المنظـر غير المتـوقع. لقـد كنا نعبـر بالسيارة أحـد السهـول الحجرية المرتفعة تـدريجيا والتي تتقاطع مع قاع الوديان التي خددتها مياه الفيضانات التي جفت. أوقف لـوتي السيارة في منطقة تبدو وكـأنها تشكل جزءاً غـريباً من هذا السطـح الشبيه بسطح القمـر وتبعته حيث كان يسيـر من السيارة إلى حافـة المنحدر العمودي الشاهـق. كانـت هناك بلاطات ضخمة مكسورة وجلاميد مـن الحجر الجيـري سقطت علـى امتـداد سطح الجـرف وحطمتها ميـاه فيضـانـات الأمطار التي تسقط بين الحين والآخر وتتسبـب في تعرية الـوادي الذي يبدو كـالاخدود والذي يمتـد أمام أبصارنا بعـرض ميل واحد تقريبـاً. وقد حجب سطـح الجرف ذو الحزوز العميقـة وضوح الـرؤية على طـول المنحدر. كما حجبت رعون الجبل المـوجودة على جانبينـا مجال رؤية المنطقة الـواقعة أمامنا مبـاشرة ولمسافة ٥٠ متراً على كلا الجانبين.

وفي هذا الصحـن الحجري بدأ لوتـي يمسح الصخور بعينيه بحثاً عن أي علامات تكشف عن وجود الوعل. وفي نفس الـوقت استعان روري بنظـارته المكبرة فـي فحص السهـل الـواسـع المـوجود أسفلنـا والنـاتـج عـن مياه الفيضـانـات. وبعد خمسة عشر دقيقـة تقريباً دار لـوتي على عقبيـه وعاد إلـى السيارة. لم يكـن هناك بـالطبع أي وعل على مدى الرؤية.

وبالقـرب من السيارة تـوقف والتقط وريقـة صغيرة جداً كـانت مـوجودة علـى الأرض بجوار إحـدى نباتـات الحسـك (نبات مـن الفصيلـة القـديسية) ذات الـزهـور الصفراء اللـون. وكانـت هذه الوريقـة هي دليـل على أن الوعل كان يرعى هنا في الصبـاح الباكر. وبالقرب من هذا المكان أرانـي لوتي منخفضاً فـي رقعة رملية تحيط بها الحجارة وقال تلك هي آثار قدم الوعل.

وخشيت أن يكون ذلـك هو كل ما سوف أشـاهده من معالم هـذا الحيوان النادر وحاولت أن ألتقـط لها صورة، لكنه لم يكن سوى منخفض بسيط. ولم يكن هناك أي أثر واضح لحـافر الحيوان أو أي معـالم واضحة تشيـر إلى أنها من صنع أحد الحيوانات.

واستسلمـت للـواقـع وتبعت لـوتـي إلـى السيـارة وانطلقنا بها مبتعدين عن حـافة الجرف لبضعة مئات من الأمتـار بحثـاً عن مخبـأ محتمـل آخـر للوعـل. وأوقفنـا السيارة وتسللنـا زحفاً فـي هذه المـرة في اتجـاه حافـة الجرف يتصـدرنا لوتـي الذي جثم علـى الأرض واختلس النظر من فوق الجرف، وتبعنـاه أنا وروري لكننا لم نعثر على أثر للوعل.

ومع ذلـك فقد كنـا على الطريـق الصحيح فقـد أشار لوتي إلى تجويف بعرض متـر واحد موجود في رقعة من



حيوان الطهر العربي يستريح في الظل.

أندرو سبالتون

الرمل بين جلمـودتين ضخمتين وقال لقد نام الـوعل هنا ليلة الأمـس لكنه مضـى في طـريقه. وأثنـاء عودتنـا إلى السيارة كانت عيناه تحدقان في الأرض وفـي هذه المرة كانت آثار أقـدام الوعل أكثر وضوحاً. وقال لقـد كانت هنا ثلاثـة وعول ذهبـت في اتجـاه الجنوب. وركبنـا السيارة التي قادها لوتي دون أن يتحدث.

وبعد أن قطعنـا مسافـة كيلومتـرين تقـريباً، اقتـربنا بالسيارة من سطح الجرف ثم تـوقفنا وحرصنا على عدم اغلاق بـاب السيارة واتجهنا إلـى الحافة. وقبـل أن نصل إليها إنحنى لوتي والتقط حـوالي إثنتي عشرة كرة سوداء صغيرة جداً كانت مختفية بيـن الحصى. وقال لي هامساً إنها خـاصـة بأحد عجـول الوعل. وبمجرد أن وصلنـا إلى الحافة وثبت أم مع عجليها وطفـروا على إمتداد قمة حافة الجرف مبتعدين عنا وقمت سـريعاً بتجهيز آلة التصوير، لكنني أدركـت في الحـال إن الصور التـي سألتقطهـا لن تكون سوى صوراً لوعول هاربة.

لقد كنا نبحث عمـا هو أكثر من ذلك،لكنها كـانت بداية مشجعة على أيـة حال. وعند هذه النقطة كنت متـأكداً من أن لوتـي سوف يـريني بعض الـوعول تمامـاً كالسـاحر الذي يخرج الأرنب من القبعة. وفـي خلال نصف الساعة التـالية أثبـت لـوتي أننـي كنت علـى حـق وأظهر كيـف يستطيع اقتفاء الحيـوانات وهو يقود السيـارة وكيف أنه يعرف الفرق بين أنثى الوعـل والتيس من خلال النظر إلى آثار أقـدامهما وكيف يستطيع أن يخمـن مكان الوعـل في أي وقت من أوقات النهار.

وقمنا بـزيارة لاحـدى برك ميـاه الأمطار التـي يعيش فيها سمك الروبيان الصحراوي سـريع الزوال، وشاهدنا ستة وعول أخرى في طريق عودتها إلى قواعدها.

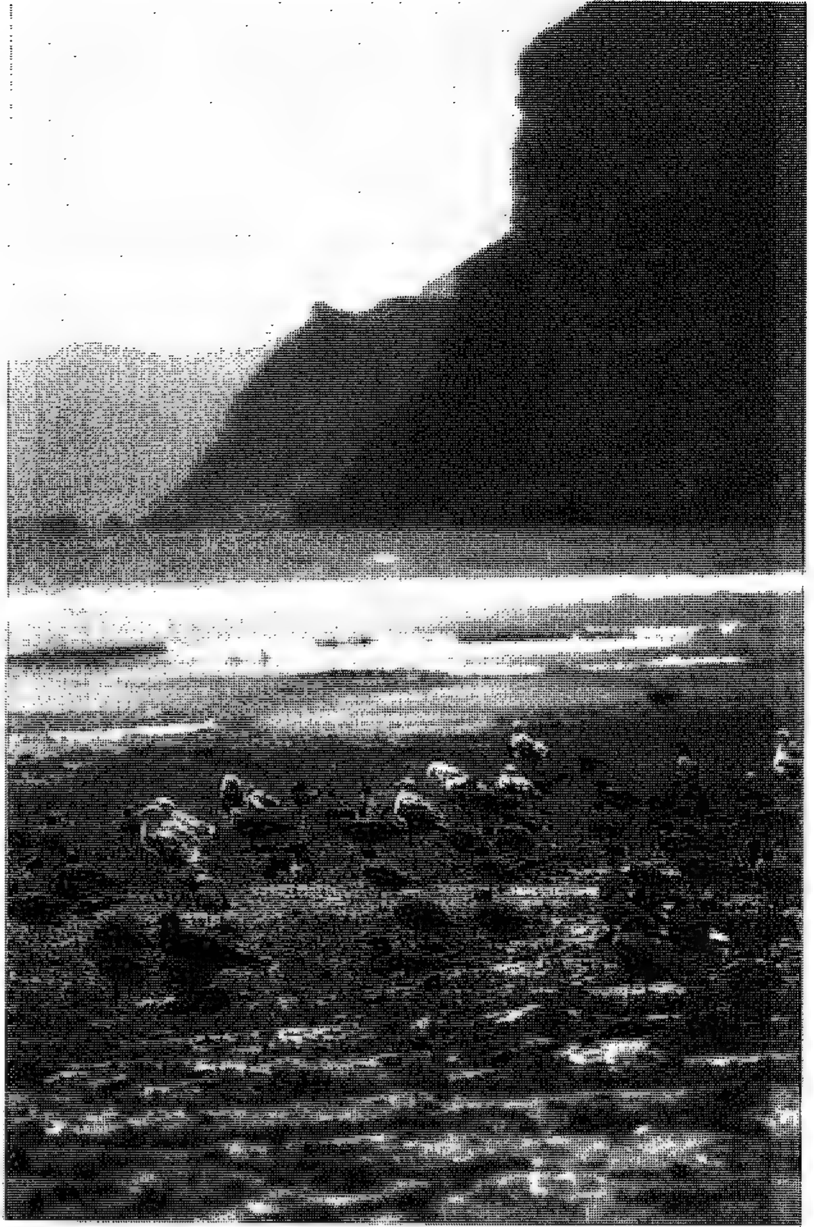
وبعد فترة من الوقت وبعد أن عـدنا إلى يعلوني فكرت في التجربة التـي مررت بها وتوصلت إلى أننـي في هذين اليومين فقط شاهدت عدداً مـن الحيوانات والطيور البرية الصحراوية أكثر بكثيـر مما شاهدته خلال عشـرين سنة من حياة السفر والتنقل في أنحـاء الجزيرة العربية. كيف كان ذلك ممكنـاً ومشروع يعلوني هو مشـروع من صنع الانسان؟.

هنا تـم إقامة قـرية صغيـرة في قلب الصحـراء تضم مرافـق الدعـم التي تحتـاج إليها مثـل هذه المسـتوطنات البشـرية العصـريـة بما فـي ذلـك المـولدات والمنـازل وخـزانـات الـوقـود والورش وخـزانـات الميـاه ومكتـب للشؤون الادارية ومختبر كامل بأجهزة الكمبيوتر. وكانت كل هذه الجهـود موجهة من أجل أن تعيد إلـى الطبيعة ما سبق أن انتزعه منها الانسان.

وبالرغم مـن التناقض الواضح في وجـود التكنولوجيا العصرية الفظة في قلب المنطقـة البرية فإن المشروع قد حقـق نجاحـا رائعاً، فهـو لا يـوفر سبيـل إعادة عقـارب الساعة إلى الوراء فيما يختص بـانقراض الوعول العربية في الصحـراء فحسب بل أصبح يـوفر الحماية لمجمـوعة كبيرة من الحيوانات والطيور البرية ويوفر مصدراً للدخل لأهالي جدة الحراسيس.

مشاهد بحرية

تعتبر الجروف شديدة الانحـدار وهضبة الحجر الجيري الشاهقـة الموجـودة في جزيـرة الفحل مـن أهم المعـالم البارزة التي تميـز مشهد البحر في مسقـط. وهي تشكل فناراً مـلاحياً هـاماً اهتـدى به البحـارة على مـر عصور طـويلـة، من عصـر أهـل مجـان (العمـانيين القـدمـاء)



مشهد للساحل بالقرب من مغسيل في ظفار بين ثراء المد والجزر.

وأسلافهم الذين قاموا بالصيد في هذه المياه منذ أربعة إلى ثمانية ألف سنة والبحارة اليونانيين والرومانيين الذين اكتشفوا هذا السواحل والبحارة العرب ومضطهديهم البرتغاليين الذين خاضوا معارك تاريخية في ظل أجرافها التي تسكنها الصقور وبحارة ناقلات النفط الحديثة وسفن الشحن التي تشاهدها على شاشات راداراتها من على مسافة ٥٠ ميلاً. كما أنها توفر للصيادين العمانيين ملجأ يحميهم من الرياح الموسمية ومنطقة ممتازة للصيد. كما أنها توفر لهواة الغوص الذين يستخدمون أجهزة الغوص بعض أجمل وأفضل مناظر الحياة البحرية الموجودة في منطقة مسقط.

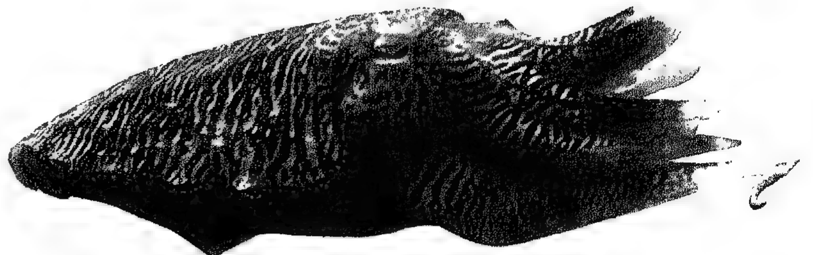
وتتميز جروف الجزيرة بأنها شاهقة لدرجة أن ظلها عندما يسقط فإنه يغطي سطح البحر المحيط بها، وهي من المواقع المفضلة للغوص والذي يتحدد حسب أوقات النهار وحسب حالة الرياح والمد والجزر. وبالرغم من عدم وجود مراسي صالحة لرسو الزوارق في جميع الظروف الجوية، إلا أن هناك خلجان صغيرة توفر أماكن مناسبة لرسو الزوارق الصغيرة.

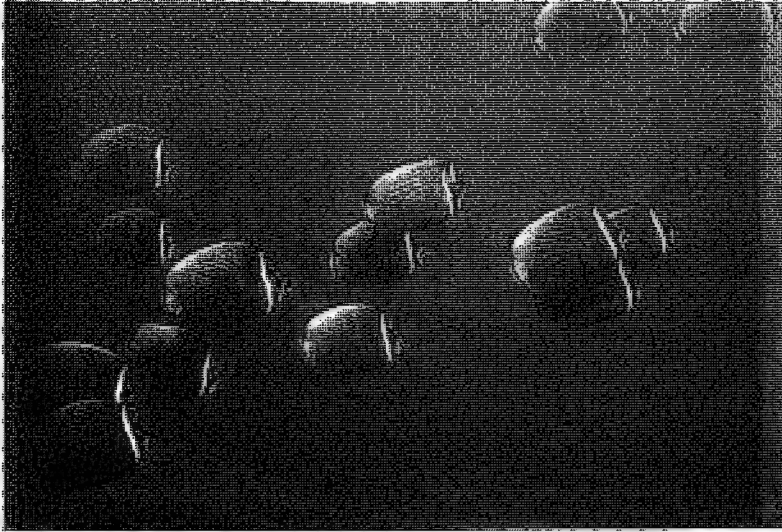
وتبعاً للمنطقة التي يختارها المرء للغوص فإن الصخور تواصل تدرجها تحت سطح الماء أو تكّون منحدراً أقل ميلاناً تشكل عليه القطع المتساقطة من الجروف المتآكلة صدوعاً عديدة وكهوفاً صغيرة تسكنها أسماك الأنقليس الموراي والعديد من الأسماك الصغيرة والأربيان (جراد البحر) والأخطبوط الذي يخرج في الليل من مخبئه. ويتغذى الأربيان على الطحالب وأحيانا على قنافذ البحر الشائكة، بينما يتغذى الأخطبوط على الأربيان. وفي أثناء النهار يتم اعلان الهدنة بينهما لأن كليهما يختبأ من سمك القرش الليموني وسمك الشفنين البحري وسمك الأخفس الضخم.

ويزين المرجان الطري ذو اللون القرنفلي البراق الصخور الموجودة على امتداد الجانب الشرقي للجزيرة ويخلق بذلك حديقة بحرية استوائية رائعة تم فيها استبدال الطيور والحشرات الزاهية الألوان بمجموعة جذابة ومدهشة من الأسماك التي تذكرنا أسماؤها الشائعة مثل أسماك عروسة البحر وسمك الضفادع وأسماك العذارى وسماك الصقر وسمك الشيهم بما نعرفه بصورة أفضل عن الحياة فوق سطح الماء ومدى ميلنا إلى تفسير ما نجده تحت سطح أمواج البحر على هذا الأساس.

وبالطبع فإن هذا التناظر ليس كله دون أساس، فكما يحدث في المستوطنات البرية فإن كل جنس هناك يتأقلم حسب الظروف البيئية المناسبة. وهنا أيضاً

حيوان الحبار يسبح فوق طبقات الأعشاب البحرية.





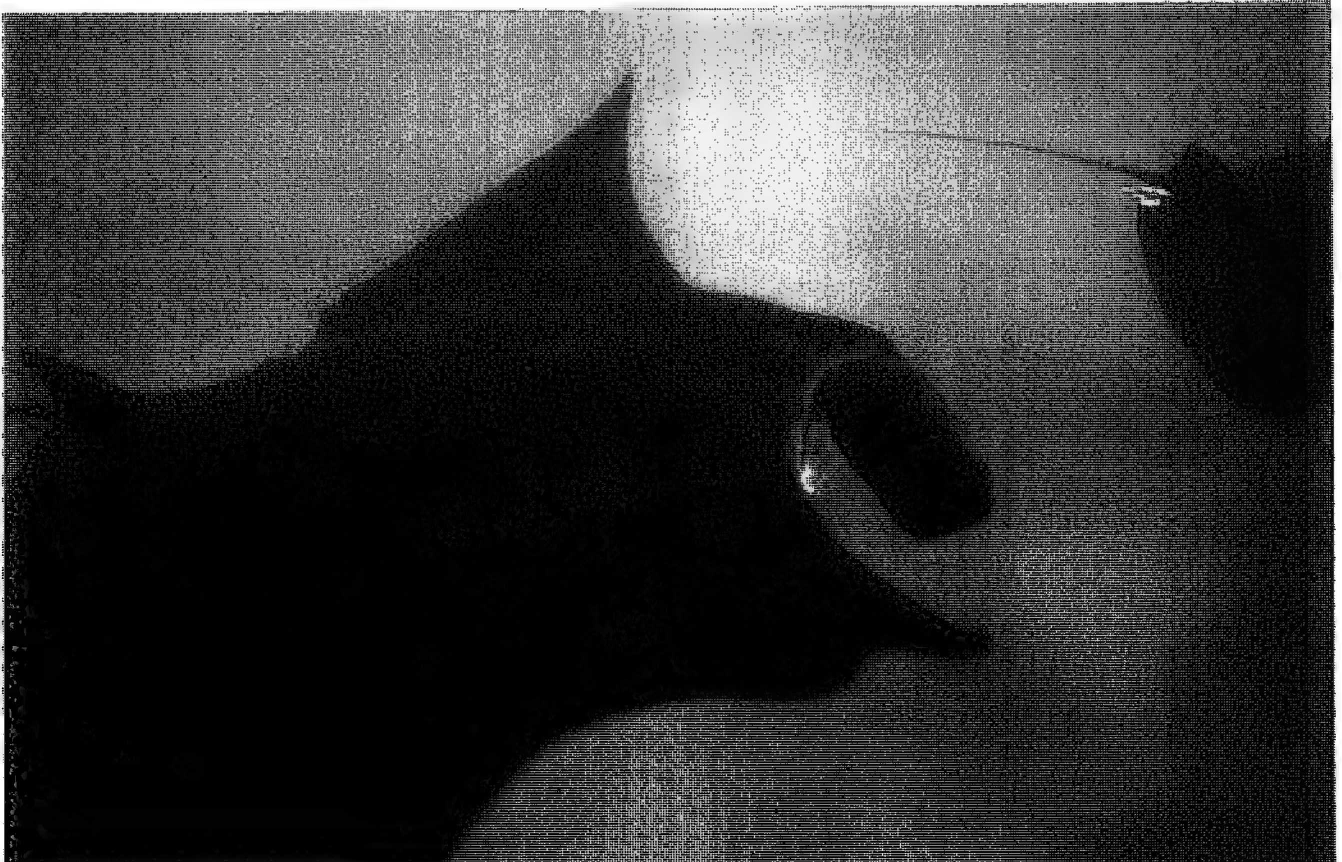
سمكة عروسة البحر.

يعتمد التسلسل الغذائي على الطاقة الشمسية المحولة إلى كربوهيدرات بمساعدة مجموعة متنوعة من الأحياء النباتية التي تتراوح بين الزوكسانثيلا الدقيقة أحادية الخلية والتي تنبتها الطحالب بكفاءة وسطوح الصخور المغطاة بالطحالب الرقيقة ذات اللون الأزرق والأخضر وأخيرا أعشاب البحر الضخمة الموجودة في الجنوب حيث تطفو مياه البحر السطحية الباردة التي تطفو من الأعماق إلى السطح في فصل الصيف والتي تشكل ما يعادل غابة من الأشجارالتي تطرح أوراقها، كاملة بمظلة من أوراق النباتات.

وكانت هناك مجموعة من أسماك عروسة البحر تحوم حول محطة لأعمال التنظيف تنتظر دورها لتقوم أسماك الراس ذات الزعانف الشاكة بتنظيفها بالتقاط الحشرات من بين قشورها بتنظيفها. وكانت أسماك العذارى العنيدة تعترض على اقتحامنا هذا لبيئتها المغطاة بالطحالب.

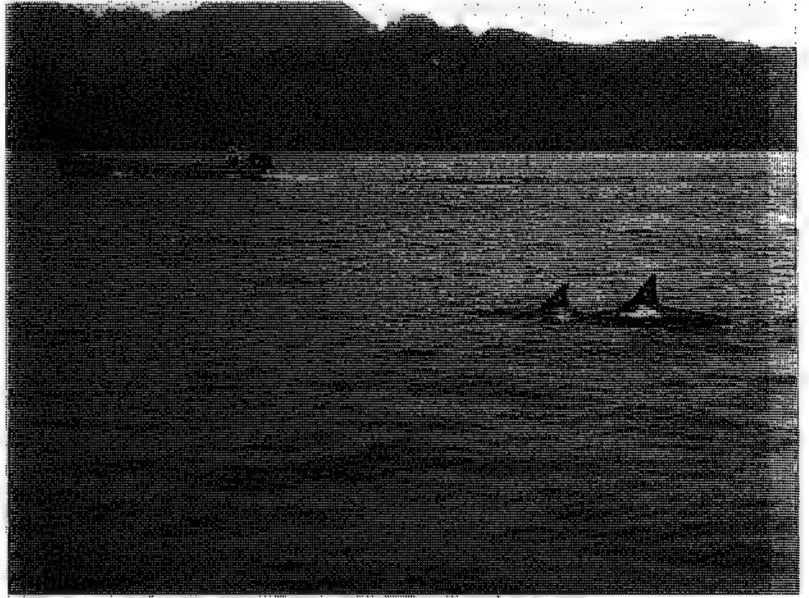
كما كانت هناك سمكة شفنين بحرية كهربية تنام مدفونة إلى نصفها في الرمل. وفوق رؤوسنا كانت تحوم مجموعة من أسماك كاسيوس وهي تتغذى على الكائنات العالقة دون أي يضايقها أحد في الوقت الحالي على الأقل. واحتفظنا بعيوننا مفتوحة عن آخرها نترقب قدوم سمك القرش الضخم الذي يأتي إلى هذه المنطقة من الجزيرة بحثاً عن الطعام، لكنه لم يأت في هذا اليوم. وفي طريق عودتنا من رحلة الغوص وبالقرب من الجرف استقصيت الجرف المعلق الذي قطعته الأمواج والذي يغطي الظل سطحه دائماً فوجدت سمكة صقرية تتشبث بسطح المنحدروعيناها مفتوحتان تترقب مرور صغار الأسماك الغافلة. وشاهدت أيضاً في المياه الضحلة

أسماك الراي تتغذى على العوالق في المياه العمانية.



أخطبوطاً كبيراً متنكراً في شكل أحد الرؤوس المرجانية. وقد سبح رفيقي فوقه مباشرة وربما كانت حركته الطفيفة هي التي جذبت عيني إليه. وبالقرب منه إختبأت سمكتان كبيرتان من الأربيان بين جلمودتين.

وتستضيف جزيرة الفحل مجموعة مختلفة من الأحياء البحرية المحيطية التي تزورها بإنتظام والتي تتراوح بين سمك القرش أبو مطرقة الضخم وسمك القرش الحوتي الضخم والحيتان الضخمة ومجموعات الدلافين اللولبية الواثبة والدلافين العادية والدلافين ذات الأنوف الزجاجية.



الدلافين والصيادون يبحثون عن الأسماك بالقرب من السواحل الصخرية لمسقط.

وقد تم وصف الثدييات البحرية العمانية بأنها من الأسرار الغامضة المحجوبة عن الأنظار في عالم الغوص غير أن سرها قد أفشي الآن دون قصد.

وفي اجتماع لخبراء الحيوانات البحرية الثديية الحيتانية عقد مؤخراً في نيروبي عرض خبيرا البيولوجيا البحرية روبرت بولدوين والدكتور رودني سلم على مجموعة من أبرز علماء الثدييات البحرية في العالم بعض صور الحيتان والدلافين هذه. وكان رد الفعل هو تأييد حماسي للحقيقة التي يعرفها منذ سنوات بالفعل العديد من أولئك الذين قاموا بالغوص في هذه المياه، وهي أن المياه العمانية تعتبر من أفضل المراكز لمشاهدة الحيتان والدلافين في العالم.

إنها مسألة وقت فقط قبل أن يعرف العالم أجمع سر هذه الحقيقة. ولم يتأثر خبراء الدلافين بكثرة هذا المخلوق الوفي المثير في عمان فحسب بل أثارتهم امكانية أن الدلافين اللولبية ذات البطن الوردية اللون والتي يعرفها الصيادون المحليون والغواصون جيداً قد تمثل أول تسجيل في المحيط الهندي لوجود دلافين لولبية قزمة أو ربما دلافين من جنس أدنى أو من جنس جديد تماماً.

لكن ما أدهش الخبراء هو التنوع الكبير في الثدييات البحرية الموجودة في عمان. ويقوم متحف التاريخ الطبيعي العماني منذ سنوات عديدة بتجميع البيانات عن الدلافين والحيتان التي تأتي بها الأمواج إلى الشاطيء، وأعد ــ من خلال الشواهد ــ قائمة بالثدييات البحرية الموجودة في المياه العمانية. كما أقام المتحف صالة للحيتان يعرض فيها على الجمهور نتائج أبحاثه.

وتوجد هناك أربعة أنواع من الحيتان البلينية هي الحيتان المحدبة وحيتان برايد وسي والمنك. وتتوفر الحيوانات الثديية الحيتانية ذات الأسنان بكثرة في عمان، وتم تأكيد وجود عشرة أنواع منها من بينها خمسة أنواع (وربما ستة) من الدلافين وهي الدلافين المحدبة الهندية الباسيفيكية والدلافين ذات الأنوف الشبيهة بالزجاجة والدلافين العادية والدلافين اللولبية (ربما نوعان منها) ودلافين ريسو وخمسة أنواع من الدلافين خماسية الأسنان وتشمل الحوت السفاح الزائف والحوت السفاح وحوت العنبر وحوت العنبر القزم وحوت كوفير ذو المنقار. ومن المعتقد أن العديد من هذه الأنواع تتكاثر في المياه العمانية.

وفي أعقاب انتهائنا من أعمال الغوص في جزيرة الفحل ذهبنا نبحث عن مجموعات الدلافين، واتجهنا جنوباً في مواجهة مسقط مباشرة حيث استطعنا مشاهدة زوارق الصيد وهي عائدة في طريقها إلى اليابسة بعد انتهاء جولتها الليلية.

ولفترة من الوقت شعرت بأن خيبة الأمل لا مفر منها لأنه بالرغم من هدوء البحر ووضوح الرؤية الرائع كان يبدو أنه لا توجد مجموعات كبيرة من الدلافين تبرز من الماء. وبعد نصف ساعة من البحث شاهدنا عن بعد بعض الدلافين. وعندما اقتربنا منها عرفنا من قفزاتها المرحة إنها من نوع الدلافين اللولبية. وفجأة عج البحر بحركاتها المعروفة وأحاط بنا ما لا يقل عن مائة دلفين.

وبالاضافة إلى الدلافين اللولبية، كان هناك بعض الدلافين العادية تسبح بجوار الدلافين اللولبية وعلى مسافة قصيرة منها كانت هناك مجموعة من الدلافين

ذات الأنوف الزجاجية تمرح وتزاول ألعابها المفضلة.

ولأن هذه الأنــواع المختلفة من الدلافيـن كانت قــريبة منــا فقـد كان مــن السهـل علينــا أن نميـز بين أنــواعهــا المختلفة. وكــان العديـد من الـدلافين تسبــح وصغارهــا بجــوارها، وكــان مــن الواضــح أنها تتكــاثـر في الميــاه العمانية.

حاولـت اتباع طريقتي المعتــادة في الاقتراب مــن هذا الكائن الجميل تحت سطح المــاء فأمسكت بحبل السَحْب المتدلي من مقدمة الزورق الذي قطرني وجسمي مجاور له. ونجحت هذه المحاولة واستطعـت أن أشاهد الدلافين عن قرب وغُصــت عميقاً أسفل الزورق قبـل أن أقفز فوق سطح الماء وكلي حماسة ومرح.

لقد كانت تلك أسعد نهاية للنهار الذي قضيته في مياه خليج مسقط.



منظر للساحل عند فنس بين مسقط وصور.

إن مشهد الدلافين من المناظر المألوفة بالقرب من مسقط حيث تشكل مجموعة من الدلافين اللولبية مشهداً مثيراً.


شركة تنمية نفط عمان

تبدو أرض ظفار الخضراء الجميلة متناقضة مع الرأي الشائع والخاطىء والذي يقول بأن الجزيرة العربية تخلو من الخضرة الزاهية.

الوصول إلى ظفار

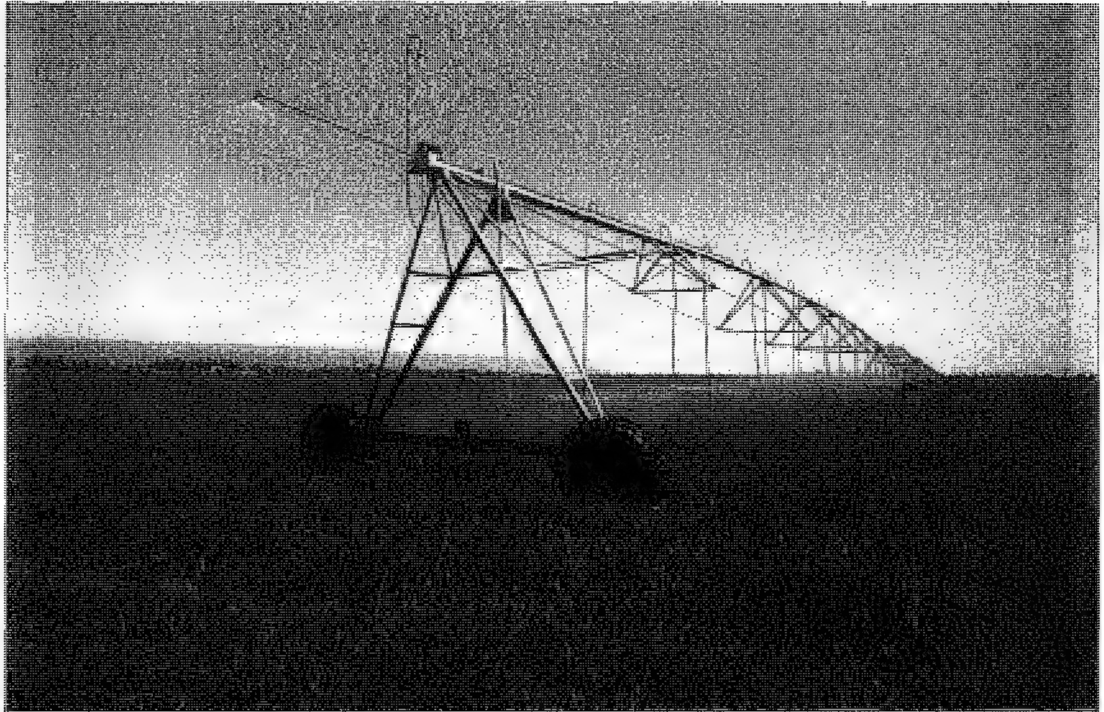
عند اقتراب طائرة شركة الطيران العماني من صلالة، تستقبل المرء في البداية خشخشة هضبة التلال المتآكلة التي تخددها آلاف القنوات المتصلة عند قاعدتها بقاع وادٍ عريض ملتوٍ يحمل ندبات مجموعة من الأشجار التي لا يمكن التعرف على أنواعها من هذا الارتفاع الشاهق. لكننا قمنا بعد ذلك بجولة بالسيارة على طريق كثير المهاوي والمطبات وأمكننا تأكيد أن هذه الأشجار هي بعض أشجار اللبان التي تشتهر بها منطقة ظفار.

ومع هبوط الطائرة التدريجي في اتجاه البحر كان هناك شريط طويل من السحاب يحدد قمة الجبل الممتد في خط مواز للساحل في هذه المحافظة الجنوبية. وأسفل الطائرة مباشرة كانت الأرض لا تزال تبدو جرداء تماماً لكننا سرعان ما اقتربنا من السحب واستجابت الطائرة للتيارات الحرارية القوية باهتزازات غير مريحة. ومع استمرار الطائرة في الهبوط ملتفة يميناً في اتجاه الساحل مرت بسرعة فوق المناطق المختلفة التي تميز الشريط الساحلي وبات في استطاعتنا الآن أن ننظر إلى السحب التي تحتنا ونلقي نظرة إعجاب على جوانب التل الذي يبدو أن طبقته السطحية الخضراء الرقيقة قد حمت سطحه من عواقب التعرية الواضحة.

وكانت انحدارات التل هنا أقل نتوءا وأسهل في تدرجها من تلك الموجودة في المناطق الداخلية كما كانت أشكالها الدائرية نسبياً تقطعها آثار عجلات مجموعة متنوعة من السيارات التي لم يكن هدفها يتعدى كما كان الأمر يبدو من الجو، وضع توقيعات غير مقروءة فوق هذا المنظر الجميل.

وفي الحال شاهدنا أول إشارة تدل على استيطان هذه المنطقة، فقد شاهدنا قرية جبلية معزولة. ومالت الطائرة على جانبها بحدة فوق شريط من السحب الكثيفة التي حجبت عنا للحظات رؤية الأرض.

وعندما بزغت الطائرة بعد ذلك من السحب لمحنا



أدخل نظام الري المحوري ثورة على الانتاج الزراعي في العديد من مناطق الجزيرة العربية. وفي هذه الصورة نشاهد هذا النظام المستخدم في مزارع شركة أعلاف ظفار في صلالة.

البحر بوضوح لأول مرة، ثم صارت السحب كثيفة مرة أخرى لتترك في أذهاننا انطباعة شغوفة عن الشواطىء البيضاء الطويلة التي تتلاطم عليها الأمواج. وعندما بزغت الطائرة من السحب للمرة الثانية أصابتني الدهشة لأنني رأيت أسفل الطائرة طرف اليابسة المتقدم من البحر والمواجه لجانب الجبل شديد الانحدار تغطيه خضرة وافرة ذكرتني من هذا الارتفاع الشاهق بمنحدرات غابات الأمطار الاستوائية في جزر السيشل الغرانيتية الواقعة في المحيط الهندي على مسافة ألف ميل في اتجاه الجنوب وهي آخر شيء يتوقع المرء أن يراه في الجزيرة العربية.

إن قراءاتي العديدة عن التأثيرات المشتركة للرياح الموسمية وحركة تغير المياه السطحية الباردة والمسؤولة عن تمتع ظفار بهذا المناخ الفريد لم تستطع أن تخمد احساسي الأول بالاثارة الأولية عند مشاهدة مثل هذه الجزيرة الغنية بالمتناقضات والتي تحيط بها الصحراء العربية التي تثير رغم قسوتها، الذكريات والأحاسيس أيضاً.

وكان الوقت هو وقت الغروب تقريباً وكانت السحب الممتدة تحتنا قد خفت كثافتها إلى حد ما، لكن لم يكن هناك ما يحجب هذه المظلة الكثيفة من الأشجار التي تشكل هذه الغابة الجذابة التي يكتنفها الغموض.

وعند الالتفات إلى الخلف إلى قمة الجبل كان لا يزال بوسع المرء أن يرى مشهد التل المجدب الممتد حتى خط الأفق. وأصبحت الطائرة الآن في مرحلة الهبوط الأخيرة واستطعنا تمييز العديد من التفاصيل الموجودة فوق الأرض، مثل الأماكن المسورة التي يحفظ فيها الانسان الماء، وجزر خضراء يتكرر ظهورها بين الحين والآخر. ثم شاهدنا بساطاً أخضر اللون دائرياً ضخماً هو نتائج نظام الري المحوري والذي استطعنا فيما بعد أن ننسبه إلى شركة ظفار لعلف الماشية. ومع اقترابنا من مدرج الهبوط مررنا بصف من المنازل التي كانت حدائقها مليئة بالأشجار وكأنها واحات خضراء في منطقة مجدبة بنية اللون.

وقبل أن تلمس عجلات الطائرة الأرض شاهدت بعض الأراضي المروية الأخرى التي ذكرتني بخضرة أيرلندة الشهيرة وشاهدت على البعد مدينة صلالة.

وأخيراً هبطت الطائرة ووصلنا إلى محافظة ظفار موطن الملكة سبأ واللبان والعديد من العجائب الطبيعية الأخرى. وأثناء اقتراب الطائرة من مبنى صالة الوصول نظرت أمامي وشاهدت قمم الجبال المرتفعة تكسوها السحب التي كانت تحجب عني منذ لحظات هذه الجبال الغامضة.

وفوق السحاب كانت السماء لا تزال بلونها الأزرق الصافي رغم أن الساعة قد تجاوزت السادسة مساءاً وفي خلال دقائق سوف تهبط ستارة الظلام لتحجب عني رؤية هذه المنطقة المثيرة من عمان التي اشاهدها لأول مرة.

القديم والحديث

عندما تخرج من الباب البحري لفندق إنتركونتننتال توجه نحو اليمين وإمشِ لبضعة مئات من الأمتار على امتداد الشاطىء في اتجاه مجموعة المنازل الحديثة الموجودة في منطقة رأس الحمراء المقامة فوق قمة المنحدر التي

إس كاي

توفر غابات أشجار القرم مستوطنات خضراء فريدة للطيور وبيئة رعاية هامة ومنطقة لتغذية الحياة البحرية.



طائر القرلي (الرفراف) في العذيبة.

هان وجينز إريكسين

سبق لانسان العصر الحجري أن اكتشفها كموقع سكني ممتاز. وقبل أن تقطع مسافة طويلة ستلاحظ أن العمران قد انحسر أو توقف نظراً لوجود قناة تقطع الشاطىء وتتجه إلى «سبخة» تملؤها أشجار القرم (أو تأتي منها حسب حالة المد والجزر).

إن مصطلح «سبخة» هو مصطلح مضلل في معظم الحالات، وهو كذلك في هذه الحالة على وجه الخصوص لأن الأرض الموجودة بين أشجار القرم التي تصطف على جانبي القناة هي أرض صلدة وعندما تطؤها الأقدام فإنها لا تمثل أي خطورة تذكر.

وعليك بعد ذلك أن تمر حول حافة القناة عبر الشاطىء ثم حول القوس الحاد لتصل النقطة التي يبدأ عندها الشاطىء الرملي ولتعثر على أشجار القرم ـ هذه الأشجار البحرية الغريبة والضارة ـ متناثرة في البداية ثم كثيفة بعد عدة أمتار.

وعليك بالسير لمسافة قصيرة متبعاً الممر غير المعبد الذي نشأ من كثرة ماداسته أقدام السائرين وحيث نزعت منه أقدام الصيادين جذور أشجار القرم العالقة في الجو. وعندئذ وحسب حالة المد والجزر تجد نفسك إما سائراً فوق أرض جافة أو ينتهي بك المطاف خائضاً في الماء حتى كاحليك.

وفي كل الأحوال فإن موقع المنطقة التي تتغلب فيها القناة التي يخددها المد والجزر على الأرضية السوداء اللون واضح تماماً، وهي تشكل الحافة الخارجية لمنطقة غابة أشجار القرم والتي تتميز بتشابك جذورها وسقوط فروعها في القناة.

إن أي شخص يشك في مدى صدق النداءات المتكررة للمهتمين بالمحافظة على أشجار القرم عليه أن يقف هنا ويتأمل بهدوء هذا المشهد المشرق الذي يظهر عند المد والجزر.

وتجد طائر القرلي (الرفراف) الأخضر يتلألأ بين الأغصان المتدلية والسطح الوامض في انتظار اقتناص غنيمة من صغار الأسماك. إنه لا يعاني من الجوع مطلقاً. وبين غابة الجذور الدقيقة المنتشرة على ضفة القناة تجد الملايين من الأسماك الصغيرة التي تحتمي بجوار الجوانب وتحاذر من المخاطر والتغلغل في القناة الرئيسية حيث قد تتعرض لأن تفترسها الأسماك الكبيرة. إنها السلالة التي ستنمو منها

العديد من الأسماك البحرية الكبيرة التي يتم صيدها على نطاق تجاري في عرض البحر.

إن انخفاض مخزون السمـك في البحار لا يرجـع إلى فرط أعمـال الصيد فقط بـل إلى تقلـص مناطق مـواطنه المختلفـة أيضاً مثـل تلـك المنطقـة. لقد كنـت أتمنـى أن أستطيع عـرض هذا المشهد علـى المسؤولين عـن اتخاذ القرارات في أنحـاء المناطق الاستوائية والذيـن يجادلون في عدم الحاجة إلى المحافظة على أشجار القرم.

لقد كان الصيادون يزورون منطقـة أشجار القرم في منطقة القـرم منذ ٦٠٠٠ سنة علـى الأقل. ونظـرة واحدة تحت أقدامنـا تفسر بوضوح لماذا كانـت هذه الشجيرات البحرية أداة جذب مغناطيسية.

وإذا تغـاضينا للحظـة عن حـركـات القفز والغـوص المستمرة في القناة والتي تقوم بها أسماك اللبن والسمك النهاش، صغيرها وكبيرها (بالـرغم من أن أسماك هذين النوعين كانت توفر غلة جـذابة لأنها تخاف بسرعة وتقفز خارج المـاء لتهبط فـوق فروع أشجـار القرم)، نجـد أن الصيادين لا يحتاجون إلى تبليل أقدامهم ليجمعوا طعاماً مغـذيـاً مـن منطقة أشجـار القـرم لأن الأرض المحيطـة بالجذور المشعة المعلقة في الجو كانت مليئة بالرخويات المختلفـة الصالحـة لـلأكل مثـل الأويستـر والولـك. إن رخـويـات الأويستر تتكـاثـر بسـرعـة هنا والمـاء غنـي بالطعـام. ويبدو من الـواضح أن تعـدادها يحكمه عـامل توفر السطوح المناسبة لتكاثرها أكثر من أي شيء آخر.

وقد تم تحويل مثل هذه المـواقع في الدول الاستوائية إلى مـزارع ضخمة لتربية رخـويات الأويستر وذلـك عن طريـق اقامة منصات رأسيـة في المناطق الضحلـة تنمو عليهـا الـرخـويـات بكميـات ضخمـة. وبفضـل جهـود واهتمامـات الحكومة العمانيـة المعتنية بالمحافظـة على البيئة تمـت المحافظة على منطقـة أشجار القرم هـذه في حالتها الطبيعية لتشكل منطقة طبيعة رائعة تحيط بها من ثلاثة جوانـب بعض المدن العصرية ومن الجـانب الرابع البحر.

ولم يتـوقف الأمر عند هـذا الحد، فباستثناء رخـويات الأويستر والـولك التي لها مغـزى هام سواء من النـاحية التجـاريـة أو الاجتمـاعيـة والمتعـة الجمـاليـة التـي توفرهاالطيـور فإن غابة أشجار القرم مليئـة بالسراطين (السلعطون) اللعوبة التي تلوح بمخالبها.

إننـي أعلم أن بعـض المصوريـن المتخصصين فـي تصويـر الحياة البريـة والبحرية وخبـراء البيولوجيـا قد سافروا لآلاف الأميـال لتصوير ودراسة هـذه السراطين الغريبـة، غير أنها متـوفرة هنا بكثـرة ولا يعلم بوجـودها الكثير من الناس.

لقد شاهدت هنا أيضاً ولأول مرة طائر الماء أو خولي الأرز وهو الطائر الخواص الجذاب الـذي يزور شواطىء عمان باستمرار.

صحيـح أن الأفـلام التسجيليـة والمجـلات والكتـب المتخصصة التي تتنـاول الحياة البرية والبحـرية تؤدي مهمة جليلة فـي تعليم الجمهور وفي ارباكـه أيضاً، فهي من ناحيـة تجعلنا نقدر ونعشق المناظر الـرائعة للطبيعة التي يجلبهـا إلينا المصـورون الجريئـون والمخلصون، ومن ناحيـة أخرى تجعلنا نتوقـع أن ما نراه على شـاشة التلفزيون أو السينما أو علـى صفحات الكتب والمجلات المصقـولة يمثـل الطبيعـة البحتة. إنهـا بـالطبع صـور محضة في الغالـب لكن ليس لدينا جميعاً عـدسات كبيرة اتساع بؤرتهـا ٦٠٠ مم أو مخابىء مموهـة نستطيع منها مشاهـدة الحياة البـرية أو البحـرية التـي نصادفهـا في حياتنا اليومية.

وهذا هـو أحد الأسباب الأخـرى وراء أهمية مثـل هذه المواقع مثل مـوقع غابة أشجار القرم فـي القرم لأن هذه المواقع لا توفر لنا أماكـن هادئة بالقرب من المستوطنات السكنيـة الكبيـرة فحسـب بل تتيـح للجمهـور فـرصـة مشاهدة مناظـر طبيعية شبيهة بتلك التي يشاهـدها على شاشـة التلفزيون. وهكـذا فهي تخـدم كوسيلة لتعـزيز تقديرنا للطبيعة وللدور الحيوي الذي تلعبه المستوطنات الرئيسية الخاصة بالحياة البرية والبحرية.

وبينما يكـون من السهـل نسبياً تصـور مدى تـأثير حركة التعمير العصرية على الحيـاة البرية والبحرية في عمان، واتخاذ الاجراءات الفعالة ـ في العديد من الحالات ـ للحد مـن تأثير حركـة التعمير إلى أقصى درجـة، فاننا كمـا يبدو نـدرك إدراكـاً مبهماً كيـف أن الحيـاة البريـة والبحرية قد تغيرت عبر السنين.

إن تدميـر الحياة البـرية والبحـرية قـد بدأ منـذ زمن انسان العصر الحجـري واستمر بدرجات متفـاوتة حتى عصرنـا الحالـي. وقد ساعـدنا خبـراء الآثار فـي جمـع الأدلـة المتعلقـة بـالعصور المـاضيـة عندمـا كانـت التباينات المنـاخية في عمان تؤازر حياة بعـض الكائنات التي لم تعـد تعيش هناك والتي إنقـرض بعضها الآخـر. وباستثنـاء العظام القـديمة والاحفوريـات التي تـزودنا بمثـل هذه الأدلـة، فـإن هناك مجمـوعـة من الأوصـاف

المدونة عن التاريخ الطبيعي القديم والصوصيولوجيا الخاصة بالجزيرة العربية.

وترجع العديد من هذه الكتابات إلى حوالي ٢٠٠٠ سنة وتتضمن تلك التي كتبها بليني والمؤلف المجهول لكتاب «بربيلس الدليل الملاحي للبحر الارتيري» والنص الذي تمت ترجمته مؤخراً والذي كتبه أجاثارشيدس السنيدوسي وهو كاتب بطليموسي يثير الاعجاب بصورة خاصة لما كتبه وكشف فيه النقاب عن الحياة البرية وبيئتها في جنوب الجزيرة العربية بأكلمها بما في ذلك عمان.

إن أهمية مثل هذه النصوص في تعزيز مدى فهمنا للحياة البرية التاريخية في عمان لم يتم التأكيد عليها في نظري، ومع ذلك لم يسترشد الكثير من البيولوجيين بهذه المصادر. وبالاضافة إلى ذلك يبدو أن العلماء الذين ترجموا وفسروا النصوص القديمة لم يأخذوا الشواهد البيولوجية في الحسبان.

لقد أدركت ذلك للوهلة الأولى أثناء قراءة ملحمة جلجامش التي تعتبر أقدم ملحمة في العالم. وهي محفوظة على ألواح مسمارية تم اكتشافها في بلاد ما بين النهرين وتم نقشها منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة. وتحكي القصة كيف أن جلجامش بعد أن تخطى فترة شبابه المثيرة ووصل إلى منتصف العمر أبحر إلى بلاد دلمون بحثاً عن سر الشباب الأبدي (اكسير الحياة).

وأخيراً أشفق عليه أحد الكهنة في دلمون (البحرين) وأطلعه على «سر الشباب الأبدي». وقال له إنه إذا غطس في البحر فسوف يجد زهرة شائكة سوداء اللون .. حادة لدرجة أنها تنخز مثل شوك الورد. وتحتوي هذه الوردة على سر الشباب الأبدي. وتواصل القصة كيف أن جلجامش قد قفز في الماء فعلاً واقتلع الزهرة.

لكن للأسف نهشتها منه أفعى قصيرة وأصبحت هي التي تتمتع «بسر الشباب الأبدي» القوي.

وكان هناك بقية لهذا الجزء من القصة جذب اهتمامي بصورة خاصة أكثر من غيره لأنني شعرت بأن فيه ما يكفي لمحاولة تخمين مصدر الاسطورة. إن أي شخص سبق له الغوص في المياه الضحلة في البحرين أو بالتأكيد حول عمان لابد أن يكون قد شاهد «زهرة الشباب الأبدي» لأن الوصف السابق يطابق بدقة ذلك الخاص بالقنفذ البحري الشائك الأسود اللون والشائع بكثرة في عمان وهو ربما ما انتزعه جلجامش.

وكمسألة فرعية مثيرة فإن الغدد التناسلية للقنفذ البحري لا تزال تعتبر في أنحاء عديدة من العالم عقاراً أو طعاماً مثيراً للشهوة الجنسية. إن وصف هذا القنفذ بالوردة ينبغي ألّا تحجب عنا حقيقة هذه المسألة. لأن الكثير من الناس حتى في وقتنا هذا يخطيء ويعتبر القنافذ البحرية الشائكة نباتاً وليس حيواناً.

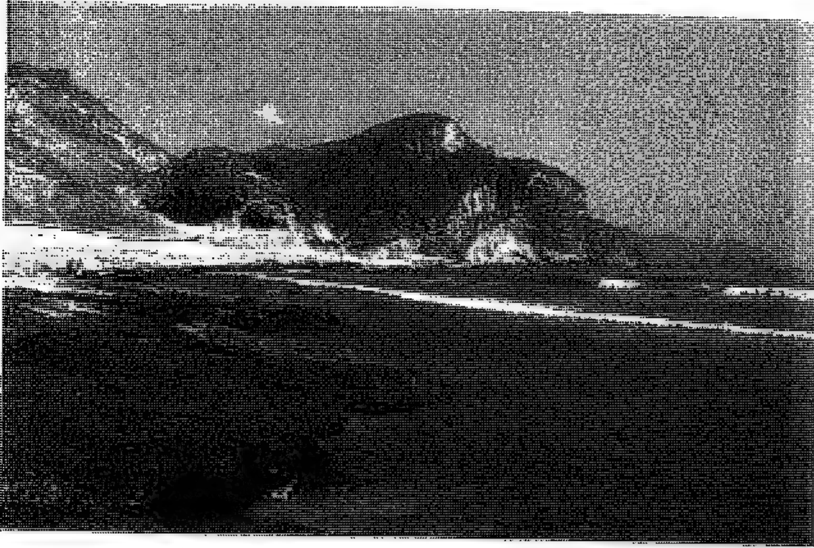
لكن ماذا عن بقية القصة؟. لقد عملت أثناء حرب الخليج في انتاج فيلم وكتاب عن الآثار البيئية للحرب (تقلبات الحرب) مما استدعى سفري إلى البحرين لتصوير بعض اللقطات تحت سطح الماء. وكانت هذه هي أول مرة أشاهد فيها ثعابين البحر وأمضيت إسبوعاً كاملاً تقريباً في تصوير هذه الزواحف وأصبحت على دراية واسعة بسلوكها. وكان من الواضح أن هذه الزواحف هي الأفاعي التي جاء ذكرها في ملحمة جلجامش. لم يكن من المدهش أن تنتهي القصة بأن تسرق «الأفعى» «سر الشباب الأبدي» لأننا شاهدنا الثعابين الموجودة في المياه الضحلة التي لا يتجاوز ارتفاعها كاحل القدم تغير جلدها وتخرج كثعابين بحرية زاهية الألوان وكأنها «ولدت من جديد».

وقد انصب اهتمامنا على وجه الخصوص على هذه المسألة لأن الثعابين التي طرحت جلدها كانت تتمتع برؤية أوضح من رؤية الثعابين التي كان جلدها قديما والتي تقشرت قشورها الموجودة فوق العينين. لقد كانت ثعابين البحر شائعة بكثرة في المناطق الضحلة ولذلك فليس من المتصور أن القدماء لم يعرفونها ويدركوا سلوكها الغريب.

وبأخذ هذه التجربة في الاعتبار يصبح من المفيد أن نلقى نظرة أخرى على الفقرات المدرجة في كتاب أجاثارشيدس والمتعلقة بعمان. فقد كتب أولاً ما يلي عن «أكلة السمك» الذين عاشوا عند سواحل الجزيرة العربية:

إن جميع مناطق المياه العميقة القريبة من الشاطيء معادية لأسلوب حياتهم مثلها في ذلك تماماً مثل المناطق الموجودة على امتداد الشاطيء لأن مثل هذه الأراضي لا توفر صيداً وفيراً من الأسماك أو أي كائنات شبيهة. وتنتشر مساكن أكلة السمك على طول الشواطيء الصخرية التي تتميز بمنخفضات عميقة ووديان (وهدان) غير منتظمة وقنوات ضيقة وخلجان مقوسة.

وعندما تتوفر هذه الأماكن فإنهم يضعون بعض



المعالم الساحلية للشواطىء العمانية بالقرب من فنس.

الجلاميد الخشنة عند المنخفضات ويشكلون بها عدة ممرات ضيقة، ومن ثم فعندما يأتي المد تغطي مياه البحر الشاطىء الصخري بأكمله بالمياه التي تجلب معها من المضيق الأسماك التي تمكث بالقرب من الشاطىء باحثة عن الطعام في الفجوات المحمية. وعندما يحدث الجزر مرة أخرى ينجرف الماء عبر الحجارة والممرات ويعود إلى الأعماق التي تجذبه ويظل السمك موجوداً في التجاويف فريسة سهلة وطعاماً مغذياً لأكلة السمك. وكما قلنا يمكن السيطرة على أنواع الأسماك الأخرى بسهولة، لكن عندما تقع أسماك القرش وعجول البحر الضخمة نسبيا والعقارب البحرية والأنقليس وغيرها من الكائنات الشبيهة في المصيدة تصبح هذه العملية خطيرة.

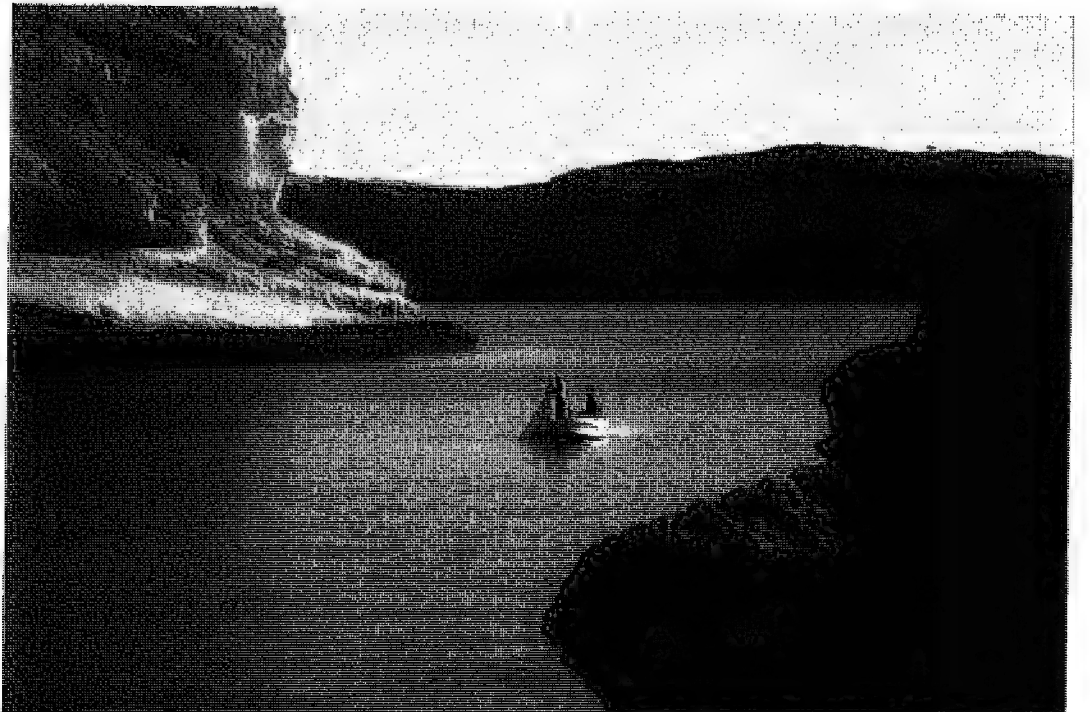
لقد تمت كتابة هذا النص في حوالي عام ١١٠ ق.م. وهو يمثل وصفاً دقيقاً للاسلوب الذي كان يتبعه أكلة السمك في العثور على طعامهم. ومن الواضح أن سكان الساحل كانوا على دراية بكيفية استغلال ظاهرة المد والجزر في صيد الأسماك.

وإحدى النقاط الهامة التي يثيرها هذا النص هنا أنه ذكر «عجول البحر الضخمة» لأنه لم يتم في الوقت الحاضر اكتشاف وجود عجول البحر في البحر الأحمر أو في جنوب المحيط الهندي. وعلى ذلك فإن هذه الكائنات التي تمت الاشارة إليها قد إنقرضت على ما يبدو.

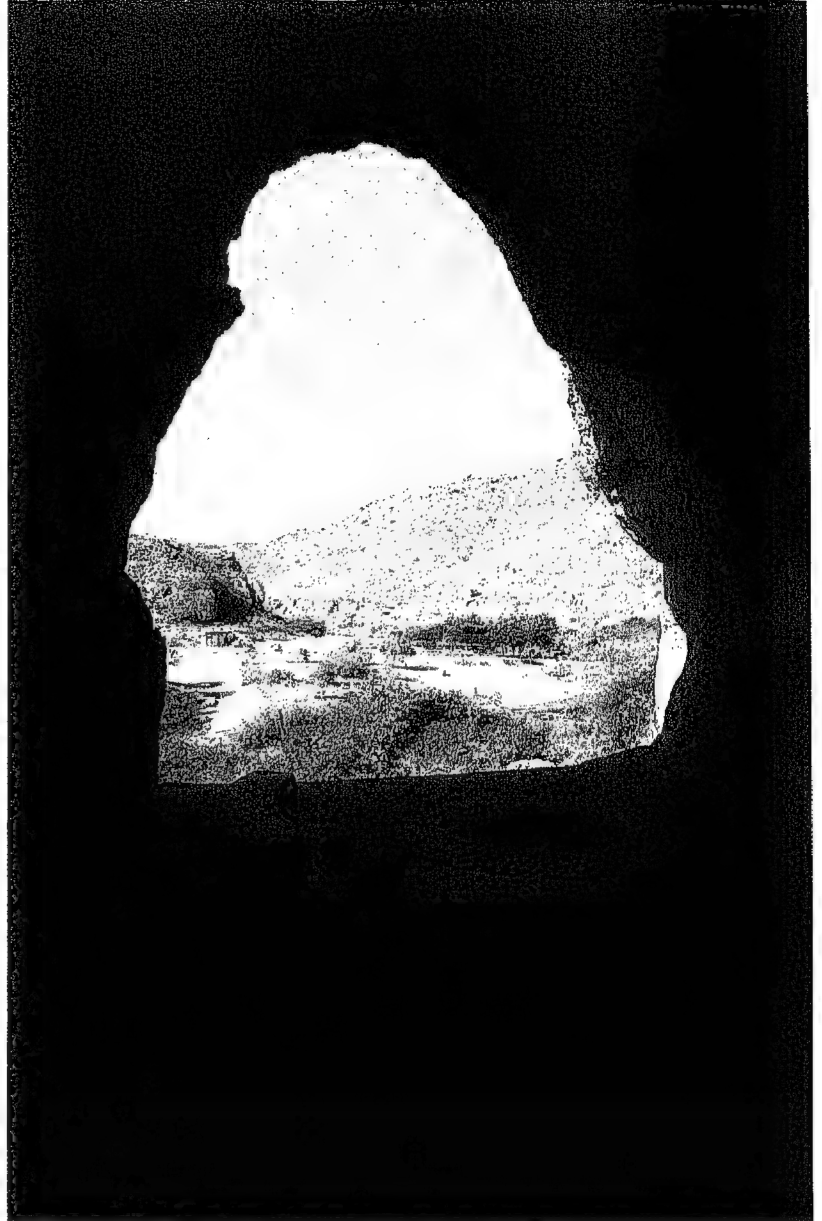
وهذا يدعو إلى الأسف لأنها كانت كائنات ودودة لا تخاف من الأنسان كما سنرى في الوصف الموجز التالي:

من المدهش ان عجول البحر التي تعيش وسط هؤلاء الناس تصطاد السمك بطريقة مماثلة لتلك التي يستعملها الانسان. وهي بالمثل تعامل بعضها البعض باخلاص تام فيما يتعلق بملاجئها وسلامة صغارها.

أو:



«تقع بيوت أكلة السمك على امتداد الشواطيء الصخرية التي تتميز بوجود منخفضات ووديان غير منتظمة وقنوات ضيقة ووديان وخلجان مقوسة» (أجاثارشيدس، في حوالي عام ١٠٠ ق. بم).



«يعيش البعض في الكهوف وخاصة تلك التي تواجه الشمال». (أجاثارشيدس).

إن الناس الذين يعيشون بالقرب من أكلة السمك الذين لا يتعرضون للظمأ أبدا وكأن هناك معاهدة بينهم وبين عجول البحر لا يمكن خرق نصوصها فهم لا يضايقون عجول البحر وبالمقابل لا ينالهم الأذى منها. وكانت كل مجموعة تحترم فريسة الأخرى دون أن تتآمر أي منهما على الأخرى. وهكذا فإنهم يعيشون في تعاون وثيق مع بعضهما بطريقة يصعب أن نجد لها مثيلاً بين مجاميع الناس التي تعيش مع مجاميع أخرى.

وكان البطالسة يعرفون عجول البحر جيداً لأنها كانت تعيش في البحر المتوسط ولا يزال بعضها هناك. وكانوا يعرفون طبيعة ما وصفوه. ويمكننا أن نتأكد من خلال التفاصيل أن عجول البحر كانت من الكائنات المعروفة في ذلك الوقت في سواحل البحر الأحمر وجنوب الجزيرة العربية. ويصبح هذا الوصف أكثر جدارة بالثقة في مدلوله عندما نطلع على بعض الشواهد الحديثة لعجول البحر في المنطقة. فقد ذكر البحارة الفرنسيون الذين وصلوا أولاً إلى جزر السيشل في القرن الثامن عشر أنهم شاهدوا عجول البحر تتنقل على الضفاف الرملية. كما شاهد ويلستد جلد أحد عجول البحر الصغيرة في أوائل القرن التاسع عشر بالقرب من رأس بنياس على البحر الأحمر وقال له الصيادون المحليون ان هذا النوع شائع في المنطقة. بل إن البعض يوحي بأن عجول البحر لا تزال موجودة في المياه العمانية. وهذا أمر لا يمكن أن يتجاهله المرء بسهولة خاصة وأن هناك مساحات شاسعة من السواحل العمانية لم يكتشفها الخبراء بعد.

وهناك بعض الأجزاء الأخرى في كتاب أجاثارشيدس توحي بارتباط كتاباته بعمان. ففي أعقاب الفصل الخاص بعجول البحر وفي اشارة صريحة لأكلة السمك الذين يعيشون بعيداً عن البحر الأحمر بالمعنى المحدود للكلمة يصف أجاثارشيدس مساكنهم كما يلي:

لا تقطن هذه القبائل في مساكن متشابهة، لكنهم يعيشون في مساكن تختلف طبقاً لخصائص البيئة، فبعضهم يعيش في الكهوف وخاصة تلك التي تواجه الشمال بحيث يرطبون أنفسهم بظلها العميق وبالنسيم المندفع حول هذه المنطقة لأن الكهوف التي تواجه الجنوب تكون حارة كالأفران ولا يستطيع الانسان أن يقترب منها نتيجة لشدة حرارتها.

أما هؤلاء الذين لا تتوفر لديهم كهوف في مواجهة الشمال فيجمعون بعض ضلوع الحيتان التي تحملها أمواج البحر إلى الشاطىء. ولأن هذه الضلوع متوفرة بكثرة فإنهم يضفرون العظام المقوسة من كلا الجانبين ويسندونها في مواجهة بعضها البعض ثم يوثقونها باستخدام الأعشاب البحرية الطازجة. وعندما ينتهون من تغطية هذه الغرف المقواة يلجاون إليها في فترات الحرارة الشديدة.

ويمكن هنا استخدام المعلومات البيولوجية المتوفرة في الربط المحتمل لهذه الواقعة بساحل ظفار حيث لا تزال أمواج البحر تحمل الأعشاب البحرية وعظام الحيتان إلى الشاطىء في آن واحد غير أن إنقراض الحيتان يعني قلة أعداد الهياكل العظمية التي تحملها



الأمواج إلى الشاطىء.

ويواصل أجاثارشيدس وصفه للنوعين الآخرين للمساكن والذي ينطبق أيضاً على ظفار:

تنمو العديد من أشجار الزيتون في هذه المناطق وتقذفها أمواج البحر إلى الشاطىء. وهي تتميز بأوراق سميكة وبثمار تشبه الكستناء الحلوة.

ومن الواضح أنه يقصد بذلك أشجار القرم. ويواصل وصفه كما يلي:

إنهم يضفرون هذه الأشجار ويشكلون منها منطقة مظللة ويقيمون في تلك الخيام الغريبة، ويقضون حياتهم في نفس الوقت في البر وفي البحر وهم يعيشون عيشة مرضية ويتفادون حرارة الشمس عن طريق الظل الذي توفره فروع الأشجار ويخففون من حدة الحرارة الطبيعية في هذه الأماكن باحتضان الأمواج والاسترخاء في ظل النسمات الرقيقة التي تندفع حولها.

وينطبق هذا الوصف أيضاً على الساحل العماني وإن كان لا يقتصر عليه. لكن العبارة التالية تبدو وكأنها تنطبق تماماً على عمان:

... تراكمت كمية ضخمة من أعشاب البحر التي أتت على امتداد عصور سحيقة في القدم، وهي تشبه الجبل في مظهرها. وباتت هذه الكومة المضغوطة بفعل ارتطام الأمواج المستمر ذات بنية ثابتة واختلطت بالرمل. وفي هذه الأكوام يحفر الناس حفراً لهم بحجم الرجل ويتركون الجزء الموجود عند القمة صلداً بينما يقيمون ممرات في الجزء السفلي يوصلونها ببعضها البعض عن طريق أنفاق محفورة في الكومة. وبهذه الطريقة يرطبون أنفسهم عن طريق الأنفاق ولا يزعجهم شيء. لكن عندما يأتي المدّ فإنهم يندفعون خارجين منها ويجمعون السمك. وعندما ينسحب الجزر يعودون إلى الغرف ويقيمون الولائم اعتماداً على ما بداخلها من صيد. وهؤلاء الذين يموتون يقيمون لهم مراسم الدفن في وقت الجزر ويتركونهم في المكان الذي توفوا فيه إلى أن يأتي المد فيقذفون بهم إلى البحر. وهكذا فبإعادة أجسادهم لتكون مصدر طعام للسمك فإنهم يتبعون إسلوباً في الحياة يتبع نفس الدورة الأبدية المتواصلة بصورة مدهشة.

«تنمو العديد من أشجار الزيتون في تلك المناطق وتقذف أمواج البحر جذورها ...». (أجاثارشيدس).



كانت السلاحف صيداً سهلاً بالنسبة للمستوطنين الأوائل على امتداد الساحل العماني.





شاطئ السلاحف. وفي الصورة الصغيرة تبدو آثار أقدامها.

كما كان أكلة السلاحف محل اهتمام شديد وهم ربما كانوا يعيشون في جزر الديمانيات. ويواصل النص كما يلي:

هناك جزر في المحيط قريبة من اليابسة، عددها كبير وحجمها صغير وهي منخفضة ولا يوجد فيها ثمار مدجنة أو برية. ولأنها قريبة من بعضها البعض فلا تتلاطم الأمواج في وسط هذه الجزر لأنها تتكسر عند الجزر الخارجية وتفقد قوتها. وتعيش في هذه الأماكن أعداد كبيرة من سلاحف البحر تأتي من جميع الاتجاهات لتلجأ إلى المياه الساكنة وتمضي الليل في المياه العميقة بحثاً عن الطعام وتأتي أثناء النهار إلى مياه البحر الموجودة بين الجزر وتنام على السطح وترسها في مواجهة الشمس وهي بذلك تشبه القوارب المقلوبة. إنها سلاحف ضخمة ولا يقل حجمها عن حجم أصغر القوارب.

وفي أثناء نومها يسبح أهل هذه الجزر إليها ويقتربون منها من الجانبين حيث يقوم أحدهم بدفعها ويقوم الآخر برفعها حتى يتم قلبها. ثم يتولى هؤلاء الموجودون على الجانبين توجيه جسمها بأكمله حتى لا تنقلب السلحفاة وتهرب منهم. ومن ثم يقوم أحد الأفراد الذين يحملون حبلاً طويلاً بربط الحبل في ذيلها ويسبح إلى الشاطىء ثم يسحبها إلى البر.

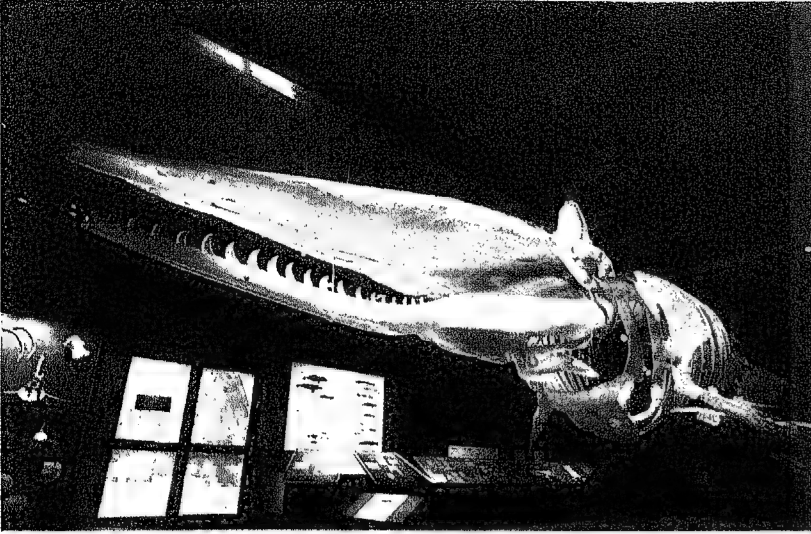
وعندما يحملونها إلى الجزيرة يخبزون جميع أجزائها الداخلية تحت أشعة الشمس لبعض الوقت ثم يقيمون وليمتهم. ويستعملون ترس السلحفاه الذي يشبه الاناء في الابحار إلى اليابسة لجلب الماء أو للاحتماء فيه.

ويبدو أن الطبيعة قد وفرت لهم، في هدية واحدة، العديد من احتياجاتهم. ففي هذه الهدية يتوفر الطعام والاناء والمسكن والقارب. ويبدو من المحتمل أن هذه السلاحف هي نفس السلاحف الخضراء الضخمة التي لا تزال الآلاف منها تقيم أعشاشها في عمان. ويوحي النص التالي أن ما جاء آنفا يشير إلى جزء من الساحل العماني:

وفي مكان لا يبعد كثيراً عن هؤلاء الناس يستوطن



سلحفاة خضراء تسبح بالقرب من شاطىء التعشيش.



صالة الحيتان بمتحف التاريخ الطبيعي في عمان.

الساحل مجموعة من الناس الذين لا يتبعون اسلوباً منتظماً في حياتهم ويستخلصون طعامهم من الحيتان التي تحملها الأمواج إلى الشاطىء. وأحياناً يتوفر لهم الطعام بكثرة بسبب ضخامة حجم هذه الحيوانات التي يعثرون عليها لكنهم أحياناً أخرى يعانون من النقص الشديد في الطعام بسبب انقطاع حركة الأمواج التي تحمل هذه الحيوانات إلى الشاطىء.

وفي تلك الأحيان كان القحط يجبرهم على قضم غضاريف العظام القديمة والغضاريف التي تنمو عند أطراف الضلوع.

لقد تناولت في النصوص الأربعة المذكورة آنفاً بعض الملاحظات الشخصية على التاريخ الطبيعي لعمان. وهناك العديد من التجارب التي كنت أستطيع أن أكتبها عن عمان والتي تتراوح بين الغوص في الممرات الضيقة ذات التيارات السريعة واكتشاف الحواف الناتئة للمنحدرات التي يبلغ ارتفاعها ألف قدم أو استقصاء الواحات الخضراء غير المتوقعة والموجودة في رملة الوهيبة. ومع ذلك فإن التاريخ الطبيعي المثير لعمان هو موضع العديد من الدراسات العلمية الأكاديمية التي يقوم بها بعض العلماء الأكاديميين والهواة من علماء التاريخ الطبيعي والمستشارين الذين يعملون نيابة عن الهيئات الحكومية المختلفة.

وبتوجيه خاص من جلالة السلطان قابوس تقوم الحكومة العمانية بجهود واضحة في المحافظة على البيئة واحيائها المختلفة.

وقد لعب متحف التاريخ الطبيعي في عمان دوراً هاماً في تجميع وتصنيف المعلومات من عدة مصادر مختلفة. كما لعب رالف ديلي المستشار الخاص لشؤون المحافظة على البيئة بالديوان السلطاني والذي يشغل هذا المنصب منذ سنوات طويلة دوراً هاماً في وضع وإدارة برامج المحافظة على البيئة بما في ذلك البرامج المرتبطة باعادة توطين أبقار المارية (المها) العربية.

وقد تم في عام ١٩٩٢ عقد اجتماع في عمان تحت رعاية وزير البلديات الاقليمية والبيئة لمناقشة استراتيجية حماية البيئة الوطنية.

وتتضمن التقارير المصاحبة لهذه المناقشات موجزاً قيماً عن العديد من نواحي التاريخ الطبيعي لعمان، وكانت عوناً كبيراً لنا في إعداد الوصف التالي والذي يعتمد على مجموعة غنية من الأبحاث المنشورة.

عند حافة رملة الوهيبة.



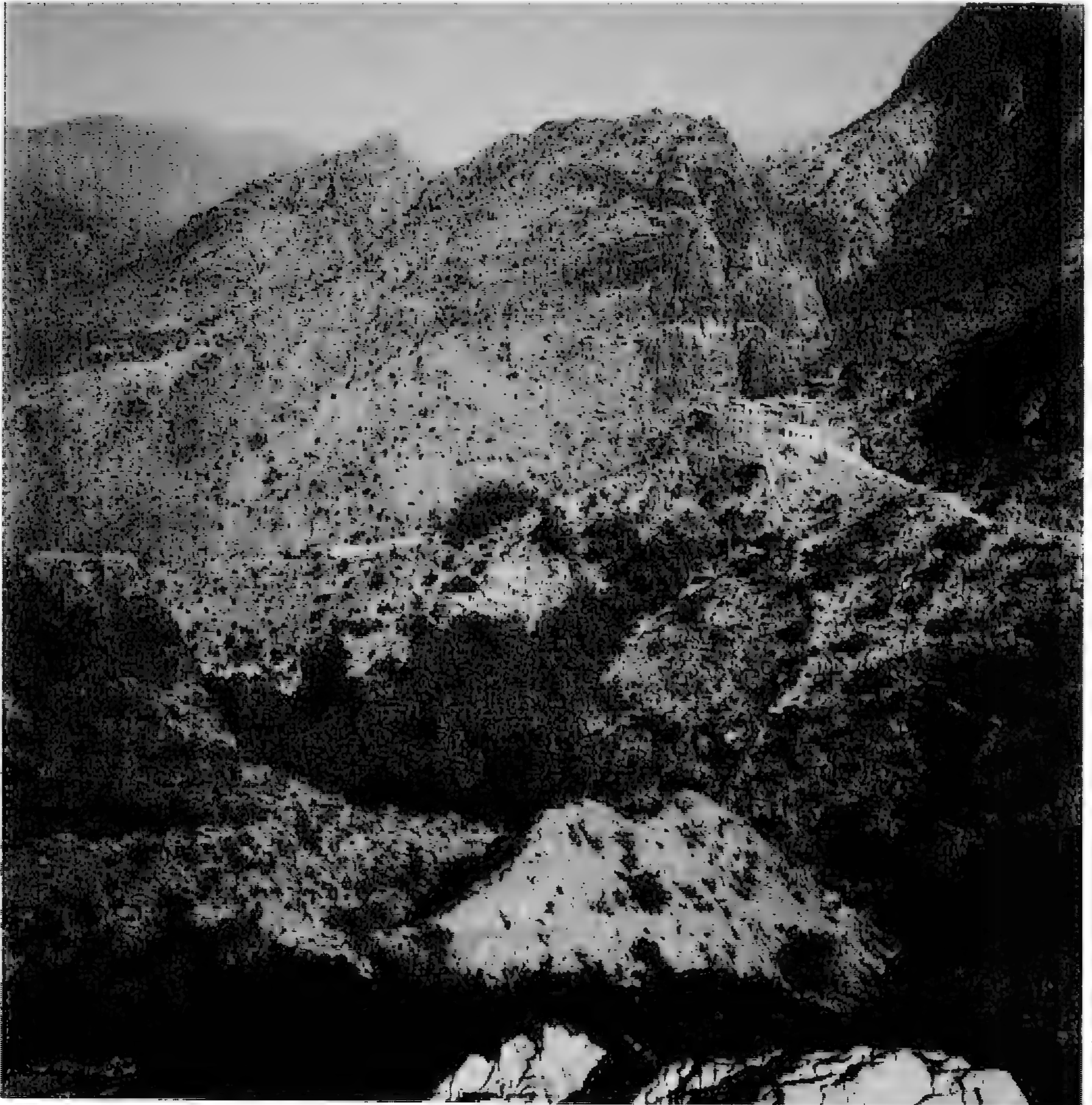
خلفيــــة جيولوجيــــة

الكتلة الأرضية لعمان تتحرك من مكانها

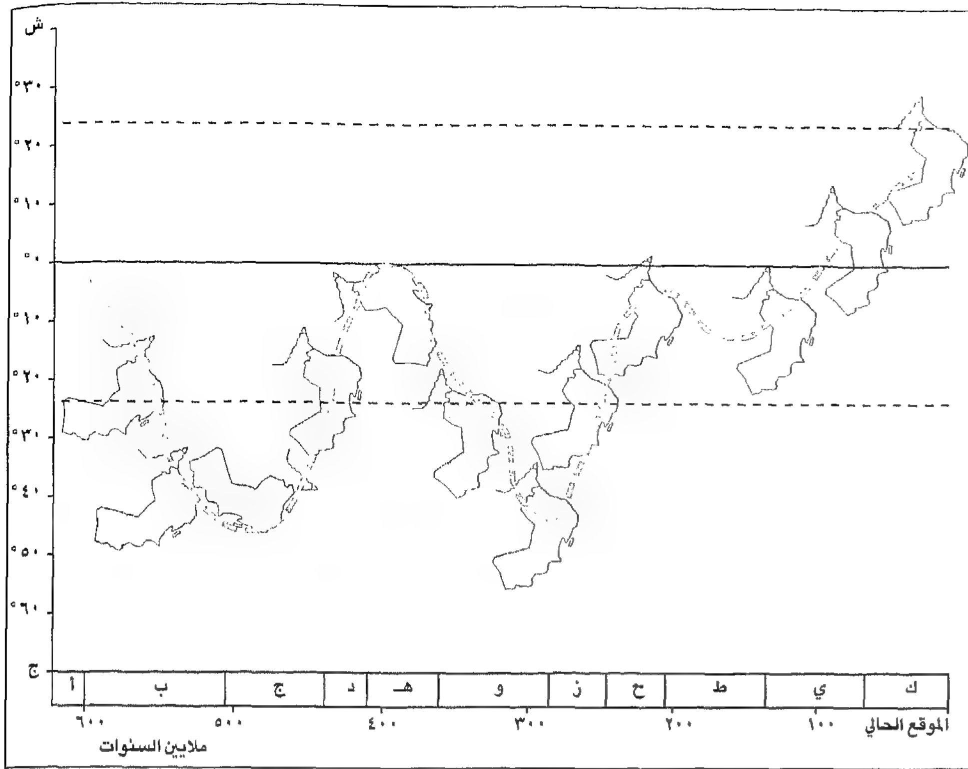
لم تشغل المنطقة العمانية موقعها الحالي دائما بل كانت تتحرك باستمرار. وحتى في الوقت الحالي فإنها تتحرك تدريجيا وتبتعد عن افريقيا بمعدل سنتيمترين إلى ثلاثة سنتيمترات كل عام وهو معدل يصعب ملاحظته إلا عن طريق إجراء أدق أعمال المساحة. ومع ذلك فإن المقياس الذي يحكم الزمن الجيولوجي يعتمد على مقياس مختلف وأكبر كثيرا من المقياس الذي يحكم حياتنا.

إن ألف عام من الناحية الجيولوجية هي فترة قصيرة جدا بل وآن مليون عام لا تستحق أن نخصها بذكر خاص. وبدلا من ذلك يتدرج المقياس الزمني المعتد به في الجيولوجيا بمئات الملايين من السنين.

قرية الوجمة في وادي سحتان



شركة تنمية نفط عمان



أ ما قبل العصر الكمبري
ب العصر الكمبري
ج العصر الأردوفيسي
د العصر السيلوري
هـ العصير الديفوني
و العصر الكربوني
ز العصر البرمي
ح العصر الترياسي أو الثلاثي
ط العصر الجوراسي
ي العصر الطباشيري
ك العصر الثالث

حركة كتلة الأرض العمانية عبر العصور الجيولوجية. (طبقاً لـ إم. هيوز كلارك، ١٩٩٠).

وفي بداية المخطط الزمني الجيولوجي، منذ أكثر من ستمائة مليون سنة، كانت الصخرة القاعدية التي ترتكز عليها عمان الآن موجودة في نصف الكرة الأرضية الجنوبي وتقع على جانبي مدار الجدي. ثم انحرفت على مدار الأربعمائة مليون سنة التالية إلى الأمام وإلى الخلف بين خطوط العرض الجنوبية نصف القطبية وخط الاستواء، لكنها ظلت في جميع العصور في نصف الكرة الأرضية الجنوبي. وقد تم توضيح حركة الكتلة الأرضية العمانية في الرسم المطبوع بجوار هذا النص. وأخيراً ومنذ مائة مليون سنة إنحرفت هذه الكتلة الأرضية نحو نصف الكرة الأرضية الشمالي واستمرت في تحركها في اتجاه الشمالي الشرقي حتى وصلت إلى موقعها الحالي.

ولا يقتصر هذا الانحراف المثير لصخور القشرة الأرضية الموجودة أسفل الكتلة الأرضية العمانية الحالية على عمان وحدها بل أنه نتج عن تحرك ألواح الكرة الأرضية على مستوى العالم وما تبعه من إنفصال القارة الأم «بانـاجيا» إلى قارتين ضخمتين هما لوراسيا وجندوانا. ومنذ حوالي خمسة وستين مليون سنة مضت ظهرت بعض التصدعات الخطيرة في القشرة التحتية لقارة جوندوانا وبدأت بعض أجزاء هذه القارة تنحرف عن بعضها. فشكلت عمان وبقية الجزيرة العربية جزءاً من قارة جوندوانا ـ التي كانت تتضمن قارتي أفريقيا والهند الشاسعتين.

أما الانفصال عن قارة افريقيا فربما يكون قد حدث منذ حوالي خمسة وثلاثين مليون سنة ونجم عنه انشقاق خندق ضيق نشأ عنه البحر الأحمر. وأخيراً اصطدم لوح الجزيرة العربية بلوح منطقة الاوراسي مما نجم عنه نشأة مناطق هائلة الضغط ومرتفعات ضخمة ظهرت في شكل جبال الحجر في عمان وجبال زاجروس ومكران المقابلة لها في ايران. وبالرغم من التحركات الجيولوجية لعمان فهي تعتبر من مناطق غلاف الكرة الأرضية المستقرة نسبياً والتي تخلو معظمها من الزلازل الأرضية العنيفة.

وتعتبر مسندم هي أقرب منطقة للحدود الواقعة بين الجزيرة العربية وهضاب الأوراسي، وقد شهدت هذه المنطقة في بعض الأحيان زلازل أرضية مرتبطة بالتوترات الموجودة على امتداد منطقة التصادم.

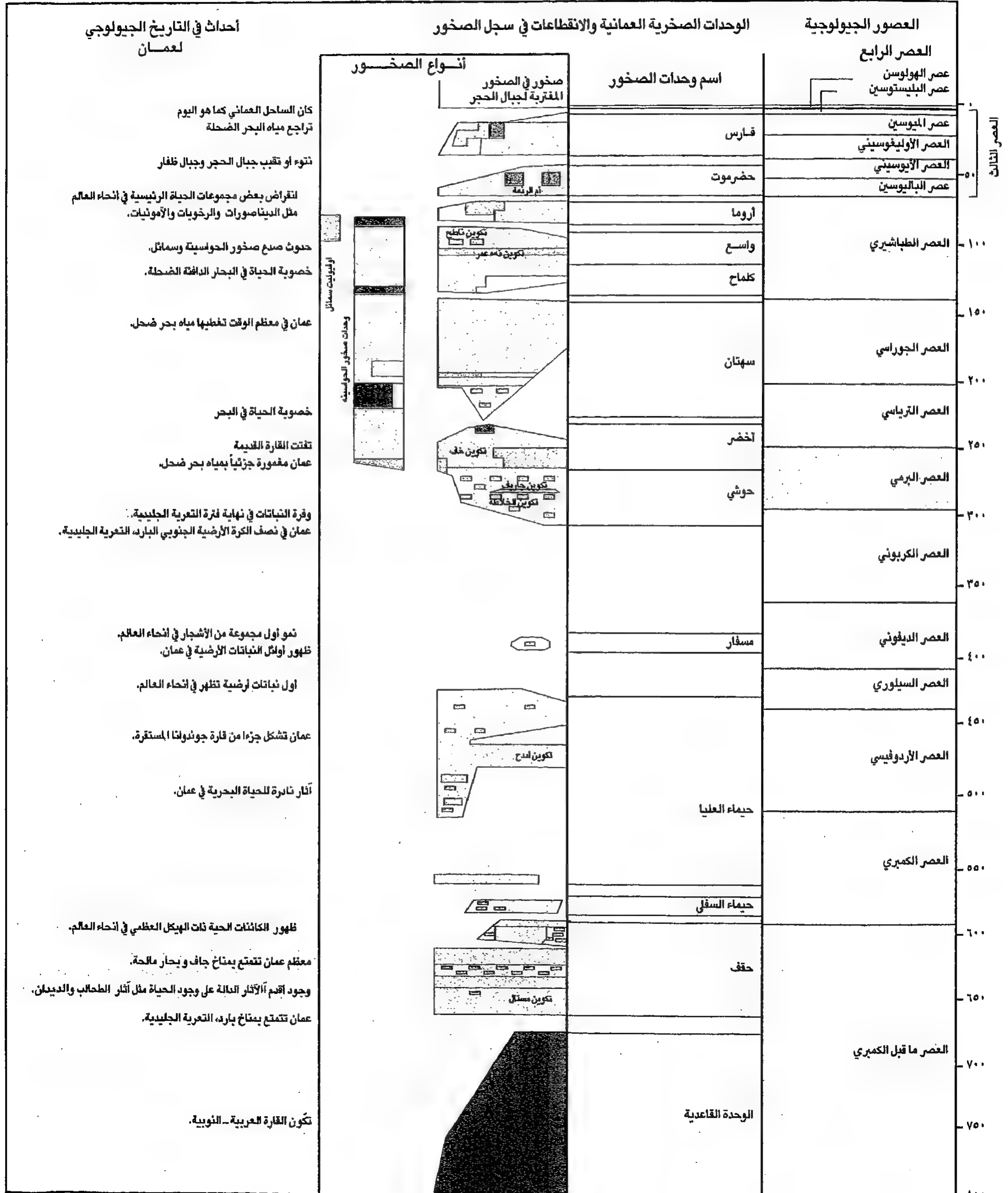
ويرتكز لوح الجزيرة العربية على لوح القارة الهندية تحت أعماق المحيط الهندي شرقي عمان على امتداد الخط المعروف بإسم منطقة «أوين للتصدع». وبينما ينتج عن انزلاق كلا اللوحين في اتجاه أحدهما الأخر بعض الزلازل، إلاّ أن هذه تكون غير ملحوظة عادة في داخل عمان.

المناطق الجيولوجية

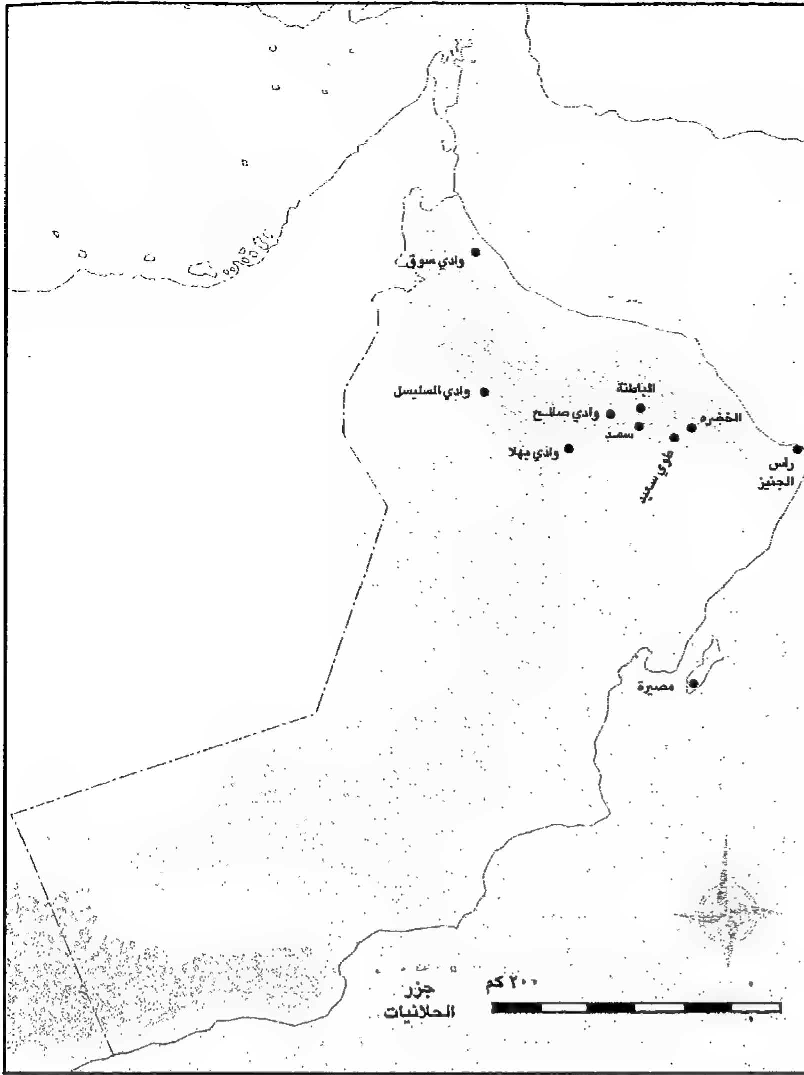
نتجت الدراسات الجيولوجية لعمان عن جهود التنقيب عن المعادن الثمينة ومصادر الهيدروكربونات واكتشافها. وقد ساعدت طرق الأبحاث الجديدة بما في ذلك أساليب التصوير بالقمر الصناعي وأنظمة التحسس عن بعد في تكوين



أدت التعرية الناتجة عن مياه الفيضانات إلى حفر وديان عميقة في داخل الجبال العمانية كما يظهر هنا في وادي ديقاح.



تم اعادة رسم هذا المخطط من واقع رسم «شريحة عبر العصر الجيولوجي» المدرج في كتاب مايكل هيوز كلارك ١٩٩٠، وذلك بإذن من شركة تنمية نفط عمان.



صورة شاملة للبنية الخاصة بهذا البلد الشاسع.

وبصورة عامة يمكن تقسيم عمان إلى ثلاث مناطق جيولوجية مميزة هي منطقة الجروف المرفوعة وجبال مسندم وسلسلة جبال الحجر وسلسلة جبال الحقف وظفار ومنطقة الطبقات السفلية الرسوبية الحديثة الموجودة في وسط عمان مثل تلك الموجودة في جدة الحراسيس ومنطقة البحار الرملية والكثبان الموجودة في رملة الوهيبة والربع الخالي.

لقد نشأت المناطق الجبلية، كما أشرنا آنفاً، نتيجة للنتوءات التي حدثت في قشرة الكرة الأرضية بسبب تصادم اللوحين. وهكذا فقد ارتفعت الجبال الرئيسية في عمان منذ حوالي خمسة وثلاثين مليون سنة مضت في خلال العصر الثلثي الحديث اللاحق.

أما شكلها الحالي فهو نتيجة لقوى التعرية والتغيرات المناخية والتراوحات التي حدثت في منسوب البحر منذ ذلك الحين. وتعتبر جبال ظفار، التي تتكون أساساً من بلاطة مائلة ضخمة من الحجر الجيري الثلثي، هي خير مثال على ذلك. فالبلاطة مرتفعة خلف صلالة وتميل في اتجاه الشمال، وجانبها المواجه للساحل على امتداد الجانب الجنوبي مكشوف في شكل سلسلة من الكتل القشرية التي تشكل في بعض الأماكن جروفاً حادة قد يصل ارتفاعها إلى ١٠٠٠ مترا

وعند السفر إلى صلالة بالطائرة يستمتع المرء بالمشاهد الرائعة للمنحدرات الشمالية لبلاطة ظفار. حيث تشق العديد من الوديان طريقها ملتوية بين التلال الوعرة وتختفي في الرمال الجدباء لصحراء الربع الخالي. وتظهر التعرية الناتجة عن الرياح ومياه الأمطار بوضوح في النمط الوعر للأراضي.

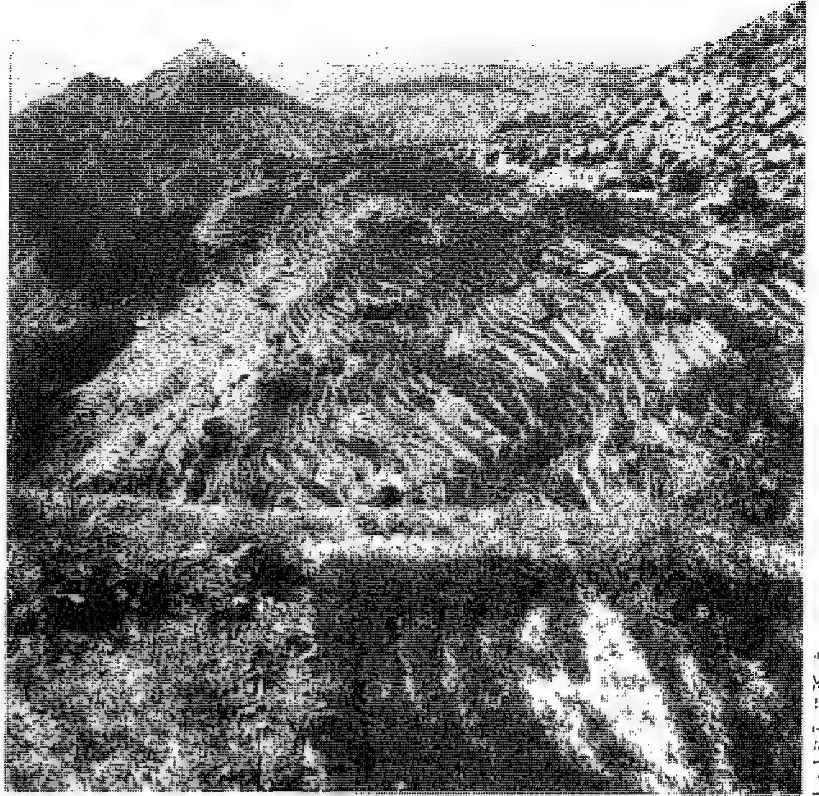
أما جبال الحجر فتعطينا قصة مختلفة تماماً تنعكس في الطبيعة المتباينة لصخورها. فبعضها صلب ومقاوم للتعرية وبعضها الآخر طري جداً. وكانت قوة نتوء القشرة الأرضية في هذه المنطقة أقوى من قوة نتوئها في ظفار مما أدى إلى رفع بعض الطبقات في شكل سهل رأسي تقريباً مؤدية بذلك إلى كشف الحواف المتعددة الطبقات المعرضة للتأكل مما نجم عنه انشاء سلسلة من القمم الناتئة غير المستوية.

إن بعض الصخور الرسوبية الموجودة هنا مدفونة ومضغوطة بعمق وتشكل صخوراً صلبة جداً مثل تلك التي تشكل قمم الجبل الأخضر. وقد تشكلت هذه السلسلة من طبقة محدبة واحدة تعرضت فيما بعد للتآكل لتشكل سلسلة من الوديان أو التجويفات العريضة.

وقد أدت دراسة خصائص التعرية في المناطق العمانية إلى استنتاج أن المناخ في بعض العصور ربما كان أغزر مطراً مما هو عليه اليوم وأن تأثير التعرية الناتج عن مياه الأمطار في ذلك الحين كان أكبر من ذلك الذي يحدث في الوقت الحالي.

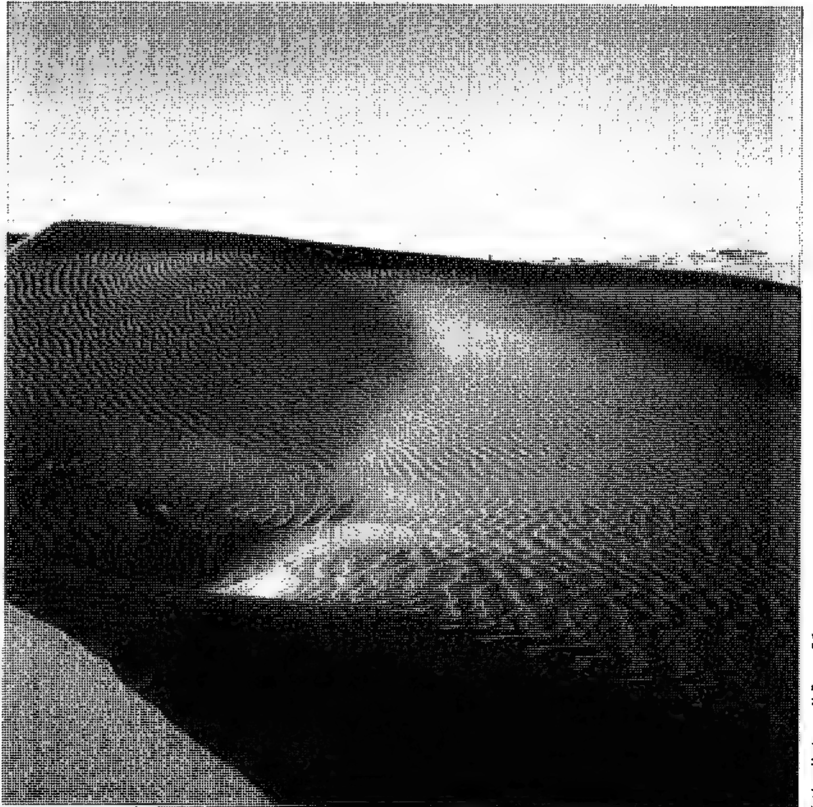
وتنعكس هذه الشواهد التي تدل على تباين المناخ في العصور الحديثة نسبياً على سجلات الحفريات. وتعتبر أنظمة كهوف الحجارة الجيرية العمانية والتي تتضمن بعضاً من أضخم الكهوف الموجودة في العالم احدى الظواهر الجيولوجية الهامة التي توحي أيضاً بأن عمان قد شهدت في الماضي فترة أو فترات من الأمطار الغزيرة..

وتتراكم الأنقاض الناتجة عن التعرية بالقرب من أسفل الجبل في شكل تلال سطحية منخفضة وفي شكل مراوح غرينية مثيرة تمتد من مجاري الماء أو الوديان. أما السهول المنخفضة والمستوية بصورة أكبر مثل تلك الموجودة في جدة الحراسيس فقد شكلتها قيعان البحر القديمة حيث تحولت رواسب الرمال البحرية والطين إلى أحجار جيرية.


شركة تنمية نفط عمان

الجبل الأخضر.

إن إستواء جدة الحراسيس، وهي منطقة المحمية المفتوحة الخاصة بأبقار المارية (المها) العربية البرية - من بين الكائنات الأخرى - هو إنعكاس للاستقرار النسبي للأراضي منذ نشأة هذه الصخور. وهنا أيضاً تستطيع العين البصيرة أن تلحظ الارتفاع البسيط حول


شركة تنمية البترول العمانية

رملة الوهيبة

حافة حفرة حجر النيزك الضخمة، والتي تم ردمها الآن، وهي «حفرة حبحب» وهي من المعالم التي يتم لفت نظر الزائرين ليعلوني إليها.

وتعتبر المناطق الصحراوية التي تتخذ شكل رملة الوهيبة وجزءاً من صحراء الربع الخالي من أهم المعالم الجيولوجية الملحوظة في عمان. وبالنسبة لرملة الوهيبة فإن المعالم التي تفتن الزائر لعمان لأول مرة هي فظاظة الخط الذي يفصل بين الكثبان الرملية الحمراء وتناقض المناطق الريفية المحيطة بها.

وقد عززت الدراسات الجغرافية التي قامت بها الجمعية الجغرافية الملكية كجزء من مشروع رملة الوهيبة تماماً مدى فهمنا لهذه المنطقة المعقدة والمثيرة والتي شهدت دورات مناخية أكثر برودة ومطراً ودورات مناخية أكثر جفافاً ودفئاً.

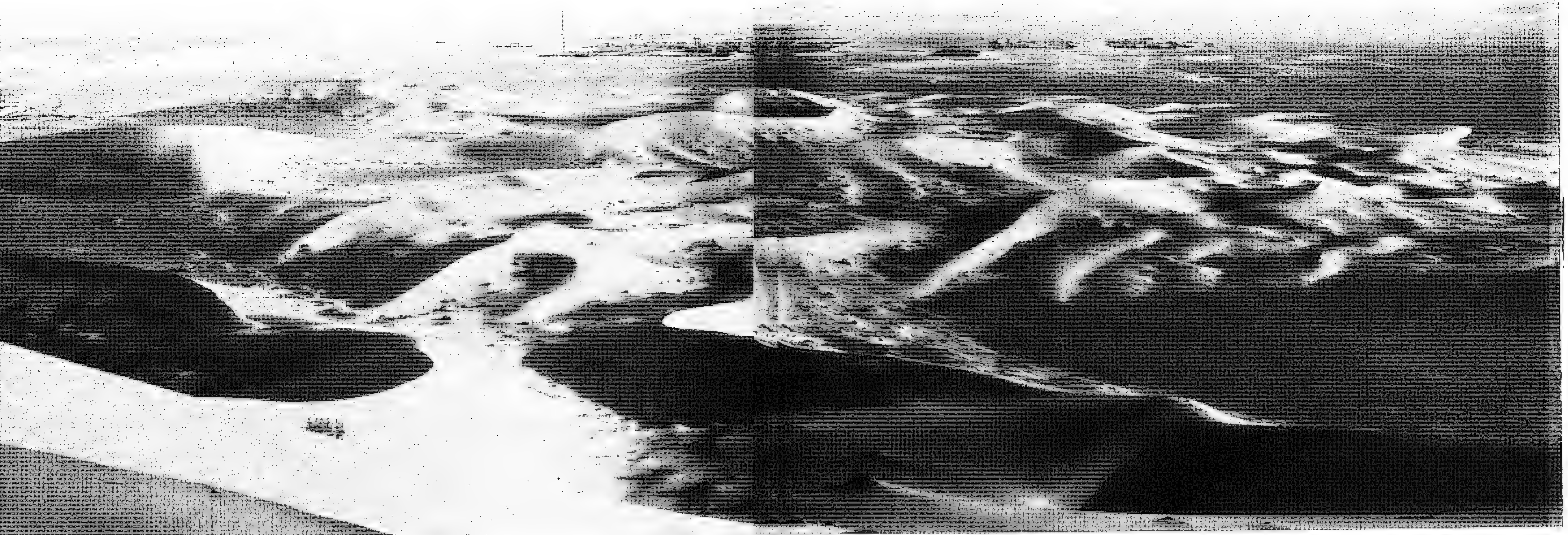
كما شهدت منطقة الربع الخالي مثل هذه التباينات المناخية، وهناك شواهد على أن أشجاراً كبيرة نمت يوماً في قلب الصحراء. وحيثما انصرفت مياه الأمطار المنحدرة من جبال الحجر في اتجاه الغرب بعيداً عن البحر في تجويف ضخم جاف من الربع الخالي تكونت بحيرة مالحة تعرف محلياً باسم «ام السموم»، وهي منطقة مقفرة تتسم قيادة السيارة فيها بالخطورة حيث يشكل الغلاف الموضعي ذو الثخانات المختلفة والحيود الملحية عوائق كبيرة.

كما لعبت الأملاح في بعض الأماكن الأخرى دوراً مختلفاً حيث شقت طريقها إلى السطح من المستودعات الضخمة الموجودة في أعماق باطن الأرض وجلبت معها تجمعات صخرية مختلفة إندفعت إلى السطح واستقرت هناك بعد أن جرفت مياه الأمطار الأملاح.

الأحافير البحرية

تتضح المستويات السابقة لارتفاع منسوب مياه البحر في العديد من المواقع على امتداد الساحل وحتى في المياه الباطنية. ويمكن تمييز مستويات المد والجزر العالية القديمة من خلال الشقق الأرضية المسطحة التي حزتها الأمواج، بينما يمكن ملاحظة المستويات المنخفضة التي تختلف عن المستويات الحالية عند قيادة السيارة في بعض المناطق المختلفة مثل جزيرة الفحل حيث تتكرر الحزوز التي تصنعها الأمواج على الصخور عند مستوى المد والجزر في مكان أعمق يبعد مسافة عدة أمتار تحت منسوب سطح الماء.

كما أن فحص الصخور الموجودة تحت سطح البحر بعناية قد يكشف عن وجود ما يدل على تعرضها



شركة تنمية نفط عمان

للتعرية والتآكل بفعل الرياح ومياه الأمطار عندما أصابتها عوامل التعرية في خلال عصور الجليد حين كان مستوى منسوب البحر أدنى من مستواه الحالي بمقدار ١٣٠ متراً. وهناك مثال واضح يبين المستوى الذي كان عليه ارتفاع البحر يوما ما بالقرب من مسقط حيث تمتد إحدى الهضاب المميزة التي حزتها الأمواج على امتداد جانب التل الواقع بين بندر Jissa و Baushar.

ولا تتوقف المعالم الجيولوجية عند مستوى سطح البحر فحسب، فالمعالم الجيولوجية الموجودة تحت سطح البحر في عمان مثيرة بنفس درجتها فوق سطح الماء. فبالاضافة إلى الحزوز التي صنعتها الأمواج في العصور المبكرة والموجودة على سطوح الصخور المنحدرة مثل الصخور الموجودة في جزيرة الفحل، هناك شقوق تحت سطح البحر شكلتها الأراضي التي كانت موجودة يوماً فوق مستوى سطح البحر وتآكلت سطوحها بفعل مياه الأنهار القديمة.

وفي مناطق المياه الضحلة يواصل المرجان تكوين الحجارة الجيرية التي تتكون منها الحيود البحرية بنفس طريقة تكون الحيود الاحفورية الموجودة في بروز طبقات الحجارة الجيرية الموجودة فوق الأرض.

وتعتبر الأحافير التي تقدم الشواهد على الحيوانات التي كانت تعيش في عمان منذ آلاف أو ربما ملايين أو ربما مئات الملايين من السنين أهم السجلات الجيولوجية في عمان وأكثرها إثارة من وجهة نظر علماء التاريخ الطبيعي.

لقد تكونت الصخور الرسوبية المحفوظ عليها هذه الأحافير على مر فترة طويلة من الزمن تبلغ ستمائة مليون سنة وهو مقياس زمني زحفت فيه صخور القشرة الأرضية العمانية من مدار الجدي الجنوبي إلى الخط ٥٥ درجة جنوباً ثم شمالاً عبر خط الاستواء حيث موقعها الحالي. ولذلك فليس من المدهش أن تتباين بشدة طبيعة الرواسب والاحافير المحفوظة بينها نتيجة لهذه التحركات ونتيجة للتغيرات المناخية الهائلة أيضاً التي حدثت على نطاق عالمي وكذلك عملية النشوء والتطور.

وترجع أقدم الصخور الرسوبية التي يمكن فحصها في عمان إلى مجموعتي الحقف وهيماء وتحتوي على طبقات جيولوجية كونتها الطحالب المائية والبكتريا التي كانت تعيش منذ أكثر من ستمائة مليون عام مضت في فترة ما قبل العصر الكمبري عندما كانت «عمان» تقع في

كانت الحياة البحرية القديمة التي تحتجزها الصخور الجيرية توفر مصدراً لانتاج النفط والغاز الطبيعي. ويقوم الانسان اليوم باستخراج هذا الوقود الاحفوري في العديد من مناطق الجزيرة العربية. وقد تم التقاط هذه الصورة في معسكر الخوير الذي تحيط به الكثبان الرملية الضخمة لصحراء الربع الخالي.

المناطق المعتدلة للمحيط الجنوبي.

ويعتبر العصر السيلوري والعصر الديفوني والعصر الكربوني أو الفحمي من العصور غير المعروفة في عمان لعدم وجود أحجار كثيرة ترجع إلى تلك العصور.

وقد كشفت أعمال التنقيب عن النفط وجود قطاعات نادرة من مجموعة حجارة سنار التي ترجع إلى العصر الديفوني والتي تحتوي على أحافير لنباتات وحيوانات ميكروسكوبية كانت تعيش في بحيرات المياه العذبة. كما تم الحفاظ على اللقاحات والجراثيم الناتجة عن النباتات التي كانت تعيش في قارة جوندوانا العظمى التي ازدهرت خلال العصر الكربوني أو العصر الفحمي في تكوينات الخلطة التي ارتبطت باحدى الفترات الجليدية.

وتعتبر أقدم طبقة تحتوي على أحافير بحرية كثيرة هي الطبقة السفلى لتكوين غريف والتي تكونت في العصر البرمي وهو العصر الأخير من الدهر القديم (منذ مائتين وخمسين إلى ثلاثمائة مليون سنة مضت). وهنا يستطيع المرء أن يرى وفرة زهور الزنبق البحرية والأصداف القنديلية، بينما يشاهد جذوع الأشجار المتحجرة في الطبقات العليا لهذا التكوين حيث حافظت الرواسب الطينية الطرية لمصب النهر على الجذوع من أن يجرفها النهر معه.

وقد بدأت قارة جوندوانا تتجزأ إلى ألواح قشرية منفصلة في خلال العصر البرمي وانحرف لوح الجزيرة العربية الذي تقع عليه عمان شمالاً من المنطقة الجنوبية المعتدلة في اتجاه المنطقة الاستوائية. وفي أثناء هذه المرحلة ترسب الجزء الأعظم من بقايا الحيوانات الكلسية التي تم العثور عليها فيما بعد في الحجارة الجيرية وحجارة الدولوميت ضمن مجموعة الأخضر في المياه الساحلية الضحلة الدافئة.

ويمكن مشاهدة أحافير المرجان التي ترجع إلى هذا العصر في جبال الحجر. وقد شهدت العصور التالية، وهي العصر الترياسي أو الثلاثي - أقدم عصور الدهر الوسيط - (منذ مائتين وخمسين إلى مائتين وعشرة مليون سنة) والعصر الجوراسي أو الجوري (منذ مائتين وعشرة إلى تسعين مليون سنة) والعصر الطباشيري وهو العصر الثالث والأخير من الدهر الوسيط (منذ تسعين إلى خمسة وستين مليون سنة مضت) استمرار انحراف لوح الجزيرة العربية حيث عبرت عمان خط الاستواء ثم انحرفت شمالاً مرة أخرى



منظر للسهل الساحلي لصلالة من فوق قمة منحدر جبل سمحان.

حتى صار الموقع الذي تحتله عمان الآن في نهاية العصر الطباشيري يقع عند الخط ١٠ درجة شمالاً. وخلال معظم هذه الفترة كانت عمان تغطيها مياه البحر أو كانت مكشوفة كأرض منخفضة. وقد تراكمت الرواسب الكلسية التي تكونت من بقايا الهياكل العظمية للحيوانات ومن النباتات بوفرة كبيرة أثناء الغزوات البحرية.

ومن الطبيعي أيضاً أن يتم حفظ العديد من الأصداف البحرية وبقايا الكائنات الحيوانية والنباتية الصغيرة الطافية في الماء وغيرها من البقايا الموجودة في الرمل لتتحول فيما بعد إلى أحافير.

ويمكن رؤية أكوام كثيرة من الجلاميد (وهي نوع من الأصداف البحرية الأحفورية) في بعض المواقع وفي وقت من الأوقات كانت الأراضي العمانية الناشئة هذه تغطيها أعماق أوقيانوسية ولذلك فإن الاحفوريات المحفوظة في طبقة الطين العميقة هذه تختلف عن تلك الموجودة في المناطق البحرية الضحلة.

وهنا قد يجد المرء بقايا لبعض أنواع الاحفوريات مثل الأصداف الملتفة للرخويات الآمونية التي تسبح بحرية والأصداف الداخلية التي تشبه الرصاصة في شكلها والخاصة برخويات البلمنيت التي تشبه الحبار.

جيولوجيا الاحفوريات في سمائل

تمثل جبال الحجارة التي تحف بمسقط بصورة رائعة نوعاً من الشذوذ من الناحية الجيولوجية لأنها توفر نافذة فريدة تطل على عمليات تبلور تكونات الطبقات في الغلاف الأوقيانوسي. فمنذ حوالي سبعين مليون سنة انزلقت بلاطة ضخمة للغلاف الأوقيانوسي لأعلى وفوق جرف الحافة الشمالية الشرقية لمنطقة الجزيرة العربية ويمكن رؤية آثارها اليوم في هذه الجبال ذات النتوءات الحادة والغنية بالمعادن.

وربما كانت الاحفوريات البحرية في سمائل أفضل مثال من نوعه في العالم لسهولة دراستها من خلال حالتها المكشوفة ومن خلال حالتها العامة المحفوظة بها. ولقد حضر خبراء الجيولوجيا من أنحاء العالم لدراستها بهدف الالمام بصورة أفضل بما يحدث على امتداد خطوط صدع القشرة الأرضية في أعماق المحيط.

وفي كتابه الرائع «التراث الجيولوجي لعمان» كتب مايكل هيوز كلارك: «وعلى ذلك ينحصر الوضع في الواقع في أن باستطاعة العلماء القيام بنزهة قصيرة يتناولون خلالها وجبة طعام خفيفة في الهواء الطلق فوق الصخور التي تكونت أسفل قاع المحيط بمسافة عشرة كيلومترات أو أكثر، أو فوق الحمم البركانية التي تدفقت فوق قاع البحر العميق أو فوق الرواسب التي تكونت في الأصل تحت سطح مياه المحيط لمسافة أربعة إلى خمسة كيلومترات».

المنـــــــــاخ

درجات الحرارة المعتدلة

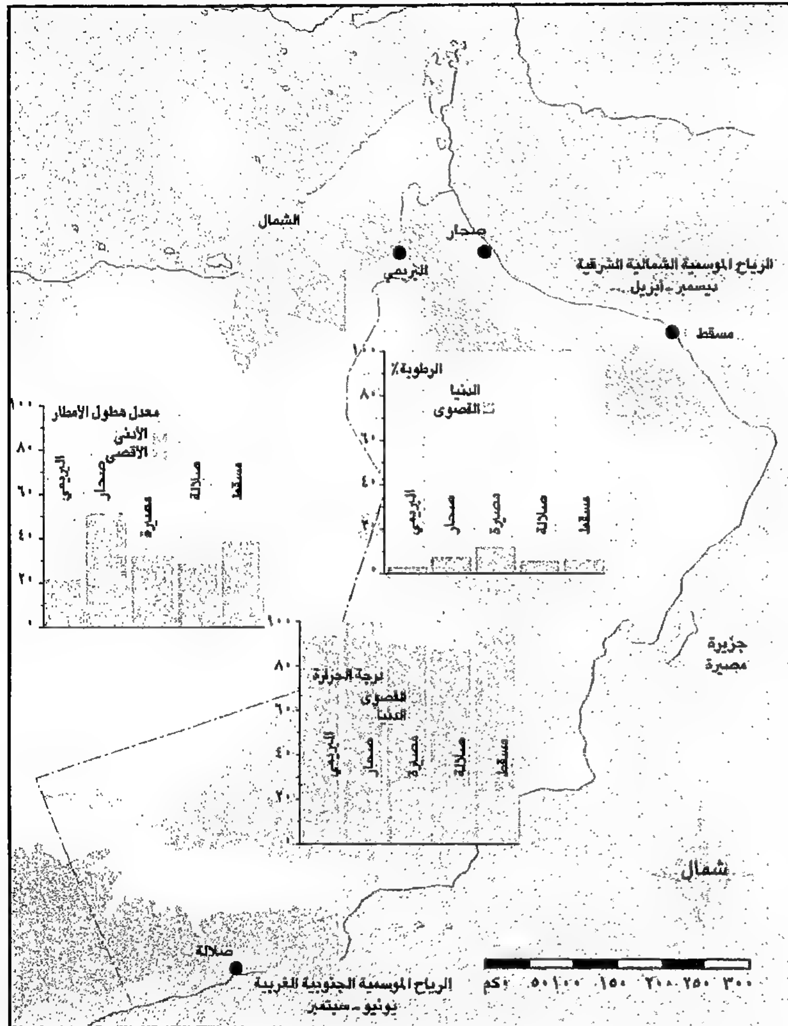
يتيح مناخ عمان وتضاريسه الطبيعية المتباينة توفير فرص عديدة لازدهار الحياة البرية. وليس من المدهش أن تضم البلاد بعض أغنى المستوطنات في الجزيرة العربية الخاصة بالعديد من الكائنات المنقرضة.

وتتراوح درجات الحرارة المسجلة في البلاد ما بين ٥٠ درجة مئوية كحد أقصى ـ تم تسجيلها في صحار في عام ١٩٨٧ ـ وأدنى من الصفر ـ تم تسجيلها بصورة معتادة في سيق.

إن مناخ عمان بشكل عام معتدل الحرارة في معظم العام لأن التأثيرات الرطبة للرياح الموسمية تساعد على اعتدال الأحوال الجوية. وعندما تنعم مسقط بالحرارة في شهر يوليو، والتي قد تصل إلى ٤٩ درجة مئوية كحد أقصى، تتمتع صلالة بجو أكثر برودة نتيجة للرياح الموسمية الجنوبية الغربية التي تحافظ على درجات الحرارة القصوى في حدود ٣٠ درجة مئوية.

وبحلول شهر اكتوبر تنخفض الحرارة في مسقط لتبلغ ٤١ درجة مئوية كحد أقصى، بينما ترتفع درجة الحرارة في صلالة بضع درجات لتبلغ ٣٣ درجة مئوية كحد أقصى. وفي خلال شهر نوفمبر يختفي تأثير الرياح الموسمية وتتقارب درجات الحرارة في المنطقتين وتصبح صلالة أكثر دفئاً حيث تبلغ الحرارة القصوى فيها ٣٧ درجة مئوية تليها مسقط بدرجة حرارة قدرها ٣٥ درجة مئوية. إن هذا التقسيم الغريب الناتج عن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية وعن تفجر مياه المحيط الباردة بالقرب من ساحل صلالة يخلق وضعاً غريباً يؤدى إلى أن تتمتع مسقط بأكثر شهور السنة برودة في ديسمبر ويناير (عندما تبلغ درجة الحرارة القصوى ٣٠ درجة مئوية ودرجاتها الدنيا ١٤ درجة مئوية) بينما تتمتع صلالة بأبرد شهور السنة في الفترة من يوليو إلى سبتمبر عندما تكون درجة الحرارة القصوى أثناء النهار مشابهة لدرجة الحرارة في مسقط في فصل الشتاء والتي تبلغ ٣٠ درجة مئوية. مع ذلك تحدث أبرد درجات الحرارة أثناء الليل في صلالة في فصل الشتاء في شهري ديسمبر ويناير.

وربما كانت صحار هي أكثر المناطق حرارة في عمان فقد تم تسجيل درجة حرارة فيها بلغت ٥٠ درجة مئوية، بينما تعتبر المناطق القريبة من سيق هي أكثر المناطق برودة حيث تصل درجة الحرارة



القصوى في فصل الصيف ٢٤ درجة مئوية وتصل درجة الحرارة الدنيا في فصل الشتاء إلى درجة التجمد أو ربما إلى تحت الصفر.

أما درجات الرطوبة فتتراوح في معظم الأماكن بين ١٠٠ في المائة إلى أقل من عشرة في المائة حتى أنها قد تصل إلى واحد في المائة أيضاً. وكما نتوقع من التعليقات المذكورة آنفا، فإنه عندما تكون الرطوبة في مسقط عند مستوياتها الدنيا والتي تبلغ ٥ في المائة في شهر يوليو، تكون الرطوبة في صلالة عند مستوياتها القصوى التي تبلغ ٩٩ في المائة ولا تقل عن ١٧ في المائة تقريباً.

كما تتباين معدلات هطول الأمطار أيضاً طبقا للمناطق المختلفة في عمان. وتعتبر سيق أغزر المناطق حيث بلغ

معدل هطول الأمطـار المسجل فيها خلال فتـرة تمتد إلى ثمـان سنـوات ٢٩٩ ميليمتـرا في السنـة، بينمـا تعتبـر مصيـرة من أكثـر المناطـق جفافـاً في عمـان حيث بلـغ متوسـط هطول الأمطار المسجـل فيها خلال فتـرة تمتد إلى ثمان سنوات ٢٧ ميليمترا في السنة.

أما معدلات هطول الأمطار فـي المناطق الأخرى فتبلغ ٦٠ ميليمترا في ثمريت و٦٨ ميليمتـرا في البريمي و٧٢ ميليمتـرا فـي صور و٧٢,٥ ميليمتـرا فـي مسقـط و٨٣ ميليمترا فـي صلالـة و١٢٨ ميليمترا فـي صحار و١٤١ ميليمترا في خصب.

أنماط الرياح

لعبت أنمـاط الرياح دوراً هـاماً خلال العصـور المختلفة في تطوير الحياة البحرية والحياة البرية على حد سـواء. فقد كان البحـارة العمانيون منذ آلاف السنيـن ينتظرون هبوب الـرياح المـوسمية الشمـالية الشـرقية فـي شهر ديسمبـر من كـل عـام قبل أن يبحـروا فـي اتجاه الهنـد وافريقيـا. وكانوا يعتمدون علـى هذه الرياح حتـى شهر ابريل عندما تخف سرعتها.

أما رحلات عـودة هؤلاء البحارة فكانت تبـدأ مع هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربيـة التي تؤثر على الساحل الجنوبي لعمان وتهب خلال الفتـرة من يونيو إلى سبتمبر. وكانت هـذه الرياح الموسميـة الجنوبية الغربيـة هي التي تعكس نمط التيـارات المائية فـي المحيـط الهندي وتسبب حدوث ما يعرف بالتيارات الصومـالية. فعندما تهب الرياح القوية في محـاذاة ساحل صـلالة ـ رأس الحد تتسبب في حدوث تيـارات ثانويـة تجبر المياه السطحيـة الساحليـة علـى الانسحاب للداخل لتحـل محلها المياه الباردة الغنية بـالغـذاء. وتشتهـر تغيـرات التيـارات المـائيـة هـذه بالخصوبـة العـالية وهي مسـؤولة عـن توفير ربـع إنتاج العالم من السمك على الرغـم من أن مساحتها الكلية تغطي ٠,٠٢ في المائة من سطح بحار المعمورة.



الحياة البحرية

الحيود البحرية المرجانية

تتراوح المستوطنات البحرية الموجودة في المياه الضحلة في عمان بين الحيود البحرية المرجانية الاستوائية وغابات الأعشاب البحرية الموجودة عادة في مناطق المياه المعتدلة بالقرب من نيوزيلاندة. ولا توجد سوى بضعة أماكن فقط في العالم كله تتميز بمثل هذا التنوع الكبير في الأحوال وبمثل هذه الوفرة في الحياة البحرية. وعلى العكس من الحيود البحرية المرجانية الموجودة في البحر الأحمر وفي بعض جزر المحيط الهندي، فإن المستوطنات البحرية العمانية لم يكتشفها الغواصون من العلماء بعد.

وينمو المرجان الذي يبني الحيود أو الشعب المرجانية بصورة أفضل في البحار القريبة من مسندم وحول جزر الديمانيات وفي منطقة مسقط وبالقرب من جزيرة مصيرة. وهو لا يزدهر في المستوطنات الرملية الأقل استقراراً والموجودة بالقرب من بعض المناطق



الأخرى مثل صور وصلالة حيث تحل محلها في الأخيرة الطحالب الطويلة مثل الأعشاب البحرية والمرجانات الطرية. وقد أوجزت الأبحاث التي تم اجراؤها كجزء من دراسة التأثير المحتمل لتاج قنديل البحر الشائك، المقومات الأساسية لمجموعة الحيوانات المرجانية في المناطق المذكورة آنفا. وقد سادت الأنماط المتشعبة والمسطحة لمرجانات «الأكروبورا» بالقرب من مسندم بينما تضمنت الأنواع الشائعة الأخرى «بافونا وبوريتس ومونتيبورا وجونيوبورا وبوكيلوبورا».



وعلى العكس من البحر الأحمر حيث تكون درجة صفاء المياه أفضل فإن هذه المرجانات تميل إلى أن تنحصر في الأعماق الضحلة جداً بأعماق تصل إلى ١٢ متراً. وتعتبر تكوينات الحيود البحرية بالقرب من مسندم تكوينات غير نامية بصورة جيدة وذلك على الرغم من تكوّن بعض الحيود الصغيرة المتناثرة المحيطة بالحواف. وعلى العكس من ذلك تحظى جزر الديمانيات بتكوينات مرجانية جيدة النمو تسيطر عليها مرة أخرى مرجانات «الأكروبورا». أما الأنواع الشائعة الأخرى والموجودة في هذه المنطقة فتتضمن مرجانات «مونتيبورا وبوكيلوبورا وبوريتس».

كما تتكون بالقرب من مسقط أنواع مرجانية مشابهة تلعب فيها مرجانات بوكيلوبورا دوراً هاماً في تنمية الحيود المرجانية بالقرب من جزيرة الفحل وفي المياه الضحلة لخليج مسقط. وتتاخم المنطقة الغربية لجانب جزيرة مصيرة الواقع نحو اليابسة مستعمرات مرجانية غنية مختلفةتتركز بصورة خاصة على مرجانات مونتيبورا وبوكيلوبورا. وبالاضافة إلى ذلك تتكون في هذه المنطقة مرجانات بوريتس وليبتوريا وأكانثاسترا



وبلاتيجورا وستايلوفورا وفيفا. ويشاهد المرء هنا أيضاً طبقات كثيفة من الأعشاب البحرية البنية اللون «سارجاسوم».

أما أفضل الحيود المرجانية نمواً في الجانب الغربي لجزيرة مصيرة فتقع في اتجاه الشمال حيث تشكل مجموعات فردية محددة من مرجانات مونتيبورا حيوداً ضحلة. وتحدث تغيرات كبيرة في حرارة المياه البحرية في هذه المنطقة نتيجة لتباين التيارات ونتيجة لتأثير حركة تغير المياه السطحية البحرية، وهكذا يمكن أن تتراوح درجات الحرارة السطحية بين ٢٢ درجة مئوية و٢٨ درجة مئوية في مسافة لا تتجاوز بضعة كيلومترات فقط. وهذه حقيقة لها تأثير كبير على توزيع الحياة البحرية.

وتقع بؤرة حركة تغير المياه السطحية البحرية في منطقة صلالة بالقرب من مرباط. وهناك يمكن العثور على مجموعات مرجانية معزولة تتشابك مع سيقان الأعشاب البحرية الضخمة التي تظل أوراقها في قاع البحر. وبالاضافة إلى هذه المرجانات (وهي أساساً مرجانت أكروبورا وفيفا وفافيتس وتوربيناريا وستابلوفورا) توجد أيضاً الكائنات البحرية الشائعة الأخرى التي ترتبط بصورة خاصة بهذه الأعشاب البحرية بما في ذلك حيوانات أذن البحر (من الرخويات) وعدة أنواع من القنافذ البحرية وقناديل البحر.

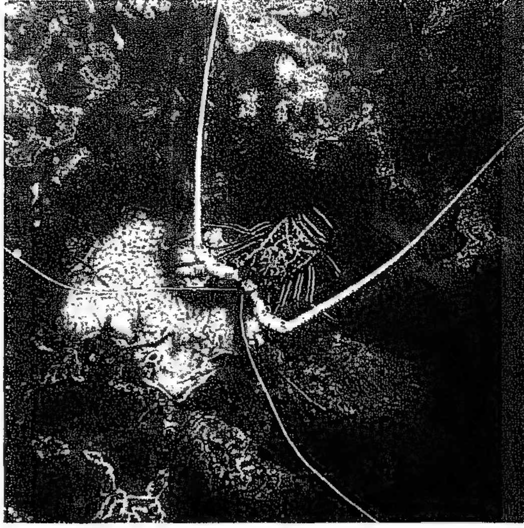
وتتسم الأعشاب البحرية بأهمية خاصة كمنتجات أولية. ففي كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تحدث بعض التغيرات المماثلة في المياه السطحية يبلغ حجم المحصول السنوي التجاري من الأعشاب البحرية ما يوازي ٢٠٠٠٠ طن متري جاف يتم استخدامها في انتاج الجينات والأغرة واليود واستعمالها كمصدر لانتاج السماد. كما أنها توفر أيضا للحياة البحرية غذاءاً عشبياً وفيراً تتغذى عليه العديد من الحيوانات اللافقارية.

غابات الأعشاب البحرية

لا تتسم غابات الأعشاب البحرية بالوفرة فحسب بل تتميز أيضاًبأنها فريدة من نوعها لأنها المكان الوحيد في نصف الكرة الشمالي الذي تتكاثر فيه أعشاب نصف الكرة الجنوبي «إيكلونيا راديانا»، وهي أيضاً موطن لأعشاب «سارجاسوبسيس زاناrديني» التي تم تحديد ووصف نوعها مؤخراً، وهي غريبة على المياه العمانية. وهي مثل غابات الأعشاب الموجودة في جنوبي غرب أفريقيا تظهر في مشاهد البحر بصفة مؤقتة وتعتمد في نموها وبقائها على التغير الموسمي في المياه السطحية الباردة الغنية بالغذاء.

وقد تم اجراء دراسة تفصيلية لمجموعات الأعشاب البحرية إيكلونيا وسارجاسوبسيس التي تتكاثر على امتداد الساحل العماني الممتد من مرباط إلى سدح. وهي تتأثر بدرجة كبيرة بمدى شدة تغير التيارات المحلية التي تميل إلى أن تصبح واضحة في هذه المنطقة حيث تقترب المياه العميقة من خط الساحل. ولهذا السبب يوجد في رأس مرباط وسدح مجموعات جيدة النمو من الأعشاب البحرية بالمقارنة بالمياه الموجودة في مواجهة صلالة حيث تمتد سلسلة من الصخور المسطحة الساحلية إلى أعماق أبعد في داخل البحر. كما تتأثر الأحوال الجوية المحلية بتغيرات المياه السطحية الساحلية القوية في منطقة مرباط ـ سدح حيث يسود جو أكثر برودة في منطقة غرب مرباط.

وتتسبب الأمواج التي ترتطم بخط السال أثناء فترة الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في خلق منطقة رشاش عالٍ وقوي من الماء حيث تقوم الطحالب الخضراء «أولفا» بتغطية الصخور. وعندما تضعف سرعة الرياح الموسمية تنشأ أحوال جوية أكثر استقراراً وتستوطن مجموعة متنوعة من الطحالب في منطقة المد والجزر، تتغذى عليها رخويات البطلينوس (سيلانا إينكوسميا وسي. كراتشينسيس وسكوتيلاستر اكسوستا وباتيلويدا بروفوندا



وسيفورناريا) والخيتون (أكانثوبليرا هادوني) وعدة أنواع من الرخويات الشاطئية والقنافذ البحرية (إتشيسنوميترا ماثاي). وفي خلال شهور الصيف يجد المرء تحت مستوى المد والجزر مباشرة طحالب بنية اللون (سارجاسوبسيس زانارودتي) أو أنواع من طحالب سارجاسوم. وفي نهاية فترة الرياح الموسمية ومع انخفاض حركة الأمواج تكثر طحالب أولفا والطحالب الخيطية (كلادوفوروسيس) التي تحجب طحالب ساراجاسوبسيس وتبقيها في الظل. وتتفكك الأعشاب البحرية الضعيفة وتسقط من على الحجارة بصورة مشابهة لتساقط أوراق الغابة فتفسح المجال بذلك لوصول الضوء إلى النباتات التي كانت تعيش في ظلها. وبذلك تحصل الطحالب المختلفة مثل طحالب سارجاسوم وسايستوسيرا على دفعة تساعدها على أن تنمو وتنافس ما تبقى من طحالب سارجاسوبسيس التي يتواصل موتها مع ارتفاع درجة حراة مياه البحر وإختفاء تأثيرات تغير المياه السطحية الموسمية. وتتميز أعشاب إيكلونيا رادياتا بدورة حياة مثيرة في عمان تختلف عن تلك التي تحدث في نيوزيلاندة حيث تنمو هذه الأعشاب طوال العام. وهي تسلك في عمان سلوكاً شبيهاً بسلوك النباتات السنوية وتجزيء كما يبدو دورة تكاثرها إلى مراحل تتوافق مع فصل الرياح الموسمية. وبالرغم من أن هذه الأعشاب تختفي عن البصر تماماً تحت سطح الماء في أعقاب الرياح الموسمية فإن خلاياها تهجع في قاع البحر مستعدة للتخصيب وما يعقبه من نمو عندما تعود المياه الباردة في العام التالي. وبهذه الطريقة تعود أعشاب إيكلونيا إلى الظهور والازدهار ثم تختفي عن البصر في خلال شهور الصيف والخريف.

وكما يتوقع المرء، توجد مجموعة كبيرة مزدهرة من الحيوانات اللافقارية والأعشاب المرتبطة بغابات الأعشاب البحرية المنتجة هذه. فبالاضافة إلى القنافذ البحرية الآكلة للعشب توجد رخويات أذن البحر بأعداد كافية لجذب الأسماك الصغيرة. وفي الليل تخرج الأربيان لتتغذى على القنافذ. والأسماك الرئيسية الآكلة للعشب هي أسماك الأرنب (سيجانوس اورامين) وسمك البغروس العربي (ديبلودوس) وسمك الابراميس ذو الزعانف الصفراء. ويقوم النوعان الأخيران بتنسيق دورة التكاثر بحيث تستطيع صغارها أن تجد لها ملجأ بين سنابل أعشاب سارجاسوبسيس. وهناك نوع آخر من الكائنات الآكلة لأعشاب الطحالب هو السلحفاة الخضراء. ويبدو من المحتمل أن الأعشاب البحرية هي مصدر هام لغذاء هذه السلاحف في المنطقة خلال شهور الصيف.

القواقع البحرية

يجب على القراء المهتمين بمجموعات الرخويات العمانية معرفة أنه قد تم جمع مجموعة كبيرة من هذه القواقع المحلية في متحف التاريخ الطبيعي العماني. وتحتوي هذه المجموعة على أكثر من ٦٠٠٠ نوعاً تمثل ما لا يقل عن ٥٠٠ ضرباً من القواقع البحرية والبرية التي تعيش في المياه العذبة. وقد تم جمع هذه المجموعة بالاستعانة بالتبرعات التي قدمتها بعض الهيئات وخاصة التبرعات التي قدمها الدكتور بوسك والسيدة حرمه والتبرعات التي قدمتها السيدة كاترين سميث، خبيرة القواقع البحرية في منطقة الخليج وشرق أفريقيا، التي كرست أكثر من عشر سنوات من عمرها لتحديد أنواع القواقع العمانية وجمع المجموعة الحالية من القواقع.

ويقوم «أصدقاء المتحف» أيضاً في الوقت الحالي بمساعدة الموظفين العمانيين في المحافظة على مجموعة القواقع الحالية وتجديدها. وقد تم ارسال



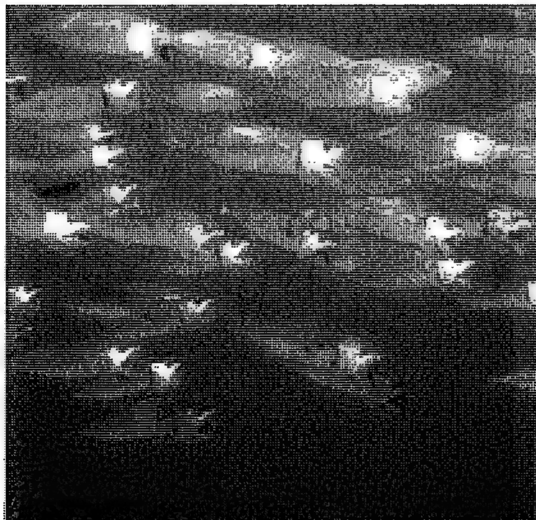
مجموعـات القواقــع التي تم جمعهـا في عمـان لأغراض علمية إلى العلمـاء العاملين بالمتحـف البريطاني الـذين قامـوا بتحديد أنـواعها قبل أن يعيـدوها إلى عمـان. وقد أتاح هذا المشروع اكتشاف عدة أنواع جديدة من القواقع في عمـان تتضمن قواقــع تروشيتـا الظفارية التـي تمت تسميتها باسم المنطقة التي تم العثور عليها فيها.

الأسمـاك

يعتبر البحـر دون شك أحـد المصادر الـرئيسية للثـروة الطبيعية في عمـان، فقد كان مصدرا لغذاء النـاس الذين يعيشـون على امتـداد الســواحل العمـانيـة منذ أن بـدأ الانسان في استيطـان البلاد. ويبلغ الطول الكلـي للخط السـاحلـي العمـاني ١٨٠٠ كيلـومتـرا، وتغطـي الميـاه الاقليميـة ما لا يقـل عـن ٣٠٠٠٠٠ كيلـو متراً مـربعـاً. ويمكن تقسيم المـوارد التجارية الرئيسية لـلأسماك إلى أربع فئـات هي الأسماك الأوقيانـوسية (التي تعيـش في المحيطات) التي يغلب على أصنـافها في المياه الضحلة سـرديـن الـزيـت الهندي (سـاردينيـلا لـونجيسبـس) والسـردين المخطـط الـذهبي (سـاردينيـلا جيبوسـا) وسردين (ديسـابتريوس روسيلي)، وفـي المياه العميقة نـوعان مـن أسمـاك الصـورال، همـا الصـورال الهنـدي والصورال العـربي، والأسمـاك الأوقيانـوسية الضخمـة شاملـة أسماك التـونة والسفليـش والمرليـن، والأسماك الأوقيانوسية متوسطة الحجم التي تتوفر في شكل سمك القناديـل، ومجموعـة الأسماك التـي تعيش فـي الأعماق والتي تتضمن ما لا يقل عن ١٥٦ نـوعاً من الأسماك التي يمكن صيدهـا على النطاق التجاري بما فـي ذلك أسماك الشفنين البحريـة وسمك القرش وسمك سليمـان وسمك تريفاليس وسمك الصورل وسمـك البنيان وسمك الناخر وسمك الأسبـور وسمك النهاش وسمك الأخفـس وسمك النعاب وذلـك إلى جـانب مجموعـة من الـرخويـات مثل الحبـار والصبيـدح وأذن البحـر. وأخيراً مجمـوعـة مـن القشريات مثل الروبيان والكـركند (جراد البحر). ويبدو أن تـوسيـع نشاط الصيـد فـي الثمـانينات مـن القـرن العشريـن قد أدى إلى حدوث إنخفـاض شديد فـي كمية الأسمـاك التي تـم صيدهـا في عـام ١٩٨٩م والتي فـي أعقابهـا تم بذل جهود جبـارة لوضـع خطة فعـالة لادارة الموارد السمكية.

ويمكـن تقسيم مـواقـع البيئة البحـريـة في الميـاه الضحلة المنتشرة علـى امتداد الساحل العمـاني بصورة تقريبية إلى فئتين رئيسيتين، همـا المواقع الموجودة في شمال رأس الحد والمـواقع الموجودة فـي جنوب اللسـان الشهير الذي يحدد أقصى نقطة شرقية في شبه الجزيرة العربية بـأكملها. وفي الشمال، توجد الأسمـاك المرتبطة بـالحيود المـرجـانية فـي الغالـب عنـد أعماق الغـوص بـاستخدام أداة التنفـس تحت المـاء أو جهاز الغـوص، بينما يميل ميـزان الحيوانات البحرية في صـالح الأنواع المرتبطة بـالأعشاب الأكلة للطحالب. وعنـد حدود منطقة رأس الحد ذاتهـا يوجد خليط مثيـر من المجموعتيـن مع بعض الحيوانات المرجانية والأعشاب البحرية ومجموعة متنوعـة من الأسمـاك الموجـودة بينها. إنهـا مستوطنـة بحرية تم فيهـا بالفعل اكتشـاف وجود أنواع جـديدة ومن





جهة اليمين: مجموعة من أسماك الاسقمري.

في أقصى اليمين: أسماك الشيمية تصطاد الأسماك الصغيرة مثل السردين على امتداد الساحل العماني

إيف جيلي، وزارة الاعلام

يتم صيد السردين بكميات كبيرة باستخدام شباك السينة الشاطئية.

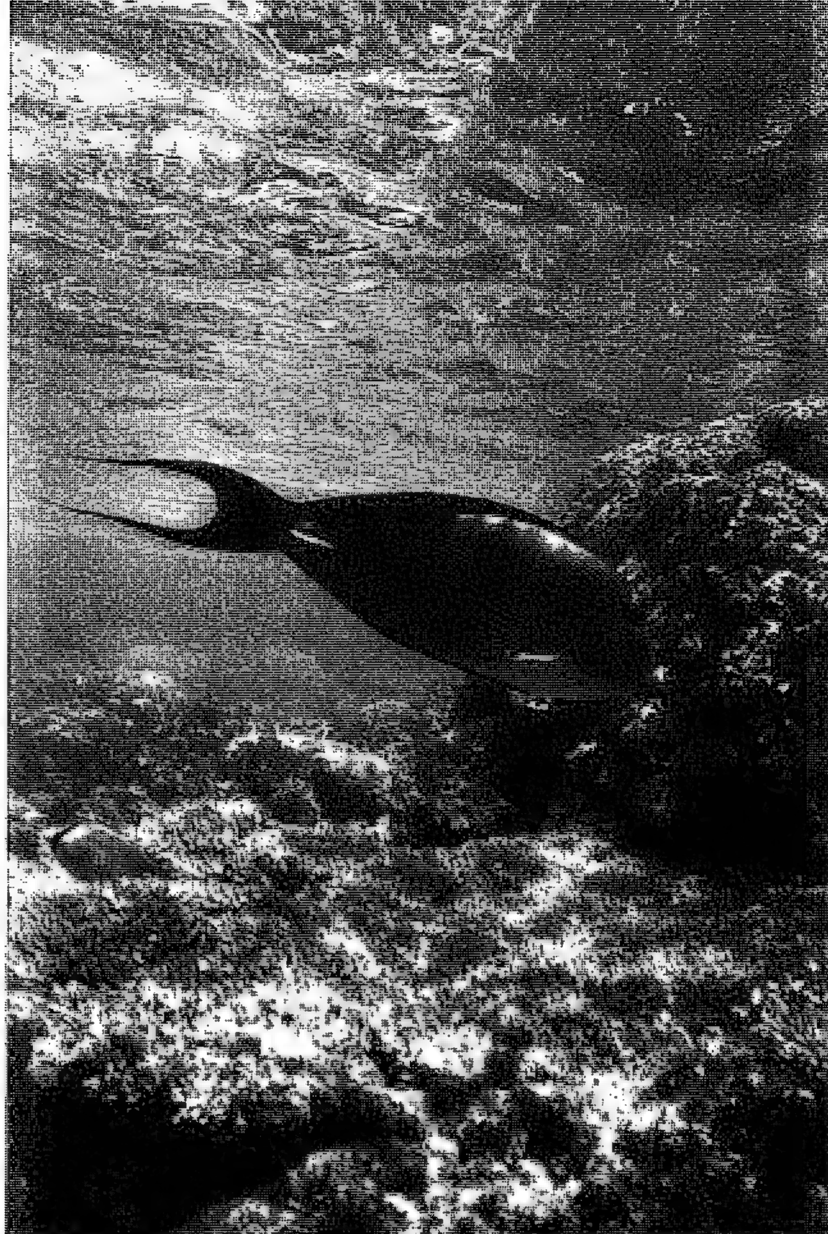
يتم عادة نقل السردين بعد صيده في المياه الضحلة بواسطة بعض الشاحنات الصغيرة.

المحتمل أن يتم اكتشاف أنواع جديدة أخرى في هذه المنطقة عند الانتهاء من اجراء المزيد من الدراسات الدقيقة. ومع ذلك فإن التقسيم الموجود عند رأس الحد ليس تقسيماً كلياً لأن الحيوانات المرجانية تنمو أيضاً على نطاق واسع في الجانب الغربي من جزيرة مصيرة كما جاء آنفا. وقد كان الخليج المحمي المتجه نحو الجنوب والموجود عند الطرف الغربي لرعن بر الحكمان (شبه الجزيرة القاحلة والنائية التي تشكل جانب اليابسة لخور مصيرة) والمعروف باسم خليج حشيش هو الموقع الذي تم فيه اكتشاف نوع جديد من أسماك عروسة البحر التي تتميز بجوانب سمراء اللون وبشريط رأسي أبيض عريض خلف العينين وبأنف أبيض اللون. وقد سمي هذا النوع باسم تشاتودون ديالوسوس ويبدو أنه مستوطن في عمان. والاسم الشائع لهذا النوع من الأسماك هو عروسة البحر العمانية الذي يبدو إسماً مناسباً حقاً وقد قام بوصفه من الناحية العلمية رودني سلم ـ الذي ألف بحثاً هاماً عن التخطيط الساحلي في عمان ـ وجونثان مي ـ الذي ساعد في تأسيس مركز العلوم البحرية في عمان.



إن تأثيرات تيارات تغيير المياه السطحية الساحلية على امتداد سواحل عمان والناتجة عن الرياح الموسمية الجنوبية الغربية لا تفيد بالطبع جميع الأنواع. فقد شاهدنا بالفعل كيف أن المياه الباردة المرتبطة بتيارات تغيير المياه السطحية الباردة تشجع نمو الأنواع التي تعيش في المياه الباردة لكنها تجعل حياة الأنواع الاستوائية صعبة. صحيح أن المياه العميقة التي تتدفق إلى السطح غنية بالغذاء لكن محتواها من الاكسجين منخفض مما يسبب مشكلة لبعض الأنواع الأخرى بالرغم من أنه يتم تعويض مستويات الاوكسجين السطحي بالفعل عن طريق الاختلاط الدوامي الناتج عن حركة الأمواج العنيفة في شهر الصيف.

وعندما تهدأ الرياح في أعقاب الرياح الموسمية يكون



كان من المعتقد يوماً أن أسماك السرجون تستوطن البحر الأحمر، غير أن انتشارها يمتد على طول سواحل جنوب الجزيرة العربية وحتى الخليج.

البحر محملاً بكتل بيولوجية من الأعشاب البحرية الميتة والكائنات الدقيقة الأخرى التي تتوفر بكثرة أثناء فترة الرياح الموسمية. ويزداد في بعض الأحيان الطلب على الأوكسجين البيولوجي إلى الحد الذي يتم فيه سحب كمية كبيرة من الاكسجين من المياه الضحلة بحيث لا يستطيع السمك تنفس الاكسجين بصورة كافية عبر خياشيمه فتتعرض كمية كبيرة من السمك للموت في هذه الأثناء نتيجة لهذه الأحداث الطبيعية.

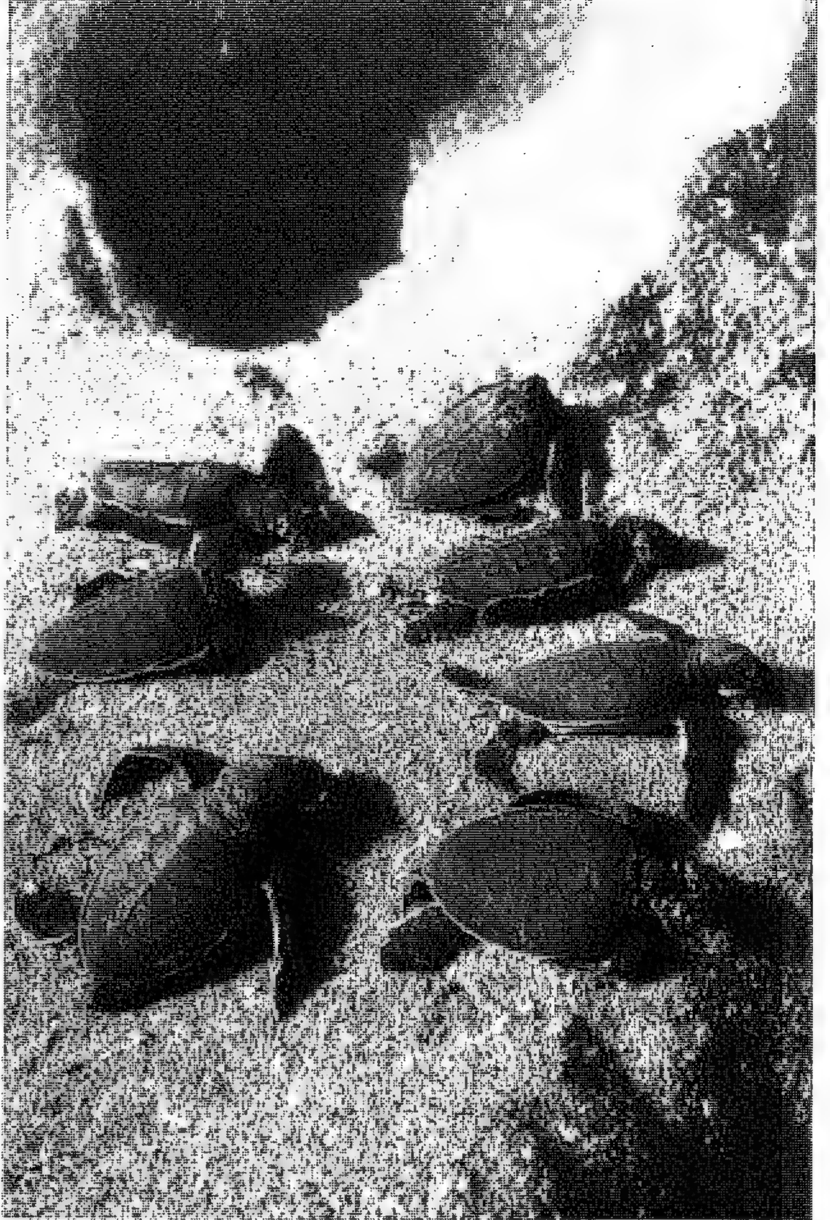
وليس من المدهش أن الأحوال الطبيعية الفريدة التي تؤثر على المحافظات الساحلية العمانية تتبنى أنواعاً تتكيف للاستيطان هنا على وجه الخصوص وليس في مكان آخر. وتعتبر أسماك عروسة البحر العمانية المذكورة آنفاً أحد هذه الأنواع، لكن هناك بالطبع أنواعاً كثيرة أخرى مثل سمك أبو ذقن وسمك الكرومس ذو الزعانف الصفراء. وفي أثناء تأليف هذا الكتاب كان يتم اجراء استقصاء هام لتسجيل جميع أنواع الأسماك التي تعيش عند السواحل العمانية وقد تمخضت هذه الدراسة عن اكتشاف أنواع جديدة وربما أنواع مستوطنة هناك. وتتباين ظروف مشاهدة الأسماك في عمان سواء باستعمال أداة التنفس (الشنركيل) أو جهاز الغوص تبعاً للموسم حيث أن مجال الرؤية تحت سطح الماء منخفض في الغالب عن مجال الرؤية في مناطق الغوص الأخرى في الحيود المرجانية. ومع ذلك توجد بعض الفترات التي تؤدي فيها الأحوال الجوية المحلية مقرونة بالمجموعات البحرية الغنية المثيرة إلى جعل عمليات الاستشكاف والغطس تحت سطح الماء عملية مجزية. ويعتبر شهرا مايو ويونيو أفضل شهور مشاهدة الأسماك في منطقة مسقط حيث تكون المياه الصافية الدافئة هي السائدة كقاعدة لا كاستثناء.

أما في الجنوب، حول صلالة، فإن أفضل فترة لمشاهدة غابات الأعشاب البحرية هي الفترة التي تعقب انتهاء الرياح الموسمية مباشرة أي في شهر سبتمبر.

وهناك خيار آخر متاح أمام أولئك الذين لا تتوفر لديهم فرص الغوص باستعمال أداة التنفس (الشنركيل) أو جهاز الغوص، وهوالقيام بزيارة مركز العلوم البحرية في عمان. ويوفرهذا المركز الرائع الذي تشرف على إدارته وزارة الزراعة والثروة السمكية نافذة رائعة



تتوفر أسماك القرش بكثرة في عمان حيث يتم صيدها على نطاق تجاري. ويظهر في الصورة منظر نموذجي لميناء مرباط.



كانت صغار السلاحف وهي تخرج من بيضها صيداً سهلاً للطيور البحرية والثعالب والكلاب المتوحشة والسلعطونات التي كانت تفترسها حتى قبل أن تصل إلى البحر حيث تنتظرها العديد من الجوارح المفترسة الأخرى.

لمشاهدة الحيـاة البحرية الغنية في عمان. كمـا أنه يتيح كـذلـك للعلمـاء وللجمهـور فرصـة دراسـة سلـوكيـات الأسماك والـرخويـات في الظـروف البيئية المحكـومة. وخلف الكواليـس يستطيع موظفو دائرة الأسمـاك القيام بأبحـاث تطبيقية عن الحياة البحـرية العمانيـة مستغلين في ذلـك مرافق تـرشيح المياه وحفـظ الخزانات التـابعة لمركز الدارسات البحرية.

السلاحف

تتضمن الحيـاة البحريـة في عمـان العديـد من الكنـوز الأخرى، فبـاستثناء طبقات الأعشـاب البحريـة والحيود المرجانية والأسماك فهي تعتبـر موطنـاً لخمسة أنواع من السلاحـف. إن كل مـن صادفه الحـظ وأمضى ليلـة في رأس الجنيز الواقعة جنوب رأس الحـد مباشرة يعلم مدى الاثارة التـي يشعر بها المرء عنـدما يشاهد هـذه الأعداد الضخمة مـن السلاحف الخضـراء (تشيلونيا مـايدس) وهي تسبـح فوق الأمواج المتكسـرة التي يتراقـص على صفحتها شعـاع القمر لتحاول الـوصول إلى الشـاطىء ودفن بيضهـا. ومن المدهـش أن هذا المشهد يتكـرر كل ليلة من ليـالي السنة تقريباً حيث تقـوم حوالي ١٣٠٠٠ أنثى من إنـاث السلاحف بوضع بيضها علـى الشواطىء الواقعة جنوب رأس الحد. وفي كل عام يقيم ما لا يقل عن ٢٠٠٠٠ سلحفاة خضراء عشها على السـواحل العمانية مما يجعلها من أهم المواقع في العالم للمحافظة على هذا النوع من السـلاحف. كما تأتي السلاحـف البحرية ذات الرأس الضخمـة (كارتا كارتـا) بأعداد كبيرة أيضـاً حيث تقيم ٣٠٠٠٠ سلحفـاة أعشاشها عنـد شواطىء جـزيرة مصيرة في أثنـاء شـهور الصيف من كل عام (مـن يونيو إلى أغسطـس)، كما تقيـم العديـد منها أعشـاشها علـى شواطىء جزر الحلانيات وعلـى امتداد بعض الشواطىء النائية لساحل ظفار. كما تـوجد أيضاً السلاحف البحرية (إنتـرموتشيليـز إمبريكـاتا) المـرتبطة عـادة بالحيـود المرجانية ولكنها ليست بهذه الـوفرة. وعلى الرغم من أن عدد هذه السلاحف التي تقيـم عشها في منطقة محدودة من شاطىء جزر الديمانيات يبلغ ٣٠٠ سلحفاة فقط فإن لهذا العدد مغزى هـاماً بالنسبة للتعداد الكلي فـي العالم لهذه السلاحف المهددة بالانقراض.

وتلك هي الذريعة التي تبرر غلق جزر الديمانيات أمام الزوار أثناء موسـم التكاثر في فصل الصيف. كمـا توجد أيضاً السلاحف الزيتونيـة (ليبيدوتشيلز أولفاسي) التي تعتبر أنـدرمن النوع السابـق من السلاحف حيـث تقيم مائة أنثى منها فقط أعشاشها كل عام بالقرب من مصيرة في حين تقوم بضعـة أخرى منها باقامة أعشـاشها على امتداد شواطىء ساحل ظفار.

وأخيـراً هناك السـلاحـف البحريـة الجلـدية الظهـر (ديرموتشليـز كورياسي) التي لا تقيم عشهـا في عمان لكن يمكـن مشاهدتهـا وهي تتغـذى على أسماك قنـديل البحر في المياه البحرية العمانية.

لقد ظلـت دورة حياة السلاحـف غامضة حتـى وقتنا الحاضر. وبينما نعلم مثـلاً، أن إناث السلاحف الخضراء الكاملـة النمو والتي يبلغ عمـرها ٣٠ سنة أو أكثـر تعود إلى الشواطىء التي خرجـت فيها من بيضها، فإن درايتنا بما يحدث لها من وقت خـروجها من البيضة وحتى تصل إلى مرحلة النمو الكامل محدودة للغاية.

ولا توجد سجـلات أو شواهد كثيرة عـن رؤية صغار السلاحـف الخضراء على الرغـم من القول بـأن صيادي

الروبيـان في الخليـج عندمـا يسحبون شبـاكهم فـوق طبقات الأعشـاب البحريـة يصطادون أيضـا (ويقتلون) السلاحف الخضراء الصغيرة. كما أنـه من الواضح أيضاً أن السلاحـف الخضراء من كـلا الجنسين تهاجـر إلى شـواطىء التعشيـش حيث تضـع الانـاث البيض ويتم تزاوج الجنسين أيضاً. وبينما لا تعـاني ذكور السلاحف





مشقة جرّ حملها الثقيل والانسحـاب إلى الأراضي الجافة وبالتالي فمـن النادر رؤيتها فإنها تظل تحـوم في المياه الضحلة المحيطـة بالشواطـىء التي تضع عليهـا الاناث بيضـها فـي انتظار وصـولها مـن عرض البحـر ليقومـوا بمهاجمتها مـن مكامنهم في المياه الضحلة فـور عودتها مجهـدة من وضـع البيـض. ومـن السهل التمييـز بيـن الجنسين فـالذكر يتميـز بذيل طـويل بصورة ملحـوظة وبمخالب مقوسـة عند أكواع الزعانف الأمـامية. وبمجرد الانتهاء من وضـع البيض في غرفتـه الرملية مدفـوناً في الرمـل الجاف والدافـىء بعمق متر كـامل أو أكثر، فـإنه يستغرق حوالـي شهرين قبل أن يفقـس وتخرج الصغار منه. وتميـل صغار السلاحـف إلى الخروج مـن البيض جماعات أثنـاء الليل وليس أثناء النهار وتتحـرك مرتجفة حتى تصل إلى البحر بأسرع ما يمكن. وفي هذه المرحلة تكـون فـي أضعف حـالاتهـا وتكـون عرضـة لتنهشـهـا الثعالب والكلاب المتوحشة والسلطعونات (السرطانات) الشبحية وطيـور النورس. وبمجـرد أن تصبح فـي الماء تسبح إلـى داخل البحـر وتكتسب مفاتيـح معرفـة ألغاز الاتجاهات من خلال تحركـات الأمواج وتعيش في مهدها على مخلفـات كيس المـح (الجزء الأصفـر من البيـض). وسرعان ما تختفي عن البصر، بـالرغم من وجود شواهد كثيرة توحـي بأن المرحلة الأولـى من حياتها هـي مرحلة التعلق أو الطفـو في المياه منسـاقة مع تيـارات المحيط وتتغذى على الكائنات الدقيقـة التي تصادفها في البحر. وبعد إنقضاء عام كامل تعود صغار السلاحف إلى المياه الضحلة حيـث تتغذى على الحياة البـرية الموجـودة في قاع البحـر وتنمو بصورة بطيئة حتـى تصل إلى مـرحلة النمو الكامل.

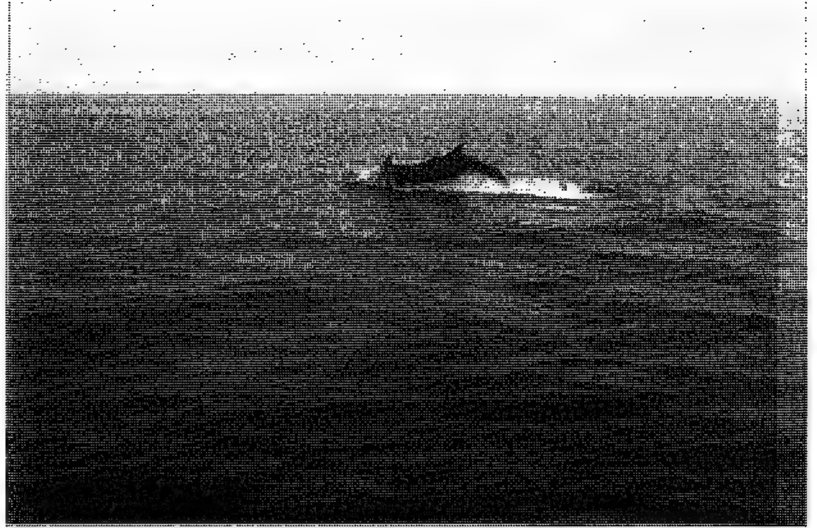
يعتبر شاطىء رأس الجنيز من الأماكن المفضلة والشائعة لمشاهدة السلاحف الخضراء وهي تقيم أعشاشها هناك أو تعود إلى البحر.

جهة اليمين: آثار أقدام السلاحف في رأس الجنيز.

سلحفاة خضراء تتسلق خارجة من عشها في رأس الجنيز.



هانز وجينز إريكسن



الثعابين البحرية

باستثناء السلاحف، يوجد في عمان نوع آخر من الزواحف البحرية، هو الثعابين البحرية. وتعتبر الثعابين البحرية ذات الجلد الأخضر (بيلاميس بلاتوروس) من الكائنات التي تتغذى فوق سطح الماء، ويمكن تمييزها من لون ظهرها القاتم المتنوع الأشكال (أصفر قاتم أو أخضر أو رمادي مقلم أو منقط) وبطنها ذي اللون الأصفر الفاتح. وهو سام مثل غيره من الثعابين البحرية الأخرى ويمكن أن يتسبب في الوفاة على الرغم من أنه غير شرير وتوجد أنيابه السامة في مؤخرة الفك. وهذا النوع من الثعابين البحرية هو النوع الموجود غالباً في البحر بالقرب من مسقط.

الثدييات البحرية

تثير الثدييات البحرية العمانية اهتماماً كبيراً بين الجمهور، وهي تتضمن أعداداً كبيرة من الدلافين التي تعيش في المياه الساحلية وهي الدلافين ذات الأنوف الشبيهة بالزجاجة والدلافين العادية والدلافين اللولبية ودلافين ريسو والدلافين المحدبة الظهر الهندوباسيفيكية إلى جانب تسعة أنواع من الحيتان وهي الحوت القاتل الزائف والحوت القاتل وحوت العنبر وحوت العنبر القزم وحوت كوفير ذو المنقار والحوت المحدب الظهر وحوت «برايد» والحوت «سي» وحوت المنك وربما أيضاً الحيتان الزرقاء وذات الزعانف. وقد شوهد الحوت الأزرق، الذي يعتبر أضخم الحيوانات التي عاشت على ظهر المعمورة حيث يزن حجمه ضعف حجم أصغر الحيوانات الحيتانية ثلاثة آلاف مرة ويبلغ وزنه ما يعادل وزن ألفي شخص، في عمان لآخر مرة في سنة ١٩٨٦م. وهو حوت يعيش في المحيط الجنوبي ومهدد بالانقراض بشدة. إن إضافة صالة جديدة للحيتان في متحف التاريخ الطبيعي في عمان هو دليل على وجود أنواع عديدة من هذه الثدييات الجميلة وشاهدٌ على اهتمام الدولة والمجتمع بها.

أعلاه ولجهة اليسار: الدلافين اللولبية بالقرب من مسقط.

وإذا قام المرء برحلة قصيرة بالزورق إلى خليج مسقط في المنطقة الواقعة بين جزيرة الفحل واليابسة فمن المحتمل أن يشاهد جماعات من الدلافين سواء من النوع ذي المنقار الشبيه بالزجاجة أو النوع اللولبي العادي. إن منظر مائة دلفين أو أكثر من الدلافين اللولبية وهي تقفز في الهواء وتلتف أثناء تحركها في مجموعات كبيرة على بعد عدة أمتار من الزوارق في الغالب هو من مشاهد الحياة البحرية التي تعلق في الذاكرة إلى الأبد. وتميل الدلافين اللولبية إلى أن تعيش في المناطق المائية المعتدلة والعميقة وهي من الحيوانات المألوف رؤيتها في منطقة مسقط وهي تسبح في محاذاة الشاطىء حيث تتسابق مع أسماك التونة. وهي غالباً ما تصاحب جماعات الدلافين العادية، لكن بينما أن الدلافين العادية تندفع للأمام وهي تستنشق الهواء فوق سطح الماء فإن الدلافين اللولبية تؤدى استعراضات رائعة وتقفز باستمرار في الهواء وتدور حول نفسها وهي تتحرك. وهي تتميز بصغر الحجم حيث يقل طولها عن مترين وتتسم بمنقار رفيع شهير أعطاها إسمها البديل وهو الدلافين ذات المنقار الطويل. وبينما تشتهر الذكور ببطن ذي لون قرنفلي فإن اللون القرنفلي الزاهي للأنواع العمانية يوحي بأنها ربما كانت من نوع لم يسبق وصفه من قبل.

وتعتبر الدلافين العادية من أكثر الأنواع التي يصطادها المرء بالقرب من سواحل شبه جزيرة





جي ترسسون. بلانت ايرث

حوت أحدب يقفز في الماء. من المعتقد أن الحوت الأحدب يعيش في المياه العمانية.

مسقط حيث تختلط، كما ذكرنا آنفاً، مع الدلافين اللولبية. إنها من النوع الموجود في أنحاء المناطق الاستوائية وفي المناطق الدافئة بصورة أكبر من الدلافين اللولبية، وتنمو بأطوال تصل إلى ٢،٦ متراً على الأقل. وقد شوهدت الدلافين المنقطة في بعض الأحيان بالقرب من عمان. إنها حيوانات نشيطة رفيعة الجسم ويصل طولها إلى مترين تقريباً وتتميز بزعانف شهيرة في ظهرها وبمنقار أبيض رفيع. وتميل أشكال النقاط التي أعطتها إسمها إلى التباين بدرجة كبيرة باختلاف أفرادها، لكن معظمها يتميز بنمط تمويهي منقط بنقط كبيرة. إن إسمها الشائع البديل ـ وهو الدلفين ذو اللجام ـ قد نتج عن وجود علامات على الجسم تتميز بعضها وتتخذ شكل شريط يمتد من المنقار إلى رقعة العين وشريط آخر يمتد من الزعنفة. أما الدلافين المحدبة الظهر الهندوباسيفيكية فتسبح عادة في مجموعات صغيرة في المياه الضحلة الموجودة على إمتداد سواحل عمان. وتوفر الزعنفة القصيرة والغليظة الناجمة عن حدبة الظهر علامة واضحة تميزها. وتعتبر الدلافين ذات الانوف الشبيهة بالزجاجة من الدلافين المعروفة لدى العديد من القراء باعتبارها الدلافين التي شاهدوها في مياد المحيطات وهي تقفز في دوائر وتؤدي بعض الألعاب الاستعراضية. وهي شائعة ومنتشرة في المياه العمانية وتنمو بطول كبير يصل إلى ثلاثة أمتار. وغالباً ما تطفو الدلافين ذات الانف الشبيه بالزجاجة عند مقدمة الزورق وهي النوع المرتبط عادة بمصاحبة الانسان. أما دلافين ريسو فهي دلافين ذات لون رمادي فاتح طويلة الجسم حيث قد يصل طولها إلى أربعة أمتار وتتميز بمنقار حاد مدور وبجبهة مجعدة وبعلامات على الجسم في شكل خطوط بيضاء متقاطعة تبدو مثل الخدوش أو خربشة الأسنان. ويتميز هذا النوع من الدلافين الكاملة النمو بوجود زعنفة على الظهر طويلة ومقوسة ومدببة. وهي من النوع الذي يعيش في عرض البحر وينتشر في أنحاء المياه الدافئة في العالم ويتغذى على الحبار.

إن هواية مشاهدة الحيتان لم تصبح بعد من المعالم السياحية الجذابة في عمان، لكن يبدو من المحتم أنها ستصبح كذلك قريباً. وإذا رغب المرء في مشاهدة هذه الكائنات المثيرة، فهناك عدة مواقع في عمان لمشاهدتها. ويعتبر مشهد سير مجاميع مشتركة وكبيرة من الدلافين من المشاهد المألوفة في المياه القريبة من مسقط، وبالاستطاعة مشاهدة الدلافين المحدبة الظهر ودلافين المنك ودلافين برايد في فصل الربيع طوال شهري مارس وابريل في نفس المنطقة البحرية تقريباً. كما يمكن مشاهدة الدلافين المحدبة الظهر من اليابسة وهي تتبع مجموعات السردين على إمتداد الساحل وخاصة بالقرب من ساحل الباطنة. كما يقال أنها موجودة طوال العام حول جزيرة مصيرة وبالقرب من جزر الحلانيات حيث تتزاوج وتضع صغارها في شهور الصيف. ويمكن في هذه الأثناء وبالقرب من مناطق الولادة في المياه الضحلة عند سواحل ظفار سماع الدلافين وهي تغني بأصوات تثير الأشجان. وبينما لا يتم رؤية الدلافين القاتلة في عمان إلا نادراً فإن الدلافين القاتلة الزائفة التي تنمو بأطوال تصل إلى ستة أمتار شائعة هناك. إنها دلافين مفترسة تتغذى على الأسماك والحبار وصغار الدلافين. وقد تم عرض حوت العنبر القزم، الذي تم العثور عليه بالقرب من مسقط في شهر أغسطس عام ١٩٨٩م في متحف التاريخ الطبيعي في عمان وهو ربما المتحف الوحيد في العالم الذي يمكن فيه مشاهدة الهيكل العظمي المتجمع لهذا الحيوان.

وتبحر الحيتان على امتداد الساحل العماني متبعة مناسيب معينة للأعماق وهي تحوم حول لسان الجزيرة العربية في اتجاه الشرق عند رأس الحد حيث يجلبها مسارها إلى «مضيق للحيتان» ضيق نسبياً على مسافة عشرة كيلومترات داخل البحر. كما يقال أن الحيتان تتجمع على امتداد الطرف الجنوبي الشرقي لجزيرة مصيرة خلال الفترة من أبريل إلى يونيو حيث يمكن مشاهدتها قبل أن تهب التيارات الرئيسية للرياح الموسمية الجنوبية الغربية. ولا يزال أمامنا العديد مما يجب أن نعرفه عن تحركات الحيتان وسلوكها في المياه العمانية لكن هناك شواهد كافية بالفعل تؤكد مدى أهمية البلاد في المحافظة على هذه الثدييات البحرية الهامة.

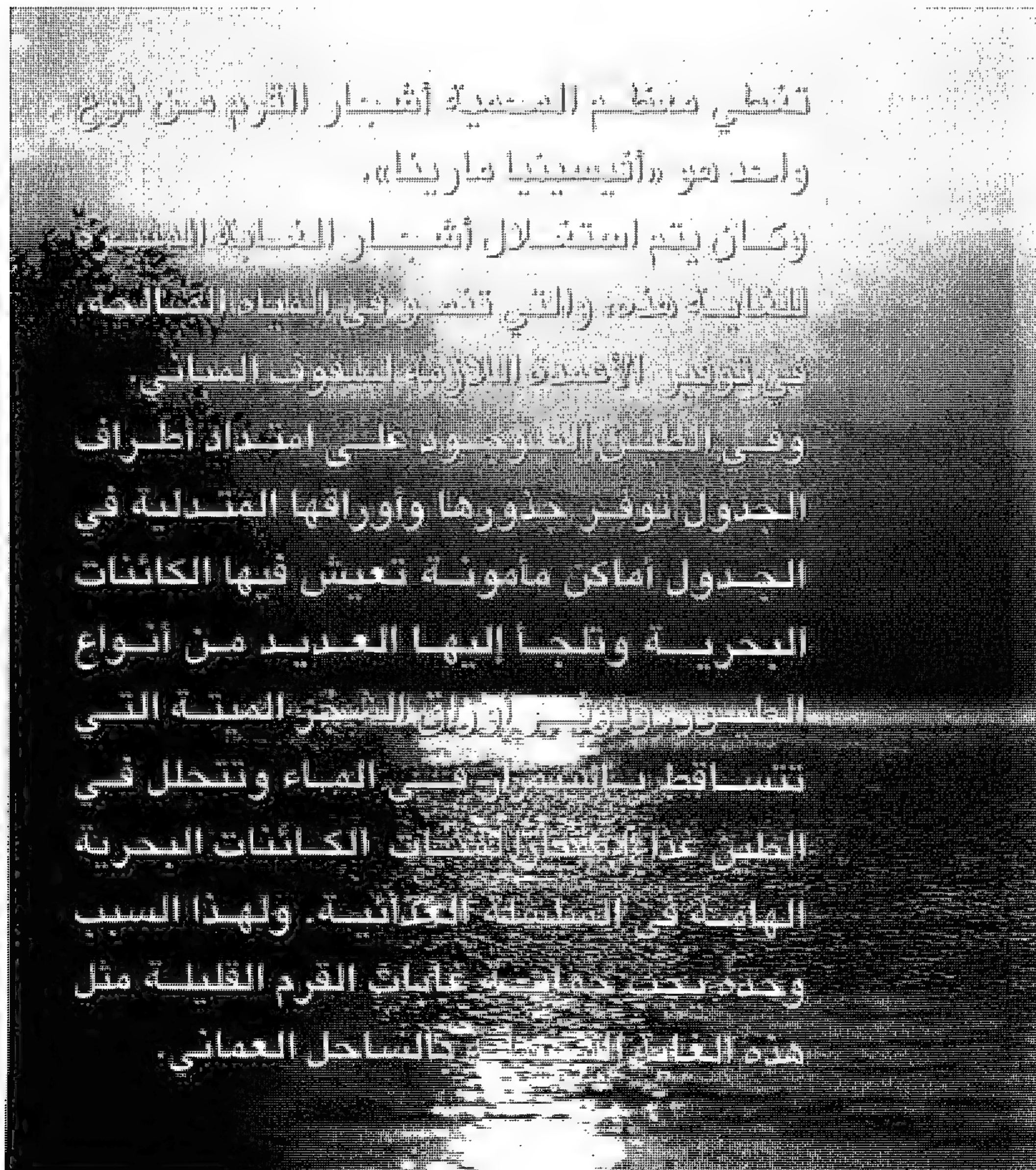
غابات أشجار القرم

تم فــي مقدمــة هــذا الفصـل تنــاول غابـات أشجـار القــرم بصـورة مـوجزة. وقـد تمخضـت دراسـة غابـة أشجــار القــرم والــتي قامـت بهــا عالمـة التاريــخ الطبيعـي كاثليـن سميث علـى مـدى عـدة سنوات عـن تـأليف كتـاب صغيـر قيم عـن مجموعـات الـرخويـات المرتبطة بهذه المستوطنة المثيـرة التي تشكل جـزءاً من حديقـة السلطان قابـوس ومن المحميـة الطبيعيـة. وقد أوجزت المؤلفة ببراعـة فـي مقدمـة كتابهـا مدى أهميـة مثل هذه الأماكن.

لقد تـم استغلال غابة أشجـار القرم في القـرم لمـدة تفــوق عن ٦٠٠٠ سنـة فـي جمـع الرخويـات التــي تعيـش فيهـا، وقـد تم العثـور على أكـوام من الصــدف ضمـن حدودهــا مـع بعـض أجـزاء خطافــات صيــد السمك والعقـود المصنـوعة مـن الصـدف. وكانـت أكثر القــواقع التــي كـان استعملهــا المستوطنـون القـدمـاء شيوعـاً هي قواقع (حلـزونات) الطـين الضخمـة التي لا تـزال متوفــرة بكثـرة فــي طبقــة الطيــن السميكــة الموجـودة عند طرف القرم.

وقد تم في الكتاب الجـذاب الـذي ألفته كاثلين سميث وصـف وتصويـر ٨١ نوعـاً من القـواقع كتـذكار لهــذه المستوطنة البحرية المنسية في الغالب.

وقد تم أدناه طبع تعليـق فوق صورة لغروب الشمـس عند غابة أشجار القرم.





الحياة في البر

تتسم الحياة في البر في عمان بنفس درجة تنوع وإثارة الحياة في البحر. ويتأثرتوزيع الكائنات البرية بمجموعة كبيرة من العوامل البيئية المختلفة التي تتراوح بين العوامل المناخية ونوعية طبقة الأرض التحتية.

ويعتبر الماء العذب بالطبع من العناصر الضرورية لجميع أنواع الكائنات، وإن كان بعضها يتأقلم على العيش بأقل قدر من الماء. وتستطيع بعض الكائنات الصحراوية، سواء النباتية أو الحيوانية، أن تحصل على احتياجاتها من الماء العذب من ندى الصباح الباكر. حتى أن بعض الثدييات الضخمة لا تحتاج إلى تناول الماء العذب لكنها تستطيع أن تستخلص قدراً كافياً من النداوة من النباتات التي تأكلها.

وتعتبر أبقار المارية (المها) العربية أحد هذه الأنواع، ولذلك فليس من المدهش أن آخر بقرة من أبقار المارية يتم مشاهدتها في الطبيعية البرية في الجزيرة العربية كانت تعيش في جدة الحراسيس حيث يوفر سديم (ضباب) البحر الصيفي الذي تدفعه الرياح الموسمية عبر الصحراء النداوة حتى في حالة عدم سقوط الأمطار.

وقد حققت مشاريع حماية البيئة البرية في عمان نجاحاً أكبر من ذلك الذي أمكن تحقيقه في دول الجزيرة العربية الأخرى وذلك بفضل جهود واهتمامات وعزيمة جلالة السلطان قابوس بن سعيد، وبفضل سياساته الرشيدة الناجحة.

إن الوصف الذي ورد في صدر هذا الفصل عن الزيارة التي قمت بها لمشروع يعلوني في جدة الحراسيس حيث شاهدت أبقار المارية العربية والغزلان تتجول بحرية تامة دون أن يزعجها الانسان، ويقوم بحمايتها مجموعة من المشرفين من أهالي جدة الحراسيس يعطي إنطباعات شخصية عن مستوطنات الحياة البرية الفريدة هذه. ومع ذلك لا يوجد ما يعبر حقاً عن احساساتي المثيرة وبهجتي لرؤية أبقار المارية الوحشية والغزلان والوعول وهي موجودة بأعداد كبيرة وفي بيئة بكر لم تشهد تغيراً كبيراً منذ أن بدأ انسان العصر الحجري يصطاد في هذه المنطقة.

في الصفحة المواجهة: تدفق النهر بعد سقوط الأمطار فوق المنبسطات العليا لوادي دوكة.

المنبسطات السفلى بوادي شاب.





جذع شجرة تنوب يبلغ عمرها ٢٦٠ م تقريبا تم العثور عل رمال قاع نهر قديم الحقف ينتصب الآ متحف التاريخ الط العماني.

الحياة النباتية

يوجد عند مدخل متحف التاريخ الطبيعي العماني أحد جذوع أشجار التنوب المتحجرة من رمال قاع النهر القديم في منطقة الحقف العمانية، يرجع تاريخه إلى العصر البرمي (العصر الأخير من الدهر القديم) وعلى ذلك فهو يبلغ من العمر مائتين وستين مليون سنة. وقد اكتشفت شركة عمان لتنمية البترول هذه الأحفورة، وقامت مدرسة النقل التابعة لسلاح الجو السلطاني العماني بنقلها إلى العاصمة حيث تم وضعها عند مدخل المتحف في شهر أبريل عام ١٩٨٩م. إن الحياة النباتية العمانية غنية بصورة فريدة، وتضم أكثر من ألف نوع مسجل من الكائنات النباتية. وقد شجع هذا التنوع البيولوجي الكبير وجود مجموعة متنوعة من المستوطنات في المناطق العمانية بما في ذلك منطقة الجبال الشمالية والمنطقة الوسطى والصحراء الرملية، وكذلك الظروف السائدة في ظفار وهي منطقة تضم ما لا يقل عن ٥٠ نوعاً مستوطناً.

ويوجد أكبر تنوع لأصناف الحياة النباتية في جبال ظفار حيث تم تسجيل وجود ٧٥٠ نوعاً من بين مجموع الأنواع الموجودة في البلاد بأكملها وعددها ١٠٤٤ نوعاً. أما أقل تنوع لهذه الأصناف فيوجد، كما يتوقع المرء، في صحراء الربع الخالي التي تضم أقل من ٢٠ نوعاً تعيش في الرمال و١٧ نوعاً آخر عند أطراف الصحراء. وقد قام بعض علماء النبات بإجراء دراسات اقليمية. وفي هذا الصدد يجب أن نذكر الدراسات القيّمة التي قام بها أنتوني ميللر وميراندا موريسن وسجلّاها في كتاب «نباتات ظفار»، والكتاب الصغير الذي ألفه جيمس ماندافيل الصغير ونشره تحت عنوان «الزهور البرية في شمال عمان»، والأعمال الجليلة التي قام بها مشروع رملة الوهيبة تحت رعاية الجمعية الجغرافية الملكية وهو المشروع الذي قام من خلاله كوب ولوري ووارن ومونتون بدراسة النواحي المختلفة للحياة النباتية في رملة الوهيبة، والتقارير الخاصة باستقصاء الحياة النباتية والحيوانية العمانية التي كتب فيها ماندافيل وريد كليف ـ سميث أبحاثاً تتعلق بهذا الموضوع.

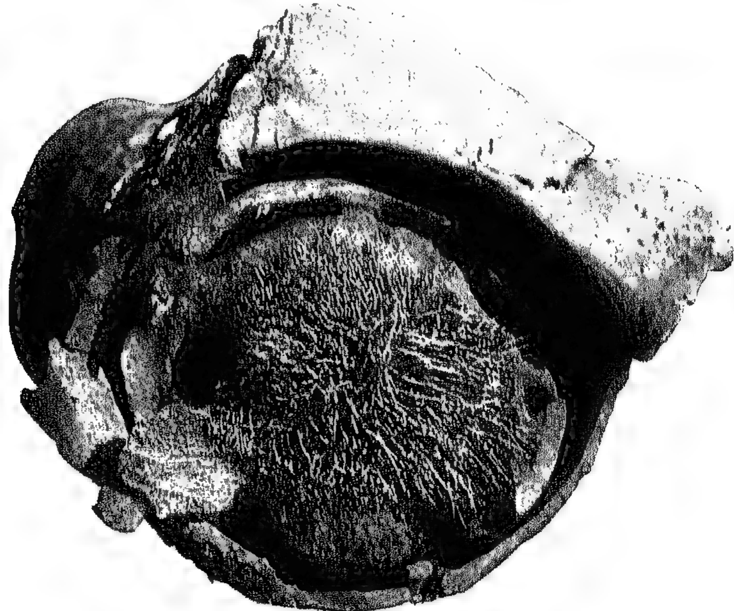
وبالاضافة إلى ذلك قامت شاهينة غزنفار بانتاج «الدليل المفسر للنباتات الوعائية العمانية» وكتابة بحث عن النباتات الطبية في شمال ووسط عمان بالاشتراك مع الكاتب أحمد محمد علي الصباحي. كما كتبت شاهينة غزنفار بحثاً آخر حددت فيه بعض المناطق النباتية ومجاميع النباتات المنقرضة في عمان.

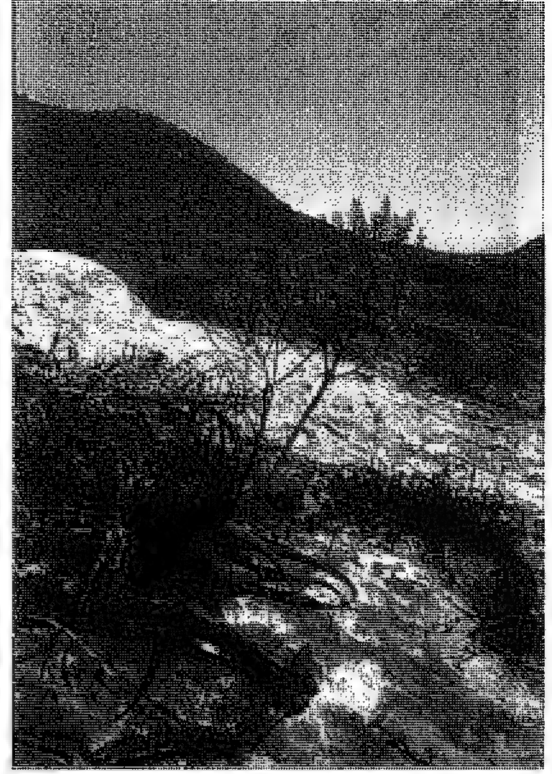
وتشير الدراسات الأخيرة إلى خارطة الحياة النباتية العمانية والتي تم إعدادها كجزء من الدراسات التي قامت بها هيئة IUCN (جي. ئي. كلارك، ١٩٨٦). ويوحي هذا التصنيف المنطقي المبني على ٣٧٢ نوعاً مسجلاً من النبات بوجود تسعة مناطق رئيسية للحياة النباتية وهي مناطق نباتات الجبال الشمالية، وفصيلة أشجار السنط الخفيضة، وفصيلة أشجار السنط



المفتولة ، وفصيلة أشجار السويداء والنباتات السعدية، وفصيلة أشجار السمر التي تشمل أشجار السمر الجنبي وأشجار السمر المصغر، وفصيلة أشجار الشيشلان الرمادية وأشجار الأرطي (من الفصيلة البطباطية)، وفصيلة أشجار السمر «الزيغوفلون» (الفصيلة القدسية) و«الهيلوطروبيون» (رقيب الشمس) والمراعي الطبيعية شبه الصحراوية، وغابات الجرف الجنوبي ونباتات السهول.

وتعتبر أشجار الشيشلان الرمادية من أهم الأشجار بالنسبة للبدو القاطنين في الصحراء، فهي نوع فريد من الأشجار ينمو في أكثر المناطق الصحراوية جفافاً ويساعد في تهدئة العواصف ويوفر الظل اللازم للانسان والحيوان. وبالاضافة إلى ذلك يوفر هذا الجنس من الأشجار الطعام للحيوانات والحطب المستعمل كوقود للطهي، وتتميز جذور هذه الأشجار بأنها طويلة بصورة غير عادية وتمتد في بعض الأحيان لمسافة تزيد عن ٦٠ متراً تحت سطح الأرض لتصل إلى المياه الباطنية. إن اعتماد هذه الأشجار على الطبقات الصخرية المائية العميقة بدلاً من مياه الأمطار السطحية يتيح لها أن تنمو وتحافظ على وفرة أوراقها وعلى إنتاج بذورها حتى في فترات القحط. وقد أدت الخشية من الافراط في قطع واستغلال أشجار الشيشلان في عمان إلى الدعوة إلى تطبيق بعض اجراءات الحماية خاصة وأن هذه الأشجار لا تخدم الانسان فحسب بل توفر مستوطنات فريدة للحياة البرية وأن نزعها من المناطق الصحراوية له تأثير سلبي كبير. ويتم الآن استعمال هذه الأشجار كجزء من برنامج التشجير في عمان. وعندما تطغى الرمال على غابات أشجار الشيشلان فإنها تساير تراكم الرمال عن طريق النمو الانباتي الجانبي والرأسي. وفي الواقع فإن غابات الأشجار المتخلفة هذه هي من آثار الغابات الأصلية التي ازدهرت في عمان خلال العصر الجليدي الأخير منذ ما يربو على ١٢٠٠٠ سنة مضت، ولذلك لا







تبدو عليها الخصائص العادية للمحافظة على الماء التي تبدو على معظم النباتات الصحراوية الأخرى. بل أنها ترشح بحرية طوال اليوم عن طريق أوراقها وهي من الخصائص التي قد تسبب جفاف معظم أجناس النباتات الأخرى التي تنمو في هذه الظروف البيئية الجرداء في وقت سريع. لكن أشجار الشيشلان تعوض ما تفقده من ماء بسحب المياه الباطنية عن طريق شبكة جذورها الكثيفة. إن الخطر الكبيرالذي قد يؤثرعلى بقاء هذه الأشجار الرائعة، التي ينطوي وجودها على مفارقة تاريخية هامة، هو أن ضخ الماء الباطني من الأبار سوف يؤدي إلى إنخفاض منسوب المياه الباطنية إلى حد لا يصل إليه مستوى تغلغل الجذور في باطن الأرض. وقد لعبت النباتات دوراً طبياً هاماً في حياة الشعب العماني على مر آلاف السنين. ويعتقد بعض الناس أن الأدوية العشبية وطرق المداواة التقليدية لا يزال لها دور هام في توفير الرعاية الطبية العامة.

وبينما قضت الأدوية الحديثة على الحاجة إلى الاعتماد الكلي على هذه الأساليب الطبية إلا أنه لاتزال هناك خبرات واسعة وثقة كبيرة في المهن التقليدية للمداواة بالأعشاب.

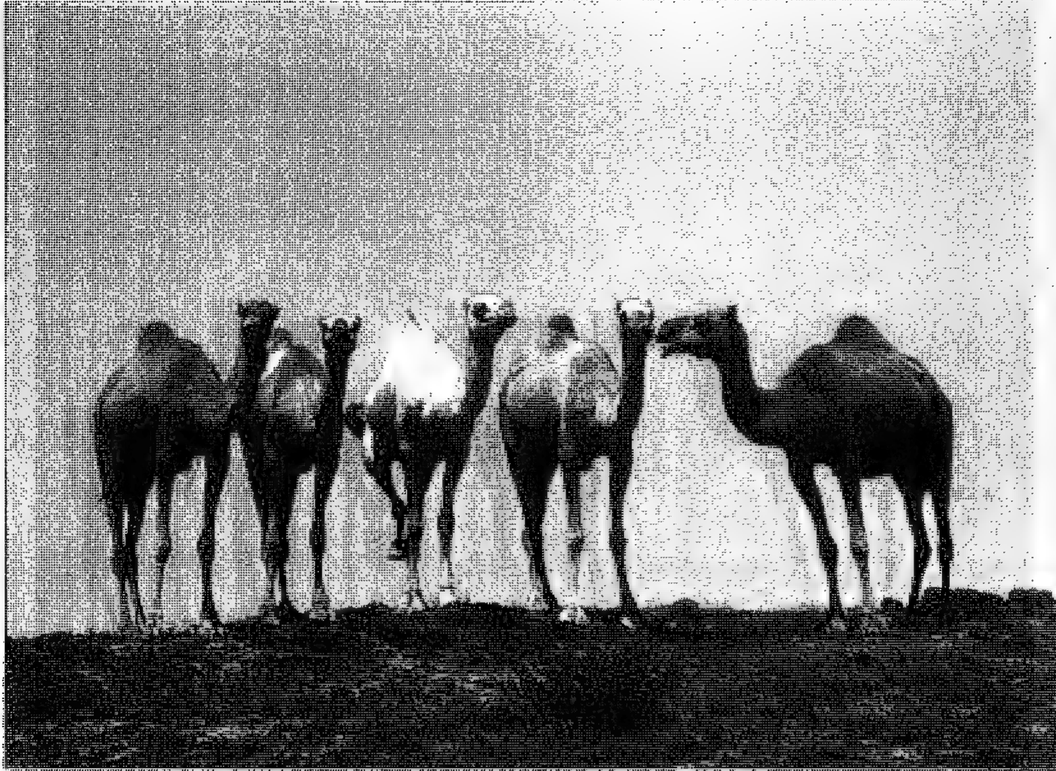
وقد تمت كتابة أبحاث كثيرة حول هذا الموضوع من قبل عاتب الشعبي «الطبيب» (١٩٨٠)، وشاتي (١٩٨٤) وميللر وموريس (١٩٨٨) وغزنفار (١٩٩٣).

الديناصورات

قبل أن تطأ أقدام الانسان التراب العماني بفترة طويلة وعلى وجه التحديد منذ خمسة وستين مليون سنة مضت كانت الديناصورات تجوب المنطقة التي تشكل الآن السهل الساحلي العماني. وقد جمع الدكتور سمير حنا وبراين كليسولد في شهر نوفمبر ١٩٨٢ أول دليل على أن هذه الزواحف الضخمة كانت تعيش في عمان وذلك أثناء تسلقهما صخور الجبل بالقرب من قنجا. وكانت العظام التي عثرا عليها هي أول دليل على أن الديناصورات قد عاشت في بلاد الجزيرة العربية. وقد عثرا أيضاً مع عظام الديناصور على عظام بعض السلاحف والتماسيح التي ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ. وعلى الرغم من عدم التمكن من تأكيد أنواع الديناصورات التي عاشت في عمان، فقد أمكن تمييز العظام التي تم العثور عليها حتى الآن بأنها خاصة بالديناصورات «أورنيثيستشيا»،وهي ربما من أعضاء الديناصورات البلاتبوسية وهي ديناصورات عدّاءة قوية تقتات بالأعشاب.



أندرو سبالتون



جمل عربي (وحيد السنام) في ربوع جبال ظفار.

الثدييات البرية

تتضمن الـثـدييات البريةالضخمـة المتوحشة المـوجودة في عمـان، الذئب وثعلب روبيـل الرملي والثعلـب الأحمر والثعلب الأشيـب (ذو اللـون الضـارب إلـى الأبيـض) والنمـس ذا الـذيـل الأبيـض والضبـع المخطـط والقـط الوحشي والقـط الرملي والوشـق والنمر والوبر (الـزلم) الصخـري والغزال العـادي والغـزال السعودي والغـزال الرملي والمارية (المها) والطهر العـربي والوعل والغرير أو الراتل آكل العسل والشيهم الهندي.

وللأسـف فقد انقرضـت الأسود والفهـود الصيـادة من الجـزيرة العربيـة، بينمـا تتشبـث النمـور بـالحياة في بضعـة أماكن قليلة فـي الجبال فـي مسـندم وفـي جبـل سمحـان فـي ظفـار. ويبـدو أن النمـر العربـي قد استطـاع البقاء على قيـد الحياة في عمـان اعتمـاداً على صيـد الوبر (الزلـم) والأرانب الوحشيـة والقوارض والـزواحف والطيـور. ويعـرف حيـوان الوشـق محلياً باسـم عناق الأرض، وقد قـام متحف التاريـخ الطبيعي العمانـي باختياره شعـاراً له تقديـراً واعترافا بشجـاعته وجسارتـه وقدرتـة القـوية علـى التحمل ونبالتـه كممثل للحيـاة البـرية الغنيـة فـي عمـان. وهـو يعيـش فـي السهول الصخريـة النجدية حيث استطـاع البقـاء علـى قيـد الحيـاة اعتمـاداً علـى صيـد القـوارض والطيـور والأرانب الوحشيـة وأحياناً الغزلان التي يهجـم عليها في الغسـق. وقد تـم استثنـاس الجمـال ولم تعـد تعتبر مـن الحيوانـات المتوحشـة بالرغـم من أن عمـان كانـت أحد مواطنها الأصلية.

ويعتبـر حيوان الـوبر أو الـزلم الصغيـر من الأنـواع المثيرة لفصيلة الحيوانـات الثديـيـة العمانيـة الصغيرة لأنـه آخر مـن بقـى على قيـد الحيـاة مـن مجموعـة الثدييـات التي تقتـات بالأعشـاب والتـي استوطنـت في أفريقيـا وجنوب أوراسيا مـنذ ٤٠ مليـون سنـة. إن سر بقاء الوبر على قيـد الحياة،على عكس انقراض جميع أقربائه، يكمـن في مقدرته علـى العيش دون أن يشـرب المـاء العـذب وأن يعيـش عـلـى القليل مـن الغـذاء. ويمكن العثور على هذه الثدييات المنعزلة الليلية القديـمة مـن ذوات الحوافـر في المستـوطنات المـوجودة تحـت الأحجار المتساقطـة عند باطن تلال الجبال الجـافة فـي منطقـة ظفار. وكما جاء آنفاً، فهي تقتات الأعشـاب لكنـهـا تتغـذى أيضـاً في بعض الأحيان علـى النباتات التـي قد تكون سـامة للحيوانات الأخـرى، وتكمل غذاءها الهـزيل بتناول الحشرات.

ومن بيـن الثدييات الصغيرة يـوجد ١٤ نوعاً معـروفاً من القـوارض في عمان، وهـي تشكل مجموعـة ناجحـة على وجه الخصـوص وتستوطن في مستوطنـات متنوعة بما في ذلك المستوطنات الصحـراوية. ومعظم أنواع هذه الثدييـات هي حيـوانات ليلية ونـادراً ما يتـم مشاهدتهـا أثناء النهار.

ويتميز حيـوان اليربوع ذو الأصابـع الثلاثة بقـدمين خلفيتين طـويلتين تتيـح له أن يهـرب بمهارة كبيـرة من مفترسيـه، ويقفز قفـزات شبيهة بقفـزات حيوان الكنغـر الاستـرالـي الصغير. وتسـاعده قدمـاه المعنقدتـان على التشبث بثبـات فوق الـرمال السائبـة. أما الفـأر الشـائك فيعتبر أحد الثـدييات الصغيرة المتأقلمة علـى الحياة في الصحراء حيـث يتغذى علـى البذور الجـافة. أمـا حيوان

اليربيل «تشيزمان» (وهو مـن فصيلة الفأر) التشيزماني فهو من الثدييات الصغيرة الأخـرى المتأقلمة على الحياة في الصحراء الرملية حيـث يعيش في الجحور ولا يخرج منها سوى أثناء الليل.

ومن نـاحية أخرى يعيش حيـوان اليربيل «فـاجنزن» فـي المستوطنـات الصخريـة. أما الجيـرد «صنديفـال» فيعتبر مـن القوارض الصحـراوية الشـائعة التـي يمكن التعرف عليها بسـهـولة من شكله الرمـادي البني الشبيه بـالفأر وعينيـه الواسعتيـن وذيلـه المعنقد ذي الطـرف الأسود المميز. وهو يفضل الحيـاة في الصحـراء الرملية حيث يقيم جحره أسفل الشجيرات الشائكة.

أمـا آكلات الحشـرات فتتضمـن حيوانـات الـزبابـة المنزليـة (الشبيهة بالفأر)والـزبابة الأصغـر حجماً ذات الأسنـان البيضاء والـزبـابة الصـومـالية ذات الأسنـان البيضـاء والقنفذ الحبشي والقنفذ الأسود.

وتقيم أكبـر أنواع الخفـافيش العمـانية حجمـاً، وهي الخفافيش المصرية التي تقتات الفواكه والمعروفة باسم «الثعلب الطـائر»، في كهوف الجبـال العالية وتهبـط إلى بســاتين الفـواكه المـوجـودة في المنـاطق المنخفضـة لتحصل على غذائها.

أما الخفافيـش العمانية الأخرى فتتغـذى جميعاً على الحشرات لا على الفواكه، وهي تتضمن الخفـاش ذا الذيل الشبيه بـذيل الفأر والموجـود في منطقة طوي عتيـر في ظفار والخفـافيش الايـرانية ذات الأنـف الشبيه بـأوراق النبات والتـي تقوم أوراق أنفها الشـوكية الثلاث بتـأدية وظيفة عكس الصوت المرتبط بـالملاحة. وهي تعيش مع الخفـافيـش القـارضـة في قنـوات أنظمـة أفـلاج الـري الموجودة تحت سطح الأرض.

أمـا خفافيش «همبريتش» ذات الأذن الطويلة فهي من نوع الخفافيـش الصحراوية التي تعيـش في الكهوف أو الشقوق المـوجودة في التلال الصخـرية أو في المبـاني المنعزلة المهجورة.

وتتضمن الـثدييات الصغيـرة الأخرى بعـض الأنواع الفرعية المختلفـة لأرانب «كيب» الوحشيـة المنتشرة في مناطـق الصحارى الرملية والصخـرية في عمـان والتي يظهر عليهـا بعض التبـاين بين الجنـس الواحـد، حيـث يتميـز بعضها بـأذن طويلـة بصـورة لا تتنـاسـق مـع جسمه كنـوع من التأقلـم على تشتيت الحـرارة. وتتموه أجناس هـذه الأرانب الـوحشية التـي تعيش فـي الرمـال بلحـاء بلون الـرمل وينبـت شعـرها عنـد اخمص القـدم ليساعدها في التشبث بثبات.



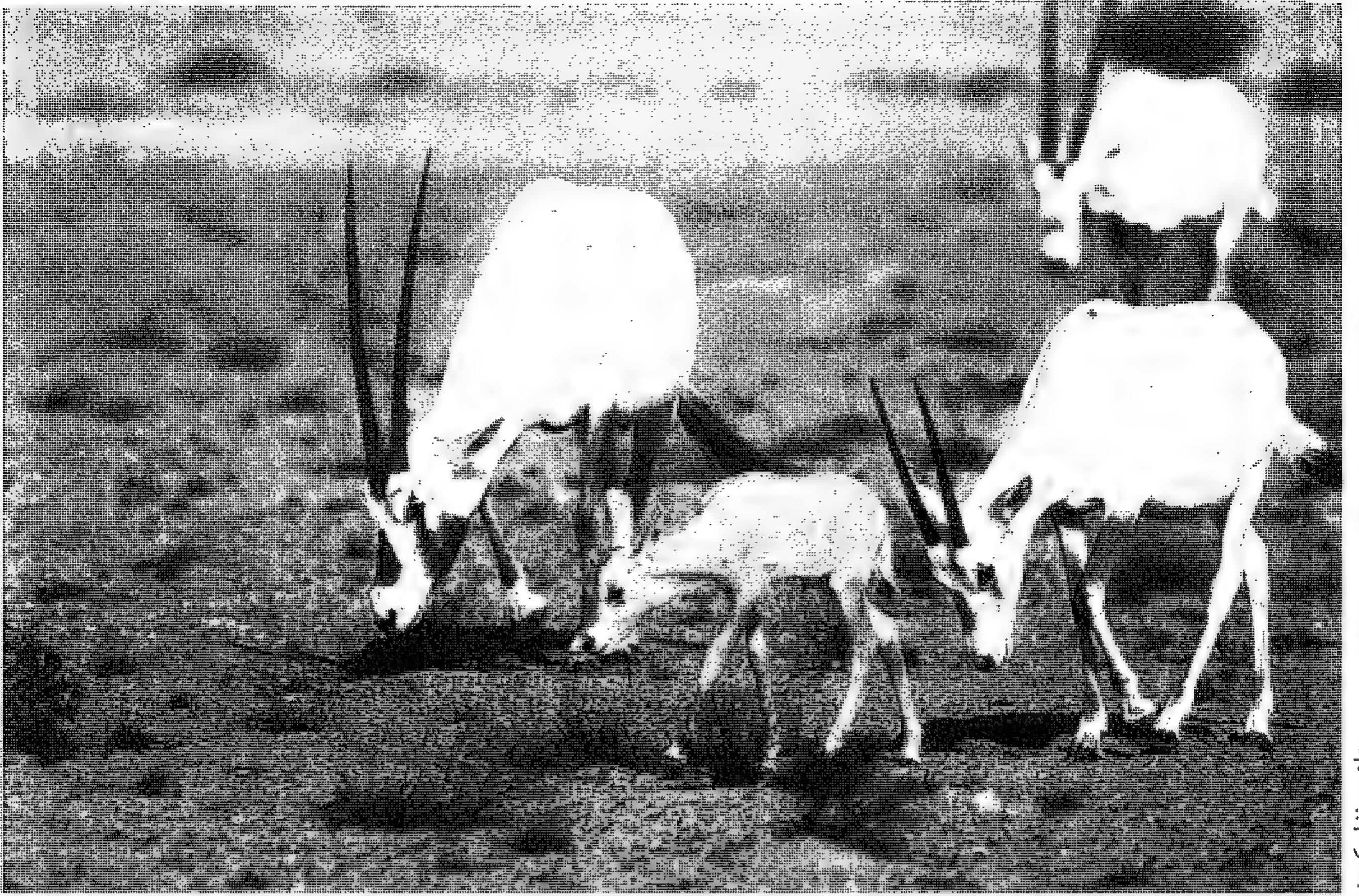
ماعز يشرب الماء من بحيرة في الأنصب. للأسف تسببت الماعز في تدمير العديد من المستوطنات في أنحاء الجزيرة العربية.

أبقار المارية (المها) العربية

يعيش فـي عمان ٧٥ نوعاً من الـثدييات، لا يوجد من بينها ما هو أفضـل من أبقار المارية البيضاء أو أبقـار المارية العـربيـة عندمـا يتعلـق الأمـر بـالتـأقلم مـع الظـروف الصحـراويـة حيث تسـاعدهـا خصـائصهـا البـدنيـة والفسيولـوجية والسلـوكية علـى أن تعيش فـي منـاطـق الجزيـرة العربية التـي لا تستطيع أن تعيش فيهـا سـوى بضعة أجناس مـن الثدييات الأخـرى، إن وجـدت. ويرجع أحد العـوامل الرئيسية لهـذا التأقلم إلى تحمـل التقلبات الكبيرة جداً فـي درجات الحـرارة التي تتعـرض لها والتي



قطيع من الحمير بالقرب من البيح.



أبقار المارية (المها) في يعلوني.

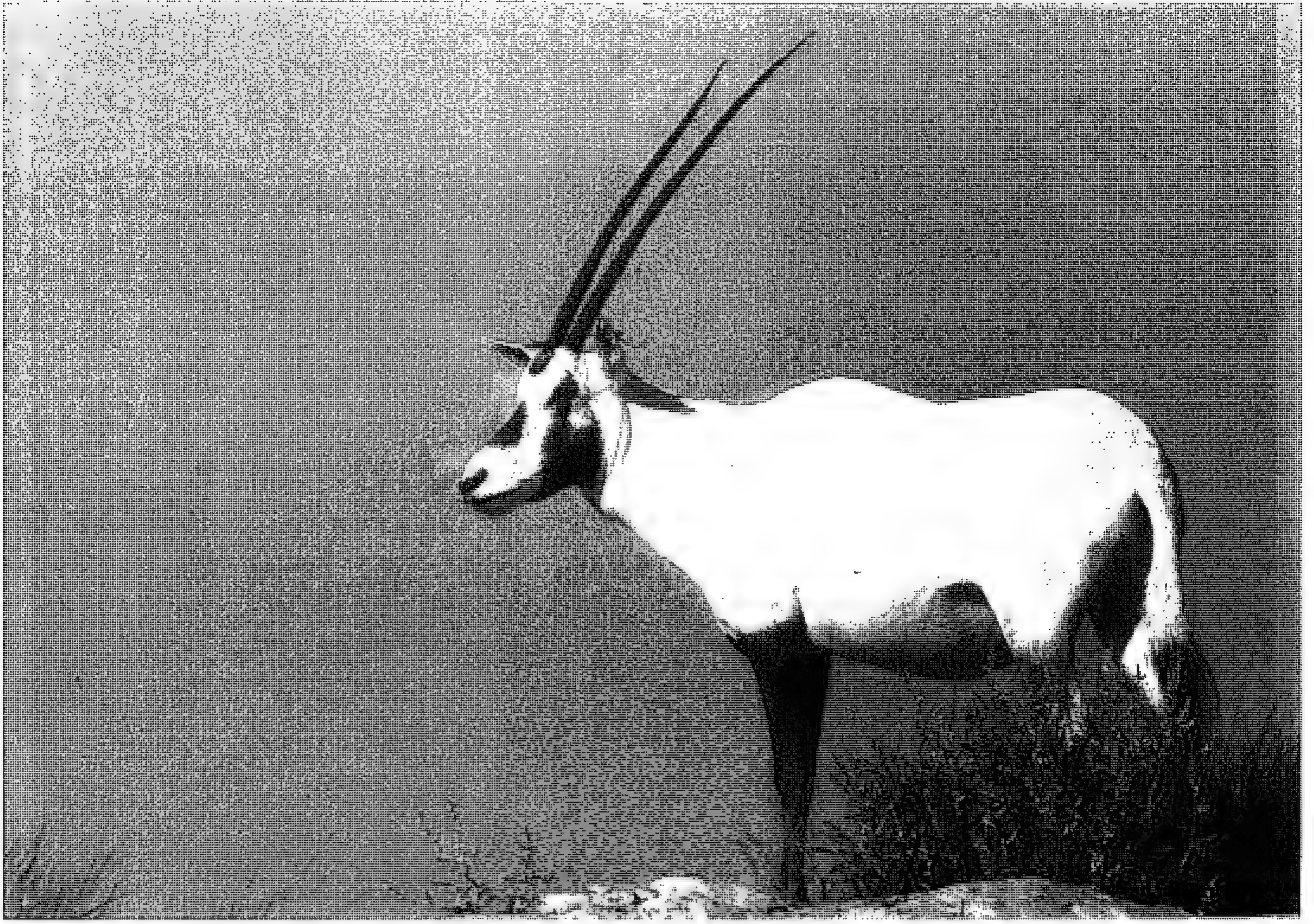
تتراوح بين ٥٠ درجة مئوية ودرجة الصفر (التجمد) تقريباً. ويتغير شعر جسمها حسب الموسم فيصبح طويلاً وغزيراً في فصل الشتاء ليمكنها من أن تحمي نفسها ضد الرياح الباردة.

وعندما تنخفض درجات الحرارة تقف أبقار المارية في اتجاه الشمس وترفع فروة شعرها فتكشف عن جلدها الأسود الذي يمتص الحرارة. وغالباً ما يتم رؤية هذه الأبقار وهي تقف في هذا الوضع في أوقات النهار وبعد الظهر في أثناء فصل الشتاء.

ولتفادي فقدان الحرارة دون داع في أثناء الليل تختار أبقار المارية أماكن مستترة ومحمية من الرياح عند أكوام الرمل أو تجمعات الشجيرات لتأوي إليها. وهي تتميز بعيون غائرة وبذلك يتم حمايتها من وهج الشمس نتيجة للظل الذي يوفره الضلع العظمي البارز. وبالاضافة إلى ذلك فهي تتميز بأهداب طويلة وغدد دموع نشطة تساعدها على حماية عينيها من الرمال المتطايرة وتتيح لها مواصلة تناول الغذاء أثناء هبوب العواصف الرملية.

وتميل أبقار المارية في ظروف درجات الحرارة العالية في فصل الصيف إلى أن تكون أكثر نشاطاً أثناء الليل وتختفي أثناء النهار من وهج الشمس. وهي تتمتع بمقدرة عجيبة على العيش لفترة طويلة دون شرب الماء العذب. وفي تلك الأوقات تعوض احتياجاتها لموازنة الماء بصورة صحية عن طريق النداوة التي تمتصها من تناول النباتات التي تجذب ندى الصباح الباكر والسديم (الضباب) الموسمي مثل تلك النباتات التي تنمو في جدة الحراسيس. كما أنها تميل إلى التخلص من غطائها الشتوي في فصل الربيع عندما تبدأ درجات الحرارة في الارتفاع ويصبح لونها أكثر بياضاً ونعومة مما يعزز من مقدرة لحيتها على تشتيت الحرارة. ومن عيوب ذلك أنه يجعل بقرة المارية مرئية بوضوح في الطبيعة البرية حيث يعكس شعر جسمها الأبيض الضوء كالفنار في أفق الصحراء ويجعلها هدفاً جلياً للأسود المفترسة والفهود الصيادة التي كانت تجوب هذه الأراضي يوماً وصيداً سهلاً للصيادين من بني البشر. وبالاضافة إلى أن شعر جسمها يساعدها على تشتيت الحرارة بدرجة عالية، فإن وضوح رؤيتها يساعدها على أن تبقى مع بعضها البعض وهي ترعى في منطقة واسعة تمتد عدة كيلومترات. وتحافظ أبقار المارية على اتصال بصري بين أعضاء القطيع أثناء الرعي وتقوم الثيران في الحال بجمع العجول التي تضل السبيل عن القطيع.

ويمثل هذا السلوك الواقي الأبوي بوضوح تأقلماً مع الظروف السائدة يهدف إلى الحد من خطر وقوعها فريسة سهلة، وهو سلوك غير معروف بين أنواع الأبقار الوحشية الأخرى كما نعلم. وفي أثناء الأوقات التي تصعب فيها الرؤية بوضوح لمسافات بعيدة، مثلاً أثناء الليل أو في أثناء هبوب العواصف الرملية تتجمع أبقار المارية معاً وتحافظ على اتصال صوتي مع بعضها البعض عن طريق الخوار برقة. وإذا إنفصلت الأبقار عن بعضها البعض، تعود البقرة «الضالة» إلى نفس مكان الرعي السابق وإذا لم يتمخض ذلك عن توحيدها من بقية القطيع فإنها تقف في مكان بارز مثلا فوق أحد الأكوام أو فوق الأرض المرتفعة لتحاول أن ترى بقية القطيع أو لتكون مرئية لهم. وإذا أخفق هذا الاجراء أيضاً تقوم



أندرو سبالتون

بقرة مارية (مها) عربية منعزلة في مجمع يعلوني.

المارية «الضالـة» باستكشاف المناطق التي يـرعى فيها القطيع عـادة وأحيانا ما تقتفـي آثار أقدام أبقار المـارية الأخرى.

وفي أثناء الـرحلات الطويلة تسير أبقار المـارية في صـف طويـل واحـد، واحدة بعـد الأخـرى، وقـد ترحـل لمسافات طويلة بحثاً عن مرعى مناسب.

برنامج إعادة توطين أبقار المارية

لا يكتمل مـوضـوع الـثـدييات العمـانية دون أن نستعـرض باختصار نشاط بـرنامج إعادة توطين أبقـار المارية. إنها قصة مـألوفة للعديد من القـراء وهذا يحصر مهمتـي في ايجاز الحقائق ذات الصلة الموضوعية.

لقـد بدأ المشـروع عندمـا أبـدى المهتمون بضـرورة صيـانة المـوارد الطبيعة خشيتهـم من أن أبقـار الماريـة العربية قد أصبحت على وشـك الانقراض أو الاختفاء كأحد الحيوانات الوحشية في الجزيرة العربية.

وبحلـول الستينات ربمـا كـان في الجـزيـرة العربيـة بأكملهـا ٥٠ بقرة فقـط من ذوات الحوافـر هذه المتـأقلمة على العيش في الصحراء وحتى هذا العدد أيضاً كان مهدداً بـالصيد. وقد تمخضت الجـهـود التـي قادتهـا جمعيـة المحافظـة على الحيـاة الحيوانيـة لتربيـة قطيع مـن أبقار المارية في الأسر بدعم من الصندوق الدولي لرعاية الحياة البرية عن الامساك بثورين وبقـرة من أبقار المارية بالقرب من الحدود بين اليمـن وعمان إضافة إلى بقرة مـن حديقة لندن للحيـوان يرجـع أصلها إلـى عمان وبقـرة مهداة مـن الكويت وأربعة أبقار أخرى من المملكة العربية السعودية.

وأمكـن فـي النهـاية استخـدام هـذه الأبقـار التسـع المعـروفة بـاسـم «القطيع الـدولي» فـي تكـوين قطيـع استيلاد نـاجح فـي حديقـة فينكس للحيـوان في ولايـة أريزونا بالولايات المتحدة الامريكية.

وبينما كان يتم وضـع قواعد برنامج ا ببـطء بمعاونة سخية مـن الراحـل موريس مـاتشريـس (مديـر نادي حديقة شيكـار المفتوحة للحيوان في ذلك الحيـن)، كانت بقية أبقار المارية الوحشية تكـافح بصعوبة للحفاظ على حياتها. وقد لقيت آخر هذه الأبقـار، التي كان وجودها من الأسرار الغامضة التي يحتفظ بهـا أهل الحراسيس الذين يقطنـون فـي جدة الحـراسيـس، حتفهـا علـى يـد أحـد الصيادين الأجانب في شهر اكتوبر عام ١٩٧٢م.

ولفتـرة مـن الوقـت بـدا أن أبقـار الماريــة لـن تتجول بحـرية مـرة أخرى في الجـزيرة العربيــة. لكـن بعد مضـي ثمانية أعوام علـى انقراضها المؤسـف عادت أول مجموعـة من أبقـار برنامـج التربيـة في الأســر إلى عمان فـي محاولة طمـوحة لاعـادة توطينها فـي الطبيعة البريـة. إن هذا المشـروع الفريد الـذي يشكل جـزءاً من برنامـج مساعدة سكان جـدة الحراسيس هو أحـد بنات أفكار جـلالة السلطان قابـوس بن سعيد، ويشـرف على ادارته رالـف ديلي مستشار البيئة بـالديوان السلطـاني بمعاونـة استشارية مـن الدكتـور هرتمون جـونجيوس، المـدير الـدولـي للصنـدوق الدولـي للمحافظـة علـى الحياة الدولية.

وفي ٣١ ينـاير عـام ١٩٨٢م فتح رئيـس المشرفيـن بمجمع يعلوني، الذي تمت اقامته خصيصاً لأقلمة الأبقار التـي سيتم إعـادة توطينها على الحياة البريـة، البوابتين الضخمتيـن لتخرج أول مـارية عـربية تعـدو طليقة فـي الجزيـرة العربية منذ مقتـل أقربائها دون دا ع منـذ عشر سنوات مضت.

وبينما تم منذ ذلك الحين إضـافة أعداد أخرى من هذه الأبقـار بانتظـام بفضل جهـود التـربية فـي الأسر فـي المناطـق الأخرى، فقد زادت أعـداد الأبقار المولـودة في الصحراء تدريجيـاً حتى بلغ تعدادها مائة بقـرة وبدا أنه يزداد بانتظام.

وهنا لم يعـد حلم توطين أبقـار المارية البريـة (المها العربيـة) في المنـاطق الصحراويـة وشبه الصحـراوية الشاسعـة في الجزيـرة العربيـة حلماً صعب المنـال بل حقيقة واقعة. ويكمن سر نجاح هـذا المشروع الفريد في الادارة الحكيمة الـرشيدة التـي يشرف عليهـا فريـق من المختصيـن، سواء مـن أهل الحـراسيـس العمانييـن أو العلماء المغتـربين أو المـدراء وموظفـي خدمـات الدعـم الأخـرى، الذيـن كرسـوا جهودهـم من أجـل نجاح هـذا المشروع وبـذلوا جهوداً مضنيـة لضمان استمـرار نمو قطيع أبقار المارية (المها) العربية.

ويشرف علـى حمايـة أبقار المـارية الـوحشية هـذه فـريـق مـن المشـرفين الحـراسيـس الـذيـن يتنقلـون بـالسيارات عبـر المنطقة الحجـرية لجـدة الحراسيـس لتقفي تحركاتها.

ولا يحتـاج المشرفـون الحراسيـس إلـى الاستعانـة بأجهـزة النداء اللاسلكية أو أجهـزة المراقبة التـي تعمل بالأقمار الصناعية لأنهم يتمتعون بمهارات ممتازة لتقفي هذه الحيـوانات ويمكنهـم بسهولـة تتبعها وهـي تتجول بحرية في أنحاء جدة الحراسيس.

ويظل كـل فريق من فـرق الاقتفاء بعيداً عـن معسكر القاعدة لعدة أيام لكنهم يحافظـون على اتصالهم بالمقر الرئيسي لمجمع يعلوني عن طـريق اللاسلكي. ولا توجد أي لافتات أو طـرق معروفة لكنهـم يستعينون بالمعـالم الطبيعية للمنبسـط الصحراوي لوصـف وتحديد أمـاكن تواجـد هذه الأبقار. ويقـوم هؤلاء المشـرفون بأكثـر من مجرد الابلاغ عن أمـاكن تواجد قطيع أبقار المـا رية، فهم يعرفـون كل بقرة منهـا من خلال معـالمها البدنيـة. وتم إعطاء كـل واحدة منها إسماً ويتـم مراقبة تحركـاتها. إن ملاحظة مختلف أبقـار المارية بعنـاية يتيح لأفراد فريق المشرفيـن معرفـة هـوية أب كل عجل وبالتـالي يمكنهم تحديد صورة وراثية كاملة.

وقد كتـب خبير البيولوجيـا الميداني أنـدرو سبلتون في بحـث نشره في مجلة «الحيوانـات ذوات الحوافـر» ما يلي ايجـازاً للنتائج التي حققهـا البرنامـــج بعد مضي عشر سنوات فقط:

في خلال السنوات الأولى، مـن عام ١٩٨٠م إلى عا م ١٩٨٦م، كان تعدا د هذه الأبقار المكـونة من قطيعين مترابطين جيـداً تم اطلاقهما في بيئتهـا الطبيعية في عامي ١٩٨٢م و١٩٨٤م ينمو بمتـوسط سنوي قدره ١,٢٢ بقرة. وفي عام ١٩٨٦ انتهـت فترة القحط وتم ايقاف برنامج التغذية التكميلية وانقسم القطيعان إلى مجموعـات فرعيـة (ستانلـي برايس، ١٩٨٩). وفي مرحلة لاحقة بعد ذلك تـم إخصاء ثور عقيم لكنه عنيد واطلاق بعض الأبقـا ر المها جرة في بيئتهـا الطبيعية فـي عـامـــي ١٩٨٨م و١٩٨٩م. وسقطت الأمطـار بمعـدل جيد منـذ عام ١٩٨٦م وا جتمعت كـل هـذه العوا مل لتسهم في زيادة أعـداد الأبقار الموجودة في الطبيعة البريـة (بمتوسط سنوي قـدره ١,٣٩ بقرة) خلال الفترة بين عامي ١٩٨٦م و١٩٩٠م.

وفي خـلال الفترة بين عامـي ١٩٩٠م و١٩٩١م كان معـدل سقـوط الأمطـا ر بسيطا، لكـن شهـد ربيـع عـام ١٩٩٢م هطول الأمطار بمعدل جيد، وعنـدما قمت بزيارة للقطيع في نهاية ذلك العام كانت حالته جيدة. وينمو هذا القطيـع الآن قويـاً عامـاً بعـد عام وأصبـح أكثر تحمـلاً للصعاب التي لا مفر منها والتـي تخص بها الطبيعة هذه الحيوانات البرية.

وتـوحي الـدراسـات التحليلية التـي قـام بها أنـدرو سبالتون أنه من الأفضل أن يصـل تعداد هذه الحيوانات في البيئـة البرية إلـى ٢٩٠ بقرة بـأسرع ما يمكـن على شرط ألا يكون ذلـك على حساب صحة القطيـع الحالي. وتشير الـدلائل إلى أنه سيتم تحقيـق هذا الهدف قـريباً. لكن على الرغم من نجاح إعـادة توطين أبقا ر المارية فإن بقاءها على قيد الحياة يظـل معتمداً على جنسنا البشري سواء فيما يتعلق بمدى احتـرامنا لبيئتها الطبيعية وحقها في الحيـاة دون أن يزعجهـا الصيادون ودون أن تتـأثر بالتضخم السكاني.

وبـالرغـم مـن أن عمان، حكـومـة وشعبـاً، قد أبـدت

استعدادهـا والتزامها بالمحـافظة على المـوارد الطبيعية للبلاد، فإن الحقيقة المؤسفة هـي أن حماية الحياة البرية في البلاد لا يعتمد في النهايـة فقط على جهود المحافظة على الموارد الطبيعية بل على عدة عوامل إقليمية وعالمية مثـل التغيـرات المنـاخيـة واستنـزاف غـاز الأوزون واستقرار السلام.

وعلـى الرغم من أن التغيـرات والتطـورات العالميـة السريعة قـد أثرت على عمان بنفـس درجة تأثيرهـا على العديد من الدول الأخرى، فلا تزال البلاد تحتفظ بالعديد مـن المنـاطق البكـر التـي عـاش ولا يزال يعيـش فيهـا الانسان والكائنات البرية جنباً إلى جنب منذ الأزل.

الوعل (تيس الجبل) النوبي

إن القيام بزيارة إلى أبقار المارية العربية التي تمت إعادة توطينها فـي الطبيعة البرية يصحبها دائمـاً زيارة لمجمع يعلونـي الموجـود في اتجـاه السـاحـل لمشاهـدة جرف الحقف بالطرف الشرقي لجدة الحراسيس.

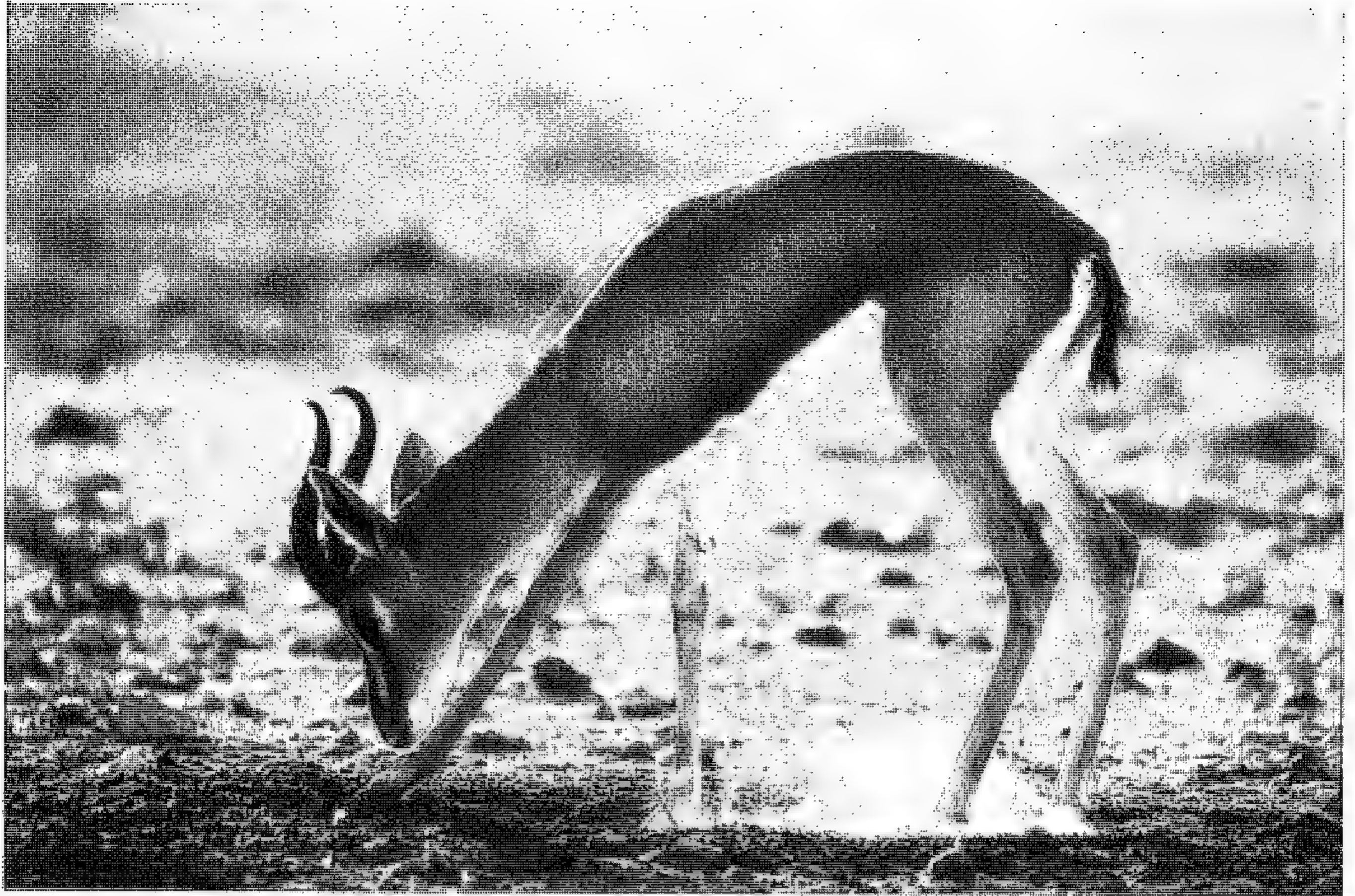
وقـد تم فـي بدايـة هـذا الفصل وصـف إحدى هـذه الزيـارات عندما أسعـدني الحظ بمشـاهدة حوالـي إثنى عشر وعـلاً من الوعـول النوبية فـي ظرف سـاعـة واحدة تقـريباً. لقـد كـانت زيـارتـي تجربـة مجـزية لأن هـذه الحيـوانات مـدرجـة في القـائمـة الحمراء لهيئـة IUCN باعتبـارها احـدى الكائنات المهـددة بالانقـراض. وكان لقـائي الأول بهذه الحيـوانـات فـي بور سـودان حيـث أمضيت عدة سنوات في فتـرة السبعينات وحيث كان يتم دائماً طرح قرون هذه الوعـول للبيع. وكانت هذه القرون هي قرون الوعول التي تم صيدها في تلال البحر الأحمر على الساحل الشرقي لافريقيـا حيث يبدو أن أعدادها قد انخفضـت بـدرجة كبيـرة. أمـا فـي عمان حيـث تتمتـع بالحمايـة وتم تحـريم صيدهـا فإن أعدادها تتـزايد. إنها عبارة عـن ماعز جبلية رشيقـة تتأقلم جيداً مـع الظروف البيئة وتتميز بحوافر ضيقة مطاطيـة تقريباً تساعدها في التشبث بثبات على الأراضي شديدة الوعورة.

وهي تعيش فـي مجموعات أسريـة صغيـرة تتكـون

وعول الجبل النوبية فوق جرف الحقف.



هال وجينز إريكسين



غزال جبلي في مجمع يعلوني.

في معظم الأوقات من ثلاثة إلى خمسة وعول، لكنها تتجمع في موسم الدورة النزوية خلال الشهور من اكتوبر إلى ديسمبر حيث تلتقي الذكور بالاناث من أجل التزاوج، في مجموعات أكبر حجماً ربما يتراوح عددها بين ثمانية إلى عشرة وعول. وتعشق الوعول الموجودة في جرف الحقف بعض النباتات الخاصة مثل أشجار القضب وهي من الفصيلة الكبرية، وهي معرضة لأن تفترسها الذئاب وكذلك النمور الموجودة في جبل سمحان في ظفار.

الغـــزلان

تعتبر غزلان الريم التي تبرز قرونها إلى الخلف بتقوس بسيط والغزلان العربية ذات القرون الشبيهة بالقيثارة هما الجنسين الرئيسيين من أجناس الغزلان الموجودة في عمان. ويعرف الغزال العربي أيضاً باسم غزال الجبل ويفضل العيش في الأراضي المحيطة بالتلال السفحية أو في السهول الحجرية. وباستثناء قرونها المميزة يمكن التعرف على هذه الغزلان عن طريق العلامات السوداء والبيضاء اللون الموجودة على وجنتيها وعن طريق الشريط المميز الموجود عند خاصرتها والذي يبدو أكثر وضوحاً من العلامات الخاصة بغزلان الريم التي تعتبر أكبر النوعين حجماً، وتتميز بأقدام عريضة تتيح لها أن تعدو فوق الرمال الناعمة. وهي تحتفظ بذيلها مرفوعاً باستمرار في أثناء العدو.

وقد تم تسمية الغزلان التي تعيش في السهل الساحلي لشمال عمان بإسم غزلان مسقط. وقد اعتبرها «جروقز» في معرض استعراضه لغزلان الجزيرة العربية والذي نشره في مطبوعة «المحافظة على الحياة البرية وتطورها في المملكة العربية السعودية» نوعاً فرعياً مميزاً، لكنه قد يكون من جنس غزلان الجبل. وربما يكون النوع المحتمل الآخر الذي تم العثور عليه في عمان هو الغزلان التي تماثل في الجزيرة العربية غزلان «دوركاس».

وقد تم في عام ١٩٧٦م إصدار قانون لحماية حيوانات الظهر العربية أدى أيضاً إلى حماية الغزلان العربية أو غزلان الجبل المهددة بالانقراض ونظراً لأن محمية وادي السرين توفر بيئة نموذجية لتربية هذا

الجنس من الغزلان فقد تم وضـع بعض الغزلان التـي تم العثور عليهـا مهجورة أو مصابـة أو كان يتـم الاحتفـاظ بهـا كحيوانـات أليفة في أحد مراكز الاستيلاد المرتجلة في قلب المستوطنة الموجودة في «مزرع قيد» . وقد أدى نجاح إستيـلاد هذه الغزلان إلى إطـلاق ما يربـو على ٦٠ غـزالاً من هـذا الجنـس في البيئـة البـريـة بحلول عـام ١٩٨٧م.

ويمكن مشاهدةهذا القطيع مـن الغزلان العربية وهـي ترعـى باستمـرار على امتـداد التلال السطحيـة للمحمية على مسافة قصيرة من الطريق الساحلي.

الطهر العربي

تـم وصـف الطهـر العربـي «هيمتـراكوس جايـاكاري» لأول مـرة فـي عـام ١٨٩٤م وذلـك عـن طـريـق جمجمتـي حيـوانيـن اصطادهمـا فـي الجبـل الأخضـر وجلبهما إلى مسقـط المقدم إيه. إس. جي. يـاكار الطبيب الجراح البريطاني في ذلك الوقـت. وقد أرسل ياكار هـاتين الجمجمتين إلى أولفيلد توماس في لندن الذي بنى وصفه لنوع جديـد من حيوانات الطهـر على هذا الدليـل. وأقرب أقـرباء هـذا الجنس مـن الحيـوانات يعيشـان بعيداً فـي الشمال وهما طهر الهملايا والطهر النلجيري الذي يعيش في جنوب الهند.

وكـانـت حيوانـات الطهـر تـأتي علـى رأس قائمـة الكائنات التي تحتـاج إلى حماية خاصة فـي عمان لمنعها من الانقراض. وتحددت مكانتها الخـاصـة بموجب القرار الـوزاري رقـم ٤ لسنـة ١٩٧٩ والـذي أصـدرتـه وزارة شؤون الديـوان السلطاني، التي تحملت أيضـاً مسؤولية إقامة محمية تجـريبية على مسافة ٤٥ كيلومتـرا جنوبي غرب مسقط حيـث وادي السرين الذي تجـري فيه المياه بعد هطول الأمطار على جبل أسود.

وقـد تـم اجـراء دراسة تفصيلية لحيـوانـات الطهـر البدائيـة الشبيهـة بـالمـاعـز شملـت سبعـة مواقـع كشفـت عن أنهـا تحتـوي علـى ١٢٩٣ طهـراً. وبالاخذ في الاعتبـار أن هذا الجنس مـن الحيوانـات يعيـش في منطقة جبلية تمتـد من مسندم إلى جنوب صـور مباشرة وتبلـغ مساحتهـا ٦٠٠ كيلـومتراً فقـط، فقـد قدر «بـول مـونتـون» الـذي قـام بهـذه الـدراسـة، أن تعـداد هـذه الحيـوانات فـي العالـم أجمع هـو ٢٠٠٠ فقط، واقتـرح ضـرورة حمـايتها باتباع النظـام الاسلامي الذي يـوصي بتخصيص قطعـة أرض كمحمية بـرية يحظـر فيها قيـام الحيوانات الأليفة بالرعي.

وتضمن المشـروع الخاص الـذي أقيم لحمـاية هـذه الحيوانـات المهددة بالانقـراض تعيين بعض المشـرفين الذين تم اختيـارهم من بين المواطنين المحلييـن ليكونوا مسؤوليـن عن تتبـع تحركات حيـوانات الطهـر وضمان سلامتها في أنحاء المحمية الطبيعية الموجودة في وادي السرين، وهـي مهمة يتم انجازها بصورة رائعـة من قبل مواطني القبـائل الأصحاء الذين اعتادوا بصـورة تقليدية على متـابعة قطعان الحيوانـات التي يمتلكونها فـي هذه المناطـق الشديدة الوعورة.

وبالاخـذ في الاعتبارالنطـاق المحدود جداً لحيـوانات الطهر، يصبح السؤال الذي يتـردد الآن هو كيف أتت هذه الحيوانـات إلى عمان؟. لقـد كانـت أسلافها قبـل العصر الجليدي الأخيـر ترعى في منطقـة شاسعة مـن اوراسيا. وعندمـا تراجـع الجليد كـانت المـاعز أكثـر نجاحـاً في استيطان مناطق رعي جديـدة، بينما لم تستطع حيوانات «هيميتراجوس» والتي تعني «نصـف ماعز» البقاء إلا في بضعة أماكن جبلية محدودة.

وجاء ذكر الطهـر العربي في المرة التاليـة، بعد أن تم وصفه مـن خلال بقـايا الجمجمـة في عـام ١٨٩٤م، في السجـلات التي دونهـا ويلفرد ثيسيجـر والذي وصـف محاولـة صيدها في عـام ١٩٤٨م في كتابه الكـلاسيكي عن الحياة فـي جنوب الجزيرة العربيـة «رمال الصحراء» والذي صدرت طبعته الأولى في عام ١٨٥٩م:

عندمـا كنت في «مواقيـح» قمت بصيد حيـوان الطهر فـي جبل حفيـت حيث كنـت أخيم لمـدة أسبوع عنـد باطـن الجبل مـع إبن كبينه وابـن عباس واثنيـن من عـرب زايد. ولـم يسبق لـلأوربيين رؤيـة حيوانـات الطهر العربي مطلقاً على الرغم من أنه قد تم تسميتها عن طريق فـروتين جلبهما إلى مسقط الدكتـور ياكار في عام ١٨٩٢م.

إنهـا تشبـه الماعـز وتتميـز بقـرنين قصيـريـن وغليظين جداً. وكان صيدهـا عملاً مجهداً لأن الجبال التي تعيـش فيها كانت مـرتفعة عن مستـوى المخيم بمقدار أربعـة آلاف قدم وكـانت المنحـدرات في كـل مكان شديدة الانحدار وعموديـة عادة ولا يتوفر فيها الماء أو النبات. وكـان الطهر يتغذى ليلاً فـي المنطقة الواقعة حـول باطن الجبل، لكن حيوانـات الطهر التي شاهـدناها كـانت قريبة مـن سفح الجبل. وقـد أطلق العربيان النـار على إثنين منهما وأخذنـا جمجمة أحد الذكور. وكنـا قد صنعنا لأنفسنا بعـض الصنادل من جلـود الحيوانـات غيـر المدبـوغـة التي لا نستطيـع بدونهـا تسلق هـذه المنحدرات الصخـرية الجيـرية القاسية.



شركة تنمية نفط عمان

وجاء التسجيل العلمـي التالي لوجود الطهر فـي الجزيرة العـربية فـي عام ١٩٧٣م، وهـو التسجيـل الذي دونـه مـايكل جـالاغر الـذي أسهم إسهـاماً كبيـراً في جهـود المحافظـة على الطبيعـة في الجزيـرة العربيـة بصـورة عامـة وفي عمان بصـورة خاصة. وبـدأ مايكل محـاولة اكتشـاف ما إذا كـان تعداد هـذه الحيوانـات في الجبـل الأخضـر لا يزال فـي ازديـاد. وأكـد له بعـض السكـان المحليين أنهـا لا تزال مـوجودة ويتـم صيدهـا كمصدر لتوفيـر الغذاء. ومع ذلك فقـد أخفقت البحوث التـي تمت بعد ذلك في العثور على أي دليـل لوجود حيوانات الطهر هناك. وقـد شددت هذه البحـوث على الصعوبـات الجمة التي تمت مصـادفتها أثناء دراسة هذا الحيـوان الغامض والذي لم تتم مشاهدتـه في هذه المرة. وفي عام ١٩٧٣م تـم إعادة تـأكيد وجـود الطهر فـي منطقة أسـود/وادي السـرين ولـذلـك تم تخصيـص هـذه المنطقة كمحميـة لحيوانات الطهر.

ويعيـش حيوان الطهـر فيمـا قـد تعتبره الحيـوانـات الثـديية الضخمـة الأخـرى «بلداً ذا بيئـة معـادية لهـا»، فالأراضـي التـي يعيـش فيهـا وعـرة للغايـة. وهـو مـاهـر في تسلـق المنحدرات شديدة الانحـدار الموجودة في الأراضي الوعرة، ويتبع نظامـاً غذائياً متحرراً إلى حد كبير فهو يـأكل معظم الفواكه المتوفـرة وأوراق النباتات والأعشاب والبذور، لكنـه يفضل في الغالـب أجزاء معينة من النباتات. وهو يعتمد في حيـاته على توفر الماء بكثرة ولذلك لا يمكـن وصفه بأنه مـن الحيوانات المتأقلمـة مع العيش في الصحراء.

وكانـت هذه الخاصية فـي الواقع هي سبـب انحصـار انتشـاره. وعلـى الرغـم مـن القضـاء علـى أخطـار تعرضه للصيد من قبل الانسان بمـوجب قوانين الحماية العمانية فإنه معرض لأن تفترسه الحيوانات الأخرى مثل الـذئاب والنمور التـي تهاجـم الحيوانـات الأخرى علـى اختـلاف أحجـامهـا والصقـور والثعـالـب السـوداء أو الحمراء التـي تفترس الحيوانـات الصغيرة عندمـا تحين لها الفـرصة. وقد أكـدت احدى الاستقصاءات التـي تمت في عام ١٩٨٧م ما كان يقوله المشرفون من أنه يبدو أن



ضفدعان من ضفادع (علجومات)الطين الشرقية التي تعيش في شمال عمان.

حيوانات الطهر في تزايد. وبينما كان من المعتقد أن هناك حوالي ٣٦٠ طهراً في المحمية الموجودة في وادي السرين في عام ١٩٧٨م إلا أن تعداده ـ كما يبدو ـ قد تضاعف في خلال عشر سنوات ليبلغ ٧٠٠ طهراً وربما يرجع ذلك إلى تحريم صيده.

البرمائيات

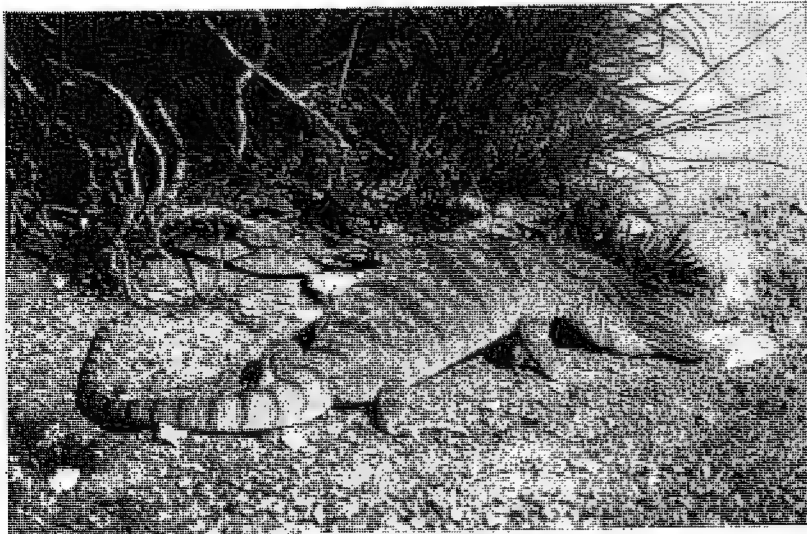
يوجد في عمان نوعان من البرمائيات، هما الضفدع (العلجوم) الشرقي والضفدع (العلجوم) الظفاري. ويوجد النوع الأخير الذي يتميز بصياح أسرع من صياح النوع الشرقي، في ظفار بينما يعيش النوع الأول في المناطق الأخرى.

الزواحف

بالاضافة إلى الزواحف العمانية التي تتخذ شكل السلاحف والثعابين البحرية والتي سبق مناقشتها آنفا، فإن عمان غنية بالزواحف البرية مثل السحلية (العظاءة) وأبو بريص والحرباء والقنقور والثعابين. كما يوجد في عمان نوع واحد من الزواحف المعروفة باسم السحلية الدودية هو«ديبلومتوبون أروندني». وقد تم بالفعل تسجيل وجود ٧٤ نوعاً من الزواحف التي تعيش في البلاد. وتعتبر سحالي الورل الرمادية الموجودة في السهول الشمالية وتتغذى على صيد القوارض والزواحف الأخرى والطيور الصغيرة وبيضها، من أكبر أنواع السحالي. وقد شاهدت أثناء زيارتي لمركز التفريخ في السيب احدى هذه السحالي وهي تتشمس بجوار منطقة توالد النمور العربية المسورة. وعندما تصاب هذه السحلية بالذعر فإنها تنفخ رئتيها وترفع جسمها على أرجلها وتصدر هسيساً قوياً وتلفح بذيلها الشبيه بالسوط مضفية بذلك منظراً مخيفاً. أما النوع الآخر من السحالي الضخمة الذي يحتمل أن يشاهده المرء في عمان، فهو السحلية ذات القدم الشائكة والتي تعيش في المناطق الرملية الناعمة في شمال عمان. وتتضمن أنواع السحالي الشائعة الأخرى سحالي العضرفوت أو الحبينة (التي يتم مشاهدتها غالباً وهي جاثمة على فروع الأشجار التي تتسلقها لتكيف حرارة جسمها إما بترطيبه أو تدفئته). وتتمتع ذكور السحالي بالقدرة على تغيير لون رقعة الحلق إلى اللون الأزرق وتغيير لون الذيل إلى اللون البرتقالي. وتعتبر سحالي الحبينة إحدى السحالي الأخرى التي يستطيع ذكورها تغيير لون رأسها وذيلها إلى اللون الأزرق، بينما تحتفظ الاناث بلون جسمها الضارب إلى البني والذي يحمل علامة سرجية برتقالية اللون. وتعيش هذه السحالي في الوديان المغطاة بالجلاميد أو على المنحدرات التلية.

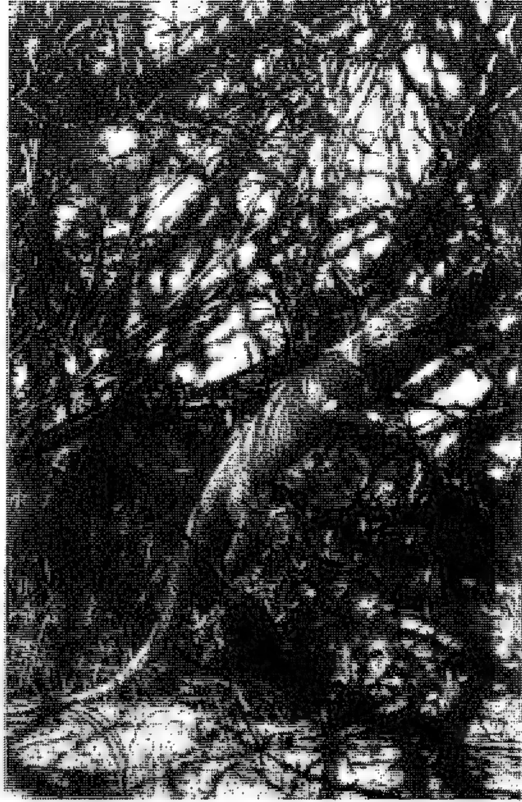
وتحتل الحرباء بالطبع المرتبة الأولى دون منازع في مجال تغيير لون الجسم، ويوجد أحد أنواعها في ظفار حيث يعيش بين النباتات. إنها سحلية بطيئة الحركة، تعتمد على التمويه المرن الرائع وعلى عينيها الدوارتين المنتفختين غريبتي الشكل وتنقر لسانها الملتوي في حركات خاطفة لتحمي نفسها من مهاجميها.

سحلية صغيرة في مجمع يعلوني.



هان وجينز إريكسين

تستطيع سحلية (عظاءة) الجُبينة الصفراء أن تغير لون جسمها، ويتم مشاهدتها عادة وهي تتسلق الأشجار.



أندرو سبالتون

وعلى الرغـم من أن الثعابين البرية العمـانية لا تعادي الانسان بصـورة عامـة، إلا أنها تتضمـن بعض الأنـواع التـي تستطيـع قتـل الثـدييات الضخمـة بمـا فـي ذلـك الانسان. ومـع ذلك فـإنها تتحاشـى في معظـم الحالات مواجهة الانسـان ولا تهاجمه إلا دفاعاً عن نفسهـا عندما يصيبها الذعر. وحتى أنه فـي هذه الحالة فإن احتمال أن تقوم هـذه الثعابيـن بحقن قـدر من السـم كاف ليسبب عواقب وخيمة يكاد يكون محدوداً.

وتحتل الأفاعـي الأولوية في قائمة الثعـابين الخطرة ويوجـد منها في عمان خمسـة أنواع هي الأفعى القـرناء والأفعى القرنـاء الزائفة وذلك إلـى جانب ثلاثـة أنواع من الأفاعـي البساطية، وهي أكثـر الأنواع التي مـن المحتمل أن يصادفها المـرء في عمان. وهي تختفي بصـورة عامة أثناء النهـار في نثـار أوراق الشجر الميتـة التي تكسـو الأرض أو في جحـور القوارض أو تحـت الأحجار، لكنهـا تنشـط في أثنـاء الليل حيـث تقـوم بصيد الضفـادع أو القوارض أو الـزواحف الأخـرى مثل السحـالي. وتـوجد الأفاعي القرناء في المناطـق الرملية وهي تنشط في الليل وتتغذى علـى الطيور الصغيـرة والقوارض والسحـالي. وهي أحـد مصادر الخطورة أثنـاء التجول فـي الصحراء ليلاً. أمـا الأفاعي القـرناء الزائفة فهـي بقايا أحد الأنواع المنقرضة وينحصر انتشارهـا الآن في الجبال الشمالية. ويوجد أيضاً نوعان آخران مـن الأفاعي الخطرة في ظفار، هما الأفعـى النافخـة وأفعى الصـل الجحرية أو الأفعى الخبيثة الطوبينية.

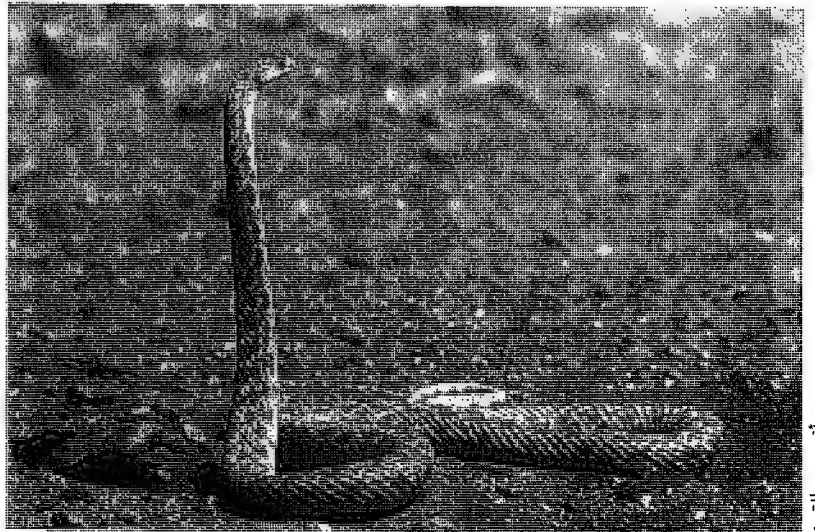
وتعتبر أفعى الصل (الناشر) العـربية التي تعيش في الجبال الساحلية والوديان فـي ظفار هي أضخم الثعابين السامـة في عمان. ويـرتبط وجودها فـي الغالب بتـوفر الماء، وهـي تتغذى علـى الضفادع والطيـور والثدييـات الصغيرة.

أما الثعـابين العمـانية الأقـل سمية أو أذى فتتضمـن ثعابين «مالبولون» التي تعيـش في المناطق الصحراوية ذات الشجيـرات الخفيضة وثعـابين الـرمل أو الأشجـار والموجودة عادة في الأراضي المـزروعة حيث تتغذى في أثناء النهار وثعـابين الهرة وهي نوع من الثعـابين الليلية الموجـودة عادة بين التـلال حيث تقوم بصيـد القوارض والطيور والخفافيش.

وبالاضافة إلـى ذلك توجد بعض الأنواع غيـر المؤذية على الاطلاق عـديمة الأنياب أو السم وتتضمـن الثعابين الشريطية والثعابين الضريـرة والأفاعي الأصلة أو البواء «ياكار» وأفـاعي الخُفاث وثعابين تومـاس والثعابين ذات الرأس المخرز وأخيرا الثعابين التاجية.

وقبل أن نترك قائمة أنواع الثعـابين والأفاعي يجب أن نذكر أحد أنواع الزواحـف الذي لا يعتبر ثعباناً أو سحلية وهو شبيه إلى حد كبير بـالدودة ويعرف باسم السحلية الدودية ويختبيء في الرمل حيث يقوم بصيد الحشرات.

صـورة لثعبان «مالبولون» تم التقاطها في جدة الحراسيس. إنه أحد الثعابين الأقل سمية في عمان.



أندرو سبالتون

الحشـرات

مـن المعروف أنـه يوجـد في عمـان ثـلاثون نـوعاً مـن الفـراشات وحـوالـي ثلاثـون نوعـاً مـن العثة. وتعتمـد الفراشات في عمان، كما هو الحال بالنسبة لبقية أجناس الحياة البـرية، علـى المحافظـة على المصـادر الغذائيـة والمستوطنـات البيئية الخاصة بهـا. وينطبق ذلك تمـاماً

على هـذ النوع مـن الحشرات التي تميـل وهي فـي طور اليرقة إلى تفضيل نوع معين من النباتات.

وقد تناول الكتاب الجميل الـذي يبحث في مـوضوع الفراشـات في عمان والـذي ألفه الكاتبـان المتخصصان «تـوربن وكيـك لارسيـن» وتم نشـره نيـابـة عن مكتب مستشار حفـظ البيئة بـديوان البلاط السلطـاني كـاملاً بالصور والمـلاحظات ٧٢ نوعاً من الفـراشات المعروف أنها تعيـش في عمان. وتتضمـن هذه الأصنـاف الجميلة العـديد مـن أنـواع الفراشـات مثل الفـراشـات المذنبـة «بـابيليـو مـــاتشـون» و«بيـي. ديمـوليـوس» و«بـي. ديمـودوسيـوس»والتـي يعرفهـا القـارئ جيداً نظراً لانتشارها بكثـرة في أنحاء العالم من الـولايات المتحدة الأمريكيـة إلى اسيا فـي مجموعـات مختلفة معزولـة عن بعضهـا البعض. ويمكـن مشاهـدة هذه الفـراشات فـي المنطقة المحيطة بمسقـط وفي عدد من واحـات الشمال مثل الواحات القريبة من الـرستاق حيث يبدو أنها تفضل نبات الشمار المزروع هناك.

إن توزيع الفراشات الخطافيـة في عمان يلفت الانتباه بشـدة لأن النـوعيـن الأخيـريـن ينتسبـان إلـى الأنـواع الأسيـوية والافـريقية ولا تتـداخـل المساحـة المألـوف تواجـدهما فيهـا، فتعيش فراشـات و«بيي. ديمـوليوس» الموجـودة في شـرق الجزيرة العـربية وايـران ومعظم منطقـة آسيا فـي مسنـدم ولكن ليـس فـي الجنوب فـي محـافظـة ظفـار حيـث يتـوقـع المـرء أن تحـل الأنـواع المنسوبة إلى أفريقيا «بي. ديمودوسيوس» محلها.

ويتغذى كلا النوعين على الموالح، لكن لم يتم تسجيل مشاهدتهما معاً في مكـان واحد على الاطلاق. ولا تعيش فراشات «بابيليو ماتشون» فـي ظفار، لكنها موجودة في المساحة المـألوفة المتداخلـة التي تعيش فيها فـراشات «بيي. ديموليوس» في شمال عمان.

وقـد تـم استخـدام هـذه الأنـواع مــن الفراشـــات بالاضافـــة إلــى أعضـــاء مجموعـات الفراشـــات العمانيـة الأخـرى كمؤشـر للأصـول الجغـرافيـة الحيوانية التي تقيم الجسـور بيـن افريقيـا واسيـا. وتم فـي الأبحاث التـي قام بهـا توربيـن لارسين حول هـذا الموضوع («فـراشات شـرق عمان وتكوينها الجغرافـي الحيواني» والمنشورة ضمـن النتائج العلميـة لـدراسة الحياة النبـاتيـة والحيـوانيـة فـي عمـان، ١٩٧٥م) تصنيف أنـواع الفراشـات الموجـودة فـي شـرق عـمان حسب الأنـواع ذات الصلة الجغرافية الحيـوانية والتي تضمنت ثلاثـة أنواع حبشية و١٦ نـوعاً حبشياً شرقيـاً و٦ أنـواع عالميـة. ولم يتـم العثور على أي نوع شرقي الأصل بصورة محضة.

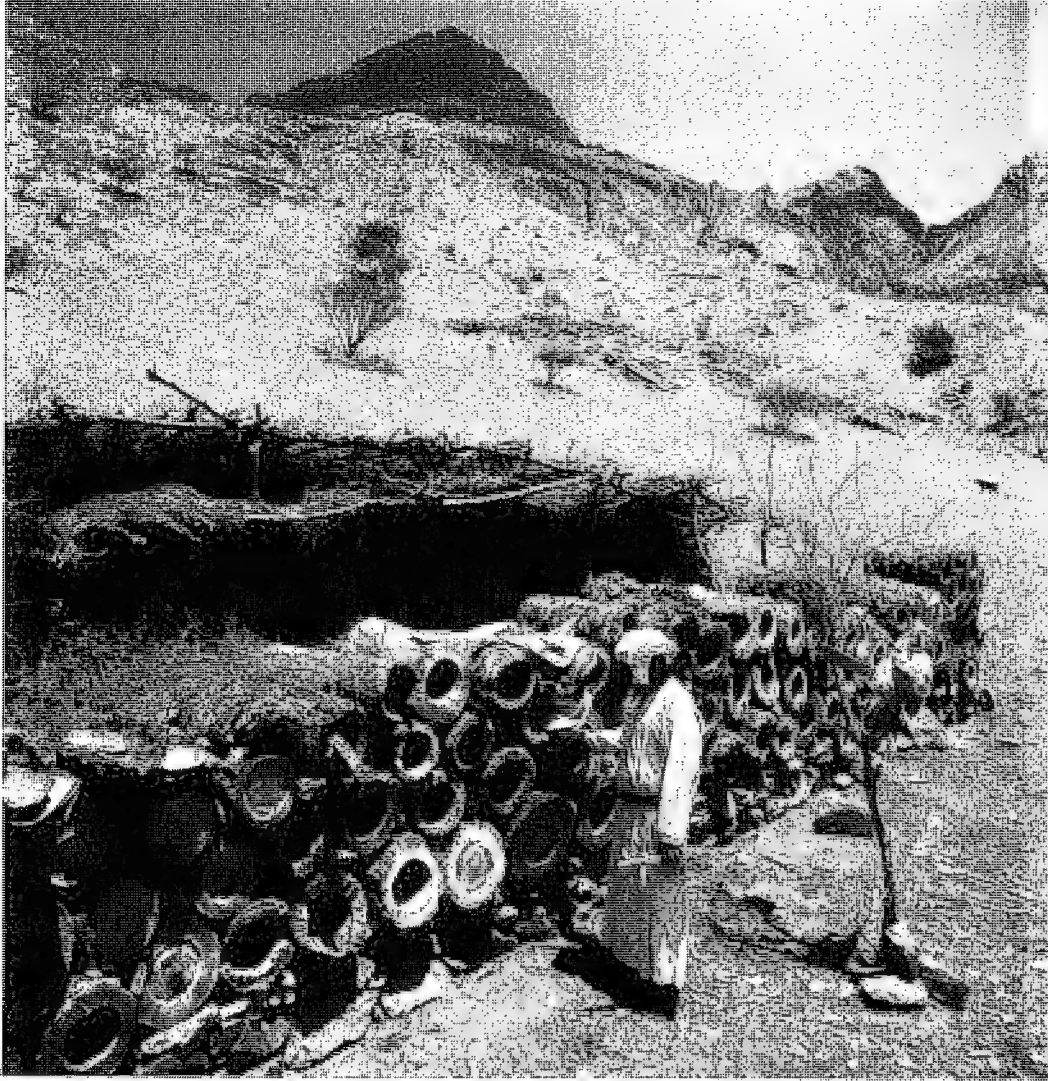
كما تـم نشر بحـث آخر لنفس المـؤلف عـن الأصول الجغرافية الحيوانية لفراشـات ظفار في مجلة الدراسات العمانية (التقريـر الخاص رقم ٢، ١٩٨٠م، ١٥٣-٨٦)، وبحث ثالـث عن الأصول الجغرافية الحيوانيـة لفراشات مسنـدم تـم نشره فـي نفس المجلـة (العدد السـابـع، ١٩٨٥م). وقد علق لارسين في بحثـه الأخير عن تأثيرات العـاصفـة الاستـراليـة التي جلبت أعـداداً كبيـرة مـن الفراشـات الهنديـة إلى عمـان، وهو يمثـل مثالاً ممتـازاً لكيفية توزيع الحشرات.

وتعتبر نحلة العسل إحـدى الحشرات التي تلعب دوراً اجتماعياً هامـاً في عمان. ويتم في شمال عمـان وخاصة في منطقـة الباطنة حيث يقيـم النحل خلاياه بكثـرة فوق أغصـان أشجار النخيـل نقل هذه الخلايا إلى مـواقع أكثر ملاءمـة وجمع العسـل من مجـاميع النحـل البريـة. وقد حقق خبراء تـربية النحل في شمال عمـان مهارات كبيرة في انتـاج العسل وفي تـربية مجمـوعات النحل بطـريقة يمكن الاعتماد عليهـا، وكان يتم بصفة تقليـدية الاحتفاظ بنحـل العسـل الأكبـر حجمـاً فـي الجـذوع المجـــوفـة لأشجـــار النخيل والتي تعرف محليـــاً بـإســـم «الطبـــــل». وعنـــدمـــا يحتـــاج



عثة مولية دفلية.

هان وجيز اريكسين



تربية النحل في وادي بني عوف.

مربو النحل إلى بعض العسل فانهم كانوا يقطعونه من مؤخرة« الطبل». ويتم الآن في عمان استخدام الأساليب الحديثة في تربية النحل، وتم تحسين كفاءة انتاج العسل بصورة كبيرة.

وهناك حشرة أخرى قدمت المبررات لقيام ويلفرد ثيسيجر برحلات صحراوية عبر خلالها صحراء الربع الخالي كباحث ميداني بمركز أبحاث الجراد. وقد وصف رحلاته هذه في كتابه الكلاسيكي «رمال الجزيرة العربية».

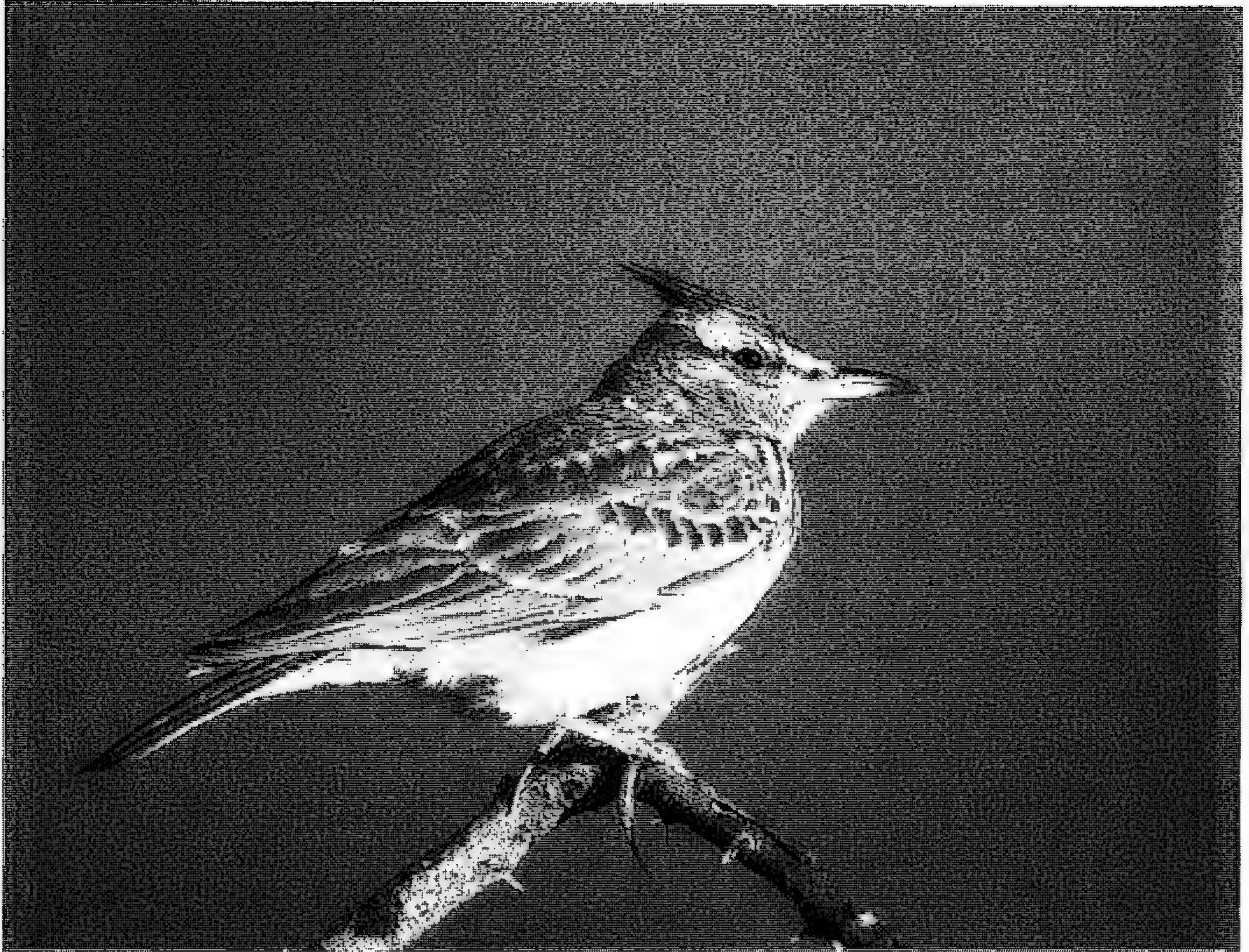
وفي بعض الأحيان يشكل الجراد الصحراوي أسراباً ضخمة في شمال عمان. وعلى الرغم من أن ثيسيجر قد أقر بأن أبحاثه الخاصة بالجراد كانت - من وجهة نظره - مجرد حجة للقيام ببعض الرحلات المثيرة فقد قام بدراسة الجراد الصحراوي أيضاً.

وقد عاد من رحلته الأولى محملاً بالمعلومات التي طلبها المركز، ودحض الفرضية الظنية (النظرية الافتراضية) التي توصل إليها الدكتور يوفاروف الخبير بمركز أبحاث الجراد الصحراوي والذي كان «يعتقد أن مجاري النهر تنزح مياه المنحدرات الغربية للجبل الأخضر، الذي يبلغ ارتفاعه ١٠٠٠٠ قدم، وتنقلها إلى الأراضي الرملية بكميات كافية لانبات النباتات هناك بصفة دائمة، وأنه نتيجة لذلك فقد تكون مداخل الوديان الكبرى هي المراكز التي ينتشر منها الجراد الصحراوي. لقد اكتشفت أن الفيضانات كانت نادرة الحدوث في الألسنة السفلية للوديان وأنها عندما تحدث تتشتت في المناطق المنبسطة المالحة والمجدبة في أم السميم حيث لا تنمو أية نباتات».

إن أشمل دراسة تمت حتى اليوم عن الحشرات في عمان هي تلك التي تمت كجزء من مشروع رملة الوهيبة. وتم التأكيد في التقارير الخاصة بالمشروع على مدى ضرورة الاهتمام بعدم القضاء على مجموعات الحشرات في عمان بصفة عامة وفي رملة الوهيبة بصفة خاصة عن طريق استخدام الرش بالمبيدات دون أي اشراف أو عن طريق تدمير المستوطنات البيئية.

الطيور

قام مايكل جالاغر ومارتن وودكوك بتصوير حياة الطيور في عمان بصورة رائعة في كتاب «طيور عمان»



طائر القبرة المتوجة.

الذي يسجل ٩٦ نوعاً على الأقل من طيور التفريخ، ثلاثة أرباعها تقيم في عمان بصفة دائمة. وقد أشارت التقارير الأخيرة إلـى أن أعداد طيـور التفريخ المـدرجة فـي هذه القائمة قد زادت وبلغت ١٠٤، منهـا ٧٧ نوعاً مقيماً و٢٧ نوعاً مهاجـراً. ويتواكب موسم التفريـخ الرئيسي لمعظم أنـواع الطيور مـع شهور فصلـي الربيـع والصيف فـي المنـاطق الشمـالية، غيـر أن طيـور العقـاب النساريـة تتكاثر في شهور فصل الشتـاء، بينما تتكاثر طيور الغاق في فصـل الخريف حتى ينبـت ريش صغارها فـي أثناء شهور الشتاء الباردة.

وترتبط احدى السمات المثيـرة لطيور عمان بالهجرة سواء المحليـة بين السهـول المنخفضة والجبـال الأكثر برودة أو بين المناطق الجغرافية المختلفة.

وتتمتع عمـان بكونها المكـان الذي تختاره مجمـوعة كبيـرة مـن الطيـور المهاجـرة لتستـريـح أو تتغـذى أو تتكاثـر. وأفضل فترة لمشـاهدة الطيور المختلفـة مثـل البط والطيور المخوضة المهاجـرة عبر عمان هي شهور فصل الخريف عنـدما تتعزز أعدادها بالعـديد من صغار الطيـور التي خـرجت إلـى الحياة فـي شهور الصيـف، وحيث تميل الطيـور إلى أن تكون أقل عجلة فـي مواصلة رحلتها كما يحدث في فصل الربيع من أجل التفريخ.

أما بـالنسبة لطيـور الجواثـم فيعتبر فصـل الربيـع أفضل فترة لمشـاهدتها. وتعتبر رحلة الهجـرة التي تقوم بهـا طيور اللقـالق البيضـاء والتـي تأتـي من اوروبـا الشـرقيـة متجهة إلـى الجنـوب عبـر عمان فـي فصـل الخريف من أروع مشاهد الطيور المهاجرة.

وقد شـاهد مؤلـف هــذا الكتاب أثناء الرحلــة التي قام بها في شهر ديسيمبر ١٩٩٢م إلـى مجمـع يعلـوني في جـدة الحـراسيـس زوجاً مـن طيـور اللقالــق التـي هبطت بجـوار المجمع لتستريـح لبضعـة أيـام قبـل أن تحلق فـي السماء من جديـد لتواصل رحلتها. ومـع ذلك، تميل هـذه الطيور بصـورة عامـة إلى المحـافظة علــى ارتفاعها وهي تعبـر جنوب الجزيرة العربية فـي طريقها إلى مهاجعهـا الشتوية في شرق افريقيـا، ولا تمر بعمان في رحلة هجرتها في فصل الربيع.

ونـدرج فيمـا يلـي المفكـرة السنـويـة النمـوذجيـة لمشاهـدة الطيور في عمـان وهي مبنية علــى المفكـرة التي أدرجها جالاغر وودكوك في كتابهما.

مفكرة

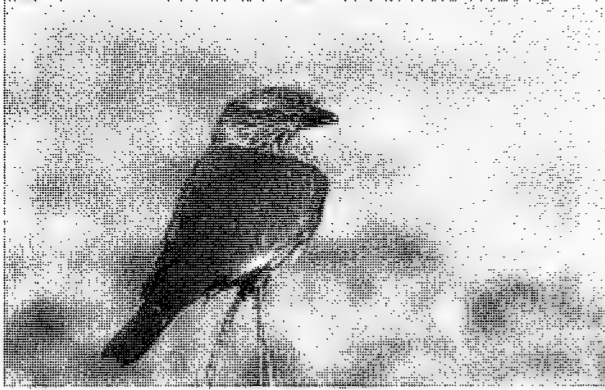
هواة مشاهدة الطيور

عُمان



لقطات البيانات المترجمة من كتاب
«طيور عمان» للمؤلفين جالاغر و وودكوك
مع صور للمصورين
هانز و كلير إيركسون

ينايــــر

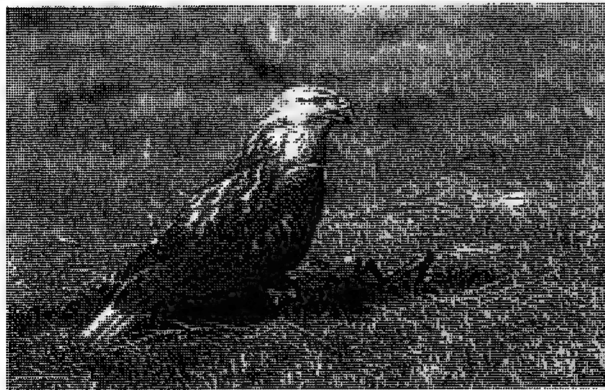

الشقراق الهندي.

يشـهد شـهر يناير حركة الطيور الزائرة في فصل الشتـاء والطيور المهـاجرة العـابرة بمـا في ذلـك البط والعقـاب ذو الأصابـع الصغيـرة والعقـاب الملـوكـي والطيـور المخوضة المختلفة والنورس (رمح الماء) الكبير ذو الظهـر الأسود اللـون والخطاف الـرملي والهـازجة والسمنـة. وتصل إلـى مسندم بعض الطيور القـادمة من الخليج.

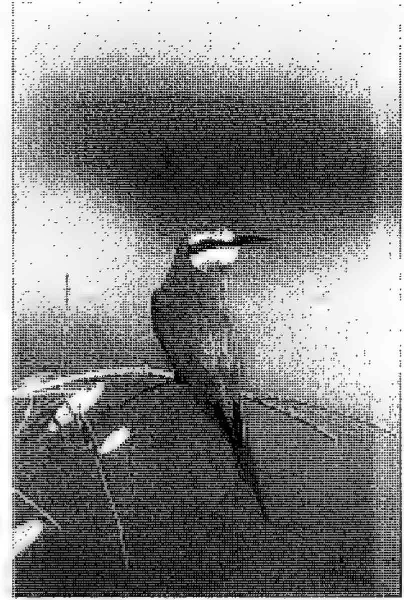
وتبدأ الأنـواع التاليـة من الطيور فـي إقامـة أعشاشـهـا: طيور العـاسوق والـدراج والحمـام والسمـامة والشقـراق الهنـدي والدُّخلة والتمير الارجواني والصرد الرمادي الكبير.

فبرايـــر

يشـهد شـهر فبرايـر زيادة حركة الطيور العابـرة المتجهة نحو الشمال ورحيل البط والطيور المخوضـة المتأخرة. تبدأ المزيد من الطيـور في إقامة أعشـاشها، وتتضمن: النسـر المصري والصقر ذا السـاقيـن الطويلين وعقاب «بونلي» ودجـاجة الماء والحمـامة والبـومة الصغيـرة وذلك إلى جانـب عدة أنواع من طيـور القنبـرة والخطـاف ذي العنق الشاحب والبلبل الأصفر والأبلق «هيوم».


الصقر ذو السـاقين الطويلين.

مارس


الوروار ذو الوجنة الزرقاء.

استمرار مرور الطيور المهاجرة. وصول طيور الوروار (الخضار) ذي الوجنة الزرقاء. تبدأ الطيور التالية في إقامة أعشاشها: الأطليش الأبله والبلشون الأخضر الصغير والزقزاق (أبو الرؤوس) الحلزوني الصغير وزقزاق (قطقاط) «كنتش» والزقزاق الشامي (أبو طيط) ذو اللغد الأحمر وحمام الصخور وحمام الورشان والعديد من أنواع البوم وطيور القبرة أو القنبرة والطيور الهازجة

أبريل

أبريل هو شهر رحلات الهجرة الرئيسية إلى الشمال والتي تقوم بها العديد من الطيور مثل الفلروب ذي العنق الأحمر والنورس والخرشنة والوقواق والوروار والخطاف والعديد من طيور الجواثم الليلية. وفي الاتجاه الأخر تقوم بعض الطيور بالهجرة إلى الجنوب مثل طيور جلم الماء الايراني. تصل إلى عمان الطيور التالية خلال شهر أبريل: جلم الماء ذو القدم الشاحبة وطائر النوء البحري الصغير «ويلبسون» والصقر القاتم، بينما تصل إلى ظفار وحدها الطيور التالية: الحمام الأخضر ذو البطن الأصفر والرفراف. تبدأ الطيور التالية في إقامة أعشاشها: الغواص الصغير والعصفور ذو الحلق الأصفر ومالك الحزين والزقزاق (في مصيرة) والنورس القاتم والقمرية وقنبرة الأدغال المغردة.

مــايـــــــــــو



طائر الشقراق الأوروبي.

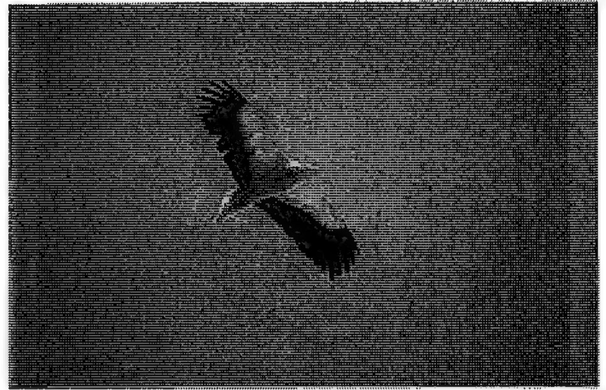
يشـهد شـهر مايو انتهاء الهجرة الشمـاليـة، لكن مـع اسـتمـرار تنقل طيـور الضـوع أو السبـد والشـقـراق وأبـــي الحنـاء ذي الصـدر الأحمر الضـارب إلـى الصفرة. يبدأ زوار الشتـاء في مغـادرة البـلاد بمـا فـي ذلـك طيـور الرفـراف. تصل طيـور الوقـواق «ويدرك» إلـى ظفار وتبدأ الطيـور التاليـة في إقـامة أعشاشـهـا: الخرشنـة والوروار والقـرلي ذو الـرأس الرمـادي والدغناش ذو رأس الأسود.

يونيـــــــــــو

يشـهد هذا الشهر بدء هبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في ظفـار، وهو شـهر يتسـم بالهدوء بصـورة عامة مـع وجود بعـض الطيور الهـائمة واستمـرار طيور التفـريخ فـي إقامـة أعشاشـها.

يوليو

تتركز بالقرب من ظفار طيور جلم الماء والنوء البحري وطائر النوء البحري الصغير «ويلسون». تبدأ الطيور التالية في الانتشار عقب انتهاء موسم التفريخ: الزقزاق الشامي ذو اللغد الحمراء والوروار ذو الوجنة الزرقاء والنورس القاتم كما يبدأ وصول الطيور المهاجرة العابرة والطيور الزائرة الشتوية بما في ذلك البلشون والنحام أو البشروس الكبير والنسر المصري والطائر الخواض ونورس الرنكة والخرشنة ذو اللحية.



النسر المصري.

أغسطس

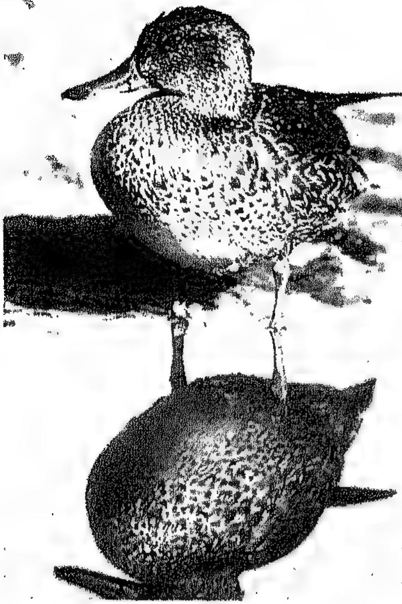


طائر الجشنة ذو الحلق الأحمر.

شهر أغسطس هو شهر الذروة بالنسبة للطيور المهاجرة إلى الجنوب حيث تنشط حركة الطائر المخوض والفلروب والخرشنة والجشنة أو العزيزاء والذعرة. تنتشر طيور الزقزاق واليمام بعد انتهاء موسم الإستيلاد. تبدأ طيور جلم الماء الأيراني ذو القدم الشاحبة في الانتشار. تتضمن الدفعات الأولى من الطيور التي تصل إلى عمان اللقلق الأبيض والحباري والقرلي (الرفراف).

سبتمبر

ينتهـي فـي شهـر سبتمبـر مـوسـم الـريـاح المـوسمية الجنـوبية الغـربيـة وتستمر فتـرة الذروة في هجرة الطيـور المختلفة إلى الجنوب بمـا فـي ذلـك البلشـون والـراف (المطـوق) والضوع (السبـد) وطيور الجـواثم المهـاجرة ليـلاً. يبدأ انتشـار طيور جلـم الماء ووصـول الطيور الـزائرة الشتوية المبكـرة بما فـي ذلك البلشون الأبيض الكبير وأنـواع البط المختلفة والنورس ذو الـرأس الأسود والذعـرة البيضـاء والأبلق ذو الحلق الأزرق والذيل الأحمر.



طائر الحذف ذو الجناح الاخضر.

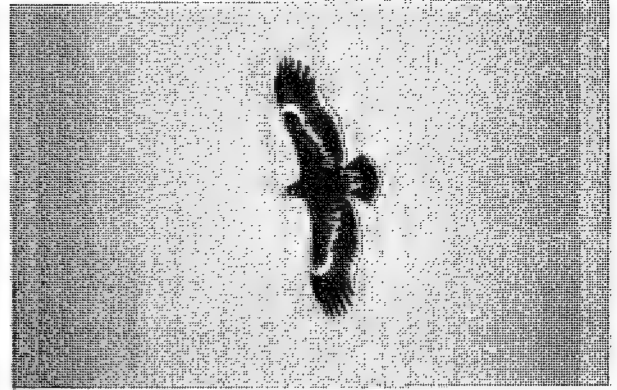
أكتوبر

استمرار مـرور الطيور المهـاجرة إلـى الجنوب بمـا في ذلـك العـوسـق الصغيـر والـوروار ذو الـوجنـة الـزرقـاء والأبلـق الصحــراوي. تصـل بعــض الطيــور الـزائرة الشتــويــة الأخـرى بمـا فـي ذلـك طيـور الغاق الكبيـرة والبط والبـاشق والعقـاب والغـراء واليقنـة ذو الذيل الشبيه بذيل طائر التدرج والحميـراء الأسود والـزرزور. تنتشـر في ظفـار طيور الغـاق «سوكـوترا».والوقواق. يهـاجر طائر جلم الماء الايراني في اتجاه الشمال.



صقر العوسق الصغير.

نوفمبر


صقر السُهب.

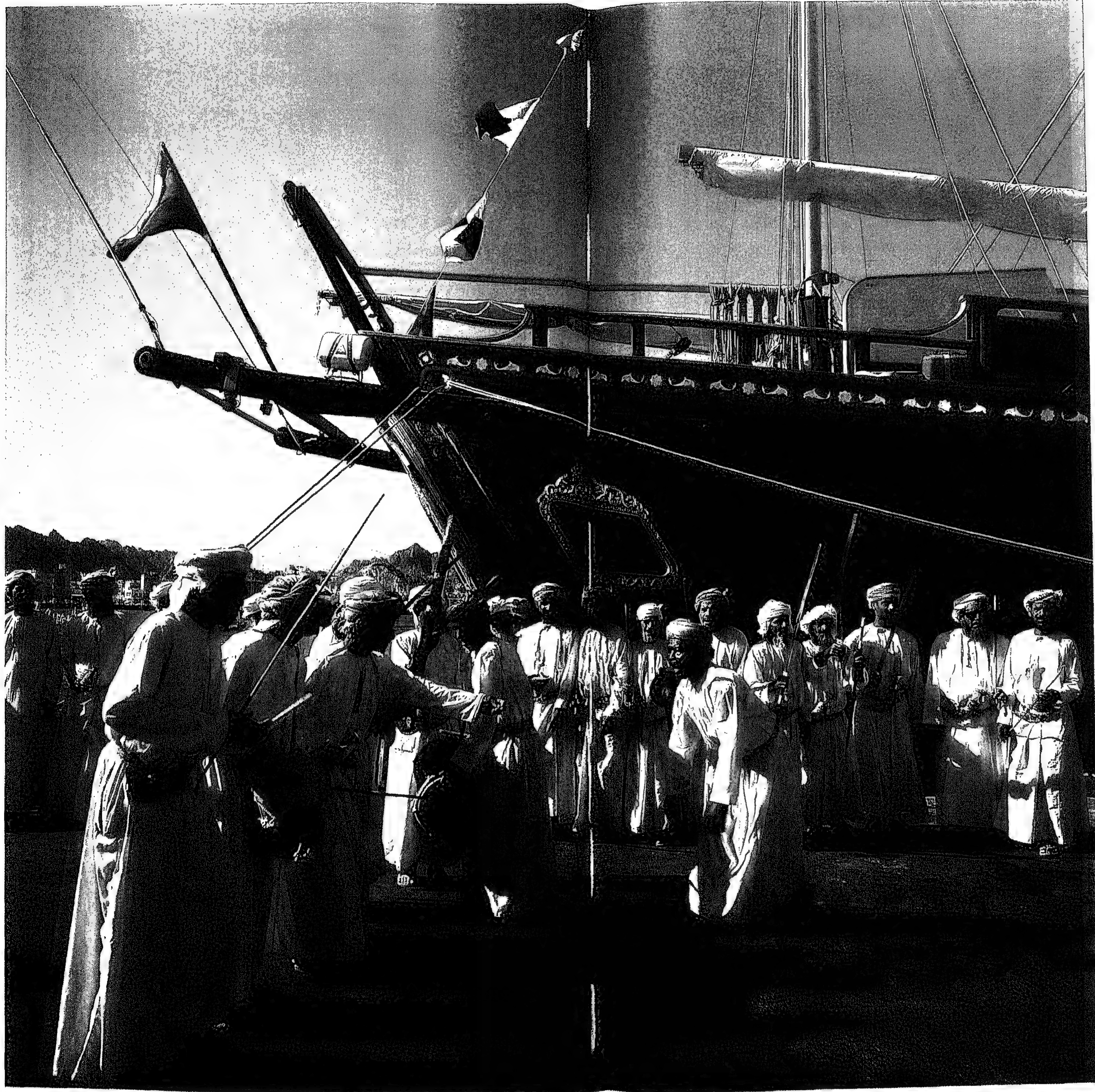
يبدأ هبـوب الريـاح الموسميـة الشمـاليـة الشـرقيـة، ويتـم مشـاهـدة بعـض الطيـور المهاجرة المتأخـرة مثل البومة ذات الأذن القصيـر. وصـول المـزيـد مـن الطيـور الـزائرة الشتـويـة وخـاصـة البـط والعقـاب. كمـا يتـم فـي هـذا الشـهررؤية أعـداد ضـخمة من النسور المصريـة. يبدأ انتشار العقاب القاتـم والقرلي ذي الرأس الـرمادي في ظفار وكـذلك يبدأ عقاب فيراوكس في إقامة عشه في ظفار.

ديسمبر

تصل في شـهر ديسمبر طيور السمنـة الشتوية وبعض الطيور المهاجـرة الأخرى مثل طائر الغـرنوق (الكركي) العـادي. يبدأ صقـر العقاب النسـاري وغراب الغـداف في اقـامة عشيهمـا الشتويين (في ظفار).

لا تزال العادات والتقاليد قوية في عمان حيث يفخر أهلها بتراثهم الفريد. وفي هذه الصورة تظهر مجموعة من الرجال العمانيين وهم يرحبون باليخت السلطاني «فلك السلامة» في ميناء السلطان قابوس بمناسبة احتفالات الذكرى العشرين للعيد الوطني لعمان.

العادات



شركة تنمية نفط عمان



جيجي كروكر جونس

فن النسيج التقليدي

بقلم جيجي كروكر جونس

في الصفحة المواجهة: في رملة الوهيبة تحول النساء بكراتهن الى لاويّة ويغزلن بالمغزل وفلكة المغزل (الثقالة) عند قمة العمود.

عمان هو بلد ذو تضاريس جغرافية متباينة، تضم سلاسل جبلية بينها وديان عميقة وصحارى رملية وواحات خضراء وشواطىء تمتد لمسافة أكثر من ١٧٠٠ كيلو مترا. وتؤثر هذه التضاريس المتباينة بشدة تأثيراً مباشراً على اسلوب حياة السكان. واسلوب حياة هؤلاء السكان يؤثر بدوره على الحرف التي يقومون بها. وعلى الرغم من أن عمان هي ثاني أكبر دولة في الجزيرة العربية إلاّ أن تعداد سكانها حسب آخر احصاء أجري في عام ١٩٩٣ يزيد على المليونين بقليل. ويعتبرذلك أيضاً من العوامل الهامة التي يجب أخذها في الاعتبار عند دراسة الأعمال الفنية التقليدية المنتجة في عمان. كما أن ارتفاع نسبة المواليد في الوقت الحاضر يعني أن نصف سكان السلطنة هم من الأفراد الذين لا تزيد أعمارهم على خمسة عشر عاماً. والعديد من هؤلاء الصغار لن تتوفر لديهم أية خبرة عملية في هذه الحرف الفنية.

ولمعرفة لماذا يقتصر نسج المنسوجات الخاصة على مناطق بعينها، يلزم ان نلقي نظرة على الهيكل التقليدي للمجتمع العماني. ان تصنيف السكان طبقاً للأسس التقليدية يعتبر في حد ذاته مرجعاً هاماً، ولكنه لا ينطبق في العديد من الحالات على عمان الحديثة لأنه مع تغير زعامة البلاد في سنة ١٩٧٠ تطورت الأوضاع الإقتصادية وخدمات الرعاية الإجتماعية تطوراً سريعاً.

ويمكن تصنيف سكان عمان إلى فئتين هما أهل المدن وأهل الريف او الرعاة. وأهل المدن والقرى، أو أهل «الحضر» كما يسمونهم، يعيشون في مسقط وساحل الباطنة وفي مدن المنطقة الداخلية والشرقية والظاهرة ومسندم وفي صلالة بمحافظة ظفار. ويتنقل الرعاة، أو الشواوي، مع تغير فصول السنة ويعيشون إما في قراهم أو في التلال والوديان الواقعة بالمناطق الجبلية. وهم يستوطنون المناطق الجبلية مثل منطقة الجبل الأخضر وسلسلة جبال الحجر الشرقي ويتنقلون مع قطعانهم عبر الأراضي الرملية والسهول، وينصبون خيامهم أينما توفرت الأعشاب ويعودون الى مدنهم أو قراهم في مواسم جمع التمر.

والمستوطنون هم على نحو تقليدي من المزارعين وأصحاب بساتين النخيل وصيادي السمك في المناطق الساحلية والتجار والحرفيين المحترفين وعمال النسيج والخزف وصباغي النيلة وصانعي المجوهرات وصانعي المعادن وصانعي الحلويات. ويمتلكون بعض الماعز والغنم والبقر والإبل. ولا يمارس رجالهم أو نساؤهم أعمال الغزل. أما النساجون من الرجال والذين يجدلون الخيوط الصوفية عند اللزوم فينسجون الخيوط على النول ويمارسون هذا العمل في وقت فراغهم.

والرعاة هم في المعتاد رعاة لقطعان الماعز ويعملون في البساتين ويجمعون الحطب واخشاب الوقود والعسل وينقلون البضائع على ظهور الحمير، وهم يحتفظون بالماعز وببعض الأغنام والحمير وربما يحتفظون أيضاً بجمل او ناقة. ويمارسون هذا العمل لبعض الوقت فقط حسبما يتسع لهم الوقت وحسبما تتوفر لهم المواد الخام.

وبصورة تقليدية يقوم البدو برعاية الإبل والماعز وقد تتوفر لديهم بعض الأغنام. وتزاول نساؤهم أعمال الغزل بالمغزل، بينما يزاول رجالهم الغزل إما بالمغزل أو بعصي. وتقوم النساء بالنسج على نول أرضي من أجل توفير احتياجات الأسرة او من اجل توفير تجهيزات العرس او يقومون بهذا العمل بتكليف من شخص آخر.

وبالرغم من ان جميع هذه الفئات كانت ولا تزال تعتمد على بعضها البعض الا ان هناك عدة عوامل حددت التغيرات الرئيسية في حياتهم مثل توفر المزيد من المساكن الدائمة والمرافق التعليمية ووسائل النقل.

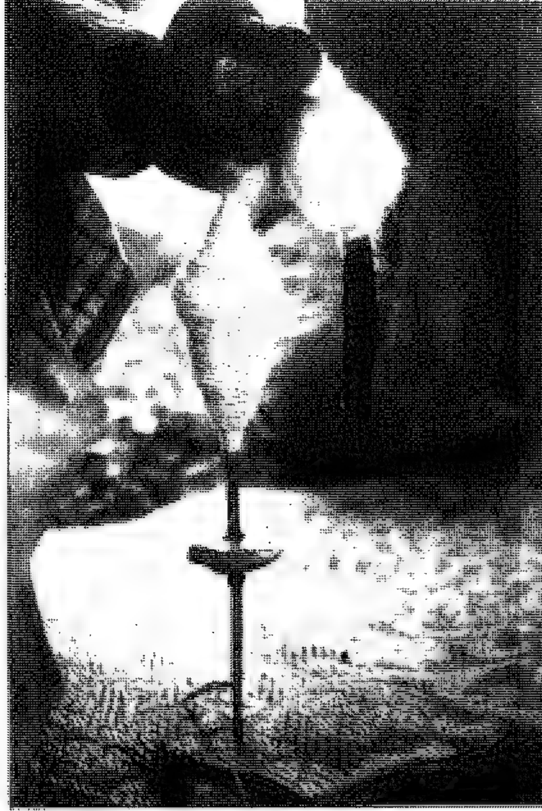
ولفهم مهارات حرفة النسيج، يجب دراسة المراحل المختلفة لهذا العمل الفني والذي يتم فيه اعطاء الأولوية لنوع القطيع والمواد الخام. لقد انتشرت في أنحاء عمان سلالات الماعز المنزلية، غير أن سلالات الماعز ذات الشعر القصير تسود في منطقة ظفار وشعرها قصير بدرجة تجعله غير صالح للاستعمال. اما في شمال عمان فتنتشر سلالات الماعز ذات الشعر الطويل والألوان المختلفة وبصورة خاصة اللون البني القاتم او الأسود. وهذا يفسر ندرة وجود «بيت الشعر» التقليدي، وهو الخيمة ذات الشعر الأسود، في عمان، لكنه تم استيراد بعض هذه الخيام واستعمالها في ظفار في ناحية الربع الخالي. وعلى أية حال، تم تهجين سلالات الماعز ذات الشعر القصير مع سلالات الماعز ذات الشعر الطويل أثناء رحيل أصحاب هذه القطعان في موسم الجفاف. ويجدر بالذكر ان سلالات الماعز ذات الشعر الطويل هذه تحتاج الى كمية أكبر من الماء وتعطي كمية أقل من الحليب.

ولا يتم اليوم استخدام شعر الماعز بكثرة وهذا يفسر لماذا لا نرى اعداداً كبيرة من الماعز ذات الشعر المجزوز، لأنه يتم قص الشعر بتمرير السكين على طول الخصلة. وتلك مهمة يقوم بها الرعاة والنساء البدويات في المعتاد.

وشعر الماعز عبارة عن ألياف قوية وخشنة وشائكة يصعب غزلها ونسجها بأصابع اليد، لكن خيوطها تنتج حبالاً متينة وتستخدم في تفصيل ملابس قوية التحمل. أما صوف الغنم فيتباين من ناحية الجودة، فصوف المناطق الجبلية أكثر نعومة وأقل غلاظة من صوف مناطق السهول والمناطق الرملية والساحلية. ويقوم الرعاة والنساء البدويات بجز الصوف الذي يكون أغلبه ذا لون بني قاتم غير أن بعضه متوفر باللون البني الفاتح والرمادي. ويتم جزّ الصوف باستعمال المقصات المنزلية وغالبا ما تستطيع النساء فقط جزّ شاتين من الغنم في اليوم الواحد. وكانت الخيوط في الماضي متوفرة بكثرة وكان يتم تصدير بعضها إلى باكستان. ويقوم الرجال برعاية الإبل التي يتم نتف شعرها وليس قصه، في فصل الصيف اثناء موسم الحصاد. أما الماعز والغنم فيتم جز شعرها في وقت مبكر.

وبالرغم من انتشار زراعة القطن في عمان سواء من النوع الأبيض او البني، إلاّ ان واردات القطن التي كانت في هيئة ألياف خام مكدسة في بالات أو في هيئة خصلات (شلات) خيوط قد غطت لعدة عقود من الزمن على الانتاج المحلي. ويتم استيراد الحرير من اليابان في هيئة خصلات (شلات) خيوط بأحجام مختلفة وذلك كما هو الحال بالنسبة للخيوط المعدنية.

ولا يتم فحص ألياف الشعر قبل غزلها، بل يتم تكديسها في أكوام مع المحافظة على توازي الألياف ثم يتم أخذ حفنة منها وغزلها على عصاة أو مغزل. ومن ناحية أخرى يتم فحص الصوف باليد لأنه لا يتم استخدام المشط في عمان. ويتم فصل حفنات الصوف عن بعضها البعض للسماح لدقائق النفايات والمخلفات غير المرغوبة بأن تتساقط قبل الشروع في جدل (لف) الصوف على شكل جدائل. ومن ثم يتم لف الجدائل في فلكات بأنماط مختلفة تحتفظ بالصوف الجاهز وتتيح لعامل الغزل أن يغزل النسيج ويداه طليقتان. ويلف الرعاة بكراتهم في شكل رقم ثمانية باللغة الانجليزية على نول (مجدال) ويثبتونه بأصبع السبابة الأيسر، ويغزلون بالمغزل مع وجود فلكة المغزل (الثقالة) عند الطرف السفلي. وغالباً ما تكون فلكة المغزل (الثقالة) عبارة عن حصاة من قاع الوادي. ويحول البدو البكرات الى لاويّات مثبتة مرة أخرى بأصبع السبابة الأيسر. وبالقرب من الربع الخالي تستعمل بعض النساء العصي كفلكة لتثبيت الصوف. وتوجد فلكة المغزل عند قمة



جيني كوركر جونز

يلف الرعاة بكراتهم في شكل رقم ثمانية باللغة الانجليزية على نول ويثبتونه على أصبع السبابة الأيسر. ان فلكة المغزل (الثقالة) هي عبارة عن حصاة من قاع الوادي يتم وضعها عند الطرف السفلي للمغزل.

العمود وتتخذ عادة شكل المستطيل او شكل الدائرة المفردة كما في مسندم. ويتم دفع الغطاء في العمود ليبرز فوق الخيط ويستعمل في تعليقه. ويتم لف المغزل باليد اليمنى في إتجاه عقارب الساعة ثم يتم اسقاطه، ومن ثم يتم سحب الألياف والسماح لحركة الدوران بالانتقال عبر الألياف الجاهزة. وبعد ذلك يتم فك الخيط ولفه على المغزل مع تكرار هذه العملية.

وعندما يمتليء المغزل يلتف الخيط في شكل كرة. ان معظم الخيوط مجدولة وهذا يعني انه يتم لف جديلتين معاً في اتجاه مضاد وتلتفان حول كرة محكمة لتثبيتها. أما القطن فيتم غزله في حالته الطبيعية أو صباغته بالنيلة قبل عملية النسج أو بعد الإنتهاء من نسج القماش وأحياناً بعد الإنتهاء من تفصيل الملابس. أما الحرير فيتم استيراده مصبوغاً مسبقا بالمواد الكيماوية وإن كان بعض عمال النسيج يقومون بصباغته بأنفسهم. ولا تتم في عمان صباغة ألياف الماعز أو الابل، لكنه يتم على نحو تقليدي صباغة صوف الغنم وهو في هيئة خصلات وليس في شكل كتل وذلك باستخدام أنواع مختلفة من النباتات.

ويعتبر نبات الفوة الذي يعطي لوناً أحمر جميلاً هو أكثر نباتات الصباغة انتشاراً في الإستعمال. ويتم استيراد هذا النبات من الهند في هيئة جذور غير أنه يتم اليوم استيراده في شكل مسحوق كمادة صباغة كيماوية. وعلى الرغم من ذلك يحمل كلا النوعين نفس الاسم، واحيانا يتم استعمالهما كمزيج بخلطهما معاً. ويتم في البداية ترسيخ او تثبيت خصلات الخيوط باستعمال

الشب ثـم صبغها باستخدام مـادة كلسية يتراوح عمـرها بين عامين وثلاثة اعوام ومادة الفوة المسحوقة.

ان فن النسيج كفن وظيفي لم يصـل بعد في عمـان الى مستـوى رفيع، غيـر ان الاشغال المنتجـة تـتم بمهـارة فائقة. وبالرغم من ان اعمال النسيـج فـي تدهور خطير إلاّ أنها مـا تزال حيـة في أنحاء مختلفـة من البـلاد وبصورة أسـاسية حيـث لا يزال هناك طلـب مستمـر على المنتجات النـافعة وحيث تتوافـر فـرص البيـع للسياح. ان معظـم أحياء عمال النسيـج التقليدية في المـدن والقرى أصبحت مهجورة. لقد اقيمـت في هذه الأحياء مئات الأنـوال إما في مجموعات او مفردة في ساحات للعمل. ويقتصر استعمال هـذه الأنوال علـى الـرجال الـذين يمـارسـون هذا العمـل كوظيفة بدوام كامل، غير انه احيـاناً ما يعمل عامل النسيج اليوم فـي وظيفة اخـرى ويمارس اعمـال النسيج كـوظيفة مـؤقتة بـدوام لبعض الـوقت. وقـد تمت صنـاعة الأنـوال باستخـدام المـواد المحليـة، وتثبيتهـا علـى الأرضيـة (معلقة) حيث يجلس عامل النسيـج وقدماه في الحفرة مما يتيح له تغيير فتحة خيوط المسداة بتحريك ذراع المسـداة بقدمه ويترك يديه طليقتيـن لتقوم بقذف الماكوك وجذب العارضـة. وتتميـز جميـع أنوال الحفـرة، باستثنـاء نول واحد موجود في بركاء، بانها ذات عمودين. وتمتد المسداة أمـام عامـل النسيج عبـر النول وتتـدلى إلـى اسفل عنـد العارضة لتصبح فوق مستـوى الأرض مباشرة وهذا يتيح توفير مسـداة تكفي لنسـج عدة أطوال مـن الأقمشة وذلك على خـلاف النـول الأرضي حيـث يلزم عمل مسـداة لكل قطعة قمـاش جديدة. ويقوم عـامل النسيج بتغييـر فتحة خيـوط المسـداة بتحريك ذراع المسـداة بقدمـه ممـا يتيـح ترك يديـه طليقتيـن لتقذف الماكوك.

ويتم نسـج القطن حسـب الأطوال المنـاسبة للقمـاش بحاشيـة من الحـرير عـادة. وقد تكـون هذه الأطـوال غير منقوشة (مسداة) أو منقوشـة وذات خطـوط أو مربعات، ويتـم درزها فـي المنتصـف وتحـويلها الـى حصيـرة او ملابـس للنوم او عباءات للرجـال. أمـا الشالات الخـاصة بالنسـاء فيتم نسجهـا من الحـرير مـع زركشة المـلابس المنسـوجة مـن الخيوط المعـدنيـة والشـالات بشـرائط ينسجها في الغالب نفس عامل النسيج على نول الشرائط.

ويمكـن نسـج هـذه الشرائط فـي الثـوب مبـاشـرة بـاستخدام أطـراف مسداة الثـوب كلحمـة (اللحمة هـي الخيوط المنسوجة عرضاً أي خلافاً للمسداة) للشريط أو نسجها منفصلة بـذاتها. وتتوفر هذه الأنوال فـي نوعين: يتم تعليق الجهاز الصغير في حامل صغير ثلاثي القوائم وقابـل للنقل أو مـن السقف حيث يتم مد المسداة مـن طرف الغرفة الى طرفها الآخر.

ويقوم بعـض عمال النسيج الآخـرين الذيـن يعملون



جيجي كروكر جونس

أحد عمال النسيج الذين يعملون على نول الحفرة (المعلق) ينسج أطوالاً قاتمة اللون من القماش الصوفي خفيف الوزن والذي سيتم استخدامه في نسج عباءة الراعي.



جيجي كروكر جونس

يتم نسج أكياس عدلي الخرج (سرج الجمل) على نول أرضي وزخرفتها بنقوش معقدة في المسداة. تختار هذه المرأة في رملة الوهيبة الخيوط لتعمل النقوش الخاصة بها.

على أنوال الحفرة (المعلقة) بغزل خيوط الصوف في شرائط طويلة لإنتاج أثواب خفيفة الوزن. ويتم قطعها حسب الأطوال المناسبة ودرزها معاً لتحويلها الى بطاطين او دثارات يستعملها البدو أو الى شالات ليستعملها الرعاة.

ويستعمل الرعاة والنساء البدويات النول الأرضي في انتاج المشغولات الفنية اللازمة لهم ولأفراد اسرهم. كما يقومون بانتاج قطع اضافية عندما يسمح الوقت بذلك وتكون المواد الخام متوفرة. وقد يتم انتاج هذه القطع الإضافية بتكليف من شخص آخر او ليتم بيعها في السوق او من المنازل لعابري السبيل. ومع ذلك فهذه المشغولات الاضافية معرضة للتلف.

ويتألف النول الأرضي من بعض قطع الأخشاب المتوفرة والمستخدمة في توفير السنادات أو الدعامات الأربعة والعارضتين وقضيب ذراع تحريك المسداة، والذي يتم تثبيته في الغالب باستعمال علب الحليب القديمة، والماكوك القضيبي. أما السيف المستخدم في ضرب اللحمة فمصنوع من الخشب المنحوت. ويتم لف المسداة افقياً بين العارضتين في هيئة رقم ثمانية باللغة الانجليزية. وإذا تطلب الأمر الانتقال من منزل الى آخر يمكن لف النسيج والنول واعادة توصيل السنادات في مكانها الجديد.

ويتم استخدام هذه الأنوال في انتاج مجموعة متنوعة من الدثارات مثل دثار الجمل التقليدي (الحوية) ذي الشرائط السوداء وصبغة الفوة وذي الشرائط ذات الألوان الطبيعية وذي الشرائط المتعددة الألوان والمنسوجة من الخيوط المصبوغة بالمواد الكيماوية كما يحدث اليوم. كما يتم نسج دثارات سميكة باللونين الأسود والأبيض لوضعها على ظهر الحمار عند نقل أحمال العشب (البردعة). كما يتم نسج أثواب صغيرة أخف وزناً ليرتديها الرعاة عند جمع الأعشاب في الأماكن المرتفعة. كما يتم أيضاً نسج دثارات خفيفة الوزن باتباع نفس الطريقة مع استخدام الخيوط المدمجة بدلاً من الخيوط المجدولة. ويتم نسج هذه الدثارات في نصفين، عند نسج أولها فيتم نقل قضيب ذراع تحريك السداة والسنادات الى الطرف الآخر ثم يتم مرة اخرى نسج النصف الثاني حتى المنتصف. ومن ثم يتم قطع الثوب الى نصفين وحياكتهما معا بالطول.

ويتم جدل الدثارات الثقيلة والسميكة التي تنسجها النساء على النول الارضي باستعمال اصابع اليد بدلا من الماكوك. ويجري تعليق هذه الدثارات في داخل الخيمة من اجل التدفئة أو الزخرفة، وهي تعتبر احدى القطع اللازمة من اجل توفير تجهيزات العرس الى جانب كيس المرأة الذي تستخدمه في حفظ أمتعتها وتعلقه داخل الخيمة. ويتم نسج هذا الكيس والعديد من سروج الجمال المزخرفة بنقوش معقدة تعرف باسم نسيج راكوم ، انه نوع خاص من النسيج يعطي نقوشا ذات خطوط ورموز ترمز الى اسلوب حياتهم اليومي في تصميمات تنتقل من الام الى إبنتها.

كما يتم نسج اغطية سرج الجمل (الحوية) المزركشة الاخرى باستخدام النول الارضي، ويتم نسج وسادة السرج ووسادة سنام (ذروة) الجمل التي في شكل حرف يو U اما في نسيج غير مزركش او بنسيج ذي جديلتين زخرفيتين عند الاطراف او بنسيج خاص، كما يمكن نسج احزمة السرج واحزمة الصدر المزركشة ايضا. هذا ويتم نسج اغطية السرج المزركشة الاخرى على النول وانتاجها

الغزل باستخدام أصابع اليد بدلاً من الماكوك. نادراً ما يتم اليوم نسج الدثارات الثقيلة السميكة.



جيجي كروكر جونس

باستعمال اصابع اليد. وتتضمن هذه الاغطية سير اللجام واربطة العنق والتحميل.

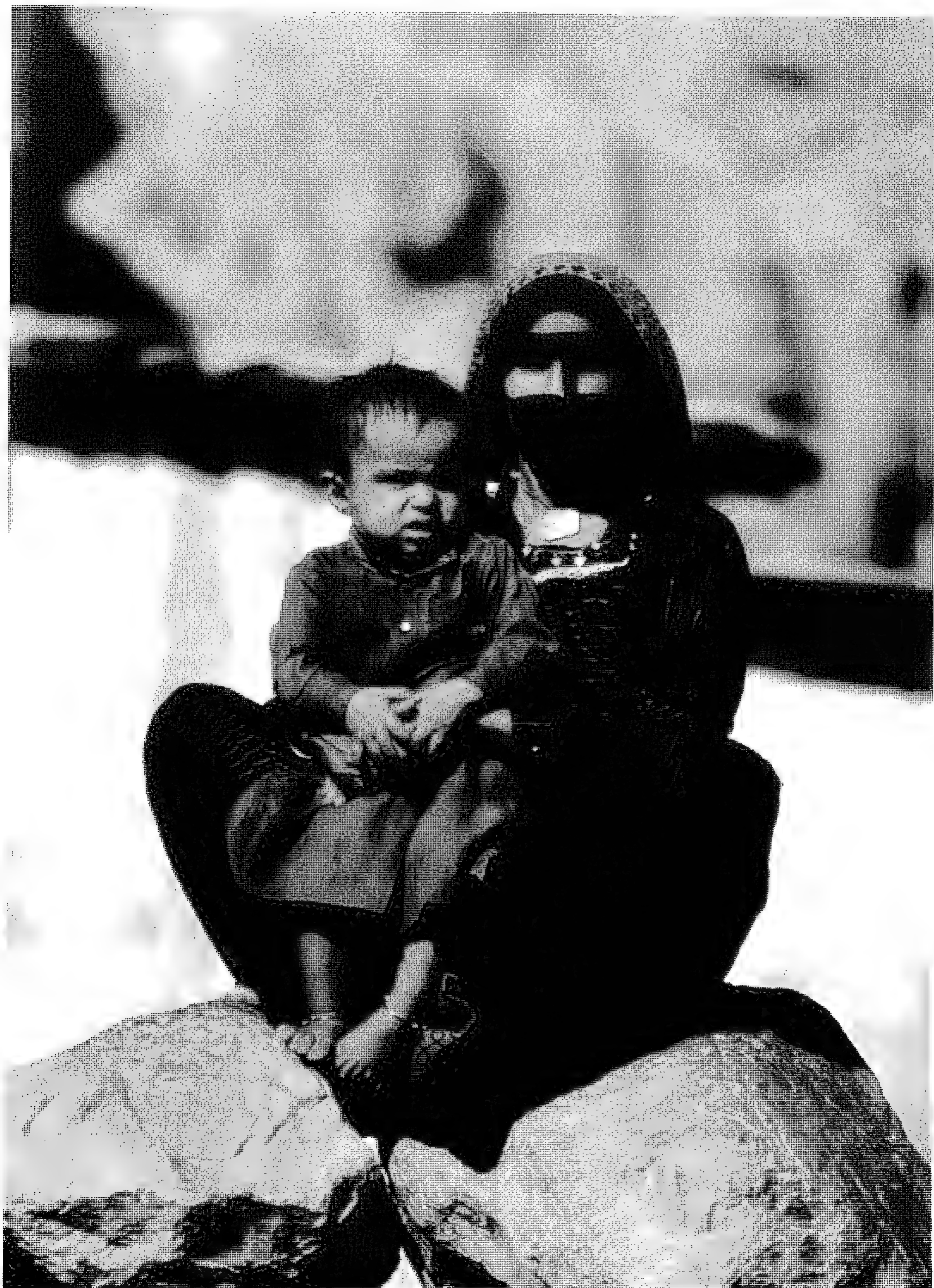
ويتم ايضا نسج الدثارات على الأنوال الارضية باستعمال شعر الماعز، وتتسم هذه الدثارات بالمتانة لكنها شائكة وخشنة وقد اعتادت النساء البدويات على نسج قطع طويلة من شعر الماعز وحياكتها معا لتحولها الى غطاء «فيلي» لحماية حيواناتهم من الرياح الباردة ولتوفير الظل لهم.

ويتم استخدام الأنوال الرأسية في نسج اغطية بردعة الحمار المزركشة باستخدام شعر الماعز للاستعمال في الاماكن الصحراوية الوعرة وفي نسج السرج المبطن واحزمة الردف والصدر التي يتم في بعض المناطق زخرفتها بالشُرّابات بصورة جميلة وفي نسج احزمة السرج والبطاطين الدافئة السميكة، لكن للاسف انقرضت هذه الأنوال اليوم تقريبا وصارت عتيقة الطراز.

كما يتم نسج بعض القطع الفرعية الاخرى على النول، وتتضمن هذه القطع المقلاع المنسوج من شعر الماعز والمستعمل في قذف الحجارة للسيطرة على قطعان الحيوانات وجمعها، ووسادات القدم التي يستعملها الرعاة والمصنوعة من شعر الماعز الممشط والمطيق والمطوي ذي الحياكة الجيدة التي تشكل مربعاً يتم ارتداؤها أسفل قاعدة إبهام القدم، وجوارب الرمل المصنوعة بطريقة الانشوطة ويتم ارتداؤها في المناطق الرملية لتوفير الحماية للقدم، وأكياس ضرع الجمل والتي يتم نسجها بين عصاتين مثبتتين بساقي الرجل واستعمالها لمنع الصغار من الرضاعة، وأكياس الكحل المزدوجة. كما تتضمن أيضا، منذ السبعينات، أغطية السيارات المزركشة وخاصة أغطية مفاتيح بدء تشغيل محرك السيارة والتي تم تصنيعها محلياً وطبيعياً من أغطية الجمال المزركشة.

وعلى الرغم من ان قوافل الجمال الكبيرة التي كانت ترحل عبر صحراء الجزيرة العربية قد اختفت مع التطور العمراني فلا يزال هناك طلب على الأغطية المزركشة الجميلة في بعض مناطق عمان وذلك نتيجة لتشجيع رياضة سباق الجمال في انحاء شبه الجزيرة العربية.

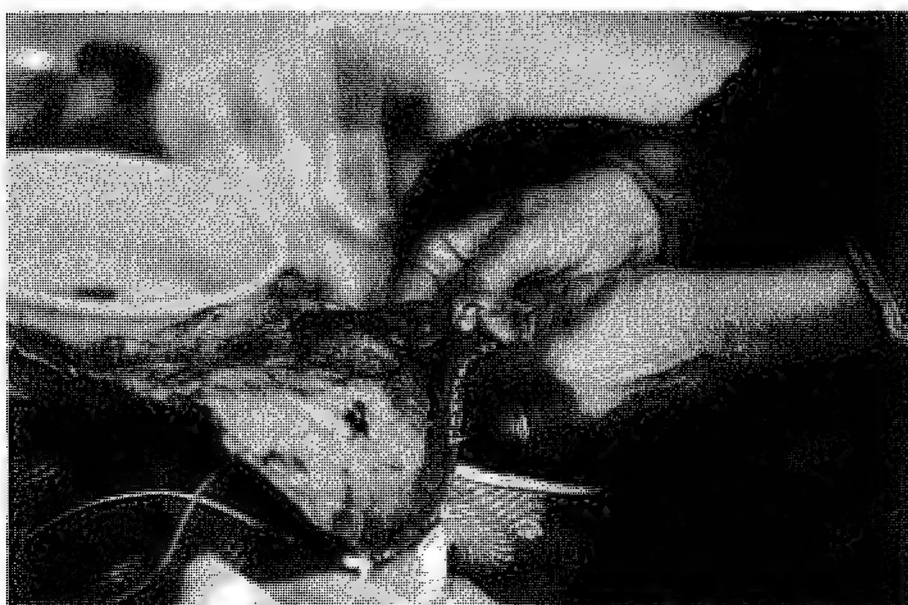








بدو الوهيبة.





شركة تنمية نفط عمان

صناعة السلال

بقلم جيجي كروكر جونس

كانت صناعة العديد من المنتجات النافعة تتم ـ ولا تزال باستخدام أشجار النخيل. ويتم بصورة تقليدية منذ أجيال عديدة استخدام أشجار النخيل الشائعة المزروعة في أغراض عديدة. وينمو هذا النوع من أشجار النخيل بريا في المناطق الساحلية عادة بالقرب من المياه السطحية. وتتميز هذه الأشجار البرية بأنها غير مثمرة عادة وتبدو أكثر كثافة بالرغم من أنها قد تكون ذات جذعين رئيسيين. وهناك نوع آخر من أشجار النخيل البرية هو النوع المحلي وهو نوع كثيف الجنبات ذو أوراق سعف مميزة مروحية الشكل، وينمو في المناطق الصحراوية وفي الوديان والمنخفضات الرملية. ويتم استعمال جميع أنواع أشجار النخيل المختلفة سواء المزروعة أو البرية في صناعة السلال في جميع أنحاء عمان.

ويستعمل أهل المدن والريف أشجار النخيل المزروعة، كما يستعملها البدو أيضا والذين يقيمون خارج القرى في منازل مشيدة من سعف النخيل يتم اقامتها خلال فصل الصيف في أثناء موسم جمع التمر.



جيجي كروكر جونس

تم تحويل هذا العمل المجدول الجميل إلى غطاء للأطعمة. ولجعل حافة الغطاء صلبة يتم تقويتها باستخدام ضلوع سعف النخيل.

وعادة تكون هذه الأشجار مملوكة للفلاحين والمزارعين.

وتحتاج أشجار النخيل إلى ري منتظم ويتم تلقيحها يدويا بصورة أساسية بالرغم من أنها من أنواع الأشجار التي يتم تلقيحها بفعل الرياح. ولهذه الأشجار استخدامات عديدة بجانب إنتاج الرطب والتمر. فيتم استخدام جذوعها في أعمال البناء وخاصة في انشاء عوارض السقف. كما يتم حرقها وتحويلها إلى فحم أو استخدامها في انتاج الأسمنت المحلي أو انتاج الجير الأبيض المستخدم في طلاء واجهات المنازل. كما يتم استعمال ألياف الجذع في أغراض عديدة تتراوح بين صناعة الحبال ومقابض السلال وتبطين أغطية سروج الجمال وفي تنظيف الصحون. أما ضلوع سعف النخيل فيتم استخدامها في صناعة الأقفاص المختلفة مثل أقفاص نقل السمك وأقفاص الطيور وأقفاص الدجاج أو مباخر الملابس أو مقابض الفُرش. كما يتم استخدامها أيضاً في تقوية بعض الأدوات مثل إطارات أغطية الطعام.

أما الأوراق الطويلة لسعف أشجار النخيل المزروعة فيتم تحويلها إلى عدة أدوات منزلية مفيدة حيث يتم استخدام الأوراق المختلفة في انتاج بعض المشغولات الفنية. ففي مسندم على سبيل المثال يتم تفضيل استعمال أوراق سعف الشجيرات الصغيرة ثم الأوراق الجديدة المقطوعة من قمة الشجرة وهي لا تزال صفراء اللون إلى حد ما. ويتم استخدام هذه الأوراق في صناعة أغطية الطعام والمراوح الدائرية المستخدمة في تحريك الهواء لتأجيج جذوة الفحم المشتعل وفي تبريد الطعام والمراوح الشبيهة بالراية اليدوية والتي يستعملها الأفراد في تحريك الهواء أمام وجوههم للتخفيف من حرارة الجو وفي صنع سلال مستحضرات التجميل الدائرية وسلال الخبز وقطع الحصر المدوّرة التي يتم وضع صواني الطعام عليها.

كما يتم أيضاً استعمال أوراق سعف النخيل الأخرى، عند قطعها وهي خضراء، في صنع الفُرش، وأكياس التمر، وسلال الحمل بمختلف الأحجام للاستعمال في نقل التمر المجموع من الأشجار وحمل جميع الأشياء المنزلية، وفي صنع سلال كفة الميزان والحُصُر المستخدمة في تجفيف التمر وحصر الصلاة وحصر النوم والحصر المفروشة على الأرضيات.

ويمكن قطع سعف النخيل وجمعه في أي وقت من أوقات السنة وتجفيفه بتعريضه لأشعة الشمس لمدة يومين في فصل الصيف أو لمدة ثلاثة أو أربعة أيام في


جيجي كروكر جونس

تقوم «شمسا» من المنطقة الوسطى في عمان بعمل سلة صغيرة باستخدام طريقة اللف. وهي حفظ السعف المشقوق المستخدم في الخياطة مبللاً في سلة صغيرة محكمة الغلق تضعها في حُجرها. وهي تستعمل أداة حادة لعمل الثقوب التي يتم فيها تمرير أداة الخياطة.

فصل الشتاء. وبعد أن تجف يمكن صبغها أو استعمالها بلونها الطبيعي أو حفظها للاستعمال فيما بعد. ويتم شق أوراق السعف وهي جافة بعد أن يتم أولاً قطع قاعدتها وضغط طرفي الورقة معها حتى تتقشر الورقة طولياً في منتصفها ثم يتم الامساك باحدى اليدين بحزمة من الأوراق ووضع ظفر أصبع الابهام لليد الأخرى داخل الورقة بالقرب من قاعدتها وشق عدة جدائل في آن واحد.

وكان يتم في بعض المناطق وخاصة ظفار استخدام النباتات مثل نباتات الألوة التي تعطي اللون الأزرق التقليدي في صباغة ألياف سعف النخيل. أما في المناطق الأخرى، مثل مسندم، والتي لا تنمو فيها مثل هذه النباتات المستخدمة في الصباغة فكان يتم استخدام مواد الصباغة الكيماوية كما يحدث الآن في كل مكان لأسباب عملية. ولاجراء عملية الصباغة، يتم اضافة مسحوق الصباغة الكيماوي إلى حوض الصباغة وتقليبه ثم يتم وضع الألياف المبللة وغليها برفق لمدة عشر دقائق ومن ثم يتم رفعها من الحوض ونشرها مسطحة على الأرض في الظل حتى تجف.

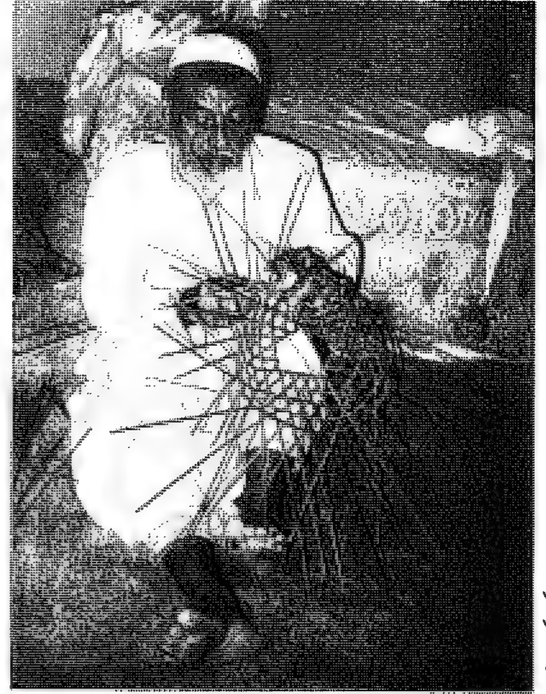
ويتم جدل الألياف المبللة، وهو عمل تقوم به النساء عادة، حيث يستعملن أصابعهن في تشكيل العناصر المستخدمة في صنع السلال ويضعن بجوارهن حزمة من الألياف ثم يقمن بوضع أحد العناصر فوق العنصر الآخر الذي يعملن به قبل أن ينتهي. ويتم إضافة المزيد من العناصر الجديدة من الجهة اليمنى إلا إذا كان يتم عمل أحد النقوش وهنا قد يتم إضافة العناصر الجديدة من كلا الجهتين. ويمكن جدل العناصر بتمريرها أعلى العنصر الأخير وأسفله أو أعلى العنصرين الأخيرين وأسفلهما طبقا للقطعة التي يتم انتاجها. وبالمثل يمكن أن تتباين الثخانة باستعمال عنصر واحد أو أكثر من العناصر فوق بعضها البعض.

وعند الانتهاء من عمل الجديلة المربوطة بالأسلاك يتم لفها وخياطتها في حركة دائرية من المنتصف لانتاج المشغولات المستطيلة. وغالبا ما تقوم النساء بأعمال الخياطة، غير أن الرجال هم الذين يقومون بخياطة أكياس التمر. كما يتم أيضاً على نحو تقليدي صناعة الخيوط الدقيقة المستخدمة في الخياطة من عناصر أشجار النخيل لكنه يتم الآن استخدام الخيوط المصنوعة من النايلون. ويتم في كمزار بمحافظة مسندم انتاج أرقى المشغولات المصنوعة من أشجار النخيل هذه.

وهناك اسلوب آخر لصناعة السلال باستخدام أشجار النخيل المزروعة، هو اسلوب اللف الملولب. وهنا يتم صناعة قلوب السلال الملولبة باستخدام محور الساق الذي تم منه جمع التمر. ويتم شق هذا المحور وتحزيمه لتشكيل القلوب التي يتم خياطتها في وسط القاعدة حلزونياً. كما يتم استعمال أوراق سعف أشجار النخيل المشقوقة كمواد للخياطة حيث يتم لفها حول القلب وخياطتها في الطبقة السابقة وفي الطبقات اللاحقة.

ويتم انتاج مجموعة كبيرة من الحبال باستخدام ألياف جذوع أشجار النخيل لاستعمالها محلياً. ولصنع هذه الحبال يقوم أخصائي الجدل بسحب قطعة من الألياف من جذع الشجرة ويبللها ويمشطها ليحافظ على توازي أليافها ثم ينزع قطعة صغيرة من هذه الألياف ويلفها على أصابع اليد مع تكرار هذه العملية حتى يتم تشكيل مجموعة من الكرات. ثم يضع كرتين معاً متوازيتين ويثبتهما بأصبع القدم الكبير ويمسكهما بيديه ويلفهما منفصلتين بعيداً عنه ثم يلفهما معاً في نفس الاتجاه حتى يلتفا فوق بعضهما. ويتم تكرار هذه العملية مع الكرات الأخرى حتى يتم الحصول على الأطوال الكافية. ويتم اجراء المزيد من عمليات الطي واللف المختلفة لتحقيق القطر المطلوب.

وتنمو أشجار النخيل البرية بصورة أساسية في المناطق الساحلية حيث يتم جمعها واستخدامها في صنع الجدائل. ويتم شق أوراق سعف النخيل هذه بنفس الطريقة المستعملة في شق أوراق سعف أشجار النخيل المزروعة. وكما هو الحال مع جميع المشغولات الفنية، فإن جودة العمل الفني تتباين من صانع إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى. وعلى الرغم من أن استخدام هذا النوع من أشجار النخيل في انتاج الأعمال الفنية لا يحتاج إلى نفس المهارة المطلوبة عند استخدام أشجار النخيل المروحية الشكل إلّا أنه يتم في ظفار انتاج بعض الأعمال الرائعة وخاصة سلال الخبز وأغطية حاويات الماء وحصر الطعام وحصر الصلاة. ويفضل صانعو السلال في هذه المنطقة استعمال أوراق سعف أشجار النخيل



جيجي كروكر جونس

يتم الآن صنع أقفاص السمك من السلك، لكن هذا القفص يتم صنعه باستخدام المواد التقليدية وهي ضلوع سعف أشجار النخيل المزروعة. إن صانع قفص السمك التقليدي هذا هو ربما آخر هؤلاء الحرفيين الموجودين في خصب.

التي تنمو في المناطق الأخرى من عمان، لكن كان من الصعب الحصول عليها بالطبع. وقد اشتهرت ظفار باستعمال نباتات الصباغة.

وتعتبر أشجار النخيل البرية المحلية أفضل أنواع هذه الأشجار فهي تعطي أجود المواد المستخدمة في صناعة السلال. ويمكن شق أوراق سعفها لتشكل ألياقاً ممتازة. وتتمتع النساء بمهارة خاصة في انجاز هذا العمل. وفي المنطقة الوسطى يذهب البدو وهم يمتطون الحمير أو الجمال إلى الوديان الموجودة عند باطن الجرف ربما مرتين في الشهر في فصل الشتاء حيث يمضون اليوم بطوله هناك. ويتولى الرجال عادة أعمال قطع السعف وجمعه، ويقومون بقطع السعف بالسكين وهو مفتوح إلى الربع أو النصف ويأخذون أربع أو خمس سعفات من إحدى الشجيرات ثم يوثقون الحزم باستعمال أحد الحبال التي يصنعونها بأنفسهم في الموقع من ألياف النخيل. ويقوم الرجال بجدل الكمامات الخاصة بالجمال وعمل أكياس ضروع الجمال لمنع الصغار من الرضاعة وعمل النقافات المستخدمة في قذف الحصى لجمع قطيع الحيوانات وأفخاخ صيد السحالي الجبلية (وهي عبارة عن عروات يمكن اطباقها) باستعمال ألياف النخيل وهي خضراء عادة. كما يقومون أيضاً بجدل السلال التي يتم تحميلها على ظهر الجمال والحمير والحصر التي يتم فرشها تحت أشجار السنط لجمع ثمار (قرنة) هذه الأشجار المستخدمة كعلف للحيوان.

وتقوم النساء بتجفيف السعف بتعريضه لأشعة الشمس لمدة اسبوع مع جلبه إلى الداخل في أثناء الليل لمنع تعرضه للندى الذي يجعله أسود اللون. ثم يقمن بعد ذلك بشق السعف واستخدام اسلوب اللف الملولب لعمل أوعية للحلب وسلال ذات أغطية وحاويات حفظ الأدوات النسائية. ويتم حفظ السعف المشقوق رطباً في وعاء مغزول صغير يتم منه سحب السعف حسب الحاجة. ويتم صنع السلال بخياطة كل صف من الصفوف الملولبة في الصف الذي قبله بواسطة ألياف الخياطة وباستعمال أداة مدببة لعمل الثقوب التي يتم فيها تمرير ألياف الخياطة.

وعندما تتوفر أشجار النخيل البرية، يقوم بعض البدو الرعاة بجدل السعف المشقوق لعمل شرائط طويلة يتم خياطتها معاً لانتاج الحصر المستخدمة في تغطية سقوف منازلهم. ولا يزال البدو الصيادون يصنعون هذه الحصر ويستخدمونها كجدران خارجية لمساكنهم. ويمكن لف هذه الحصر للأعلى لتسمح بمرور النسيم أو إسدالها لتوفير الدفء حسب الأحوال الجوية والرياح.

وتشتهر ظفار بجودة انتاجها من أوعية الحلب، وتأتي هذه البراعة الفنية الممتازة أساساً من المناطق الجبلية والصحراوية. ويتم صنع هذه الأوعية للاستخدام أثناء حلب الأبقار والماعز، مع صنع أوعية أكبر للاستعمال أثناء حلب الجمال. ولصنع هذه الأوعية يتم أولاً نقع الألياف غير المصبوغة في الحليب لتقويتها، غير أنه يتم في بعض الأحيان نقعها في الماء لنفس الغرض عندما يتم صنع هذه الأدوية لبيعها للسياح بهدف تفادي الروائح الحادة. ويتم تبطين الأوعية من الداخل بقطعة مدبوغة وممطوطة من جلد الماعز، مزركشة بشرائط جلدية. كما يتم زركشة السلال والحاويات الصغيرة الأخرى بشرائط من الجلد كما يحدث في بعض المناطق الأخرى. ويتم في بعض الأحيان الآن صناعة أوعية الحلب باستخدام ألياف جوز الهند لبيعها للسياح، لكنها ليست بنفس الدرجة من المتانة أو قوة التحمل.

وهناك نوع آخر من الألياف يجب أن نذكره، وهو ألياف القصب. لقد كان هناك العديد من نساجي ألياف القصب في منطقة الباطنة وفي فنجا بالمنطقة الداخلية، لكنه لم يعد في فنجا الآن سوى اثنين من النساجين يستعملون ألياف القصب بألوانها الطبيعية أو بعد صباغتها بألوان مختلفة باستعمال مواد الصباغة الكيماوية. ويتم طرق القصب لاستعماله في صناعة الحصر العادية وحصر الصلاة، واستعمال القصب غير المطروق في نسج الحصر المستعملة في نقل جثث الموتى إلى المقابر. ويمكن غسل هذه الحصر على عكس تلك المصنوعة من القصب المطروق.

لقد دامت صناعة السلال في عمان فترة أطول من بعض الصناعات الحرفية الأخرى، لان المواد الخام لا تزال متوفرة ويمكن الحصول عليها بسهولة أكبر نتيجة لتوفر وسائل النقل الحديثة. وقد اختفت بعض أنواع المشغولات، لكن بعضها الآخر لا يزال موجوداً ويستخدم في تأدية بعض المهام الوظيفية المفيدة.

كتب ومطبوعات أخرى

بالاضافة إلى الأبحاث العديدة المدرجة في مجلة الدراسات العمانية والمطبوعات المتخصصة الأخرى، والمقالات وثيقة الصلة المنشورة في مجلة «أخبار شركة تنمية نفط عمان» والمطبوعات الدورية العديدة الأخرى فإننا نوصي بالاطلاع على الكتب التالية أيضاً

مؤلف مجهول أو غير مسمى (مؤلفون متعددون): *النتائج العلمية لاستقصاء الحياة النباتية والحيوانية في عمان، ١٩٧٥، مجلة الدراسات العمانية، ملحق خاص رقم ١*. وزارة الاعلام والثقافة.

مؤلف مجهول أو غير مسمى (مؤلفون متعددون): *استقصاء الحياة النباتية والحيوانية في عمان، ١٩٧٧ (ظفار)، مجلة الدراسات العمانية، ملحق خاص رقم ٢*، مكتب مستشار الحكومة لشؤون المحافظة على البيئة.

مؤلف مجهول أو غير مسمى (مؤلفون متعددون): *اكتشاف عمان*، دليل أبيكس إكسلورر، أبيكس.

بورشتاين، إس. إم (المترجم)، ١٩٨٩، *أجاثارشيدس السنيدوسي، حول البحر الأرتيري*. جمعية هاكليوت، لندن.

كوستا، ب. ١٩٩١، *مسندم، المعمار والحضارة المادية في احدى مناطق عمان قليلة الشهرة*. دار إيميل للنشر.

ديبر، إف.، و تي. وودوورد، ١٩٨٢ *البحار الحية، الحياة البحرية في جنوب الخليج*. موتفيت.

المديرية العامة للاحصاءات الوطنية. *كتاب الاحصاء السنوي*.

دوي، ب.، ١٩٩٢، سوقطرة: *جزيرة السكون*، دار إيميل للنشر.

فاسي، دبليو.، عمان: *أمة بحرية*.

فينيس، آر.، ١٩٩٢، جزيرة الرمال: *البحث عن مدينة اوبار المفقودة*. بلومزبري.

غالاجر، إم.، و إم. وودكوك، ١٩٨٠، *طيور عمان*، كوراتيت بوكس.

غضنفر، إس.، *الكتالوج التفسيري للنبات الوعائية في عمان*.

هاولي، دي.، ١٩٩٧، *عمان ونهضتها*، استاسي انترناشيونال، المملكة المتحدة.

هاولي، دي.، ١٩٩١، *تاريخ الشعوب العربية*، فابر آند فابر.

هيوجز كلايك، إم.، ١٩٩٢، *التراث الجيولوجي لعمان*. شركة تنمية البترول العمانية.

كاي، إس.، ١٩٩٢، *بحارة الخليج*، موتفيت.

كاي، إس.، ١٩٩٢ *عمان المغردة*، موتفيت.

كلاين، إتش.، و ار. بركسون، ١٩٩٢، *على الطريق إلى عمان*. موتفيت.

لارسين، تي.، و كاي.، ١٩٨٠، *فراشات عمان*، بارثولوميو.

ماندافيل، جي الصغير، ١٩٧٨، *الأزهار البرية لشمال عمان*، بارثولوميو.

مككينون، إم، ١٩٩٠، *الجزيرة العربية: رمل وبحر وسماء*، كتب هيئة الاذاعة البريطانية ودار إيميل للنشر.

ميللر، أي.، و إم. موريس، ١٩٨٨، *نباتات ظفار، المنطقة الجنوبية لعمان. الاستخدامات التقليدية والاقتصادية والطبية*. مكتب مستشار حماية البيئة، الديوان السلطاني، سلطنة عمان.

ميللر، دي. آر.، ١٩٩١، *تخطيط التنمية الاقتصادية في سلطنة عمان*.

وزارة الاعلام، عمان ٩٢، عمان ٩٣، ومطبوعات أخرى.

وزارة الشؤون البلدية والبيئة، *الاستراتيجية الوطنية لحماية البيئة*.

بوتس، دي. تي.، ١٩٩٠، *الخليج العربي في العصور القديمة، المجلد الأول والثاني*، مطبعة كلاريندون، اوكسفورد.

ريسّو، بي.، ١٩٨٦، *عمان ومسقط، اوائل التاريخ الحديث*، كروم هيلم.

سالم، آر.، و آر. بالدوين، ١٩٩١، *الغوص والغطس تحت سطح الماء في عمان*، موتفيت.

شيبرد، إس.د إي برايس، سير روبرتس، ١٩٩٢، *البيئة البحرية في المنطقة العربية، نماذج وعمليات في البيئات الاستوائية المتطرفة*. أكاديميك بريس.

ستيفنس، أي.، ١٩٩٠، عمان: *قلاع بين الرمال والبحر*. تيرا إنكوغنيتا.

سلطان القاسمي، ١٩٨٦، *اسطورة القرصنة العربية في الخليج*. كروم هيلم.

ثيسيجر، دبليو.، ١٩٥٩، *رمال عربية* (موجود في سلسلة كتب بنجوين للرحلات).

فاين، بي. جي، ١٩٨٦، *لآلىء المياه العربية، تراث البحرين*. دار إيميل للنشر.

فاين، بي. جي، و إم. ماككينون، ١٩٩١، *موجات الحرب*. بوكستري ودار إيميل للنشر.

فاين، بي. جي.، و بي كاسي، ١٩٩٢، *دولة الامارات العربية المتحدة*. دار إيميل للنشر.

فاين، بي. جي.، ١٩٩٢، *تراث قطر*، دار إيميل للنشر.

شكـــــر وتقديـــــر

أولاً وقبل كل شيء، أشعر أن من واجبي أن أتقدم بالشكر العميق لكل من قابلتهم فـي عمان أثناء قيامي بعمل الأبحاث الخاصة بهذا الكتاب والذين مدوا إلي يد الصداقة وشملوني بكرمهم ولطفهم. لقد جعلوا مهمتي مهمة ممتعة تماماً وعـاونوني كثيراً وجعلوني أشعر وكأنني بين أهلي على الرغم من طول غيابي عن أسـرتي في رحلاتي الطويلة. إن أولئـك الذين يعرفون عمان جيداً سوف يستـوعبون ملاحظاتي هذه جيداً لأن مـن الصعب أن يجد الانسان شعباً أكثر حفاوة وكرماً من العمانيين. إن المكان هنا لا يتسع بالطبع لذكر جميع الذين ساعدوني وعاونوني بصورة أو بأخرى، غير أنني أقدر أكثر من أي شيء آخر المكانة العالية التـي تحتلها القيم التقليدية. إن كرم الضيافة وحفاوة الاستقبال اللذين شعرت بهما أثنـاء وجودي بين سكان رملة الوهيبة وجدة الحراسيس، على سبيل المثال ،قد تركت في ذهني انطباعات عميقة ستظل عالقة في ذاكرتي إلى الأبد.

والآن، ألتفت إلى النواحـي الادارية والعملية المتعلقة بالعمل فـي إصدار مطبوعة من نوع هذا الكتـاب، ويجب أن أعبر عـن اعتزازي بالثقـة الغالية التي منحني إياهـا سعادة الاستاذ عبد الله الـذهب، سفير سلطنة عمان في لنـدن، الذي كان أول من ناقشـت معه هذا المشروع والذي شجعنـي كثيراً على القيام به. وعنـدما وصلت إلى عمان استقبلني سعـادة الاستاذ عبد العزيز بـن محمد الرواس وزير الاعلام الـذي تكرم مشكوراً بتوفير خدمـات الدعم الشاملة وشجعنـي باستمرار وأبدى اهتمامه الشـديد بمشروع الكتاب وذلك طوال العـامين التاليين وأثناء قيـامي باجراء الأبحاث الخاصة بالكتاب. وبدون هذا الدعـم كان يستحيل علي أن أنجز هذا العمـل. وقد امتدت الرعاية الشخصيـة من معالي الوزير إلـى موظفيه في وزارة الاعلام الذيـن كانوا جميعاً على استعـداد تام لمساعدتـي وتلبية طلباتي العـديدة. وأخص بالـذكر هنا سعادة حمـد بن محمد الراشـدي وكيل الوزارة للشؤون الاعـلامية والمستر انتوني اشورث مستشار معالـي وزير الاعلام والفاضل عبدالله الرحبي مدير عام مكتب الوزير وزهـور حميد الصالح وشيخا الكندي ونصر الوهيبي وعامـر بن سيف العبري وروزماري هيكتر وأميـن الريامي وسعاد الحارثي. أمـا بالنسبة للمساعدات التي تلقيتهـا فـي المتاحـف العمانيـة، فـأود أن أشكـر الفاضلـة ليلى بنت محمد بن سليمان اللمكي مـديرة المتاحف والفاضلة فـاطمة محمد موسى أمينة متحف القـرم بمسندم للمساعدة القيمـة في هذه المشروع.

كما أود أن أتقدم بـالشكر العميق إلى معالي الشيـخ عامر بن شوين الحـوسني وزير البلديات الاقليمية والبيئـة للمساعدات القيمة التي قدمهـا لي في مجال الأبحاث المتعلقة بالتـاريخ الطبيعي العماني ولاتاحة فرصة مراقبـة أعمال ندوة «استراتيجية المحافظة على الطبيعة». وقـد تكرم معالي الاستاذ سعيد بن أحمـد الشنفري وزير النفط والمعـادن بمنحي جزءاً من وقتـه الثمين لأجري معه مقـابلة صحفية وأصدر أوامـره الكريمة باتخـاذ الاجراءات اللازمة التي تمكنني مـن الحصول على مزيد من المعلومات من المسؤوليـن في وزارته ومن المسؤولين في شركة تنميـة نفط عمان. كما أود أن أتقدم بالشكر الجزيل لسعادة الاستاذ مال الله بن حبيب مستشار وزارة التراث القومي والثقافة لتكرمه بالموافقة على أن أجري معه مقابلة صحفية.

لم يكن بالامكـان كتابة الفصلين الخاصين بتـاريخ عمان القديم والحديـث بدون جهود الأبحاث التي بذلتهـا مجموعة من الأفراد الذيـن عملوا في هذا المجال منذ سنـوات طويلة. وأنني لأقر بـالعرفان للفرصـة التي اتيحت لي للاستفـادة من المتاحف المختلفة فـي مسقط. لقد تمعنت بعمـق في مجلة الدراسـات العمانية وفـي العديد من الأبحاث المدرجة على صفحاتها. وفـي هذا الخصوص أود أن أتقدم بالشكر الجزيل بصورة خاصـة للدكتور باولو كوستا الذي لعب دوراً هاماً في هذا الخصوص والذي كان كتابه عن مسندم مـرجعاً قيماً أعانني في تأدية مهمتي. وكان لكتاب الدكتور دي. تي. بوتس: الخليج العربي في العصور القديمة والـذي نشرته دار كلارندون للطباعة والنشر والذي يمثل مجملاً حديثاً لتسجيل الآثـار العمانية عوناً كبيراً وكذلك أبحاث ورسائل الدكتور بول يال عضو بعثـة الآثار الالمانية إلى عمان. كما أنني أدين بالامتنان للدكتور بول يـال لتفضله بتزويدي ببعض الصور من مجموعته الخاصة، وكـذلك للدكتور جيرهاردفيسجربر علـى ما قدمه من صور. كما أود أن أخص بـالذكر الكتابين اللذين ألفهما دونـالد هاولي (عمان ونهضتها) ووليام فـاسي (عمان: أمة بحـرية) فقد زوداني بمعلـومات قيمة وملهمة. كمـا أود أن أقر بأنني قـد تلقيت استشارات وتوجيهـات قيمة من الدكتور جيفري أورتشارد بكلية دراسات الآثار القديمة بجامعة برمنجهام والدكتور باري جونس بشعبة علوم الآثار القديمة بجامعة مانشيستر.

كما تفضلت الفاضلة ليـزلي فوربس أمينة قسم الكتب الشرقية بمكتبة الجـامعة، بجامعة دورام بتقديم العون فيما يختص بالمـراجع. وكانت الجمعية

التاريخية العمانية هي المكان الأمثل للقاء، وكانت جهودها في مجال الحفاظ علـى الاهتمام بالتاريخ العماني والثقافة العمانية والتاريخ الطبيعي لعمان وجعلها محبوبـة تستحق كل ثناء وتقدير. إن الخبـرات التي تضمها الجمعية كانت بـالطبع تفوق خبراتي ودراياتـي، ولذلك فبدونهم وبدون تقـاليدهم العريقة كانت مهمتي ستكون عسيرة. وعلـى ذلك يجب أن أتقدم بالشكر العميق للجمعية لأهتمامها بأعمالي ولما قـدمته من مساعدات قيمة. ومع ذلك فإنني وحدي أتحمل المسؤولية عن أية معلومات غير وافية قد يكتشفونها في هذه النسخة المصغرة من ماضي عمان.

إن التقاليد العمانية غنية ومتنوعة وتستحق كتاباً وحدها. ولم يكن بـاستطاعتي تغطية جميع مجالات البحث في مجلد واحد، لكنني أدين بالشكر العميق للفاضلة جيجي كروكر جونس الخبيـرة في مجال فنون النسيج وصناعة السلال العمانية لاسهامها الجميل في هذيـن الموضوعين. وباستطاعة القراء الذين يرغبون في الالمـام بالمزيد من المعلومات عن هذين الموضـوعين الاطلاع على الكتاب القيم الذي ألفته جيجي كروكـر جونس وعلى المطبوعات المتخصصة الأخرى التي تتناول العديد من الموضوعات عن عمان والتي تتراوح بين الطهي والمشغولات الفضية.

كما أن التاريخ الطبيعي العماني هو موضوع متشعب أيضاً وتمت تغطيته في عدة مطبوعات متخصصة مثل كتاب «طيور عمان» لمايكل جلاغر ومارتن وودكوك، وكتاب «نباتــات ظفار» لأنتوني ميللر وميرانـدا موريس، وكتاب «دراسةالحياة النباتيـة والحيوانية في عمان» وكذلـك بعض الكتب والأبحاث والمجلات المتخصصة الأخـرى. ولذلك فقد كـان ذلك هو أحد الأسبـاب التي جعلت تفسيراتي فـي هذا الكتاب تعتمد بشـدة على خبراتي وانطبـاعاتي وتأملاتي الشـخصية، وتحاول أن تضيف شيئـاً من مذاق الحياة البرية المثيرة في عمان إلى بعض الحقائق الأخـرى الأكثر أهمية. وأنني أدين بالشكر العميق للصديق إيان ماكليش الذي صحبنـي معه في بعض رحلاته «الميدانية» بين جبال صلالة وريف شمال عمـان. لقد كان إيان بعيونه الخبيرة في مجال النباتات واهتماماته ودراياته بالتاريخ الطبيعي لعمان مصدر سرور وابتهاج كبيرين ومصدراً للمساعدات العملية. كما يجب علي أن أتقدم بشكر خاص إلى رالـف دالي مستشار حفظ البيئة بديـوان البلاط السلطاني الذي تبنـى ووجّه العديد من بـرامج المحافظة على الطبيعة فـي عمان. إن جهود المحافظة على الطبيعة في عمان ترعاها اليوم أيد خبيرة لفريق من العمـانيين المخلصين والمتحمسين يرأسها معالي الشيخ عامر بن شوين الحوسني وزير البلديـات الاقليمية والبيئة. وأود هنا أن أثني ثنـاءا عميقاً على جهوده من أجل ضمـان أن تحافظ عمان على مستـواها العالي في المحـافظة على الطبيعة والبيئة. وأود بصورة خاصة أن أعبر عـن عميق شكري للفاضل/ علي الكيومي مدير دائرة استراتيجية المحـافظة على الطبيعة بوزارة البلديات المحلية والبيئة لاهتماماتـه الخاصة بأعمالي ولتعريفي بالسلاحـف العمانية. كما أود أن أشكر أيضاً الدكتور مهدي أحمد بـن جعفر الذي يعمل بنفس الوزارة والذي سـاعدني وشجعني. كما ساعـدني أيضاً عدد كبير من الأفـراد في مختلف نواحي أبحـاثي في مجال التاريخ الطبيعـي العماني وأود أن أخص بالشكر مايكل جلاغر وباري جوب ورودي جونس وأندرو سبالتون وشـاهينة غزينفار وهان وجينز إريكسين ورودني سالم وروبرت بولدوين ومركز تعليم الغوص العماني.

إن الأبحاث التـي أجريتها للفصل الخـاص عن عمان الحديثـة قد أوصلتني إلى أنـواع مختلفة عدة من ضـروب الاستكشـاف والاكتشاف تراوحـت بين رحلات على متن طائرات شركة الطيران العمـاني وزيارات للمرافق الحديثة لصناعة البتروكيماويات. ولذلك أتقـدم بالشكر للفاضل/ منصور العامري مدير العلاقات العامة والاعلام بشركة تنمية نفط عمان للمساعدات التي قدمهـا بنفسه وللمساعدات التي قدمتها الشركة ولتزويدي بالبيانات والمراجع والصور. وهناك العديد من الأفراد الذين أرغب في أن أخصهم بالشكر العميق للمســاعدات التي قدموها في اعداد هذا الكتاب وأرجو أن يغفر لي كل من لا يجده إسمه مدرجا هنا وعليهم معرفة أن جهودهم كانت تستحق العناء الذي بذلوه.

الفهرس

الدكتور بيتر ڤاين هو مؤلف لتسعة عشر كتاباً، يتناول العديد منها الحياة البحرية العربية والتاريخ والتراث العربي. ان اهتماماته بهذه الموضوعات قد نشأت خلال الفترة التي امضاها مقيماً في منطقة الجزيرة العربية ونمت خلال خمسة وعشرين عاماً تنقّل خلالها في انحاء الجزيرة العربية. وبعد أن كان يعمل في البداية كعالم بحري ومستشار لصناعة صيد الأسماك، اتسعت آفاق اهتماماته لتتضمّن مجموعة كبيرة من الموضوعات التاريخية والبيولوجية والتنموية التي تؤثر في الجزيرة العربية. وقد كتب عدة مؤلفات عن البحر الأحمر من بينها كتاب "الحيوانات اللافقارية للبحر الأحمر" الذي يعتبر أحد الأعمال المرجعية القياسية، وكتاب "السلامة في البحر الأحمر" وهو مصدر هام للمعلومات التي يستعين بها الغواصون. وتتضمن سلسلة مؤلفاته المنشورة عن تراث الدول العربية، والتي يشكل هذا الكتاب سادسها، مؤلفات عن عُمان والكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة.

ان سلسلة كتب تراث الجزيرة العربية هذه تشتهر بجودة بحثها ونصوصها ورسوماتها التوضيحية التي نجح المؤلف في تجميعها. كما فاز كتابه "تقلبات الحرب" والذي تناول الآثار البيئية لحرب الخليج بجائزة أفضل كتاب لعام ١٩٩٢ في معرض فرانكفورت للكتاب الذي اقيم في عام ١٩٩٢. كما لعب المؤلف دوراً نشيطاً في انتاج فيلم عن هذا الموضوع يحمل نفس الإسم، وفي انتاج عدة أفلام أخرى عن الموضوعات البحرية.

ويواصل بيتر ڤاين، بوصفه رئيس التحرير التنفيذي لمجلة «الحياة البرية العربية» التي تصدرها دار بلانيت للنشر، النهوض بدور فاعل لنشر الوعي — على نطاق عالمي — بالخصائص الفريدة للجزيرة العربية وما يواجهها من تحديات.

ولاعداد هذا الكتاب، سافر بيتر ڤاين وتجوّل طويلاً في أنحاء سلطنة عمان. اما في الأوقات التي لا تتطلب منه السفر لأغراض البحث وجمع المعلومات اللازمة لإعداد الكتب أو لصنع الأفلام أو مزاولة اعمال النشر الخاصة به، فإنه يركن للإقامة في كليفدن بكونيمارا الواقعة على الساحل الغربي لإيرلندا.

وتتضمن قائمة المؤلفات التي نشرتها دار إيميل للنشر لنفس المؤلف:

تراث البحرين
تراث قطر
دولة الإمارات العربية المتحدة
الكويت: قصة أمة
تراث الأردن
جزيرة سيشيل
مستكشفو البحر الأحمر

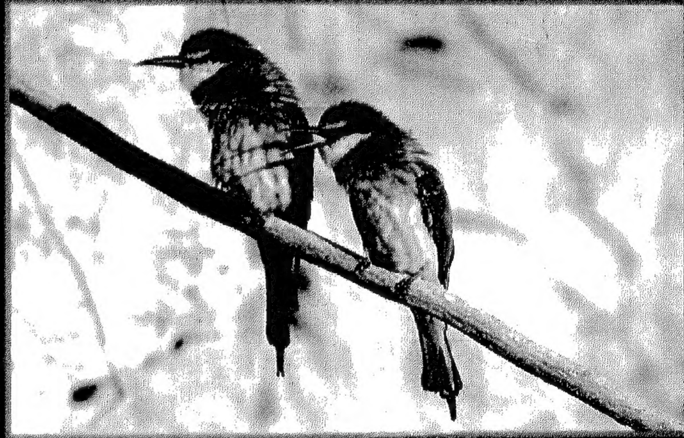
دار إيميل للنشر المحدودة
٢٠ باركلي ستريت، باركلي سكوير
لندن دبليو ١ إكس ٥أي ئي
هاتف: ٠١٧١ ٤٩١ ١٧٩٩ فاكس: ٠١٧١ ٤٩٣ ٥٥٢٤

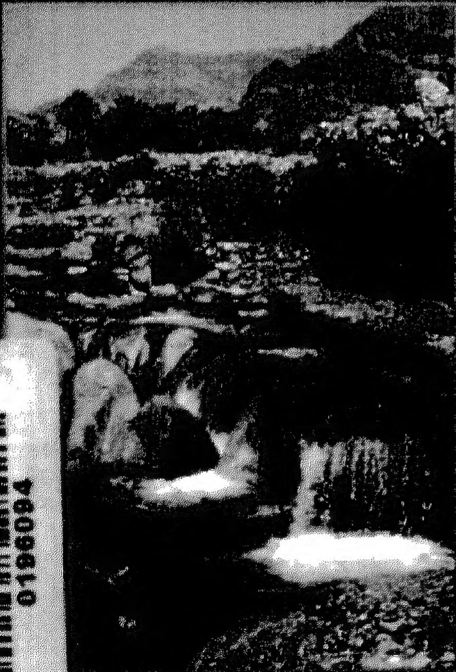
Immel Publishing Ltd,
20 Berkeley Street, Berkeley Square,
London W1X 5AE
Tel:0171 491 1799 Fax:0171 493 5524

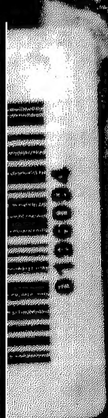


إن القليل جداً فقط من البلدان على ظهر المعمورة تستطيع أن تقدّم تنوّع المشاهد وثروة الحياة البرية التي تشكل التراث الطبيعي لعُمان.

إن مجلدات بأكملها لا تكفي للحديث عن التاريخ الطبيعي لعُمان، ومع ذلك فقد تناول المؤلف في هذا المجلّد المصوّر الجميل بعض الموضوعات المثيرة الأخرى وتناول بالوصف الماضي العريق للبلاد وكشف عن أهمية عُمان للحضارة القديمة في بلاد ما بين النهرين وأوضح التطورات الجديدة والحساسة من الناحية البيئية للبلاد.







IMMEL
Publishing

ISBN 1 898162 40 9